شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

تموز (يوليو) ١٩٧٤ — ٣٥

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومبياني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤١/٢ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

صفحة ٤ **مكونات القرار في المجلس الوطني الفلسطيني ((الدورة الثانية عشرة))** ، عصام سخنيني .

١٣ **الابعاد العسكرية لفصل القوات في الجولان** ، المقدم الهيثم الايوبي .

٢٦ **الصهيونية واليهود واسرائيل والعرب والعالم (نظرة بالجملة الى المواقف والعلاقات)** ، الدكتور حسام الخطيب .

٣٣ **ورقة الى دفتر طوكيو : الكتابة في درجة الغليان** ، محمود درويش .

٤٢ **يوم في بيت المقدس** ، أحمد الشقيري .

٥٢ **دمي يراوح في الرياح** ، احمد دحبور .

٥٦ **المفهوم الاجتماعي لحرب التحرير الشعبية الفلسطينية** ، نبيل الرملاوي.

٦٢ **ملامح من التجربة النضالية الفلسطينية : حرب العصابات في مـــدن ومخيمات قطاع غزة** ، علي زين العابدين الحسيني .

٧٦ **الموقف الاردني تجاه التسوية السياسية** ، حسين ابو النمل .

٨٥ **اسرائيل : بين الرأسمالية والاشتراكية** ، كين ميركورد .

٩٢ **الكيبوتز : تقييم نقدي** ، اياد القزاز .

٩٧ **تطور مشروع نهر الاردن** ، طعان صعب .

١١٩ **مراجعات** : الايديولوجية الفلسطينية المقاومة ، داود تلحمي . من حارب العرب في حرب ١٩٧٣ ، ح.أ. الفلسطينيون في الكويت ، سمير أيوب . رحيل المرافىء القديمة ، مصطفى كركوتي . نظام سياسة اسرائيل الخارجية ، محمد علي العويني .

١٣٦ **حديث ينشر لاول مرة : مع الشهيد غسان كنفاني .**

١٤٣ **حديث مع يسرائيل شاحاك** ، الدكتور طالب يونس .

١٥٣ **تقرير خاص : أجهزة الامن وادوات القمع في الاردن** ، م. س.

١٦٣ **ثلاثة تقارير** : (١) ردود الفعل الاسرائيلية على عملية معلوت ، عيسى الشعيبي . (٢) سلطات ماليزيا والقضية الفلسطينية ، الدكتورة شيرلي غوردون . (٣) الصحف البريطانية والقضية الفلسطينية (من شباط الى نيسان ١٩٧٤) ، م.ك.

١٨٤ **الفلسطينيون كما يبدون في الذهنية الاسرائيلية** ، عبد الحفيظ محارب .

١٩٢ **شهريات** : (١) القضية الفلسطينية دوليا ، صادق جلال العظم . (٢) المناطق المحتلة ، ع.ش. (٣) اسرائيليات ، هاني عبدالله . (٤) القضية الفلسطينية عسكريا ، محمود عزمي وهشام عبدالله . مع ملحق تقرير عن عملية أم العقارب « كفارشامير » ، س.أ. جدول بعمليات المقاومة الفلسطينية ، وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١٥/٥ — ١٥/٦/١٩٧٤ ، غازي خورشيد .

مكونات القرار
في المجلس الوطني الفلسطيني «الدورة الثانية عشرة»

عصام سخنيني

القرار الفلسطيني كان دائما — منذ ان كانت القضية الفلسطينية — محصلة لعوامل عدة فلسطينية وعربية ودولية . فخصوصية القضية الناتجة عن دخول اطراف مختلفة في الصراع ، والناشئة كذلك عن تشابك المصالح والتحامها من جهة، وتعارضها بل تناقضها من جهة ثانية ، جعلت القرار الفلسطيني تركيبا دائما لعناصر يتفاوت كل واحد منها في الاهمية والتأثير باختلاف الظروف الموضوعية التي تحيط بكل مرحلة من مراحل القضية ، كما يتحكم في صياغة التركيب المستند اليه القرار الفلسطيني زخم كل عنصر من عناصر التركيب ، وهو زخم — اذا اخذ كل عنصر على انفراد — خطه البياني غير متسق المسار ، يعلو ويهبط تبعا لمعطيات الصراع الموضوعية والذاتية التي تحدد اقتحام هذا العنصر أو اقحامه ، خروجه او اخراجه من حلبة الصراع . واذا اخذت مصلحة الشعب الفلسطيني متميزة ضمن اتساق المصلحة القومية العربية ، فان القرار الفلسطيني يظل اقرب الى مصلحة هذا الشعب كلما كان العنصر الفلسطيني اكثر فعلا في التركيب واكثر حسما في دائرة الفعل . وليس هذا الحكم ناتجا عن شعور باقليمية وانما هو النتيجة المنطقية لمحاكمة مقدمتها الاولى تنبثق من طبيعة الصراع الذي يمثل الفلسطينيون مادته الاولى وبذلك فهم المعنيون مباشرة بالصراع والمنخرطون اكثر التحاما به مما يستتبع انهم الاكفأ من غيرهم — وغيرهم هنا هم كل الاخرين — في استشراف مصلحتهم الحقيقية ومواطن هذه المصلحة . اما المقدمة الثانية فمشتقة من تراكم الممارسات التاريخية المضنية التي فرض فيها على الفلسطينيين ان يكونوا غائبي التأثير عن دائرة صنع القرار واوكل هذا الدور لغيرهم بالانابة فانتفت بذلك مصلحة الشعب الفلسطيني الحقيقية واغتيلت احيانا وكانت في احسن احوالها مصلحة تابعة ومشتقة غير اصيلة .

اذن ، فالقرار هو اقرب الى مصلحة الشعب الفلسطيني ان كان فيه العنصر الفلسطيني اكثر فعلا في التركيب ، وربما هذا هو ما اصطلح على وصفه في ادبيات الثورة « أن القرار يجب أن يكون فلسطينيا » بمعنى ان الارادة الفلسطينية الحرة المستقلة غير المعرضة لضغوط هي التي يجب ان تكون صاحبة القرار وفي موقع التصرف به . وينبغي التأكيد هنا ان هذه « الارادة الحرة » كانت قضية بحد ذاتها منذ ان كانت المسألة الفلسطينية ، ودارت حولها معارك خسرت الارادة الفلسطينية في بعضها تريتها الجزئية واحيانا الكلية ، وكسبت جولات في بعضها الاخر . وكانت نتائج هذه الجولات تنعكس انعكاسا مباشرا على مصلحة الشعب الفلسطيني ، ايجابا وسلبا ، على مصير نضاله ومستقبله . وقد كان تغييب الارادة الفلسطينية عن ساحة الصراع، عسكرية والسياسية ، في الفترة ما بين حربي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ سببا في ان مصلحة شعب الفلسطيني كانت تتعثر مع تعثر مراحل الصراع العربي — الاسرائيلي ، بينما

كان تفجر الارادة الفلسطينية وانطلاقها بعد حرب ١٩٦٧ عاملا رئيسيا وحاسما في ميلان كفة الميزان الى جانب مصلحة الشعب الفلسطيني في المدى التاريخي. وقد تمكنت هذه الارادة في فترة من الفترات — ما بين الكرامة في العام١٩٦٨واواسط العام ١٩٧٠ — من ان تكون كلية السلطة في فرض تصوراتها وفي ان ترفض او تقبل نظرا لعجز الارادات المعطلة التي هزمتها حرب حزيران وجعلتها عاجزة عن التصدي للارادة الفلسطينية واحتوائها بشكل سافر ومباشر . وقد ظلت هذه الفترة من تاريخ النضال الفلسطيني علامة رصيدية بارزة يستذكرها هذا النضال ، يستذكر امكاناتها وصدق تجربتها وجدواها ، كلما واجهت المقاومة الفلسطينية حتمية اتخاذ قرار في الشأن الفلسطيني ، فيجري تركيز الوعي على حرية الارادة ، وعلى القرار المبرأ من الضغوط.

بجانب ذلك فقد تميز القرار الفلسطيني في مرحلة الثورة الفلسطينية المعاصرة بانه اكثر استجابة لجدل الواقع والتصورات الذي كان يفرز دائما موقفا ليس هو تنازلا عن ثوابت التصورات المسبقة ولا خضوعا لمتغيرات الواقع المؤقتة ، وانما هو محصلة بمعناها الرياضي — المنطقي تشكلت خصائصها من الاطروحات والنقائض ولكنها تجاوزتها في النوع بالتأكيد ، وكانت في الوقت نفسه شكلا لفعل الارادة الفلسطينية في الواقع ، مؤثرة فيه ومتأثرة به .

هكذا نستطيع ان نقول ان البرنامج السياسي المرحلي لمنظمة التحرير الفلسطينية (ما اصطلح على تسميته بالنقاط العشر) الذي اقره المجلس الوطني الفلسطيني في دورة انعقاده الثانية عشرة في الفترة من ١ — ٨ حزيران ١٩٧٤ كان تركيبا لعناصر عدة اختلطت مكوناتها الفلسطينية بالعربية والدولية ولكن ضمن ناظم واحد (بدا من خلال الحوار الجاد والمسؤول وهما صفتان ارتقت بهما الدورة الاخيرة للمجلس عن كل ما سبقها من دورات) ، هو محاولة اكتشاف مواطن المصلحة الحقيقية للشعب الفلسطيني فيكون القرار الى جانبها . وبذلك فان القرار هنا فلسطيني بمعنى واحد هو تمثل المكونات العربية والدولية بالاضافة الى الفلسطينية وفهم معطيات الواقع الراهن للاستفادة منها في اخصاب التصورات والخروج من ذلك كله بموقف يضمن مصلحة الشعب الفلسطيني . ومن خلال متابعة الحوار في جلسات المجلس وذلك الذي دار في اروقته الخلفية يمكن رسم خارطة لهذه المكونات التي شكلت في تركيبها التصور الفلسطيني الجديد الذي خرج به المجلس كما يلي :

ان المكون الاول الذي بدا من خلال النقاش كان يصدر عن التأكيد على ان تستثمر الثورة الفلسطينية نتائج حرب تشرين لمصلحتها . فالثورة شاركت في صنع النصر الذي تحقق في حرب تشرين ، شاركت في انها حملت عن الامة العربية اعباء النضال خلال اكثر من ست سنوات (وقفت وحدها في ممر المارثون بتعبير الاخ ابو عمار) ، وهكذا ابقت جذوة النضال العربي متقدة في الوقت الذي كانت فيه الجيوش العربية تعيد بناء نفسها وتنظم صفوفها وتهيء لجولة اخرى . كما شاركت الثورة في صنع النصر المباشر بفتحها جبهة ثالثة في قلب العدو وعلى جبهته الشمالية . وبذلك ، فاذا كانت الثورة قد تعاملت رفضا مع سلبيات حزيران ، فان من حقها ومن واجبها ان تتعامل مع ايجابيات تشرين ، فتغتنم فرصة اختلال ميزان القوى نسبيا لغير مصلحة اسرائيل لتحقق مكاسب تتناسب مع حجم الاختلال النسبي . وعلى الرغم من صدق مقولة ان الثورة شاركت في النصر ، الا ان العنصر العربي في صنع القرار الفلسطيني كان واضحا هنا لا لبس فيه . فمع ان الرئيس السادات اكد للمجلس لدى افتتاح دورته ان « ليس من حق اي طرف عربي ان يمارس عليكم اي ضغط » ، فان الواقع العربي الجديد هو نفسه الذي يلعب دورا في تشكيل التصور الفلسطيني . فقد خرجت الارادة العربية من

أسارها في حرب تشرين ودخلت بذلك دائرة الفعل بعد ان كانت ضمن دائـرة ردود الفعل ، وحققت نصرا عربيا لا مرية فيه بفضل تضحيات كثيرة لا تقـل شـأوا عـن تضحيات الفلسطينيين انفسهم في ثورتهم المعاصرة . وهكذا فان شكل المكاسب التـي تسعى المقاومة الى تحقيقها في ظل اختلال موازين القوى لا بد ان يتقرر ليس فقط من خلال انتصارات الفلسطينيين وتضحياتهم — والانتصارات والتضحيات كانت ميـزات الفلسطينيين عندما كانوا يقفون وحدهم في فترة ما بين الحربين — وانما ايضا من خلال انتصارات العرب الذين قاتلوا معركة تشرين وضحوا فيها .

المكون الثاني في صنع القرار الفلسطيني كان ينبع من ضرورة اتخاذ موقف فلسطيني ازاء احتمالات التسوية . واذا كانت بعض الاراء حاولت في المجلس ان تخفف من احتمالات التسوية فما ذلك الا لمحاولة وضع البدائل لمواجهة فشل التسوية ، ان فشلت . كمـا ان الدعوة الى تخريب التسوية هي اقرار معكوس باحتمالها الارجح . وقد تشكلت هذه القناعة بالتسوية من عناصر عدة بعضها متعلق بنتائج حرب تشرين وما خلفته من وقائع جديدة على جانبي الصراع ، وبعضها اقترن بمحاولة فهم الاثار التي تتركها العلاقـات الدولية على منطقتنا . فعلى الجانب العربي من الصراع كان هناك فهم لاهداف حـرب تشرين : تحريك الركود الذي ران على مسألة الاحتلال ، تحرير جزء من التراب العربي وفرض تسوية بفعل النتائج العسكرية للحـرب . وعلى الجانب الاسـرائيلي ، فان الاطلالة الفلسـطينية على ما يجـري هنـاك كانت جليـة ومدركة تفاعـل المـأزق الذي ولدتـه الهزيمة العسـكرية الاسرائيلية ، وعلى وعي بحجمهـا الحقيقي الذي وان كان جـرى احيانـا تهويل بشـأنه ، فان مقاييسـه الفعلية لا تعني الهزيمة المطبقة لاسرائيل ، وانما تعني الهزيمة — في حدود التسوية . بجانب ذلك فقد بـرز لعامل الدولي في تشكيل القناعة الفلسطينية بالتسوية تحت عنوان سياسة الانفراج لدولي التي تحكم علاقات الدولتين العظميين ، الولايات المتحدة الاميركية والاتحـاد لسوفياتي . وعلى الرغم من انه لم يظهر في جلسات المجلس تحليل دقيق **لدوافع** هذه لسياسة* فان **آثارها** التي كانت تسيطر على جو الحوار الفلسطيني كـانت تتجه في لمجرى التالي : ان سياسة الانفراج هي نهاية للحرب العالمية الثالثة (الحرب الباردة الحروب المحلية الصغيرة التي وراءها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة) ، وبذلك ان تسوية المسائل العالقة بين المعسكرين قد دخلت في حيز التنفيذ (ظهرت آثارهـا ، فيتنام وتبدو الان في المانيا وكوريه) ، وبذلك فلا بد ان تنعكس آثار هذه السياسة لى منطقتنا — على قضيتنا — كما انعكست في مناطق اخرى ، في شكل تسوية مـا ، لامحها غير مصممة سلفا وانما تقررها موازين القوى الراهنة .

هذه التسـوية ، لن تكون في مصـلحة اسـرائيل باطلاق نتيجـة موازين القوى راهنـة . فاسرائيل نظرا لهزيمتها العسـكرية سـتجد نفسـها مضطـرة الى ديم « تنازلات » على شـعبنا ان يحسن استثمارها . كما ان المراهنة على الجهـد عربي الذي خرج بحرب تشرين من اسار قيود الخوف والشعـور بالنقص اللذيـن دتهما حرب حزيران هي مراهنة مجدية . وبجانب ذلك فان موقف الاتحاد السوفياتي ، نضال شعبنا — والموقف السوفيـاتي عنصر فعال في التسويـة — والتفسـير سوفياتي للقرار ٢٤٢ ، وهو ما سوف تقوم عليه التسوية ، سيكونان من الضمانات

ظهر في العدد ٣٤ من مجلة **شؤون فلسطينية** الذي صدر لدى افتتاح المجلس دراستان من وجـهتي نظر ختلفتين عن سياسة الانفراج الدولي .

الرئيسية في الا تكون التسوية في مصلحة اسرائيل في اطلاق . ولا بد هنا من الاشارة بشيء من التفصيل الى هذا المكون الدولي في القرار الفلسطيني . فهذا التفسير الذي ورد في الخطاب الذي القاه ليونيد بريجينيف في مؤتمر السلم العالمي الذي عقد في موسكو في تشرين الاول ١٩٧٣ والذي حدد الفهم السوفياتي لـ « مشكلة اللاجئين » بأنها « ضمان الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني » ، هذا التفسير طرح امكانية احداث تعديلات في القرار ٢٤٢ تأخذ في الاعتبار حقوق الشعب الفلسطيني ولا تعتبرها « مشكلة لاجئين » فقط . وقد انعكس هذا في النقطة الاولى من النقاط العشر والتي رفضت القرار ٢٤٢ مع تخصيص انه « يتعامل مع قضية شعبنا كمشكلة لاجئين » . الا انه في الجلسات العامة للمجلس قدم تفسير لهذه النقطة مع تعديل ظهر للوهلة الاولى انه تعديل في الصياغة واللغة الا ان مضمونه السياسي يكتسب دلالة خاصة . فقد وردت النقطة من لجنة الصياغة المنبثقة عن اللجنة السياسية بالنص التالي : « تأكيد موقف منظمة التحرير السابق من ان قرار ٢٤٢ الذي يطمس الحقوق الوطنية والقومية لشعبنا ويتعامل مع قضية شعبنا كمشكلة لاجئين ، ولذا يرفض التعامل مع هذا القرار على هذا الاساس في اي مستوى من مستويات التعامل العربية والدولية بما في ذلك مؤتمر جنيف » وقد تم التعديل الذي جرى بحذف حرف « أن » لانه من ناحية لغوية تظل الجملة مفتوحة باستعمال « أن » التي لا خبر لها في الجملة . بيد ان المدلول السياسي في التعديل كما تبدى في التفسير الذي قدمه صاحبه يتجاوز مسألة الصياغة بكثير ، فهو يؤكد موقف المنظمة السابق من القرار ٢٤٢ ، وهذا الموقف معروف وموضح في البرنامج السياسي لمنظمة التحرير وقرارات مجالسها السابقة ، الذي يرفض القرار ليس فقط لانه « يتعامل مع قضية شعبنا كمشكلة لاجئين » ولكنه بالاضافة الى ذلك لانه ينهي حالة الحرب ويؤدي الى الاعتراف بحق اسرائيل في العيش بسلام ضمن حدود آمنة . وهكذا فان « يتعامل مع قضية شعبنا كمشكلة لاجئين » جاءت هنا في هذه النقطة عطفا تفصيليا وجزئيا على الموقف الكلي السابق للمنظمة . وقد تأكد هذا الشرح عندما قدم صاحب الاقتراح تفسيره لتعبير « لذا يرفض التعامل مع هذا القرار على هذا **الاساس** » ، اي اساس موقف المنظمة السابق من القرار . وقد فاز اقتراح التعديل « اللغوي » باجماع المجلس ولكنا نظن ان هذه النقطة بالتحديد ستظل موضع اجتهادات تفسيرية في المستقبل .

بجانب هذا المنطق الذي كان يتوصل من محاكمة نتائج حرب تشرين ايجابيا ومن معطيات الواقع الدولي الى استخلاص ان التسوية لن تكون كليا في مصلحة اسرائيل ، برز هناك منطق اخر ينطلق من التسليم بايجابيات حرب تشرين وتأثيراتها في اسرائيل وفي اختلال ميزان القوى لغير مصلحتها ، بيد انه يتوصل بالاضافة الى ذلك الى ان الامبريالية الاميركية قد حققت بفضل هجمتها السياسية السريعة التي أعقبت الحرب بعض النجاحات التي تكاد تقلب ايجابيات الحرب الى سلبيات في محاولة منها لبسط النفوذ الامبريالي على كامل المنطقة العربية من خلال الوساطة والتسوية . فقد نجحت الولايات المتحدة حتى الآن في الامور التالية : • وقف اطلاق النار . • استئناف ضخ البترول . • ظهور اميركه بمظهر الصديق للعرب . • تخريب العلاقات مع الاتحاد السوفياتي . • الهجمة الاقتصادية التي أعقبت الحرب . • استئناف بعض الدول العربية علاقاتها مع اميركه . • وضع حركة المقاومة الفلسطينية في مأزق بالنسبة للقرار ٢٤٢ . وعلى هذا الاساس فانه قول يجافي الحقيقة ذلك الذي يؤكد اننا الآن في موقع القوة ، وبالتالي اننا قادرون على ان نفرض على اسرائيل التسليم ببعض حقوق شعبنا بحيث نصل الى درجة تحقيق حل مرحلي لا يتعارض مع حقوقنا الاساسية

ولا مع أهدافنا النهائية . والاستخلاص الوحيد من هذه المحاكمة هو رفض المشاركة في التسوية لانها لن تحقق ادنى طموحات شعبنا .

لم يستطع هذا النمط من التفكير فرض استنتاجاته وان كان هذا المنطق قد روعي في البيان السياسي الصادر عن المجلس الذي نص على ان « يتصدى شعبنا لكل تسوية تمس حقوقه وقضيته » ، غير انه في ظل شعار المرحلية تظل هذه العبارة عرضة للاجتهادات المتعددة . لم يستطع هذا النمط من التفكير فعل ذلك بسبب القناعة الكبيرة التي أشرنا اليها بأن الاطراف المشاركة في التسوية مصممة على بلوغها وان قدرتنا على مقاومة هذه الاطراف وعلى تخريب التسوية هي قدرة محدودة بالقياس الى ضخامة حجم هذه الاطراف ، وهكذا فان اعلاننا رفض التسوية صريحا لا يحتمل غير بديل واحد هو سحق الثورة وحرمان الشعب الفلسطيني من تحقيق بعض المكاسب المرحلية . وكان هذا المنطق يقود بالتالي من هذه المقدمات الى نتيجة حتمية هي ان على الثورة الفلسطينية ان يكون لها دورها الفعال والمؤثر في جعل التسوية أقرب ما يمكن الى مصلحة الشعب الفلسطيني . والحوار الذي دار حول مؤتمر جنيف ، وهو العنوان المكثف للتسوية ، يشير الى ذلك بغير ريب . فقد اقترن رفض مؤتمر جنيف في فقرة واحدة (هي النقطة الاولى من البرنامج المرحلي) مع رفض القرار ٢٤٢ بالتفسير الاول الذي أعطي له « يتعامل مع قضية شعبنا كمشكلة لاجئين » . مما مكن الاعتقاد بان حضور المؤتمر مرهون بتغيير الاساس الذي يقوم عليه المؤتمر وهو القرار ٢٤٢ ، بحيث يعدل هذا القرار فلا « يتعامل مع قضية شعبنا كمشكلة لاجئين » ، او كما طرح في أحد الاراء ان الذهاب الى جنيف مرهون بتحقيق شرطين : الاول توجيه الدعوة الى منظمة التحرير بصفتها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني ، والاخر ان يوضع ملف كامل للقضية الفلسطينية على جدول أعمال المؤتمر . بل كان التأكيد يجري على حضور المؤتمر بحجة تقول انه لا بد ان نكون موجودين في كل مكان يذكر فيه اسم فلسطين باعتبار اننا القائمون على التحدث باسم الشعب الفلسطيني ، فان على منظمة التحرير وهي التي انتزعت بنضالها حق التمثيل الوحيد للشعب الفلسطيني ان تمثل مصالح هذا الشعب وتدافع عنها على كل صعيد ، واكثر من ذلك فقد برز رأي يعتبر ان حضور المنظمة مؤتمر جنيف هو « مطلب نضالي » ، فالصهيونيون والاميركيون يسعون الى ابعادنا عن المؤتمر بينما الاشقاء العرب والسوفيات يصرون على اشتراكنا ، ويجب ان يكون هناك شرط لحضورنا يتمثل في الاعتراف بأن قضيتنا هي قضية تحرر وطني وليست مسألة لاجئين . ويتمكن هذا الاعتقاد مرة اخرى من عدم الاشارة الى مسألة المفاوضات في البرنامج السياسي المرحلي . فعلى الرغم من الحجة التي تؤكد ان المفاوضات ليست مرفوضة كمبدأ ، فأي جهة مقاتلة ستجد نفسها في نهاية المطاف على طاولة واحدة مع خصمها لتفاوضه في شروط التسليم ، ولكن المفاوضات في ظل ميزان القوى الراهن الذي هو ليس لمصلحتنا كليا لن تنتج الا الاعتراف الواقعي بالعدو ، والتسليم بوجوده وبحقه في القيام على جزء من ترابنا الوطني دون ان يحقق الشعب الفلسطيني من خلال المفاوضات أية مكاسب وطنية له . وبجانب ذلك فان مجرد قبولنا بمبدأ التفاوض وممارستنا له سينعكس سلبا على جبهة الاصدقاء الذين تعاطفوا مع قضيتنا وقطعوا علائقهم مع اسرائيل وحاصروها في عزلة دولية ، بحيث يجد هؤلاء الاصدقاء انفسهم امام واقع جديد فيه الفلسطينيون انفسهم يتخلون عن « مقاطعتهم » لاسرائيل فتنكسر بالتالي جبهة الحصار هذه من الاصدقاء .

على الرغم من هذه الحجة فان النص في البرنامج السياسي على رفض المفاوضات يعني حرمان المنظمة من حريتها في التحرك السياسي والنضال من أجل تغيير الاسس

التي يقوم عليها مؤتمر جنيف ليصبح هذا المؤتمر جهة صالحة لبحث القضية الفلسطينية من جذورها بما في ذلك حقوق الشعب الفلسطيني كما تقررها منظمة التحرير نفسها وبذلك يفتح الامكانية لمشاركة المنظمة في اعماله . بجانب ذلك فينبغي ان يلاحظ هنا — والملاحظة مشتقة من الحوار الذي جرى — تأثير العنصر العربي في صنع القرار في هذا الشأن . وقد توضح هذا التأثير في أن مصر وسوريا ، وقد صنفتا على انهما الحليفتان الاقرب الى حركة المقاومة ، قد قبلتا بمبدأ التفاوض وفق الشروط التي أعلنتها كل منهما ومارستاه عمليا . وبذلك فان اي رفض ، بقرار فلسطيني ، للمفاوضات لا يعني سوى ادانة الموقف المصري — السوري واحراج الدولتين معا .

باجمال ، فقد تبدت في هذا المكون الذي ادرجناه تحت العنوان الرئيسي ، «التسوية»، الابعاد العربية والدولية في صنع القرار الفلسطيني ، غير اننا يجب ان نضيف مسألة لا تقل أهمية عن ذلك ، وقد وردت عرضا فيما سبق ، هي مسألة التمثيل الفلسطيني في هذا الشأن . فقد استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية بنضالها السياسي والكفاح المسلح للفصائل المنضوية في اطارها ، ان تنتزع اعترافا من العالم ، سواء اعترافا قانونيا ام واقعيا ، واحيانا اعترافا ضمنيا ، بأنها الممثلة الوحيدة للفلسطينيين والناطقة باسمهم والمعبرة عن مصالحهم وحقوقهم . وبذلك فليس لاحد غير المنظمة ان يدلي برأي في الحق الفلسطيني ان طرح هذا الحق على بساط البحث على أي صعيد كان . وعلينا هنا ان نستدرك فنقول ان هذه الحجة استعملت سلاحا كذلك بيد رافضي التسوية والقائلين بضرورة تخريبها . فأن رفض المنظمة المشاركة في التسوية سيوقع الاطراف الاخرى في مأزق ما دام الطرف الاصيل في القضية الفلسطينية غائبا عنها وغير ملتزم بنتائجها . غير أن شبح النظام الاردني ، وهو البديل الوحيد للمنظمة في حال امتناعها عن اقحام نفسها في تقرير مصير الشأن الفلسطيني في التسوية ، كان وسيظل مسيطرا — علينا ان نعترف بذلك — على آلية صنع القرار الفلسطيني وموقفه من التسوية . فالنظام الذي ادانته جماهيرنا ليس هو الذي يمثل مصالح الجماهير الفلسطينية ولا هو الذي في موقع الدفاع عن الحقوق الفلسطينية او بذل الجهود لاستعادتها أو بعضها . ومع هذا فهو يتشبث بـ « مسؤوليته » عن هذه الحقوق ، وهذا التشبث لا يحتمل غير تفسير واحد هو ان النظام الاردني يجهد — من خلال هذا التشبث — في سبيل المساومة على هذه الحقوق وانتهاكها . اذن ، فأن « مزاحمة » النظام هنا من جانب المنظمة من أجل الدفاع عن الحق الفلسطيني وعدم التنازل عنه ليصبح من « مسؤولية » النظام الاردني ، تصبح مبررة ، وبالتالي تؤدي الى تمسك المنظمة بحقها في ان يكون صوتها هو المسموع لدى البحث في الشأن الفلسطيني بعد أن تكون قد تمكنت من طرد النظام الاردني وعزله عن دائرة التقرير في هذا الشأن. ان العامل الاردني — هو سلبي — واضح هنا في تكوين الموقف الفلسطيني من مسألة التسوية ومن مسألة أخرى سيرد ذكرها لاحقا .

من المكونات الرئيسية الاخرى في صنع القرار الفلسطيني في المجلس الوطني كان مصير الاراضي الفلسطينية التي « سوف تنسحب منها اسرائيل » . فالتسوية ، ان كان الجهد الفلسطيني فاعلا فيها ومؤثرا ليس بالجهد السياسي فحسب وانما باستمرار النضال المسلح بالاضافة الى التأثيرات العربية والدولية ، ستجعل اسرائيل تواجه حتمية انسحابها من الاراضي الفلسطينية المحتلة في العام ١٩٦٧ او بعضها . ومع ان النقطة الثانية من البرنامج السياسي المرحلي نصت على ان « تناضل منظمة التحرير بكافة الوسائل وعلى رأسها الكفاح المسلح لتحرير الارض الفلسطينية واقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الارض الفلسطينية التي يتم تحريرها،

وهذا يستدعي احداث المزيد من التغيير في ميزان القوى لصالح شعبنا ونضاله » ، مع هذا النص فأن الارض المعنية هنا في القرار الفلسطيني هي تحديدا الضفة الغربية وقطاع غزة او اجزاء منهما، فليس مطروحا الان الجليل ولا النقب وانما الضفة والقطاع. وقد أثار ذلك تساؤلا عن معنى النضال **بكافة الوسائل** وعلى رأسها الكفاح المسلح واقترانها باقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على **كل جزء من الارض الفلسطينية** التي يتم تحريرها ، وان لم تكن « كافة الوسائل » تعني الوسائل السياسية ويستخلص هذا التساؤل اجابة تنفي امكانية اقامة هذه **السلطة الوطنية المستقلة المقاتلة** بتلك الوسائل ، دون ان تنقض هذه الاجابة **حتمية** اقامة هذه السلطة على كل جزء يتم **تحريره** من التراب الفلسطيني بوسائل اخرى لا تمر عبر جنيف وانما من خلال الكفاح المسلح وحده . عندها ، ومع هذا المنطق ، يصبح « كل جزء يتم تحريره » امرا غير مرتهن بالضفة او القطاع بل تقرره العمليات العسكرية وحدها شمالا او جنوبا بموازاة النهر او على ساحل البحر . لكن هل فعلا هكذا هي معطيات الواقع أم هو مصير ما « تنسحب » منه اسرائيل او « تجلو » عنه او « يتم تحريره » ؟

لقد طرحت بدائل خمسة لهذا المصير : الوصاية الدولية ، الوصاية العربية ، بقاء الاحتلال الاسرائيلي ، عودة النظام الاردني ، اقامة السلطة الوطنية . وبمنهج الحذف فان السلطة الوطنية هي الخيار الفلسطيني الاوحد . غير ان هذا الخيار ليس عملا انتقائيا بحتا تعمل فيه الرغائب وفق مشيئتها الانتقائية الحرة ، وانما هو — مرة اخرى — محصلة لعوامل عدة تفاعلت موضوعيا تتجاوز التفكير الرغائبي وشهية ان تكون لنا دولة او الترفع عن الا تكون . ونستعرض هنا هذه العوامل مع استحضار ان هذا العرض يبغي التوصل الى اكتشاف مكونات القرار وليس امكانات التنفيذ او جدواه .

ان القناعة ، الناتجة عن تحليل المعطيات العربية والدولية ، بأن دول المواجهة سائرة قدما في طريق التسوية ولدت قناعة اخرى بأن استمرار الثورة المسلحة في المنفى سوف يصبح احتمالا في درجة الصفر . وهذه القناعةلا تشمل دول المواجهة التي قاتلت فحسب وانما دول المواجهة الاخرى التي لم تشترك في القتال. اذن وفي هذه الحالة على الثورة ان تواجه واحدا من اربعة خيارات : ان تنتحر انتحارا احتفاليا بمواجهتها لهذه الدول مجتمعة فتسجل بذلك مواقف رصيدية للجماهير لا يعرف متى يمكن ان تكون حافزا ومفجرا لثورة اخرى ، او ان تكمن او تلبد في فصل شتائي طويل متحينة ظروفا موضوعية أكثر نضجا لصحوها ، او ان تكون ثورة لاجئة في احدى « دول المساندة » فتتحول الى حركة سياسية تصرخ من بعيد ، والخيار الرابع ان « تغامر » بالنضال لتأمين « قاعدة آمنة » على أرض هي ملكها فتقيم عليها سلطتها الوطنية . واذا كان الخياران الاول والثالث غير جادين ، فان الخصائص الذاتية لحركة المقاومة (التضخم وتحول المؤسسات الى تلك الشبيهة لدى الدول ولامركزية القيادة) تجعل الخيار الثاني أمرا مشكوكا في فاعليته . وهكذا يبقى الخيار الاخير **هدفا نضاليا لا** يقف — باعتباره هدفا — عقبة في سبيل استمرار الكفاح بل مفروضا فيه ان يشحذ ادوات هذا الكفاح ، ويمكن ان يحشد من حوله — أيضا باعتباره هدفا — حلفاء مرحليين واستراتيجيين ، وفي حال وضعه موضع التنفيذ (ان القناعة السائدة في المجلس هى ان اقامة السلطة الوطنية تتطلب شهداء بقدر ما استشهد في كل مراحل النضال السابقة) يتحقق الكسب المرحلي بانتزاع جزء من الحق الفلسطيني . اذن فالتسوية هنا ونتائجها المرتقبة هي احد العوامل في تقرير **الموقف الفلسطيني** من السلطة الوطنية .

هناك عامل آخر ثنائي العلاقة بين النظام الاردني والفلسطينيين وارضهم المحتلة .

فالممارسات العذابية الطويلة التي عانى منها الفلسطينيون على أيدي هذا النظام بنت سدودا لا يمكن اختراقها بين النظام الهاشمي وعودته الى حكم«الفلسطينيين في أرضهم»، والنظام الهاشمي الذي تخلى عن الارض الفلسطينية في حزيران دون حرب تقريبا والذي في تشرين « لم يكتف برفض الاشتراك في الحرب فحسب [كما جاء في البيان السياسي الصادر عن المجلس الوطني] بل منع قوات الثورة الفلسطينية ايضا من اداء دورها العسكري عبر الارض الاردنية وقام بقتل وأسر العديد من مقاتلينا » ، ليس من حقه ولا من « مسؤوليته » العودة الى الضفة الغربية (ربما الاصطلاح الصحيح تاريخيا وسياسيا والذي يجب ان يسود وينهي اصطلاح الضفة الغربية هو **فلسطين الوسطى**) والتسلط من جديد على سكانها . اذن ؟ هو القرار بأن تواجه منظمة التحرير مسؤوليتها فتحشد جماهير فلسطين الوسطى وقطاع غزة خلف هدف نضالي يدعو الى منع الالحاق واقامة السلطة الوطنية المستقلة .

هذا ، واذا كانت المرحلية تعني اكتشاف معطيات المرحلة الراهنة واستشراف آفاق المرحلة الاتية في المدى المنظور وتعيين اهداف قابلة للتحقق ضمن هذه المعطيات والافاق بحيث لا تتناقض مع الهدف الاستراتيجي الابعد بل تكون خطوة او خطوات في سبيل تحقيقه ، فان شعار « اقامة السلطة الوطنية على كل جزء من الارض الفلسطينية التي يتم تحريرها » يعتبر شعارا مرحليا منسجما مع معطيات المرحلة الراهنة وآفاق المستقبل المنظور . والمحاكمة هنا تنطلق من المقدمات التالية : ان المقاومة الفلسطينية ، على الرغم من الانتصارات الكبيرة التي حققتها ، غير قادرة وحدها على الحاق الهزيمة النهائية بالعدو ، بل كانت مراهنتها منذ البداية على أن تكون الطليعة التي ترود آفاق النضال العربي والصاعق الذي يفجر حرب التحرير الشعبية العربية . وبعد ست سنوات من التضحيات المتواصلة كانت حرب تشرين المحدودة والتي لم تضع هدفا لها ، لا معلنا ولا ضمنيا ، تحرير كامل التراب الفلسطيني . اذن فان اوضاع العالم العربي لن تفرز في أحسن الاحوال الا حربا أخرى شبيهة بحرب تشرين ، ان حدثت . وهكذا فان المراهنة على الجهد العربي يجب أن تنطلق من فهم هذه الحقيقة . ومن جانب اخر فاذا كانت موازين القوى في العالم يمكن ان تسمح او تجبر اسرائيل على الانسحاب من الاراضي المحتلة في العام ١٩٦٧ وبضمنها الاراضي الفلسطينية المحتلة ذلك العام ، او اجزاء منها ، فان مسألة وجود اسرائيل نفسها غير قابلة للنقاش . وبذلك فان الجدار الدولي ، بكل ما في اساسات هذا الجدار من دعم عسكري وسياسي لاسرائيل ، هو السد الذي ترتطم عنده اقصى الطموحات العربية ، حتى حلفاؤنا في العالم يشكلون جزءا من هذا الجدار ، وعلى العكس فهم يسيرون معنا حتى الوصول الى هذا الجدار . هل هو اليأس من امكانات تحقيق الهدف الاستراتيجي ؟ ان المعادلة ليست نفسية بقدر ما هي فهم معطيات الواقع وتعيين الهدف المرحلي في ضوئها. والهدف المرحلي هنا والذي لا يمكن ان تفرز المعطيات الراهنة شكلا ارقى منه هو النضال من أجل اقامة السلطة الوطنية على الاجزاء التي يتم اجلاء اسرائيل عنها بحيث يرصد هذا الهدف ، بوعي كامل بمرحليته ، لخدمة الهدف الاستراتيجي ضمن جهد فاعل ، عسكري وسياسي ، لتغيير موازين القوى لمصلحة قضيتنا .

وبعد ، فاذا كانت هذه هي بعض مكونات القرار الفلسطيني فأن تنفيذه في شكل يكون اقرب الى مصلحة الشعب الفلسطيني يتطلب ان يكون العنصر الفلسطيني في التنفيذ هو الاكثر حسما في المحصلة ودائرة الفعل .

من المنشورات الجديدة
لمركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

وداعا ايتها الحرب وداعا ايها السلام	محمود درويش
تجربة البحث عن أفق	الياس خوري
التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠—١٩٧٠	عنان العامري
الحكاية الشعبية الفلسطينية	نمر سرحان
العمل والعمال في المخيم الفلسطيني	هاني مندس
مقالات في الدعاية الصهيونية وحرب اكتوبر	محمد علي العويني والسيد عليوه حسن وسمير كنعاني
الحركة الوطنية الفلسطينية امام اليهود والصهيونية	ناجي علوش
أسلحة الجيش الاسرائيلي	هشام عبدالله
تمييز الطائرات والمدرعات	الهيثم الايوبي وهشام عبدالله
ميزان القوى العربي الاسرائيلي	الهيثم الايوبي وهشام عبدالله
اليوميات الفلسطينية ، المجلد ١٥	رئيس التحرير : عصام سخنيني
احصاءات فلسطينية	الياس خوري
منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة الفلسطينيين (بالانجليزية)	عصام سخنيني
مقابلات مع قادة المقاومة الفلسطينية (بالانجليزية)	باشراف محمود درويش

تطلب جميع هذه المنشورات

من قسم التوزيع في مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

الأبعاد العسكرية لفصل القوات في الجولان

المقدم الهيثم الايوبي

في الساعة ١٩،٣٠(١) من يوم ٢٩ ايار (مايو) ١٩٧٤ ، أعلن الرئيس الاميركي ريتشارد نيكسون عن نجاح مهمة وزير خارجيته في الشرق الاوسط والتوصل الى اتفاق فصل القوات في الجولان . وأعلن الناطق الرسمي الاسرائيلي النبأ في اليوم نفسه ، ولكن سورية أجلت اعلان النبأ بشكل رسمي الى ما بعد توقيع الاتفاق في جنيف في الساعة ١٣،٤٥ من يوم ٥/٣١ ، وأكتفت وسائل الاعلام السورية في يوم ٢٩ بتكرار اعلان الرئيس الاميركي .

ولم يتوقف اطلاق النار فور اعلان الاتفاق (٥/٢٩) ، واستمرت الاشتباكات بنيران القوات البرية على هضبة الجولان وجبل الشيخ حتى الساعة ١٤،١٥ من يوم ٥/٣١ . دون ان يشترك طيران أو بحرية الطرفين في هذه الاشتباكات . ولقد ضم الوفد السوري الذي حضر توقيع الاتفاق في جنيف اللواء عدنان وجيه طياره والعقيد ابراهيم العمر والدبلوماسي السوري صلاح الدين الطرزي ، وضم الوفد الاسرائيلي الجنرال هرتزل شافير والعقيد دوف زيون والدبلوماسي الاسرائيلي مئير روزين. وشهد التوقيع الجنرال انزيو سيلاسفيو قائد قوات الطوارىء في الشرق الاوسط ، واللواء طه المجذوب من الوفد العسكري المصري في جنيف ، والسفير السوفييتي فلاديمير فينوغرادوف ، والسفير الاميركي الزورث بانكر، وممثل سكرتير الامم المتحدة كورت فالدهايم السيد روبرتوغوير.

وهكذا انتهت حرب الاستنزاف التي دامت ٨١ يوما وامتدت من ١٢ آذار (مارس) ١٩٧٤ حتى ٣١ ايار (مايو) ، واشتركت فيها القوات البرية والجوية ضمن اطار « مبارزة بالنيران » تخللتها بعض عمليات الدوريات ، كما انتهت جولة الدكتور هنري كيسنجر الخامسة في الشرق الاوسط ، ووساطته التي دامت ٣١ يوما قطع وزير الخارجية الاميركية خلالها ٣٥ الف كيلومتر ، واجرى ١٧٠ ساعة محادثات مع المسؤولين في عواصم المنطقة ، ختمها بقبلة على خد غولدا مائير وسط حفل تبادل انخاب الشامبانيا .

ولقد وصف الرئيس نيكسون الاتفاق في ٥/٢٩ بأنه « انجاز ديبلوماسي مهم » ، واعتبره السوريون والسوفييت « خطوة اولى وجزء لا يتجزا من الحل الشامل »(٢). ولم يكتف غروميكو بذلك بل اوضح طبيعة هذا الحل « الذي لا يمكن تحقيقه الا على اساس الانسحاب التام لاسرائيل من كل الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني » ، ووصفه شمعون بيرس عند اعلانه في ٥/٢٩ بأنه « اتفاق تاريخي » و « خطوة نحو السلام » . ويقول البيان الحكومي الرسمي الذي أعلنه الوزير شمعون بيرس « ان حكومة اسرائيل تعبر عن أملها بأن يشكل هذا الاتفاق خطوة اخرى لتهدئة الشرق الاوسط ، وتوجيه المجهود الوطني لدى شعوب المنطقة كافة لمصلحة سكانها ، وتنمية المنطقة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا(٣) » . ولقد جاء اسحاق رابين رئيس الحكومة الجديدة على ذكر الاتفاق خلال اجتماع طرح الثقة

بحكومته في ٦/٣ ووصفه بأنه « مرحلة واحدة في الطريق لاحلال السلام » .

وفي يوم ٥/٣٠ نشرت صحيفتا « البعث » و « الثورة » السوريتان النص الرسمي للاتفاق . ولا بد لنا هنا من ذكر هذه الوثيقة لتكون أساسا لمناقشتنا العسكرية حول بنودهـــا .

نص الاتفاق

« أ ــ تراعي اسرائيل وسوريا مراعاة دقيقة وقف اطـــلاق النار في البر والبحـــر والجو وتمتنعان عن كل الاعمال العسكرية ضد بعضهما بعضا منذ توقيع هذه الوثيقة تطبيقا لقرار مجلس الامن التابع للامم المتحدة ذي الرقـــم ٣٣٨ المؤرخ في ٢٢ تشرين الاول ١٩٧٣ .

ب ــ تفصل القوات العسكرية لاسرائيل وسوريا وفقا للمبادىء التالية :

١ ــ تكون كل القوات العسكرية الاسرائيلية غربي الخط المسمى بخط (أ) عـــلى الخارطة المرفقة بهـــذا الاتفـــاق باستثناء منطقة القنيطـــرة حيث تكون غـــربي غرب هذا الخط .

٢ ــ تكون كل الاراضي شرقي الخط (أ) تحت الادارة السورية ويعود المدنيـــون السوريون الى هذه الاراضي .

٣ ــ تكون المنطقة بين الخط (أ) والخط (ب) على الخارطة المرفقة منطقة فصل ، وترابط في هذه المنطقة قوة مراقبي فصل القوات التابعة للامم المتحدة المنشأة وفقـــا للبروتوكول المرفق .

٤ ــ تكون كل القوات العسكرية السورية شرقي الخط المسمى بخط (ب) علـــى الخارطة المرفقة .

٥ ــ تكون هناك منطقتان متساويتان لتحديد الاسلحة والقوات واحدة غرب الخط (أ) وواحدة شرق الخط (ب) حسبما اتفق عليهما .

٦ ــ يسمح لسلاحي جو الجانبين بالعمل حتى خط كل منهما بدون تدخل من الجانب الاخر .

ج ــ لن توجد قوات عسكرية في المنطقـــة بين الخط (أ) والخط (أ ــ ١) عـــلى الخارطة المرفقة .

د ــ يوقع هذا الاتفاق والخارطة المرفقة من قبـــل الممثلين العسكريين لاسرائيـــل وسوريا في جنيف في موعد لا يتعدى ٣١ ايار ١٩٧٤ في مجموعة العمـــل العسكريـــة المصرية ــ الاسرائيلية لمؤتمر جنيف للسلام ، تحت رعاية الامم المتحدة ، بعد ان يكون قد انضم الى هذه المجموعة ممثل عسكري سوري وباشتراك ممثلين للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . ويتولى الرسم الدقيق للخطوط على خارطة مفصلة ووضع خطة لتنفيذ فصل القوات الممثلون العسكريون لاسرائيل وسوريا في مجموعة العمل العسكرية المصرية ــ الاسرائيلية الذين سيتفقون على مراحل هذه العملية . وتبدأ مجموعة العمل العسكرية الموصوفة اعلاه عملها لهذه الغاية في جنيف تحت رعاية الامـــم المتحدة في غضون ٢٤ ساعة بعد توقيع هذا الاتفاق ، وتنهي هذه المهمة في غضون خمسة ايام . ويبدأ العمل في غضون ٢٤ ساعة بعد اتمام مهمة مجموعة العمل العسكرية . وتكتمل عملية الفصل في مدى لا يتجاوز ٢٠ يوما بعد بدئها .

هـ ــ سيجري تفتيش احكام الفقرات أ و ب و ج من قبل اشخاص الامم المتحـــدة الذين سيشكلون قوة مراقبة فصل القوات التابعة للامم المتحدة بموجب هذا الاتفاق .

خارطة المنطقة العازلة لفصل القوات

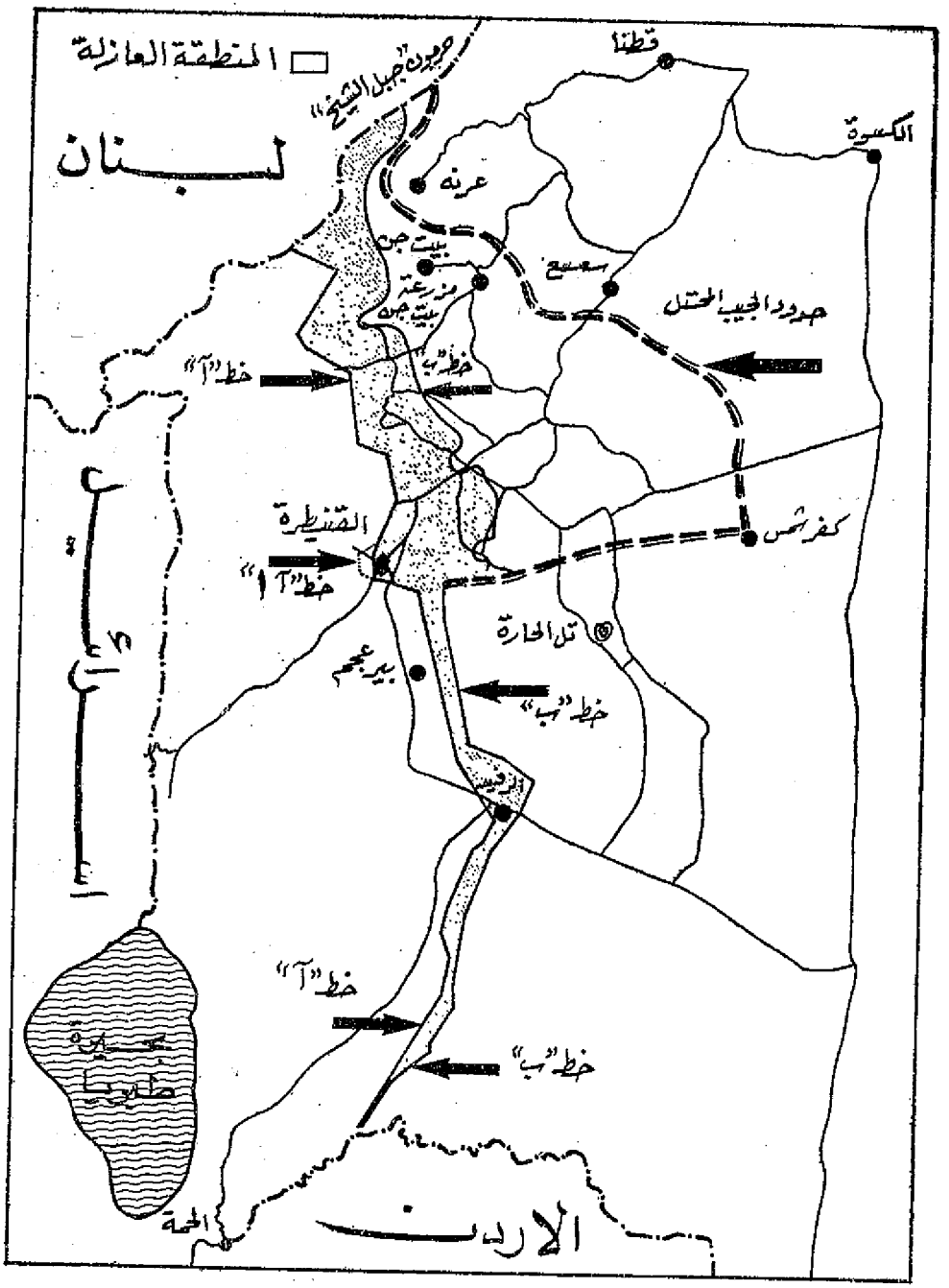

و — في غضون ٢٤ ساعة بعد توقيع هذا الاتفاق في جنيف يعاد جميع أسرى الحرب الجرحى الذين يحتفظ بهم كل من الجانبين من الجانب الاخر بشهادة اللجنة الدولية للصليب الاحمر . وفي صباح اليوم الذي يلي اتمام مهمة مجموعة العمل العسكرية يعاد جميع من تبقى من اسرى الحرب .

ز — تعاد جثث جميع الجنود الموتى المحتفظ بها من قبل اي من الجانبين للدفن في البلد الذي تنتمي اليه هذه الجثث في غضون عشرة أيام بعد توقيع هذا الاتفاق .

ح — هذا الاتفاق ليس اتفاق سلام بل هو خطوة نحو سلام عادل ودائم استنادا الى قرار مجلس الامن ذي الرقم ٣٣٨ المؤرخ في ٢٢ تشرين الاول ١٩٧٣ » .

١٩٧٤/٥/٢٩

ولقد الحق بالاتفاق بروتوكول يتعلق بتشكيل « قوات مراقبي فصل القوات التابعة للامم المتحدة » (U.N.D.O.F.) وعددها ١٢٥٠ رجلا من بلدان اعضاء في الامم المتحدة ولكنها لا تملك عضوية دائمة في مجلس الامن ، وستكون مدة عملها ٦ أشهر قابلة للتجديد ، ومهمتها مراقبة تنفيذ بنود الاتفاقية ، وتفتيش مناطق تخفيض القوات .

ولقد وافقت الحكومة السورية والمؤتمر القطري الاستثنائي لحزب البعث وقيادة الجبهة الوطنية التقدمية على الاتفاق ، كما وافقت عليه الحكومة الاسرائيلية وبدأ تنفيذ البنود بدون صعوبات . ولقد بدأ التنفيذ بالبند « و » اذ تم تبادل الاسرى الجرحى في يوم ١ حزيران (يونيو) . وتابعت مجموعة العمل العسكرية المصرية — السورية — الاسرائيلية مهمتها في جنيف حتى يوم ٦/٥ حيث وقع الجانبان الخرائط والجداول الزمنية الخاصة بالانسحاب والتمركز . وفي السادس من حزيران (يونيو) تم تبادل جميع الاسرى المحتجزين لدى الطرفين . وفي اليوم التالي بدأ الانسحاب الاسرائيلي من المنطقة الواقعة شرقي الجيب ، تحت اشراف قوات الامم المتحدة بقيادة الجنرال غونزالو بريسينو .

ولقد تقرر اجراء الانسحاب على اربع مراحل تنتهي في ٢٦ حزيران (يونيو) ، وتنسحب اسرائيل خلالها من ٦٦٣ كيلو مترا مربعا ، هي عبارة عن الجيب الذي احتلته في حرب ١٩٧٣ (٥٥١ كيلومترا مربعا) بالاضافة الى اجزاء من الارض وراء الخط البنفسجي (١١٢ كيلومترا مربعا) بما فيه مدينة القنيطرة والرفيد و ٢١ موقعا استراتيجيا محصنا(٤). وفي يوم ٢٦ حزيران (يونيو) سيصبح الوضع كما يلي :

١ — تتمركز القوات الدولية (١٢٥٠ رجلا) التابعة للنمسا وكندا وفنلنده وبيرو وبولونيا في المنطقة العازلة الممتدة بين الخطين (أ) و (ب) والتي تضم القنيطرة والرفيد ومرتفعات جبل الشيخ الثلاثة (قمة جبل الشيخ ، والمرتفع الذي كان بيد السوريين بعد حرب ١٩٦٧ ، والمرتفع الذي احتله الاسرائيليون في حرب ١٩٦٧) .

٢ — يعود حوالي ٥٠ الف سوري الى المنطقة العازلة الخاضعة لادارة محلية سورية ، على ان يحفظ الامن في هذه المناطق شرطة سورية مسلحة باسلحة خفيفة .

٣ — تقام على جانبي المنطقة العازلة منطقتان بعرض ١٠ كيلومترات يحتفظ فيهما الطرفان بقوة مؤلفة من ٦ آلاف رجل و٣٦ مدفع ميدان قصير المدى (١٠ — ١٢ كيلو مترا) و٧٥ دبابة . ويحظر فيهما وجود المدافع بعيدة المدى (١٢ — ٣٢ كيلومترا) أو الصواريخ ارض — جو .

٤ — تقام الى شرق وغرب هاتين المنطقتين منطقتان ثانيتان بعرض ١٠ كيلومترات يحتفظ فيهما الطرفان بقوات غير محدودة من المشاة والمدفعية ، و ٤٥٠ دبابة ، شريطة

ان لا يكون فيهما مدفعية بعيدة المدى ، او صواريخ ارض — جو .

مناقشة الاتفاق

● لقد تم توقيع هذا الاتفاق بعد وساطة دولية مكثفة لايجاد حل وسط للمعضلات الجزئية الناجمه عن تماس القوات ، والتوصل الى ابعاد قوات الطرفين المتحاربين لمنع الاشتباكات المقصودة او العرضية ، وخلق الجو الملائم لانعقاد مؤتمر جنيف الذي سيدرس المسائل الاساسية الخاصة باحلال السلام في المنطقة .

ولا يمكن الحديث عن « سلام جنيف » المنتظر دون الاشارة الى ان الوصول اليه سيكون عملية طويلة صعبة يمكن ان يتخللها كثير من العقبات والصدامات المسلحة المحدودة او الشاملة . ولن يكون هذا « السلام » حتى في حالة التوصل اليه اكثر من « السلام الممكن » لا « السلام العادل والدائم » المذكور في البند (ح) من الاتفاق ، لاننا لا نتصور ان مؤتمر جنيف سيكون قادرا ، في ظل موازين القوى الدولية الراهنة ، على حل المعادلة المستحيلة التي يتطلبها « السلام العادل والدائم » ، اذ كيف يمكن تأمين الحل « العادل » — وبالتالي الدائم — الذي يضمن اعادة الحق الى اصحابه الشرعيين ، وحصول الفلسطينيين على حقهم في التحرير والعودة ، ويضمن في الوقت نفسه بقاء سيطرة الدولة الصهيونية على ارض فلسطين او على جزء منها ؟ .

ولو افترضنا ان مؤتمر جنيف استطاع التوصل — بعد صعوبات — الى حل يقسم الارض بين الاسرائيليين والفلسطينيين ، فان هذا الحل لن يكتسب صفة الدوام ، لان الفلسطينيين اصحاب الارض الاصليين (او معظمهم على الاقل) سيعتبرون هذا التقسيم غير عادل لانه يجزىء بلادهم ويقتطع قسما منها لحل مشكلة اليهود المشردين في مختلف ارجاء العالم والذين يبحثون عن ارض لبناء دولة لهم . كما ان الصهاينة (أو القسم الاكبر منهم) سيعتبرون هذا التقسيم اقتطاعا لجزء من « ارض الميعاد » وتهديما لحلم دولة صهيون . الامر الذي يجعل الحل الذي ينجم عن مؤتمر جنيف « غير عادل » من وجهة نظر الشعبين المعنيين مباشرة بأرض فلسطين ، وبالتالي « غير دائم » .

● لقد تم التوصل الى الاتفاق بعد حرب استنزاف ثابتة كانت أطول من حرب الاستنزاف المصرية وأشد منها عنفا ، ولكنها كانت مثلها اداة عسكرية ضاغطة خلال الحوار السياسي . ولقد نصت الفقرة (آ) من الاتفاق على « وقف اطلاق النار في البر والبحر والجو » « والامتناع عن الاعمال العسكرية » . ولكن هذا البند لا يشمل « نصا أو روحا » ضرورة قيام السوريين بمنع قوات الثورة الفلسطينية من متابعة حربها الاستنزافية بوسائلها الخاصة وبأساليبها الخاصة . ولقد امتنع السوريون عن اعطاء مثل هذا التعهد بشكل علني او سري لانه يعني التدخل في شؤون الثورة الفلسطينية ، وحرمان الشعب الفلسطيني من حقه المشروع في مقاومة المحتلين .

ولقد اثارت المعارضة الاسرائيلية هذه النقطة خلال مناقشة الاتفاق في الكنيست (٣٠/٥) ، وكان رد رئيسة الحكومة غولدا مائير هو ان الولايات المتحدة ابلغت اسرائيل موقفها ازاء البند الاول من الاتفاق ، وهذا الموقف هو : « ان قيام مجموعات معينة ، أو افراد باعمال تسلل « تخريبية » ، هو عمل مناقض لوقف اطلاق النار ، ولاسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها لمنع عمليات كهذه ، بجميع ما تملكه من وسائل »(٥) . ولكن وكيل وزارة الخارجية الاميركية ، جوزيف سيسكو قال في ٦/١٣ في شهادته امام اللجنة الخارجية في الكونغرس ان الضمانات التي قدمتها الولايات المتحدة لاسرائيل في ما يتعلق بمقاومة الفدائيين الفلسطينيين لا تشكل « ورقة بيضاء » للقيام بأعمال انتقامية من قبل اسرائيل بدون حساب . وان الولايات المتحدة تعتبر

العمل الفدائي المنطلق من سورية بمثابة خرق لاتفاق فك الالتحام . لكنه اكد مرتين انه تم ابلاغ اسرائيل انها لا تستطيع « الانتقام بدون تمييز »(٦).

ولكن أين تستطيع اسرائيل توجيه ضرباتها الانتقامية عندما سيتابع مقاتلو الثورة الفلسطينية حربهم ضد قوى الاحتلال ؟ لقد كانت اسرائيل تمارس دائما « الرد الاعنف » ضد قواعد الثورة ومعسكراتها ومخيمات اللاجئين في الاراضي العربية المجاورة ، كما كانت تصعد الرد في بعض الحالات حتى يشمل اهدافا عربية عسكرية او مدنية ، وكانت غايتها من هذا الرد هو الردع ورفع معنويات مواطنيها وتبديد الاثر المعنوي الجيد داخل المعسكر العربي . بيد ان موازين القوى الجديدة ستجعلها عاجزة عن استخدام سلاح ردعها الاول (الطيران) للقيام بعملية « الرد المحدود » ضد اهداف سورية او فلسطينية تقع على الارض السورية ، لان هذا الرد سيجعلها تتعرض لخسائر لا تتناسب مع النتائج المحققة ، كما سيصعد حدة التوتر في المنطقة من جديد . كما ان الرد الشامل يتطلب حشد القوى وتعبئة الاحتياط واستنفار الجيشين المصري والسوري والصدام معهما بمجابهة شاملة غير مضمونة العواقب ولا تحظى بأي دعم دولي ، وقد لا تحظى بدعم الولايات المتحدة الراغبة في تهدئة المنطقة . ويدفعنا كل هذا الى الاعتقاد بأن اسرائيل ستوجه « الرد التنفيسي » نحو لبنان ، سواء انطلق الفدائيون عبر حدوده أم عبر حدود سورية ، كما انها ستلجأ الى الرد على الثورة الفلسطينية مباشرة باساليب « الارهاب المضاد » وفق مخطط طويل الامد . ولقد عبر رئيس اركان العدو الجنرال مردخاي غور عن هذا الخط عندما حمل لبنان في ٦/١٤ مسؤولية العمليات الفدائية الاخيرة ، وهدد بالاغارة على قواعد الثورة الفلسطينية الموجودة في المدن اللبنانية رغم صعوبة هذا العمل ، ثم أشار الى ان اسرائيل « تملك وسائل اخرى » لشن مثل هذه الاغارات ، دون ان يحدد ماهية هذه الوسائل(٧).

● ينص البند (أ) من الاتفاق على تطبيق القرار رقم ٣٣٨ ، الذي لا يخرج في جوهره عن القرار رقم ٢٤٢ . وهذا يعني ان الطرفين ملتزمان بالقرار ٢٤٢ . ولا يتناقض هذا الالتزام مع الموقف العربي ، ولكنه يتناقض بشكل كامل مع الموقف الاسرائيلي . ففي الوقت الذي يعتبر به المسؤولون في مصر وسوريه أن الاتفاق عبارة عن خطوة اولية لا بد وان تتبعها خطوات تالية ، نرى أن رئيس الحكومة الاسرائيلية الجديدة يقول في بيانه الوزاري (٦/٣) : « بعد المرحلة الحالية من الفصل بين القوات ، والالتزام التام بالاتفاق المبرم لن يكون هناك مجال لمرحلة جديدة مؤقتة ، وبعد ان نحقق تقدما في علاقاتنا مع مصر ينبغي ان نطرح السؤال التالي : هل سوريه مستعدة لتوقيع معاهدة سلام مع اسرائيل ؟ » ثم يضيف قائلا : « من الضروري أن يعلم قادة الدول المجاورة ان اسرائيل لها الحق في حدود قابلة للدفاع عنها . ولن تعود اسرائيل — حتى في اطار معاهدة سلام — الى خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ »(٨). فاذا ما أخذنا اقوال رابين بشيء من الجدية ، وجدنا انها **اعلان للحرب خلال الحديث عن السلام** . ولقد كشف وزير الخارجية السوري عبدالحليم خدام ديماغوجية رئيس حكومة العدو عندما صرح للصحفيين في لبنان في مساء الثالث من حزيران (يونيو) ، بعد اجتماعه مع الرئيس سليمان فرنجيه « ان رابين يعرف أن على اسرائيل ان تنسحب من جميع الاراضي المحتلة » . وفي السابع من حزيران (يونيو) صرح وزير الخارجية السوري خلال زيارته الرسمية للكويت ، ان القوات السورية مستعدة لاستئناف القتال اذا لم تنسحب اسرائيل من الاراضي العربية، ولم يستعد الشعب الفلسطيني حقوقه(٩).

ولقد جاء الرد المصري على أقوال رابين في الخطاب الذي القاه الرئيس انور السادات أمام الجيش الثالث بالقرب من مدينة السويس في الرابع من حزيران ، وأكد فيه ان مهمة

القوات المسلحة « لن تنتهي الا بخروج آخر جندي أجنبي من أرضنا العربية ، والا اذا عادت الحقوق المشروعة لشعب فلسطين »(١٠). ثم كرر الرئيس تأكيداته أمام الجيش الثاني في الخامس من حزيران عندما قال : « ان المعركة لم تنته بعد ، ولن تنتهي الا بتحرير كل شبر من الاراض العربية وبعودة الحقوق الكاملة لشعب فلسطين »(١١).

وتعرف حكومة اسرائيل قبل غيرها ان الطريق السياسي المسدود الذي سارت عليه منذ حرب ١٩٦٧ قد أوصلها الى حرب ١٩٧٣ ، وان العرب الذين اكتشفوا خلال حرب ١٩٧٣ كل قواهم — وان كانوا لم يستخدموها كليا — لن يقبلوا بانقلاب الوضع الجديد الى وضع راهن متجمد ، وانهم سيحطمون حالة الجمود دون أن يجدوا دولة واحدة تشجب عملهم . ومهما كانت نتيجة الصدام الجديد فانها لن تكون في صالح اسرائيل . لان انتصار القوات العربية حتى ولو جزئيا ، سيحطم الجمود ، ويعيد المسألة الى بساط البحث ، ويعيد الضغوط من أجل الانسحاب ، وستضطر اسرائيل الى الانسحاب آنذاك وجسمها مغطى بجراح جديدة . أما انتصار القوات الاسرائيلية فانه عاجز ، في حالة وقوعه ، عن تحطيم ارادة العرب ومنعهم من اعادة بناء قواهم ودخول معركة جديدة . لذا فهو يبقى في اطار الانتصار التكتيكي المحروم من الافق الاستراتيجي . ذلك لان طبيعة القوى المشتركة في الصراع العربي الاسرائيلي ، والعوامل البشرية والاقتصادية والجغرافية التي تلعب فيه ، تدفع الى الايمان بأن اسرائيل عاجزة عن الحاق هزيمة استراتيجية (على المستوى التاريخي) بالعرب ، وأن العرب قادرون على الحاق مثل هذه الهزيمة باسرائيل . لذا فان أية هزيمة تصيب العرب تبقى مؤقتة وتكتيكية ، على حين ان الهزيمة الاسرائيلية يمكن ان تكون استراتيجية وحاسمة (تاريخيا) .

ومهما تكن مصلحة واشنطن في دعم اسرائيل وانقاذها كبيرة ، فان دورها في المنطقة معرض للتبدل الكلي او الجزئي . ولا ينجم ذلك عن ان الامبريالية الاميركية ستخون طبيعتها ، ولكنه ينجم على العكس من أنها ستبقى مخلصة لهذه الطبيعة ، وستبقى مخلصة لمصالحها،مع تبديل أساليب ووسائط تحقيق هذه المصالح. ولقد أشارت صحيفة «**يديعوت أحرونوت**» الى موقف الولايات المتحدة الجديد بقولها:«لا يجب تجاهل الحقائق، ولا ينبغي أن ننكر أن الولايات المتحدة تضغط علينا ... ان اسرائيل تعيش في حالة غسيل دماغ تقوم به الولايات المتحدة بالاتفاق مع السوفييت والمصريين والسوريين»(١٢). وفي ١٢ حزيران (يونيو) قال رابين في خطاب ألقاه في حفلة تخرج طلاب معهد وايزمان للعلوم « قد تنشأ ، نتيجة للتقارب الاميركي — المصري خلافات في الراي بيننا وبين الولايات المتحدة ، لكنني أفضل الحوار والكفاح السياسي على الحرب »(١٣). والحقيقة ان الخلاف المحتمل وقوعه لن يكون خلافا في الراي ، بل خلافا في المصالح . فعندما كانت مصالح الامبريالية الاميركية متطابقة مع مصالح الاستعمار الصهيوني ، وعندما كانت الولايات المتحدة تعتمد على « الدركي » الاسرائيلي لحماية مصالحها ، كان هناك اتفاق في الراي ، ولكن ما أن اكتشفت الامبريالية الاميركية بعد حرب ١٩٧٣ ان « الدركي » عاجز عن لعب الدور الذي قام به منذ عام ١٩٤٨ ، وعاجز عن تأمين حماية النهب الامبريالي ، حتى غدا هذا « الدركي » عبئا على الامبريالية التي لا يهمها سوى تأمين مصالحها مهما كان الاسلوب المستخدم في ذلك .

وتشير دلائل تحولات السياسة الاستراتيجية الاميركية في الشرق الاوسط ، ان واشنطن ستتابع السير على سبيل **خلق « اسرائيل قوية » خاضعة لضوابط ومفاتيح موجودة بيد الولايات المتحدة** . ولن تكون الغاية من وجود هذه الدولة استخدامها كقوة ضاربة محلية لاخضاع العرب — ما دام اخضاع العرب بالقوة متعذرا — بل استخدامها كعامل ضغط يدفع الدول العربية الى الاتجاه نحو واشنطن أكثر فأكثر . وهذا ما يفسر

باعتقادنا المساعدات العسكرية الاميركية المستمرة لاسرائيل رغم سياسة التقارب التي تنتهجها ازاء الدول العربية .

وليس من المستبعد أن تقدم الولايات المتحدة في الفترة المقبلة مزيدا من الاسلحة لاسرائيل(١٤) لتطمينها على أمنها بعد انسحابها من الاراضي العربية ، ولكن طبيعة الاشياء تدفعنا الى الاعتقاد **بأن القوة العسكرية الاسرائيلية الجديدة ستكون بيد الولايات المتحدة أداة لتسريع التقارب العربي — الاميركي ، لا أداة لردع القوة العربية .**

● لقد أدى اتفاق فصل القوات (على الجبهتين المصرية والسورية) الى انسحاب الاسرائيليين من جميع الاراضي التي احتلوها في حرب ١٩٧٣ ، بالاضافة الى الانسحاب من مناطق تقع وراء الخط البنفسجي . وهذه نقطة تحول في الصراع العربي — الاسرائيلي ، لانها تمثل أول تراجع عن مناطق احتلتها اسرائيل وقررت البقاء فيها باسم « الامن » ، وخلقت فيها وضعا راهنا أكسبه الزمن والعجز العربي في الماضي اعترافا دوليا ضمنيا ، وشبه شرعية .

ويتمتع هذا التراجع الاسرائيلي ، رغم صغره جغرافيا ، بقيمة تاريخية كبيرة لانه يحدد نهاية مرحلة التوسع الاسرائيلي ، وبداية عصر انحساره . ولقد كان التراجع في الحملات العدوانية مقتل هذه الحملات ، وليس هناك ما يدفع الى الاعتقاد بأن مصير الحملة الصهيونية سيكون مغايرا لمصير ما سبقها من حملات .

● تدل الخريطة المرفقة باتفاق الفصل ان النقاط الاستراتيجية الواقعة وراء الخط البنفسجي ، والتي انسحبت اسرائيل منها (مرتفعات جبل الشيخ ، المرتفع الواقع شرقي القنيطرة) وضعت تحت تصرف قوات الامم المتحدة ولم تسلم الى القوات السورية ، كما ان المرتفعات المحيطة بمدينة القنيطرة ومرتفع تل فرس بقيت بيد القوات الاسرائيلية . وكما عملت اسرائيل على تحصين الخطوط التي انسحبت اليها في سيناء اثر فصل القوات على الجبهة المصرية(١٥)، فقد بدأت اسرائيل تحصين الخط الجديد على الجبهة السورية منذ بداية تخفيض القوات والانسحاب من الجيب . الامر الذي يدل على ان اسرائيل تنوي استغلال عدم امكانية شن حرب استنزاف ثانية بعد تباعد القوات ، والافادة من مواقعها الجديدة لتقوية موقفها خلال المباحثات المقبلة في جنيف ، والاعتماد على هذه المواقع اذا ما تضافرت الظروف التي تجعل الدول العربية تخرج الى الهجوم من جديد .

ومن المؤكد ان الدول العربية لن تخرج الى الهجوم الا بعد ربح « المناورة الخارجية »، وهذا بالضبط ما فعلته في حرب ١٩٧٣ ، وما لم تستطع تحقيقه في حرب ١٩٦٧ . وسيكون محور « المناورة الخارجية » العربية القرار رقم ٢٤٢ بشكله السابق أو بشكله الجديد المعدل . وستكون الفكرة الاساسية المطروحة هي : **ضرورة الانسحاب من الاراضي المحتلة ، وحصول الشعب الفلسطيني على حقوقه** ، وهي فكرة تلاقي قبولا في العالم أجمع وتلقى تأييد الاتحاد السوفييتي المطلق ، وتأييد الولايات المتحدة الى حد ما . لذا فهي تتمتع بكل السمات اللازمة لنجاح « المناورة الخارجية » التي لا يمكن بدونها تحطيم الوضع الراهن والانتقال الى الهجوم .

وقد تحاول اسرائيل مرة أخرى السباحة عكس التيار ، والبدء بهجوم اجهاضي مبكر . وستحاول دون شك ربح « المناورة الخارجية » قبل الخروج الى الهجوم معتمدة على فكرة « الحدود الآمنة » والاحتفاظ بالاراضي المحتلة او بعضها للوقوف على أرض يمكن الدفاع عنها . ولكن هذه الفكرة قابلة للنقض في الحرب الحديثة ، وفي ظل استخدام الاسلحة المتطورة (الطيران ، الصواريخ أرض — أرض بعيدة المدى ، القطعات الكبيرة المحمولة جوا ... الخ) . ولقد طرحت الدول الكبرى أمام اسرائيل «الضمانات الدولية»

كبديل عن « الحدود الآمنة » ، ولكن اسرائيل رفضتها لاخفاء اطماعها التوسعية التي لا يمكن للصهيونية العيش بدونها .

وبالاضافة الى ذلك فان فكرة الحدود الآمنة الممتدة داخل الاراضي العربية لا تلاقي تأييدا عالميا ، لانها متعارضة مع القرار ٢٤٢ ، ومتعارضة مع عدم شرعية احتلال أراضي الغير بالقوة ، ولا يمكن للعالم ان يقبل بها الا اذا أراد فتح الباب أمام كل دولة لتحديد « مجالها الحيوي » ومكان « حدودها الآمنة » حسب هواها ، حتى لو تعارض ذلك مع سيادة الدول المجاورة وسلامة أراضيها . الامر الذي يقلب التوازن القائم في العلاقات الدولية ، ويتعارض مع ميثاق هيئة الامم المتحدة، ويثير خلافات الحدود الكامنة في كل نقطة من العالم .

واذا تركنا مجال الاستراتيجية العليا والاستراتيجية وعدنا الى مسارح العمليات لتصور طبيعة القتال الذي يمكن أن يتم بعد فصل القوات وجدنا أن قوات الطوارىء الدولية U.N.F. التي تفصل الطرفين في سيناء قد تشكل حاجزا معنويا أمام القوات المتحاربة ، لان تخطيها يعني الاعتداء على المجتمع الدولي بأسره . ولكن الآثار السلبية للتخطي المصري أقل بكثير من الآثار السلبية للتخطي الاسرائيلي . لان الهجوم المصري الذي سينطلق بعد ربح « المناورة الخارجية » سيكون **اعتداء على قوات الامم المتحدة في سبيل انقاذ كرامة ومقررات وارادة المجتمع الدولي** ، على حين أن أي هجوم اسرائيلي ينطلق رغم خسارة « المناورة الخارجية » سيكون **اعتداء على قوات الامم المتحدة لتكريس رفض مقررات وارادة المجتمع الدولي** .

والمهم في المعركة المنتظرة في سيناء انها قد تأخذ في مرحلتها الاولى شكل تراشق بنيران الصواريخ ارض — ارض التكتيكية والاستراتيجية ، كما قد تأخذ شكل عمليات جوية وبحرية مختلفة . ولا يستبعد ان يرافق هذه العمليات سباق مصري اسرائيلي لاحتلال خط المرتفعات الذي يبعد ١٠ كيلومترات شرقي القناة والسيطرة على الطريق المرضانية الموازية له . وستتمتع القوات الاسرائيلية في هذا السباق بميزة الاندفاع من الممرات الى مسرح القتال دون أن تعترضها حواجز تحدد وتيرة اندفاع القوات ، على حين سيكون اندفاع القوات المصرية محكوما بوتيرة التقدم على جسور معرضة لقصف جوي (محدود) او صاروخي (غير محدود) . وستحدد نتيجة هذه المرحلة طبيعة المرحلة التالية اذا لم تتدخل الدول العظمى ثانية لايقاف القتال في وقت مبكر .

اما على الجبهة السورية ، فان قوات مراقبة الفصل التابعة للامم المتحدة U.N.D.O.F. لا تخرج عن كونها قوات مراقبة لا تملك اية حصانة دولية . ومن الممكن تخطيها دون ان يشكل ذلك اعتداء على المجتمع الدولي . ويبقى شكل المرحلة الاولى للقتال على الجبهة السورية مماثلا لشكل المرحلة الاولى للقتال على الجبهة المصرية (عمليات جوية وبحرية، تراشق بنيران الصواريخ أرض — أرض التكتيكية والاستراتيجية)(١٦) ثم تليها أو ترافقها مرحلة الصدام البري على السطح المستوي لهضبة الجولان . وهنا لا بد من الاشارة الى نقطتين : ١ — ان استخدام الصواريخ أرض — أرض التكتيكية على الجبهة السورية لا يؤثر على القطعات المحاربة فحسب (كما هي الحالة على الجبهة المصرية) ولكنه يشمل أيضا لدى الطرفين أهدافا مدنية وتجمعات سكانية ، ٢ — ان اندفاع القوات البرية السورية الى مسرح المعركة سيتم على ارض منبسطة جرداء تسهل مراقبتها ، على حين ان اندفاع الاسرائيليين سيتم عبر منطقة مخفية (المنحدر المعاكس للهضبة) فيها بعض الاحراش . ومقابل هذه الميزة التي تتمتع بها القوات الاسرائيلية ، فان هناك سلبية تتمثل في ان هذه القوات ستضطر الى السير على محاور محددة ضيقة خلال الحركة من مناطق التجمع

الى خطوط الانتشار ، على حين أن بوسع القوات السورية — وخاصة المدرعات ، والمدافع ذاتية الحركة ، والمشاة الميكانيكية — الحركة على محاور غير محدودة ، وعبر مختلف الاراضي .

مرة ثانية يعود « هدف الحرب » ليفرض نفسه ويحدد طبيعة القتال ونتيجته . ان الهدف الاسرائيلي المحتمل هو : **تحطيم القوة العسكرية للدول العربية ، لاجبارها على الخضوع للسلم الاسرائيلي** . ويتطلب تحقيق هذا الهدف شن الحرب الشاملة وتعبئة القوات المسلحة الاسرائيلية كلها وجمع الاحتياط الامر الذي يحرم الاسرائيليين من امكانية تحقيق المفاجأة الاستراتيجية البرية ، وان كان لا يحرمهم من امكانية تحقيق المفاجأة الجوية التي لن تكون على أي حال مماثلة للمفاجأة التي تحققت خلال حرب ١٩٦٧ ، نظرا لقوة شبكات الصواريخ أرض — جو العربية ، وحماية الطائرات العربية داخل ملاجىء من الاسمنت المسلح ، وارتفاع مستوى وحدات المهندسين المكلفة بصيانة مدارج المطارات واصلاحها .

وحتى في حالة الحرب الشاملة ، فان اسرائيل لا تستطيع قهر ارادة العرب مهما حققت قواتها المسلحة من انجازات على مسرح العمليات ، لان الحرب ستتوقف خلال مرحلة معينة — بسبب التحديدات الدولية — وسيتابع العرب رفض الخضوع للارادة الاسرائيلية ، وسيعدون العدة من جديد لخوض الحرب السادسة . وسيلعب قانونا « القوة تخلق القوة المعاكسة » و« التحدي المصيري يدفع الى الاستعداد الاقصى » دورهما من جديد للاعداد لصراع مسلح مقبل . وسيعود الوضع العسكري الاسرائيلي الى الطريق المسدود الذي وصل اليه بعد حرب ١٩٦٧ ، وستؤدي مبادرة اسرائيل بشن الحرب الى طرح المسألة من جديد بشكل أعنف ، وهذا ما لا تريده الحكومة الصهيونية . ولا يمكن للمرء أن يتصور قيادة سياسية — عسكرية تقدم على شن حرب تعرف أنها بلا هدف ، وانها ستؤدي الى فشل سياسي ، حتى لو حققت الغرض العسكري .

أما بالنسبة للدول العربية المعنية ، فان هدفها سيكون **تحطيم حالة الجمود التي تريد اسرائيل فرضها** . ولا يتطلب مثل هذا الهدف سوى شن حرب محدودة بالقوات المسلحة العاملة المتوفرة والمستعدة دائما للانتقال من الدفاع الى الهجوم دون تعبئة او حشد او اعدادات مسبقة . الامر الذي يجعل تحقيق المفاجأة الاستراتيجية من قبل العرب ممكن في كل لحظة . ولن يفيد اسرائيل في مثل هذه الحرب وجودها على مواقع استراتيجية حصينة الا لتخفيف خسائرها وزيادة مدة صمود قواتها العاملة ريثما تتم تعبئة قواتها الاحتياطية ، ولكن هذه الفائدة تبقى سلبية ، لانه حتى لو استطاعت اسرائيل ايقاف القوات العربية عند هذه الخطوط او قبلها فان ذلك لن يعني خسارة العرب للحرب ، لان هدف الحرب المحدودة سيتحقق ، وسيتحطم الجمود الذي تريد اسرائيل فرضه ، وستجابه الحكومة الاسرائيلية سؤال العالم : لماذا لا تنفذين القرار ٢٤٢ الذي يخفف حالة العداء ويجمد النزاع ؟ كما ستجابه في داخل البلاد النقمة الناجمة عن الخسائر الفادحة ، وستتعرض الى السؤال الملح : الى متى ستستمر الحروب ما دامت لا تؤدي الى السلام ، وما دامت كل حرب مقدمة لحرب أشد عنفا وأكثر هولا ؟ والى متى سنبقى وكأننا نعيش في قلعة محاصرة ؟

وهنا لا بد من التذكير بأن وجود القوات الاسرائيلية في مواقع استراتيجية حصينة لا يعني بالضرورة أنه سيجعلها قادرة على ايقاف القوات العربية ، وهل كان هناك خطوط أفضل من خط بارليف وتحصينات الجولان لمجابهة الاندفاع العربي في حرب ١٩٧٣ ؟ ولكننا ذكرنا هذه الحالة للتأكيد على ان الخلل السياسي — الاستراتيجي الاسرائيلي سيبتلع أي انجاز تحققه قوات العدو في المعركة . ومن الطبيعي ان فشل قوات العدو في

تحقيق اي انجاز تكتيكي سيزيد حدة الخلل السياسي — الاستراتيجي بشكل ملحوظ ، كما ان ضخامة الخسائر التي ستصاب بها هذه القوات ستعمق الشرخ الذي فتحته حرب ١٩٧٣ داخل معسكر المعتدين .

● يعتقد البعض أن مناطق الفصل التي حددها البند (ب) من الاتفاق ستلغي امكانات تحقيق المفاجأة . ولقد رأينا في السطور السابقة كيف انها لا تستطيع الغاء المفاجأة الاستراتيجية البرية أو الجوية(١٧) . وتتمثل فائدتها في منع نوع واحد من المفاجأة التكتيكية هو « المفاجأة بالزمان » ، دون ان تستطيع منع الانواع الاخرى من المفاجأة مثل « المفاجأة بالمكان » ، و« المفاجأة بنوع السلاح » ، و« المفاجأة بتكتيك القتال » . . . الخ . أما بالنسبة لقمم جبل الشيخ ، والتي ستكون المعركة عليها معركة قوات محمولة بالهليكوبتر ومدعومة بالطيران ، فان من الممكن تحقيق المفاجأة التكتيكية بكل اشكالها ، بما في ذلك « المفاجأة بالزمان » .

● تقول الفقرة ٦ من البند (ب) : « يسمح لسلاحي جو الجانبين بالعمل حتى خط كل منهما بدون تدخل من الجانب الآخر » . ولقد أبعدت بطاريات الصواريخ أرض — جو عن المنطقة العازلة مسافة ٢٠ كيلومترا فغدت على بعد ٢٢ — ٢٧ كيلومترا (حسب عرض المنطقة العازلة) عن الخطين (أ) و (ب) ، بغية اعطاء طيران الطرفين حرية التحليق بحرية بعيدا عن خطر اعتراض الصواريخ أرض — جو . ومن المؤكد ان هذا التدبير سيؤدي الى منع الاشتباكات الجوية المقصودة او غير المقصودة ، ولكنه لن يمنع اي طرف من رصد وتصوير خطوط الطرف الآخر ، لان ارتفاع المستوى التكنولوجي لاجهزة التصوير الجوي قد جعل من الممكن تصوير شريط عريض من عمق ارض الخصم ، كما جعل من الممكن رصد قطعات الخصم دون ان يكون الطيران مضطرا الى التحليق فوق أرضه .

وبالاضافة الى الرصد والمراقبة اللذين يمكن القيام بهما من قبل الطرفين فان بوسع وسائل الاستطلاع السوفييتية والاميركية (طائرات استطلاع ، اقمار صناعية) كشف خطوط الطرفين وتصويرها من ارتفاعات عالية . وتذكر صحيفة **نيويورك تايمز** ان الولايات المتحدة « وافقت على ان تقوم طائراتها برحلات استطلاعية فوق الجولان للتحقق من حسن تطبيق الاتفاق السوري — الاسرائيلي »(١٨) .

● وتتعلق النقطة الاخيرة ، التي نود طرحها ، بمراحل الانسحاب المقبلة . وتأخذ هذه النقطة في الجولان اهمية كبيرة نظرا **لطبيعة هضبة الجولان الطبوغرافية ، وعرضها الجغرافي ، ووجود ١٧ مستوطنة اسرائيلية جديدة فيها .**

١ — ان التكوين الطبوغرافي للهضبة يعطيها شكل مرتفع ذي سطح منبسط تقريبا . وتنتهي حدود هذا السطح عند خط المرتفعات الذي يمتد من جبل الشيخ حتى شمال القنيطرة ، ثم يرسم حلقة حول المدينة ليتجه بعد ذلك باتجاه الجنوب حتى وادي الرقاد . وهكذا يأخذ خط المرتفعات — الذي احتفظت به اسرائيل بناء على اتفاق الفصل — شكل حرف اوميغا (Ω) تقع القنيطرة في منتصف لسانه . ثم تنحدر الأرض بعد هذا الخط باتجاه الغرب حتى سهلي الحولة وطبريا . لذا فان كل تراجع اسرائيلي مقبل عن هذا الخط سيجعل الخطوط الاسرائيلية على المنحدر المعاكس في وضع استراتيجي غير ملائم . وسيضع المستوطنات الواقعة في هذين السهلين ضمن مدى رمايات المدفعية السورية .

٢ — ان ضيق العمق الجغرافي لهضبة الجولان وقربها من مناطق حيوية وتجمعات سكانية اسرائيلية يجعلان اسرائيل تتردد أمام أي انسحاب مقبل ، لان هذا الانسحاب يعني تقليص هامش مناورتها في المكان ، كما يعني تقليص هامش المناورة بالزمان اللازم

لتعبئة الاحتياط وزجه في المعركة . واذا كانت اسرائيل قادرة على التراجع خطوات اخرى في سيناء(١٩)، دون ان يحرمها ذلك من العمق الجغرافي اللازم لمناورتها في المكان والزمان، فان مثل هذا التراجع غير ممكن بالنسبة اليها في الجولان ، اذا مـــا اصرت على بناء نظريتها الامنية على قواها الذاتية لا على الضمانات الدولية .

٣ ــ ان اي انسحاب مقبل من الجولان سيشمل مستوطنات بنتها اسرائيل واعلنت انها غير مستعدة للتخلي عنها . وترتبط هذه المسألة بجوهر الفكرة الصهيونية المبنية على التوسع والاستيطان واستيعاب مهاجرين جدد ، في سبيل اعداد الظروف الملائمة لتوسع مقبل . وتدل دراسة عرض المنطقة العازلة الذي يتراوح بين ٢ و٧ كيلومترات ، على ان اسرائيل عملت ما في وسعها لابعاد الخطر عـــن المستوطنات ، وعن الاراضي الزراعية التي يستعملها المستوطنون الجدد .

ولقد طمأنت الحكومة الاسرائيلية سكان هـــذه المستوطنات خلال مباحثات فصـــل القوات ، وأكدت لهم انها لن تتخلى عنهم ، ولن تحرمهم من الاراضي التي يستثمرونها . وعندما تم توقيع الاتفاق ركزت وسائل الاعلام الصهيونية على هذه النقطة ، وأكدت ان المستوطنات لم تخسر سوى ٣٨٠ دونما دخلت في المنطقة العازلة(٢٠) التي سيعـــود الفلاحون السوريون اليها . كما ان مؤتمر اتحاد الكيبوتسات والكيبوتسيم وافـــق في السابع من حزيران (يونيو) وبعد اتفاق فصل القوات علـــى ان يضم للحركة اربـــع مستوطنات جديدة ، منها مستوطنتان في الجولان .

وتدل هذه النقاط الثلاث على مدى الصعوبات التي ستعترض أية مباحثات مقبلة لبحث خطوات الانسحاب التالية ، كما تكشف احتمالات العودة الى السلاح لاجبـــار اسرائيل على تنفيذ هذه الخطوات .

*

ان اتفاق فصل القوات في الجولان انجاز عسكري لا يحمل اي معنى سياسي . ولا يمكن تحديد قيمته العسكرية الصحيحة الا بعد تحديـــد مدى التصميم العربي علـــى استخدام مختلف الوسائل والاساليب ــ بما فيها الاسلوب العسكري العنيف ــ لجعل الاتفاق مرحلة واحدة على طريق الانسحاب الشامل . وتشير كل الدلائل على ان هذا التصميم موجود ، وانه اليوم اقوى من اي وقت مضى .

وينظر بعض الاسرائيليين الى الاتفاق كآخر ما يمكن ان تقدمـــه اسرائيل دون ان يتعرض أمنها للخطر ، على حين ينظر البعض الآخر اليه كخطوة ستليها خطوات . دون ان يتمكنوا من تحديد الخط الاحمر « الذي لا انسحاب بعده » . ويدافع قسم مـــن الصهاينة عن الاتفاق ويؤكدون انه منع الصدام الحاد مع الولايات المتحدة ، وفتح الطريق أمام ابعاد السوفييت عن المنطقة ، والغى احتمالات اندلاع القتال في الشمال على نطاق واسع يجبر المصريين على خرق اتفاق وقف القتـــال في السويس ، وأعطى القـــوات المسلحة الاسرائيلية الفرصة لاعادة تنظيم نفسها واصلاح أخطائها والتقاط انفاسها (خاصة بعد ان تم استبعاد بند يحدد الجدول الزمني للانسحاب من الاراضي المحتلة) وخلص الجيش الاسرائيلي من القتال داخل الجيب في ظروف غير ملائمة(٢١).

وهناك صهاينة آخرون يهـــاجمون الاتفاق ويرون انه « يمثل فوضى لا مثيل لها » (ميناحيم بيغن) وانه « انجاز سيىء ومقلق » (د. ريملط) و « انجاز كبير للسوريين » (شموئيل تمير) .

ويميل الاتجاه الثالث الى اعتباره « اهون الشرين » . ويعبر العميد الاحتياطي حاييم

هرتسوغ عن هذا الاتجاه عندما يقول بأن الاتفاق « لا يحل بصورة نهائية اية مشكلة ، بل يؤجل حل المشكلات » ، ثم يؤكد رغم ذلك « انه افضل من البقاء في الوضع السابق ، وافضل من البديل الآخر الذي هو الحرب »(٢٢) .

ورغم تباين آراء الاسرائيليين حول اتفاق فصل القوات ، فان اقوالهم وتصريحاتهم تعكس ان لديهم احساسا عاما بأن الحرب الخامسة مقبلة حتما ، وان اندلاعها ممكن في كل لحظة . وان طريق السلام — كما يقول اسحاق رابين — « مزروعة بالكثير من الالغام »(٢٣) . ونحن نشارك الاسرائيليين احساسهم بأن فصل القوات مرحلة مؤقتة سيجعلها التعنت الاسرائيلي مدخلا الى الحرب الخامسة ، كما نشارك رابين رأيه حول طريق السلام « المزروعة بالكثير من الالغام » ، ولكننا نلفت النظر الى ان كل هذه الالغام اسرائيلية الصنع . وانه ليس هناك ما يمنع الالغام من الانفجار تحت اقدام واضعيها .

---

١ — ان جميع التوقيتات المذكورة في هذا المقال هي توقيتات دمشق .

٢ — البيان السوري — السوفييتي المشترك بعد انتهاء زيارة وزير الخارجية السوفييتي لدمشق ٥/٢٩ (النهار ٥/٣٠) .

٣ — من بيان الحكومة في ٥/٢٩ (رصد اذاعة اسرائيل ر.ا.ا. ، عدد ٥٤٦) .

٤ — الثورة السورية ١٩٧٣/٦/١ .

٥ — ر.ا.ا. ، عدد ٥٤٧ .

٦ — **النهار** ، ١٩٧٤/٦/١٤ .

٧ — **النهار** ، ١٩٧٤/٦/١٥ .

٨ — رويتر ، ٦/٣ .

٩ — **النهار** ، ٦/٨ .

١٠ — **انباء الشرق الاوسط** ، ١٩٧٤/٦/٤ .

١١ — **انباء الشرق الاوسط** ، ١٩٧٤/٦/٥ .

١٢ — **يديعوت احرونوت** ، ١٩٧٤/٦/١٠ .

١٣ — **النهار** ، ١٩٧٤/٦/١٤ .

١٤ — للاستزادة في الاطلاع على الاسلحة الجديدة المنتظر تسليمها لاسرائيل ، راجع ملحق الشهريات العسكرية ، مجلة **شؤون فلسطينية**، عدد ٣٤ ، والشهريات العسكرية في هذا العدد من مجلة شؤون فلسطينية .

١٥ — خصصت اسرائيل مبلغ ١٠٠ مليون دولار لتحصين خط الممرات في سيناء . وتذكر صحيفة **بمحاني** (١٩٧٤/١/٣٠) ان الاسرائيليين اقاموا في الخط الاسرائيلي الجديد تحصينات قوية ، وزرعوا امامها ٧٥٠ الف لغم .

١٦ — تحاول اسرائيل الحصول على صاروخ أرض — أرض من طراز « لانس » لمجابهة الصواريخ أرض — أرض السورية من طراز « فروغ — ٧ » و « سكود » . ومن الواضح ان الطيران الاسرائيلي سيفقد جزءا كبيرا من حرية عمله بعد ان حصل الطيران السوري على طائرة تفوق سوفييتية الصنع من طراز « ميغ — ٢٣ » .

١٧ — تستطيع القوات المحتشدة في منطقة تخفيض القوات الثانية (٤٥٠ دبابة وقوات غير محدودة من المدفعية والمشاة والقطعات الاخرى) قطع المسافة التي تفصلها عن العدو والالتحام معه خلال ساعة واحدة على ابعد تقدير ، وتكون مهمة رمي التمهيد في هذه الحالة ملقاة على عاتق الطيران والصواريخ أرض — أرض التكتيكية .

١٨ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٤/٥/٣١ .

١٩ — من الطبيعي ان اسرائيل ستحاول ان لا تشمل هذه الخطوات انسحابا من منابع البترول على الساحل الشرقي لخليج السويس حتى لا تخسر البترول الذي يدر عليها الان حوالي مليار ليرة اسرائيلية سنويا .

٢٠ — كانت هذه الدونمات الـ ٣٨٠ من الاراضي التي يزرعها مستوطنو مروم غولان .

٢١ — تدعي صحيفة **معاريف** (٧٤/٢/١٣) ان سلاح المهندسين الاسرائيلي «غير وجه خارطة الجيب»، ولكن هذا لم يمنع ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق من الاعتراف في مقابلة مع **دافار** (٧٤/٥/٣١) بضعف وضع القوات الاسرائيلية داخل الجيب عندما قال : « يجب ان نذكر بأن وضعنا في الجيب لا يسمح لنا بالصمود في حرب استنزاف دون ضحايا كثيرة » .

٢٢ — ر.ا.ا. ، عدد ٥٤٦ .

٢٣ — ر.ا.ا. عدد ٥٥٣ .

الصهيونية واليهود واسرائيل والعرب والعالم

(نظرة بالجملة الى المواقف والعلاقات)

الدكتور حسام الخطيب

في غمرة الابحاث التفصيلية والاحصاءات ورصد التطورات كثيرا ما يتعرض جوهر أية قضية للوقوع في الظل . ههنا محاولة بسيطة لاستعادة الانتباه الى جوهر القضية الفلسطينية من خلال افكار عتيقة متجددة .

ح.خ

[١]

أغرب ما في القضية الفلسطينية أن تاريخها لا يبدأ على ارض فلسطين ولا تتداخل وقائعه مع وقائع التاريخ العربي المعاصر الا في وقت متأخر نسبيا ، وبعد ان تكاملت المؤامرة الاستعمارية على الارض العربية في أوربا واصبحت جاهزة للتنفيذ . ان جذور القضية الفلسطينية نشأت في أوربا ، ونمت هناك ، وما زالت تستمد نسغها من العالم الغربي الرأسمالي سواء في أوربا أو أميركا .

وتبدأ القصة في القرن التاسع عشر ، أي في أوج تصاعد حملة الاستعمار الاستيطاني (الكولونيالي) الذي كانت الرأسمالية الاوربية تهدف من ورائه الى زرع السكان الاوروبيين في مناطق افريقيه واميركا اللاتينية واستراليا بوجه خاص من أجل ضمان السيطرة المستمرة على تلك الاقطار وتأمين احتكار مواردها الطبيعية وخيراتها لخدمة الصناعة الرأسمالية الاحتكارية .

ويبدو أن الرأسماليين اليهود فكروا في ذلك الحين بالمشاركة في هذه الحملة ، ولكن على طريقتهم الخاصة ، وقد وجدوا أن في مقدورهم أن يلعبوا بورقتي الدين والاضطهاد من أجل توجيه يهود أوربه الى المشاركة في الحملة الاستيطانية . ولتحقيق هذا الغرض سارعوا الى دعم وتطوير الافكار (القومية) التي كانت قد بدأت تصادف هوى لدى اليهود المتعضين من أوضاعهم في بعض المجتمعات الاوربية . وقد أدى ذلك الى تبلور هذه الافكار في (الحركة الصهيونية) التي قدمت نفسها في أواخر القرن التاسع عشر على اساس أنها حركة سياسية تقدم حلا (قوميا) لما عرف أحيانا باسم (المسألة اليهودية) أي مسألة شعور اليهود بالاضطهاد والغربة في اوربا .

و(المسألة اليهودية) بهذا المعنى لها بعض الجذور في القديم ، ولكنها كانت تتخذ اشكالا مختلفة خلال التاريخ حسب مراحل التطور الاجتماعي الاقتصادي في كل بلد من البلدان الاوربية ، وتفاوتت طبيعتها من قطر الى قطر ومن فترة الى فترة ، واذا دل ذلك على شيء فانه يدل على ان المسألة ليست مسألة اضطهاد فئة من المجتمع تدين بدين معين، أو تنتمي الى قومية مغايرة (أقلية دينية أو قومية) كما تزعم الدعاوى الصهيونية،

بل ان المسألة تتلخص في أن اليهود منذ البدء انصرفوا الى المهن التجارية والمالية واشتغلوا بالوساطات المالية والمرابأة في المجتمعات الاوربية وبالتدريج اصبح يجمعهم نوع من التكتل الطبقي مصحوب بأحلام دينية وعاطفية (مفهوم التعالي وشعب الله المختار) مما أدى الى انعزالهم عن المجتمعات وحشرهم بالاحياء الخاصة المغلقة (الجحور) «Ghetto» ، وجعلهم عرضة للنقمة من الجماهير المحرومة من جهة وكذلك من الطبقات العليا المحتاجة الى التعامل معهم من جهة اخرى، وكانت هذه النقمة تبلغ أوجها وتتمثل في الاضطهاد والمذابح أحيانا خلال مراحل التغير السياسي والاقتصادي بوجه خاص ، فمثلا في سنة ١٨٨١ تعرض اليهود في روسيا لموجة من الاضطهاد الرسمي والشعبي على اثر حادثة اغتيال القيصر ، وعلى الرغم من أن هذه الموجة تمت بتوجيه من الطبقة الحاكمة لغرض امتصاص النقمة الشعبية فان ذلك لم يكن ممكنا لولا ان المجتمع الروسي في أواخر القرن التاسع عشر كان على أبواب مرحلة تطور جديدة من شأنها ان تهز دور الطبقة التجارية اليهودية التي كانت تبني مصلحتها على اساس استغلال أوضاع الظلم والتخلف في المجتمع الروسي(١).

ويشير تاريخ أوربا الغربية الى أن اليهود كانوا في طريقهم الى الاندماج ابتداء من عصر النهضة وان هذا الاندماج كاد يكون تاما في القرن التاسع عشر لولا ظهور عوامل جديدة في شرق اوربا . ويذكر ابراهام ليون أنه حين بدأت مرحلة الرأسمالية الصناعية في عصر النهضة كان اليهود يمثلون رأسمالية بدائية تجارية وربوية . ولم يكن بمقدورهم الاحتفاظ بهذا الدور ، واخذوا بالاندماج السريع في مجتمعاتهم ، وأدت تطورات الحياة الرأسمالية فيما بعد الى تسهيل هذا الاندماج وعجل نمو الرأسمالية الصناعية في دخول اليهود الى صفوف البرجوازية وفي اندماجهم الثقافي ، وكان الاستيعاب اكبر كلما كان التقدم الاقتصادي اكبر . ففي نهاية القرن الثامن عشر مثلا ، وخلال ثلاثين سنة تحول نصف يهود برلين الى المسيحية ، بينما صدرت تأكيدات مستمرة عن الباقين على اليهودية بأنهم لا يشكلون قومية خاصة وانهم (المان ، المان فقط فيما يختص بالقومية)(٢). ومن المعروف ان يهود ميونيخ رفضوا عقد المؤتمر الصهيوني الاول في مدينتهم خوفا من أن يفسر ذلك بالخروج عن القومية الالمانية .

وقد عملت الثورة الفرنسية والثورات الديمقراطية البرجوازية في اوربا على ازالة الحواجز التي اقامها الاضطهاد الديني ضد اليهود ، ودخلت اليهودية الغربية مرحلة الاندماج التام ابتداء من القرن التاسع عشر .

ولكن (المسألة اليهودية) لم تختف تماما ، وذلك بسبب الهجرة من اوربا الشرقية التي كانت قد بدأت تتجاوز مرحلة الاقطاع . ففي مطلع القرن التاسع عشر كانت السيطرة التجارية اليهودية شاملة في أوربا الشرقية ، وكانت المدن اليهودية الصغيرة منتشرة في كل مكان ، وهي تجمع لتجار صغار وخمارين وصيارفة ووسطاء من جميع الانواع (كومبرادور) . الا ان المجتمع الاقطاعي في اوربا الشرقية أخذ منذ منتصف القرن التاسع عشر يفسح المجال للملكية الفردية وللاهتمام بالصناعة ، ومع بروز بوادر الرأسمالية الصناعية بدأ دور اليهود الاقتصادي بالتضاؤل ورافقت ذلك موجة من البطالة أدت الى انتشار نفور عام بين اليهود (اللاسامية) ، مما دفع بأعداد كبيرة من اليهود الى الهجرة الى اوربا الغربية .

وبين سنتي ١٨٨١ — ١٩١٤ أي خلال ٣٣ سنة هاجر ٣ ملايين يهودي من أوربه الشرقية الى أوربه الغربية واميركا ، حسبما يذكر ليون(٢).

وهكذا يتضح ان مفاهيم التعالي والعزلة اليهودية التي كانت تشكل عائقا نسبيا

للاندماج اليهودي في المجتمعات القديمة رفدت منذ بدء القـــرن التاسع عشر في أوربا بعوامل اقتصادية اجتماعية كان من نتيجتها ظهور نقمة شعبية ضد اليهود حالت دون اندماجهم المنتظر في المجتمعات الاوربية المتطورة . وقد وجد الرأسماليون اليهود في ذلك الوضع فرصة مواتية لتكتيل يهود اوربا، فعملوا على استغلال اوضاع اليهود وتضخيمها من جهة، وعملوا من جهة ثانية على الاستفادة من النزعة القومية التي كانت قد بلغت أوجها آنذاك، وقاموا بتعبئة اليهود الاوربيين بأوهام القومية اليهودية، وتغذية خيالهم بأحلام « الارض الموعودة » ، والتشوق الى صهيون ، وصرفهم عن النضال في مجتمعاتهم ومن خـــلال نضال الطبقات الواقعة تحت الاستغلال لتغيـــير واقعهـــم الاقتصادي والاجتماعي .

وبطبيعة الحال ساعدت الحركة الصهيونية على استمرار (المسألة اليهودية) لا على حلها ، بل انه في مراحل عديدة كان على القـــادة الصهيونيين أن يشجعوا الاضطهاد الاوربي لليهود وأن يعطوه أبعادا جديدة حتى يضطروا الجماهير اليهودية الى الهجرة الى فلسطين والتجاوب مع المخططات الاستعمارية . وكان الفكـــر الصهيوني البراغمي (النفعي) يعي ذلك منذ القديم ، وقد جـــاء في يوميات هرتزل : « سوف يصبح أعداء السامية أفضل أصدقائنا المقربين ، والبلدان المعادية للساميين من حلفائنا » .

ودعا هرتزل نفسه ـــ كما دعا وايزمن فيما بعد ـــ الى الاستفادة من تيار (اللاسامية) من أجل خلق الفردية اليهودية . ودلت ممارسات الصهيونيين خلال فترة الحكم النازي على أنهم لا يمانعون في اضطهاد اليهود أملا في ان يؤدي ذلك الى تعبئة يهودية شاملة باتجاه الهجرة . بل ظهرت مجددا دلائل تشير الى أن بعض زعمائهم كانوا ضالعين في عملية الاضطهاد من أجل أهدافهم السياسية(٢) .

[٢]

ومنذ ظهور الافكار الصهيونية قام مفكرون في أوربه وأميركا من خلال زوايا مختلفة ، باظهار بطلان الدعوى الصهيونية ، وكشف الاستغلال الاستعماري الصهيوني لاوضاع اليهود ، والتأكيد على أن الصهيونية لا تقدم حلا لما يسمى (بالمسألة اليهودية) بل تعقد مشكلة عدم الاندماج اليهودي وتزيدها خطورة . الا ان هناك شيئا جديدا طرأ بعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ وهو بدء ظهور بوادر (اعادة نظر) عند الاسرائيليين واليهود فيما يتعلق بالمبدأ الصهيوني للدولة وبطبيعة الفكر الصهيوني . وعلى الرغم من أن هذا الامر لا يعني بالنسبة للموقف العربي اية نتائج عملية في المستقبل المنظور، فانه يعتبر ذا أهمية خاصة من الناحية النظرية لانه يتضمن فيما يتضمن تأكيدا جديدا على صحة الفهم العربي للقضية ، ذلك الفهم الذي أصر دائما على أن الصهيونية حركة استعمارية قامت على أساس استغلال (المسألة اليهودية) وليس على اساس ايجاد حل لها .

ولنستعرض أولا بعض المواقف الفكرية في أوربا وأميركا ، ثم نقرنها ببعض المواقف الجديدة عند يهود واسرائيليين . وبالطبع لسنا هنا في معرض استقصاء هذه الاراء ، انما نحاول تقديم عينات لها دلالاتها .

ـــ في منتصف القرن التاسع عشر اكد (كارل ماركس) الذي لفت نظره التضخيم المصطنع (للمسألة اليهودية) أن هذه المسألة من شأنها ان تنتهي بانتهاء النظام القائم على الاستغلال وان « التحرير اليهودي في معناه الاخير يقوم على تحرير الانسانية من اليهودية » . وان « التحرر الاجتماعي اليهودي انما هو تحرير المجتمع من اليهودية » . ذلك ان «المال هو اله اسرائيل المطماع» ويعتقد اليهود انه « لا ينبغي معه لاي اله ان

يعيش ... ان المال يخفض جميع آلهة البشر ويجعلهم سلعا » وبالتالي فان اشتغال اليهود بالمال هو الذي يخلق (المسألة اليهودية) ، والحل الطبيعي لهذه المشكلة هو تغيير النظام الاجتماعي والغاء دور المال كقيمة عامة ومكونة في ذاتها لجميع الاشياء .

« والتنظيم الاجتماعي الذي يلغي الشروط الضرورية للمتاجرة وبالتالي يلغي امكانية المتاجرة سوف يجعل وجود اليهود مستحيلا » . ذلك ان « قومية اليهودي الوهمية هي قومية التاجر ، قومية رجل المال »(٤).

وبعد كارل ماركس بحوالي مئة سنة ، وبالضبط عندما أخذت الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها ، قام البروفسور ويليام هوكنغ ، أستاذ كرسي الفلسفة في جامعة هارفرد، بارسال رسالة (٢٣ آذار ١٩٤٤) الى « نيويورك تايمز » جاء فيها : « ان الصهيونيين السياسيين هم الاعداء الرئيسيون لمصلحة اليهود في عالم الغد » . وتساءل : « ما الذي يأملون كسبه بانتشال اخوتهم من تحزبات أوربا عن طريق بناء مجتمع في فلسطين عليه أن يظل محتاجا لحماية القوى الغربية لانه مزروع في بيئة مفعمـــة بالخوف منه وعدم الثقة به ؟ »(٥).

وبعد الحرب العالمية الثانية ، وعلى اثر تصاعد الاستغلال الصهيوني لمعاناة بعض يهود أوربا على يد النازيين ، من جهة ، وانكشاف الجرائم الصهيونية ضد عرب فلسطين من جهة أخرى ، انبرى المفكر البريطاني أرنولد توينبي لتفنيد الفكرة الصهيونية واظهار التماثل في الموقف من اليهود بين الصهيونيين وبين النازيين واللاساميين ، ولعله أدق وأوضح من عالج هذه النقطة بالذات اذ اعتبر الصهيونية و(اللاسامية) متساويتين في نظرتهما الى اليهود : « الصهيونية والعداء للسامية انما هما تعبيران عن وجهة نظر متماثلة ، والفكرتان تقومان على فرضية واحدة ، هي انه يستحيل على اليهود وغير اليهود التعايش في مجتمع واحد ، وبالتالي فان الانفصال المادي هو المخـــرج العملي الوحيد ، فشعار العداء للسامية هو : « عودوا الى تشرد القرون الوسطى » ، وشعار الصهيونية هو « عودوا الى حجر (غيتو) القرون الوسطى » . على ان تجمع كل هذه الغيتو ـــ القواقع ـــ المنتشرة في العالم في بقعة واحدة من الارض هي فلسطين لخلق غيتو واحد راسخ الدعائم »(٦).

ومن الواضح ان كارل ماركس الشيوعي الالماني ، والبروفسور هوكنـــغ الاميركي اللبرالي ، والمؤرخ أرنولد توينبي البريطاني المتدين ، يلتقون ـــ على الرغم من تباعد الزمن وتباعد المنطلقات الفكرية ـــ في نقاط اساسية بالنسبة لفهم الحل الصهيوني لما يسمى (المسألة اليهودية) ، وأهم هذه النقاط :

١ ـــ ان « المسألة اليهودية » مشكلة مصطنعة تنبثق من وضع اليهود في مجتمعات أوربية معينة ، وليس من وجود (للقومية اليهودية) المزعومة .

٢ ـــ ان الحل الطبيعي لهذه المشكلة ـــ متى وجدت ـــ كامن في المجتمع الذي توجد فيه ، أي (الاندماج لا الصهيونية) .

٣ ـــ أن الصهيونية تعني مزيدا من البؤس لليهود ، ومزيدا من تعريضهم للاخطار . (وتتضح هذه الفكرة بشكل أفضل عند هوكنغ وتوينبي نتيجة ادراكهما لطبيعة التجربة الصهيونية المعاصرة) .

ان هذه الاقوال ليست الا نماذج لفكر غربي وعى المشكلة جيدا . وقد كثرت هذه النماذج بعد الهزة الفكرية والنفسية التي ولدتها حرب تشرين الاول ١٩٧٣ في مستويات عالمية وصهيونية واسرائيلية . ولنأخذ نموذجا يهوديا خارج اسرائيل، وآخر من داخلها :

— وجه مجددا الدكتور عمانوئيل جاكوبوفيتش ، كبير الحاخامين اليهود في بريطانيا ، انتقادا شديدا الى ما وصفه بالاسس الوهمية لدولة اسرائيل . وقال : ان حرب يوم الغفران أبرزت انهيار الوضع العقلي والفلسفة الخاصة باسرائيل انهيارا لا يقل عن انهيار الاستراتيجية العسكرية والسياسية الخارجية الاسرائيلية . وأكد الحاخام جاكوبوفيتش ان « منشأ الازمة الروحية لاسرائيل يعود الى الاسس الواهية التي بنى عليها الصهيونيون الاوائل أحلامهم ، وقد اعتقدوا هم وخلفاؤهم ان الاستقلال القومي اليهودي في صهيون من شأنه ان يحل المشكلة اليهودية » . واضاف الحاخام اليهودي : « ولكن سرعان ما تبين ان ذلك حلم تافه حتى في دولة اسرائيل . اذ أن اليهود ما زالوا هناك مختلفين وغريبين ومنعزلين ، كما كانوا دائما من قبل . وبدلا من ان تحل الدولة المشكلة اليهودية أبرزتها الى حيز العيان »(٧).

ان هذا الراي اليهودي الديني لا يحتاج الى توضيح في التقاء دلالاته مع الدلالات التي أفصح عنها ماركس وهوكنغ وتوينبي . وفيما يلي رأي (اسرائيلي) صميمي يكاد يكون أفصح وأقوى تعبير من كل ما قيل في هذا الشأن حتى الآن ، ربما لانه ينبثق من حرارة الاكتشاف بعد التجربة التشرينية . يقول الكاتب بوعاز عبرون في (يديعوت أحرونوت)، ١٩٧٤/٢/٨ : « انني أشك في أن الصهيونية سوف تحل مشكلة اليهود ، وأنها سوف تمنحهم ملجأ آمنا . فاسرائيل اليوم هي احدى المناطق الاقل أمنا بالنسبة لليهود ، وانبياء الاحلام على كل أنواعهم يعدوننا أن اسرائيل سوف تظل مكانا غير آمن على امتداد أجيال أخرى ، بدون أن يعطينا واحد من هؤلاء الانبياء تعهدا أنه في النهاية سوف « ينتهي كل شيء على أفضل وجه » . والمعتقد أنه ، من حيث الامن المادي المجرد ، أفضل لليهودي أن يبقى في (بروتكس) و(جيرالدز غرين) من أن يهاجر الى هنا . وهذا هو ما يحدث فعلا . لذلك فان أولئك الذين يريدون « صهيونية كبرى » هم أيضا يجب ان يكونوا راغبين بالسلام . والا فانه فقط اليهود الذين لا يوجد أمامهم مكان آخر ، فقط اليهود المثاليين المتعصبين سوف يهاجرون الى البلاد التي تعيش ظروف الحرب الدائمة »(٨).

اذا فقد امتد خط الارتياب في صحة الحل الصهيوني لمشكلة اليهود من منتصف القرن التاسع عشر حتى هذا اليوم ومن وسط أوربا حتى وسط اسرائيل ، وزادته تجربة تشرين حدة ووضوحا . والسؤال المطروح اليوم بقوة : هل حلت (المسألة اليهودية) أو على الاقل هل نستطيع القول انها في طريق الحل ؟ طبعا لا ، ذلك ان غالبية يهود اوربا وأمريكا ما زالوا يقيمون في مجتمعاتهم الاصلية ، وان مغامرات اسرائيل العسكرية والدولية تزيدهم بالتدريج غربة عن مجتمعاتهم وتعقد مسألتهم وتضعهم بين فكي كماشة الولاء المزدوج ، وكثيرا ما تضطرهم الى الاختيار بين التصرف بوحي من مصلحة اوطانهم وبين التصرف بتأثير من مصلحة اسرائيل ، وهو اختيار يومي لا بد من أن يتعرض له كل يهودي .

أما أولئك اليهود الذين هاجروا الى اسرائيل ، فقد انتقلوا ببساطة من (الغيتو) الصغير الى (غيتو) أكبر ، والخطر الذي ينتظرهم — بسبب غطرسة السياسة الاسرائيلية ومغامراتها العدوانية — اقسى من اي خطر سبق ان تعرض له اليهود في مجتمعاتهم الاصلية .

وصحيح ان المسألة لم تنته بعد — كما يمكن ان يجيب الصهيونيون على مثل هذا التساؤل — ولكن من الواضح ان جميع المؤشرات تدل على أن القسم الاكبر من يهود العالم قانعون بالبقاء في مجتمعاتهم، اما القسم الذي اقام الدولة الصهيونية على اساس القومية اليهودية المزعومة فانه خلق لنفسه مشكلة جديدة، تختلف نوعيا عن الاوضاع التي حاول ان يعالجها باقامة الدولة ، وتحمل له اخطارا مختلفة ايضا ، على نحو ما

أثبتت حلقات الصراع المستمرة والتي بلغت ذروتها في سنوات ١٩٤٨ و١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣ ، وعلى نحو ما أثبتته ظاهرة بروز المقاومة الفلسطينية ، ووجود تصميم عربي واضح على عدم الاستسلام .

ومن وجهة النظر العربية الخالصة يبدو واضحا أن العرب زجوا — نتيجة الأطماع الاستعمارية — في مشكلة أوربية خالصة لا شأن لهم بها من قريب او من بعيد . فلقد كان على الاوروبيين أن يحلوا المشكلات المتعلقة باليهود في مجتمعاتهم الخاصة لا أن ينقلوها الى الارض العربية حيث حملت معها الدمار والاضطراب والفوضى والخروب . ان مشكلة اليهود لم تحل لان الحل الذي تم تنفيذه اتخذ من مشكلة اليهود ذريعة لمآرب اخرى ولانه — من جهة ثانية — تم على حساب شعب آخر ، هو الشعب العربي الفلسطيني الذي أدت به الاحداث الى خسارة ارضه وسيادته ودماء ابنائه وكيانه الاجتماعي ، وأصبح اليوم نصفه مشردا ونصفه واقعا تحت الاحتلال ، دون أن يكون له أية علاقة باضطهاد اليهود أو الشعوب الاوربية التي ينتمون اليها . بل الاغرب من ذلك أن العرب كانوا في أوج حضارتهم متسامحين مع اليهود وأفسحوا لهم مجال الاسهام الحضاري والثقافي ، وهم آخر شعب يجب أن يدفع ثمن اضطهاد اليهود الذي لم يفق في واقع الامر تلك الانواع من الاضطهاد التي كانت تحل بالاقليات الدينية هنا وهناك في التاريخ القديم والحديث . ولقد كان بود العرب لو يتاح لهم مجال الاسهام في حل المشكلات التي يعاني منها اليهود في بعض المجتمعات الاوربية لو طلب اليهم ذلك ، ولكنهم لا يمكن أن يقبلوا بأن يكون الحل — وهو وهمي كما أسلفنا — على حساب أرضهم وسيادتهم واستقرارهم . ان الحل (الجزئي) لمشكلة اليهود كلف العرب حتى الآن خسارة فلسطين واجزاء مهمة من سورية ومصر ، فكيف لو اكتمل الحل واستوعبت الدولة الصهيونية سائر يهود العالم ؟

ان الموقف العربي ازاء الصهيونية واضح وسليم ، فكل أمة لها الحق في اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحفاظ على ترابها وسيادتها ، وما ذكر هنا ليس من باب تسويغ هذا الحق ، ولكنه تأكيد على عنصري الخطأ الاخلاقي والتزييف اللذين قامت على أساسهما الفكرة الصهيونية ومن ثم الدولة الصهيونية ، وانه لخطأ اخلاقي بحق العرب أولا وآخرا ، ولكنه أيضا خطأ اخلاقي بحق العالم المعاصر وتزييف لحقائقه ، وكذلك تزييف لمشكلة اليهود في بعض المجتمعات وتعميم لها بل خطأ اخلاقي بحقهم أيضا . ومن هذه الاعتبارات جميعا كان العالم بقواه المختلفة طرفا في الصراع العربي الاسرائيلي وما يزال ، بل ان أهمية العامل العالمي ، تزداد يوما بعد يوم ، ولكن وزنه الضاغط يختلف من مرحلة الى مرحلة ، وبوجه عام يدل الخط البياني لتطور ثقل هذا العامل انه ظل حاسما لمصلحة الصهيونية طالما ان طبيعة العلاقات على جانبي الصراع كانت غير واضحة : الصهيونية في علاقتها مع اليهود ومع اسرائيل ، والعرب في علاقتهم بالقضية الفلسطينية ، وانه يظهر بالتدريج ميلا لصالح الطرف العربي بعد اتجاه علاقات الصراع المختلفة نحو الاتضاح بنتيجة تعاقب الاحداث وما تستتبعه من تساؤلات جادة حول طبيعة الصراع .

---

١ — يقدم ابراهام ليون في « المفهوم المادي للمسألة اليهودية » عرضا لتطور وضع اليهود خلال التاريخ يمكن الاستعانة به لفهم العوامل الرئيسية التي حركت دائما هذه المسألة . راجع ليون ، ابراهام : **المفهوم المادي للمسألة اليهودية** ، ترجمة وتقديم عماد نويهض ، بيروت ، ١٩٦٩ .

٢ — **المصدر السابق** ، ص ١٥١ — ١٥٤ .

٣ — انظر : رزوق ، د. اسعد : **اسرائيل الكبرى ، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني**،

منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٥ .

وانظر : ايغـــانوف : **احذروا الصهيونيـــة** ، منشورات وكالة انباء نوفوستي ، ١٩٦٩ ، ص ٥٠ — ٥١ .

٤ — انظر : ماركس ، كارل : **المسالة اليهودية**، ترجمة محمد عيتاني ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٥٥ — ٦٤ .

٥ — انظر ص ٤٢ — ٤٣ من
Hadawi, Sami, *Bitter Harvest (Palestine between 1914-1967)*, New York, 1967.

٦ — انظر : الغالي ، د. كمال : **النظـام السياسي الاسرائيلي**، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٦١ .

٧ — نقلا عن : عصام حماد : « لقطات تشرينية في الغيتو الصهيوني » ، مجلة **صوت فلسطين** ، دمشق، ع ٧٤ ، ص ٦، ١ اذار ١٩٧٤، والنص منقول عـــن *Jewish Chronicle* ، ٨ شباط، ١٩٧٤ .

٨ — انظر : **الارض** ، دمشق ، س ١ ، ع ١٢، ٧ آذار ١٩٧٤ ، ص ٢٩ . وقد آثرت عـــدم اجراء التعديلات اللازمة على لغة الترجمة توخيا لامانة النقل .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

الحركة الوطنية الفلسطينية

امام اليهود والصهيونية ١٨٨٢ — ١٩٤٨

بقلم

ناجي علوش

٢٩٦ صفحة باربع ليرات لبنانية : تضاف اليها اجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١ ل.ل. في اوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

اطلبه من : مركز الابحاث — قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ — بيروت .

ورقة الى دافتر طوكيو

الكتابة في درجة الغليان

محمود درويش

● تعقد في طوكيو ، من ٢٥ حزيران الى ٦ تموز ، ندوة ادبية بين ادباء عرب ويابانيين عن التضامن الثقافي الياباني العربي ، بدعوة من اللجنة اليابانية لكتاب آسيا وافريقيا بالتعاون مع المكتب الدائم لادباء افريقيا وآسيا .

يشترك في هذه الندوة الزميل محمود درويش . ويسر « شؤون فلسطينية » أن تنشر هذه « الورقة » التي أعدها للندوة .

جئت أروي قصتي ، لاوسع دائرة العلاقة .

هل هذا ممكن ؟

محاولة . ولكن هذه المحاولة ذاتها هي سيرة الادب .

أن تسألني : من أنت ؟ دفعة واحدة ، معناه ان تضعني في حالة الارتباك التي توسع دائرة الفارق . ولكن الادب ، لانه يروي قصة الانسان ، يتجاوز هذه الصعوبة . كأنه يتابع حوارا سابقا . وكأنه على ما يبدو سعي انساني مشترك ومتنوع للوصول ، عبر سياقات مختلفة ، الى أقرب منطقة من التجريد .

لم تصل الى هذه المنطقة بعد ، لان الحالة الكونية ليست واحدة ، ولان تفاصيل قضايا وجودنا متفاوتة ، ولان اللغة الواحدة ما زالت تبحث عن تكونها عبر صراعات متعددة الاشكال والمستويات . وما زالت قضايا امتلاك الانسان لصفاته واختياراته قيد الصراع . ومع ذلك ، يظل الادب طموحا الى تجسيد المشترك من قضايا الانسان ، لاقامة الصلة الانسانية .

انني لا أكتب لاعيش ، ولا اعيش لاكتب . انني اكتب لاكون حاضرا . وان هذا الالحاح الى الحضور توق حيوي للتجانس مع الحضور الانساني الشامل ، ومع الحياة ذاتها .

لم نحضر جميعا . لماذا لم نحضر ؟ لماذا لم نحقق الانسجام المنشود ؟ ان لكل منا قصة وتاريخا ، ومحاولة . ولعل قصصنا ومحاولاتنا ، نحن ابناء شعوب آسيا وافريقيا ، اكثر الحالات الانسانية تشابها . فما زالت شعوب كثيرة في قارتينا موضوعة خارج المشاركة الابداعية في تشكيل حياتها كما تشاء وفي التأثير الفعال على مضمون العصر ولغته . وما زالت مدفوعة الى مجابهة التحدي الخارجي الذي يأخذ تجليات شديدة السلبية في الداخل . وما زالت الامبريالية احد أبرز المعوقات التي تصرفنا عن الانصراف الاكمل نحو اختبار قدراتنا على ابداع حياتنا الجديدة وثقافتنا المتحررة والحرة .

ما هي قصتنا ؟

ان التحرر والحرية هما الجوهران الاساسيان اللذان يتمحور حولهما نشاطنا الادبي

في بلادنا الواسعة . هذه هي القصة التي نرويها في كتاباتنا ونشاطنا العملي . وان التحدي الكبير يعيق ولادتنا الجديدة من جهه ، ويصوغها من جهة اخرى . ففي سعينا الى التحرر عبر الصراع نحرر ذواتنا مما تراكم عليها من مظاهر القديم الذي لم يعد صالحا ، ومن « الجديد » الذي يريد التحدي الاجنبي فرضه علينا لبعث الحياة في القديم الذي لا ينفع .

لقد عثرنا على أنفسنا في حالة اغتراب . كيف حدث ذلك ؟ ومتى حدث ؟ ليس مهما هذا السؤال . الاكثر اهمية هو أن نعي هذه الحالة . لان ادراكها يحدد نقطة التقاطع بين اتجاهات واختيارات . كيف نعيد الالفة بين الجذور والاماد ؟ كيف نكون كما نريد أن نكون ؟ كيف نغتصب الحياة من الذين اغتصبونا من الحياة ؟ كيف أكون انا انت وانت انا، وصوتي صوتك ؟

كانت الارض .. كان المكان ، ولا يزال عندنا ، اكثر من علاقة امتلاك ، واكثر من وراثة لا دخل لنا بها . الارض العربية ، التربة العربية ، المكان العربي كاد يتحول — بسبب تحدي فرض الاغتراب بينه وبين انسانه — الى اختيار درامي .. والى اختبار الارادة والجدارة . صرنا نتساءل : هل نحن جديرون بهذا التراب ؟ من هنا تبدأ نطفة الوجه العربي الجديد . والهجرة التي ترونها كثيرة في الادب العربي الحديث ليست وداع الراحلين لارض كفت عن اعطائهم هويتهم وخبزهم ، انها — الهجرة — مسيرة البحث العربي عن الارض التي تختصر من أيديهم واجسادهم . انه السفر الذاتي العنيف الى اعادة صياغتها كما تحددها الارادة الحرة . لم نألف الغزو ولم نسلم بشرعيته — كما حدث لغيرنا — لاننا لا نؤرخ واقعة وقعت . اننا نواصل الصراع في الواقعة التي تتعدد أسماؤها ويتحدد جوهرها .. الاحتلال العثماني دام أربعة قرون . وقد استطاع ان يجرد العربي من مواصلة الانبعاث او اعاقة استمرار دوره في التاريخ . ولكن ارادة شعوبنا التي تعيش في الفة المكان الواسع ساهمت في كسر هذا الظلام ، لتواجه صراعا آخر مع الاستعمار البريطاني والفرنسي والايطالي ، فالصهيوني .

من نحن ؟ اننا لا نكتب في درجة الصفر . اننا مولودون في درجة الغليان . ان الانسان العربي الجديد الذي لم تكتمل ولادته ، ما زال يحاول — بجهد خلاق لا حد له — الوصول الى الولادة في قرون من المخاض الطويل . لقد عاش قرونه الاخيرة في صراع الغزو مع المحتلين الاجانب — بجيوشهم تارة ونفوذهم تارة وثقافتهم تارة — ليخرج من دائرة الاغتراب بينه وبين تاريخه .. بينه وبين مكانه .. بينه وبين العصر .

المكان العربي مليء بالرموز التي تسجل هذا الصراع في منطقتنا التي يسيل عليها لعاب الغزاة في التاريخ البعيد والقريب ، حصون وقلاع وكتابة على الحجر ، توقظ زمن الصراع المتشابه بين الامس والغد:طريق الشام التيأصبحت رمز الهداية غطت أعشابها آثار الرومان : وآثار الغزاة الجدد . ورسائل المقاتل المصري في العريش تسجل اصراره على حذف المحتل القديم ، وتواصل الان تسجيل الاصرار على طرد الغزو الجديد . والانسان المصري الذي كتب الخلود على الصخر يواصل تسجيل الارادة على الرمل والفولاذ . والمسيح المصلوب في فلسطين غير طريقته في نشر المحبة والنور الى العالم: نزجل عن صليبه ليقاوم محاولة تجديد الصلب . وما زالت غابات الزيتون الفلسطينية الشهيرة بمعاني السلام تتطابق مع مضمون الكفاح الفلسطيني من أجل السلام . وما زالت الصخرة التي أطاعت محمد واقفة بين الارض والسلام في القدس لتشرح مضمون الطموح العربي الاصيل .

لم يكرر التاريخ نفسه . ولكن تاريخ الغزو ما زال حاضرا في المكان العربي . من هنا ، اننا نكتب في درجة الغليان . اننا نواصل محاولة الحضور الى الارض ومنها كما

نريدها .. والى الذات كما نحررها . والى العصر كما يعاملنا . ومن هنا ، يتبلور المحتوى الاساسي لادابنا الحديثة . انه أدب محاولة الحضور الذي يأخذ شكل المقاومة، لان الاطراف الثانية من الصراع ارغمتنا على تحديد طريقة اختبار الجدارة بالصراع . واولى حالات هذا الحضور في المكان المحدد .

ان حائط الاغتراب الذي اقامه التحدي والغزو الخارجيان آخذ في الانهيار ، ولكن آثاره او بعض اثاره ما زالت باقية فينا وفي مكاننا .

ان نعلن ونصرخ باننا عرب ليس مباهاة بوراثة ، وليس نفيا للغير . انه شكل من اشكال محاولة نفي ما ينفينا . انه مد لتجديد حضورنا في التاريخ وفي الذات معا . لقد واجهنا هذه الوقيعة بيننا وبين الينبوع .. بيننا وبين أسمائنا . لقد تعرضنا لمحاولات سحق ، أخذ أحد أشكالها هذه التجزئة الباقية للشعب العربي الواحد في الوطن العربي الواحد . ان العالم يسعى نحو الوحدة ، وحدة الامة ، ووحدة الجنس البشري . وهذا العالم الرأسمالي الغربي المدجج بالسلاح والحماقة والتهم يشترط وحدتنا بتفتيت شعوبنا ، للحيلولة دون مساهمتنا في بناء العصر ، كجزء من محاربته للعرب والاسيويين بشكل عام ، ليبقي على سطوته السياسية والاقتصادية والثقافية ، ولتبقى شعوب آسيا خارج منطقة التأثير في العصر ، محصورة في ساحة التأثر الذي ينتقيه الغرب : سوقا لاستهلاك منتجات الحضارة الاستهلاكية وأدب النموذج الغربي .

الخروج من الاغتراب ينفي الخارج والداخل معا . لان آثار الخارج الذي ما زال موجودا تمتد الى الداخل الذي ما زال شبه ممزق . ممزق بآفة الاستلاب وبكثير من مظاهر الركود التي ألفت هذا الاستلاب ، وهي مفاهيم وقيم تم التعاون المباشر او الضمني على سيادتها بين العدو الخارجي وحليفه الداخلي . ان الاعداء ، دائما ، لا يحملون الهدايا لضحاياهم . وثقافة « العالم الاول » المؤسسة — العالم الذي يحارب مداراة الشعوب للشقاء على أدنى مستوى من الرفض ، تحاصر الاديب العربي الثوري باختيارين شاقين ناجمين عن حالة رد الفعل ، لا الفعل . وها : الرفض الكلي للثقافة البرجوازية الغربية . او اللجوء الكلي الى الثقافة القومية الماضية بكل عناصرها . وكلا الاختيارين قادر على ابقاء الاديب العربي في حالة اللاتلاؤم مع طموحه الى اصطياد لحظة الزمن النشط .

ولعل ضيق هذا الاختيار واحد من أهم عذابات الاديب العربي في بحثه عن مكانه ودوره في تضييق المساحة بين التخلف والتقدم . هنا تطرح مشكلة الاصالة والتقليد . والثقافة الغربية تلح على أن يكون بديل رفضها عودة الى النسخ عبر زمن الموات الذي توقفت فيه ثقافتنا عن التجدد . وقد تكون أصلح الوسائل للخروج من هذه المحاصرة هو رفض الاختيار الناتج عن دائرة رد الفعل والدفاع السلبي ، بفعل بناء يهدم ما «تجدده» سلبية رد الفعل من بدائل . ولعل هذا الفعل البناء يقتضي رفض الخضوع لكلية الثقافة والسيطرة البرجوازية ورفض الخضوع التام لحرفية ثقافتنا الماضية التفصيلية ، لان بعض محتوياتها لم يعد قادرا على انقاذنا الايجابي من تحديات العصر ومتطلبات نمونا . هل يعني ذلك ان نرفض كل ما قدمه سوانا من ثقافة قومية لاعمت درجة تطوره؟ كلا ، ان بعض جوانب الثقافة قد تجاوز صدفته القومية ليذوب مسهما في عملية الابداع الانساني الشامل بعدما انفصل عن مبدعه . هكذا تغنى الثقافات والاداب ، بمساهمات شتى الشعوب في آثرائها ، جانب المطلق من قيم الانسان . ومن هنا يكون رفضنا لما يفرض علينا من الخارج او من الماضي — وهو شكل من أشكال الخارج — تجليا من تجليات المساهمة في الادب الانساني .

وان الشرط لهذا المستوى هو أن نحرر ثقافتنا القومية من محاولات طمسها الخارجية

ومن محاولات تحنيطها الداخلية . ومن هنا ، حين نصرح بأننا عرب فاننا لا نعبر عن غرور بقدر ما نبحث عن دور .. بقدر ما نستأذن العالم في الاعلان عن أن غيننا ما يسهم في رفع مستوى انسانية الانسان . وفي الاعلان عن أن لدينا تجربة ذات خصوصية قومية نريد أن نضيفها للتجارب الانسانية ليزداد التنوع وتقل الفضيحة والسيطرة .

أننا لا نبشر الا بحقنا في أن نشارك بالحرية . كلما اتسعت الحرية كلما اتسع العدل، وانطلقت التجارب للمشاركة في تغيير المصير الراهن للانسان . وان جرائم الامبريالية لا تعد فقط بالنهب الاقتصادي وتشويه جسد الحرية . انها تحصى ايضا بالحيلولة دون مساهمة الطاقات الروحية لمائة مليون انسان، كانوا ورثة حضارة من اغنى الحضارات ونقلة حضارات غنية، ودون تقديم خدماتهم الابداعية في اثراء الروح الانسانية .

دعونا نتكلم ! ماذا يحدث لو مارسنا حق الكلام ؟ سنوسع مساحة وطن الانسان . أليس هذا ما يفعله الادب في اخر الامر . هكذا نقيم العلاقة الانسانية .

اننا نشق طريقنا الى هذا الدور بجهد وعذاب ، عبر الحروب المفروضة علينا ، وعبر المجاعات ، وعبر الامية ، وعبر افتتاحيات الصحف الغربية التي تعاملنا نفطا لا بشرا ، وغيرها من الاسلحة الرامية للحيلولة دون بلوغ الشعوب حالة الانسانية الحقيقية . وان أدبنا الحديث هو نتاج هذا المخاض الطويل . ومفرداته تحمل هذه الاصوات . ان نحضر .. ان نحضر . هذا هو السؤال . وحين يعلن هويته القومية يسجل انتماءه الانساني بلغة تفجر اغترابها وتتجدد . اننا نأتي الى العالم من سجن العالم الرسمي . دعوتنا لنا ولكم هي التغيير . كان شاعرنا القديم يشكو سوء الطالع . ونحن انتقلنا من البكائيات القديمة التي أعجبت مؤرخي الادب الغربيين ، الى التفجير والتغيير .

نبحث عن حلم ؟ كلا !

نبحث عن بطل ؟ كلا !

اننا نبحث عن فاعلية . نبحث عن تجسيد . لم تكتمل ملامح وجه الادب العربي الحديث بعد ، لانه ما زال يتكون وسط المعركة . وما زال يخوض معارك تحدي الاخر واختبار الذات ، بما يرافقه من بلورة لسان جديد ، وموقف جديد ، ووجود جديد . لانه — باختصار — ما زال في مرحلة الانتقال من التبعية للماضي الذي انقطع ومن قيم ومفاهيم السيطرة الخارجية والداخلية الى التحرر الوطني والقومي . لقد تطورت اشكال النموذج : من الجاهز في التعاليم العامة ، الى الحالم ، الى الواقعي الميكانيكي ، الى الواقعي الناقد ، الى المقاوم والثوري ، الى ذوبان النموذج الفردي ومحاولة الاستغناء عنه وفقا لدرجة حركة الفاعلية . لم يعد الحلم فرديا ، لان نمو الصراع والمستويات وامتداد معارك التحدي وبلورة فكرة الانبعاث العربي جعلت الحلم جماعيا .. حلم امة . وصار السعي لتطبيق الحلم الذي لا يسمى ، والذي حاولت السياسة ان تسميه بشعارات : « حرية ، وحدة ، واشتراكية » ، استقطابا لروح تشردت قرونا . وكان البحث عن حدودها لايجاد مرتكزات هو مصدر التنوع الشاق في الاجتهادات العربية لتحديد وجهة السير نحو امتلاك المصير ، وهو أيضا مصدر التنوع المتناقض — أحيانا — في اجتهادات الادباء لتحديد المحتوى الجديد للثقافة العربية القومية ، او تحديد المضمون الثوري الجديد للدعوة العربية ، ومكانتها في حركة شعوب آسيا وافريقيا ، وحركات التحرر في هذا العصر .

لا يسأل العربي نفسه : أكون ، أم لا أكون . لانه عميق الاحساس بالطمأنينة التي خلقها المكان الواسع ، والتاريخ القديم ، والكنوز المادية والروحية الكبيرة . انه يسأل نفسه : كيف أكون ؟ ولعل هذا السؤال هو واحد ، الفاعليات التي يتمحور حولها

نشاطه . وكيف اكون — سؤالا يتضمن اجابة فورية في بنية السؤال ذاته ، لانه يعني ادراك الحاجة الى التغيير ، والى الحداثة . التغيير هو الممارسة الذهنية والعملية التي يعيشها العربي اختبارا وتجربة واجتهادا . في الادب ، والادب الثوري اعني ، تحدث للواقع فضيحة ، يكتشف بأنه نقيضه وهو متألفان . لقد حدث شيء ما بدل الواقع في الاحتمال . تلك هي ميزة الادب او دوره او مكانته في عملية التغيير .

في البداية ، لا اكتب شعرا لاغير الواقع . ولكن الواقع ارغمني على الكتابة . استعبدني من شدة ما اذلني ، من كثرة ما كان واقعا وقعت فيه . ولكن هذه العبودية منحتني الحرية ، فحين كتبت وجدته يختلف عن نقيضه ، ولكن نقيضه ليس الا هو متحولا . اي : انه هو يمكن أن يكون هو بشكل أفضل ، حين اتدخل انا فيه . حين احضر انا بين هو وهو . وهذه هي وقفتي الحرة . هذه هي علاقتي بمعادلة الواقع التي استخرج منها حريتي من جهة ، وقابلية الواقع للتحرر والتغيير من جهة اخرى .

متى حدث ذلك ، وكيف ؟ حين لم اكن شاهدا على الواقع ولا شهيده . فهل انا بينهما؟ كلا . لان هذه الحالة شكل مخادع من أشكال المراقبة .

واجب الاديب هو وهمه . خاصة عندما يكون وهمه هو واجبه ، ولكن لهذا التناقض مغزى ودلالة خاصة حين يكون الاديب نتاج شعوب في مثل مستوى تطور او تخلف شعوبنا .

ليست له مثل قضيتنا ذلك الشاعر الذي قال : اريد أن أغير العالم . كان سلاحه الى ذلك الذهنية او متعة التفرد في الهرب من دخان المصانع الى الازهار البرية بعدما القت الكلاسيكية بعتادها ، وهرب الواقع من معلباتها . كان طموح الشاعر «شاعريا» خالصا اذا جاء التعبير ، ولكن الشاعر الثوري الجديد في آسيا وافريقيا ليس «شاعريا» بالمفهوم الرومانسي للكلمة .

ولكن ، ما اشد واقعية الشاعر الاسيوي — الافريقي ، في هذه المرحلة من مستوى تطور القارتين ، في تفاوته ، حين يندمج في هذا الوهم . ان هذا الوهم واجبه والتزامه الذي لا ينتقيه كما تنتقي اللوحة او الاسطوانة . وهذا ما يفعله به الواقع .

ليس بوسع الادب أن يغير الواقع الا فرديا . اي ليس بوسعه ان يغيره للجميع . ولكن هذه الفتحة من التحول او الخرق الذي يقود الى التحول تصبح ممرا جماعيا حين يندمج الشاعر — أو لنقل حلمه — في حركة القوى القادرة على التغيير ، او حين يدمجها في عناصر الثورة . تحتاج المسألة الى فاعلية كل الاطراف . ولكن الاديب لا ينتظر هذه الفاعلية ، والا اندمج في الجمود .

هكذا ، اذن ، نعدد المراحل : ليس بوسع الادب أن يغير العالم . ولكن يجب أن نضيف كلمة « وحده » ، انه يغير « مع » سواه ، حين يجسد وهمه حلما شعبيا . انه في مرحلة الفاعلية السلبية يبشر بالتغيير . وفي مرحلة الفاعلية الايجابية يندمج نتاجه في قوى التغيير .

والادب العربي الحديث يمارس هذا الحلم — اذا جاز التعبير — ويسميه الثورة . وبين الحلم واسم الحلم تعلو انفاق كثيرة ، وحروب كثيرة ، وخيبات أمل كثيرة ، ويكون الموت الذي لا يميت . الموت — الاسطورة ، الموت الدال . هذا الموت الخاص يكاد ان ينحول — بعد المكان — الى البطل الابرز في الادب العربي . او بوسعي ان ادعي بأنه النموذج الحي في أدبنا . هل هي مفارقة أن يكون الموت بطل الحياة او نموذجها في الحاضر العربي ؟ كلا ! لانه يحمل جوهر التحول ، المتمثل في الفداء ورفض الواقع المفروض والمخاطرة من أجل تجسيد الحلم . ان الشهيد وتمجيده في حياتنا الحاضرة ليس

ارثا دينيا فحسب . انه تواصل تاريخي وكفاح مستقبلي . كان النبي محمد يعد الشهداء بالجنة اذا سقطوا في معركة الدعوة . وكان المسيح نفسه شهيدا . والعربي وهو يقاتل غزاة العصر من الاتراك حتى الصهيونيين ، لا يذهب الى الموت لتسديد ضريبة او طاعة لوعد . ان هذا الذهاب هو الاختيار الحر الوحيد — الذي بقي له — لتحقيق الانسجام الكلي بالارض ، واعلان جدارته بها . وأول شروط هذه الجدارة هي الكرامة .

وقد توفرت معالم التطابق بين الموت والحياة على ارض فلسطين بشكل ناصع . انه ليس موت الفناء والنهاية . انه تجلي الانبعاث . الشعر خاصة يلتحم برمز الصليب الذي يتحول الى قطعة سلاح ، الصليب الفعال . قطعة العذاب البشري الطويل التي انتقلت من مشاهدة المذبحة الى مقاومتها . وهكذا كان الموت الفلسطيني العربي سياقا للبحث عن الحياة ، او افتتاحية لبداية الانسان الجديد ، لان هذا الموت ليس حلا لمشكلة الحياة الشاقة ، لا هو موت ذهني ولا هو تآكل الاعضاء من الخمول والسأم . انه طريقة في السفر للبحث عن الجانب الحي في الحياة . او هو فداء لتخليص الانسان من الموت في الحياة الى الحياة في الموت .

وهذا ما أصاب الفلسطينيين . .

وقبل أن أواصل سرد قصتي ، دعوني أرسم جغرافية هذا البلد — الامرأة ، التي تحولت بعذاب لا حدود له الى الحلم الممتاز لابطال وشخصيات وهموم الادب العربي الحديث . واحتلت — بعدما احتلوها — وسط اللوحة الدامية في أدبنا . وصارت عشيقة العشاق المعذبين ، وأم الضحايا ، وقلب المكان ، وحاملة الموت والانبعاث ، وأخت المقاتلين والمدافعين ، وجارة السماء . لن نفهم الادب العربي الحديث — ادب مرحلة الانتقال ، ادب الرؤيا الحديثة ، الا اذا تعرفنا على هذه الجميلة الاسيرة : فلسطين . احفظوا هذه الاماكن في الفقرة التالية لتتعرف على واحدة من أجمل خرائط العالم : « ان الرقصة الجنسية التي يمارسها البحر الابيض المتوسط مع خاصرة جبل الكرمل ، في الوسط ، تنتهي بولادة بحيرة طبريا ، في الشمال . وهناك بحر سموه البحر الميت لانه ينبغي ان يموت شيء في هذه الجنة لكي لا تصبح الحياة مملة . ومن شدة ما ازدحم الجليل الاعلى بالغابات ، كان لا بد ان تبرهن القدس على ان الصخور قادرة على امتلاك حيوية اللغة ، هذا هو وطني » .

هذا هو شكلها الجغرافي . ولكنها ليست لنا لانها مجرد بلاد جميلة الى حد القتل . انها لنا لانها ، ببساطة ، لنا . لان سفر تكويننا بدأ فيها ، ولاننا ولدنا فيها . قبل ربع قرن من الزمان تمكنت الصهيونية ، بالتواطؤ مع الانتداب البريطاني ، وبخيانة الرجعية العربية ، من اقتلاع شعب فلسطين من وطنه التاريخي والواقعي وشردوه خارج هذا المكان . . خارج الانسانية . وما زال يعيش في الشتات وفي المخيمات . وما زالت أسلحة الموت الصهيونية والامبريالية تلاحقه في منفى البؤس للقضاء عليه ولابادته ، لصيانة أمن الاحتلال الاسرائيلي من مطالبة الحق ، ولكي تشرع الصهيونية جريمتها الكبرى بمرور الوقت وبسيطرة الامر الواقع .

لم يحدث لشعب من شعوب آسيا وافريقيا مثل هذا البؤس ، مثل هذا المصير . ان شعب فلسطين يتعرض لعملية ومحاولة الغاء من الوجود ، ومن دفتر القانون الدولي ، ومن الضمير العالمي . كيف يحدث هذا في النصف الثاني من القرن العشرين ! في الوقت الذي يحقق فيه الانسان الحق في الوصول الى القمر ، لا يعطى الحق للقدم الفلسطينية أن تطأ أرضها في مسافة اقرب من بعد القلب عن العينين ؟ في حين تستصرخ الصهيونية الاسرائيلية كل يهود العالم في الهجرة الى فلسطين لتمارس مزيدا من صناعة الالغاء الفلسطيني ! ومن محطة الانطلاق على البلدان العربية لتوفير مزيد من التوسع الصهيوني

على حساب شعوب المنطقة ، للحيلولة دون نهوض هذه الشعوب والسير في مسيرة الانسانية . لقد وضعت الامبريالية الامريكية كل منتجات عبقرية الشر سلاحا في أيدي الاحتلال الصهيوني لقمع شعوب المنطقة ولمنعها من السيطرة على مصيرها وثرواتها ، فكانت اسرائيل ، بكل هذه المعاني ، هي الوجود الاستعماري الجديد الذي يقوم بخدمة حراسة المصالح الامبريالية ، وتقوم الامبريالية بدورها بمكافأتـــه بتقديم مخالبها له ، وبتغطية احتلاله وتوسعه .

لقد انتظر الشعب الفلسطيني المشرد ، صحوة الضمير العالمي ليعيد اليـــه حقوقه القومية العادلة . انتظر في المخيمات وعلى أبواب وكالة الغوث وأمام لجـــان حقوق الانسان ، وبكى طويلا أمام الملفات الكبيرة التي تحمل وعودا باسترجاع حقوقه . وكان الوقت يمضي فتزداد الآلة العسكرية الاسرائيلية جبروتا ، ويزداد المصـــير الفلسطيني بؤسا ، ويتكاثر عدد اللاجئين ، وتنفتح ابواب فلسطين أمام الهجرة الصهيونية التي لا تنتهي .

ليست هنالك قضية اكثر عدالة من عدالة لجوء الفلسطينيين الى سلاح اكثر فعالية من فعالية الشكوى والانتظار السلبي لاسترجاع حقوقهم ووطنهم . هذه هي المعادلة في هذا الزمان : من يملك حقا ولا يملك قوة لحماية الحق يبقى حقه مجانيا وضائعا . ومن يملك قوة دون حق يستلب حقا من الآخرين . ومنـــذ عشر سنين ، منذ اعلان الثورة الفلسطينية على البؤس الذي لا مثيل له في العالم الثالث ، وعلى الخطيئة الصهيونية التي لا مثيل لها في العصر ، والفلسطينيون يحمون الطريق الى وطنهم وحقوقهم بالقوة . وصار هذا الفلسطيني المقهور الخارج من الخيمة الـــى خندق العدالة ، هو النموذج العربي الجديد لاعادة ترتيب عناصر المصير العربي وفقا لارادة الشعوب العربية . ومن هنا ، كانت الحالة الفلسطينية العربية الثائرة واحدة من انبل حالات الدفاع العادل في التاريخ البشري . وان مدى المشاركة الانسانية في تجذير الوعي العالمي بجوهر القضية الفلسطينية قد تحول الى احد المقاييس الاخلاقية العامة لاهلية الانتماء الى قيم الانسان . وان هذه المشاركة التي هي ، في الوقت ذاته ، اسهام الضمير في مقاومة الخطيئة ، تعتبر امتحانا قاسيا لمصداقية ما توصل اليه الجهد البشري من اقرار قيم التعامل المتساوي بين الشعوب .

هذه الارض الفلسطينية العريقة التي كانت رحم أنبل الدعوات الى الحرية والعدل والسلام ، تستحق من الانسانية التي حظيت بعطاياها العظيمة ان تسدد بعضا من أثمن الديون . وان الكفاح المقدس فعلا من اجل ان يكون مصير هذه الارض بعض الامتداد لعطائها التاريخي الكبير هو مهمة انسانية شاملة ، لننظر الى صلب الصراع . انه ليس صراعا بين حدود حقين كما يزعم بعض مثقفي الغرب الليبراليين ، لان الحق لا يصارع حقا . فاذا كان احد الطرفين حقا فلا بد من أن يكون الطرف الثاني باطلا . وهو ليس صراعا بين أديان وطوائف . انه صراع بين محاولة لاعادة التاريخ الى سن الظلمات والقفز على الفي سنة من التطور التاريخي من جهة ، وصراع بين امتداد هذا التطور واحترام قوانين التاريخ والانسان . ان الصهيونية التي تمثل الطرف الاول من الصراع تحاول تجريد التكوين الانساني الشامل من مقوماته الفلسطينيـــة ، وتسعى الى طرد الفلسطيني من الاقامة في صلب المنجزات الروحية والانسانية التي أبدعها الانسان عبر التاريخ ، بعدما اقتلعته من الارض وكسرت تجمعه وكيانه .

عم يدافع الصهيوني ؟ عن سيادة التعصب الديني والاستعمـــار في أبشع صوره . يدافع عن « حقه » في التنفس من رئات شعب آخر . يدافع عن أنانيته الضيقة في ان يكون وحده ، ويشترط حضوره بغياب الآخرين . ويدافع عن سابقة البناء العدواني على

أشلاء شعب فلسطين صاحب الحق والارض والتاريخ معا . أما الفلسطيني الذي عرض على اليهودي العيش معا في مجتمع ديمقراطي ، فانه يدافع عن قيم الحق والعدالة . ويقاتل من أجل أن يقضي على القضاء عليه . انه لا يحارب شعبـا ، ولكنه يحارب خطيئة . انه لا يسعى للاحتلال ، ولكنه يموت من اجل ان يحرر وطنه ويحرر اعضاءه من وظيفة مفروضة عليه . انه يحارب الحرب التي جعلتها الصهيونية قانون التعامل الوحيد في منطقة الشرق العربي .

هذا هو الجوهر المصفى من الصراع الدائر منذ اكثر من ربـع قرن بين الصهيونية المتحالفة مع الامبريالية وبين حركة التحرر العربية شقيقة حركات التحرر في العالـم الثالث . ان جوهر المعركة التي نخوضها هو : هل يحق للانسان ان يكون في هذا العصر ، أم لا يكون ؟ وهل يحق للنهب والخطيئة والجريمة ان تكافأ ام تعاقب . والكتابة العربية المعاصرة تأتي من هذا السؤال ومن هذه السخونة . وتقف فلسطين في صميم هـذه الدائرة حتى تحولت الى الرمز الاكبر والى الدلالة الاهم . وصار الانجراف في تيارها الشكل الاقوى لتجسد حلم الانسان العربي في اسم ـ في نموذج ـ في بطل .. في مكان ، حتى كادت فلسطين ان تختصر هذه المعاني جميعا .

أما زال بوسع الارادة الانسانية ان تتحرر وتنتصر علـى انتعاش الروح في التنين الامبريالي ؟ أما زال القلب الانساني العالمي قادرا على تبني قضايا الانسان ؟ أما زال بوسع شمولية الضمير البشري ان يتسع لهذا الانتهاك الوحشي الممارس على ارض فلسطين ؟ هذه الاسئلة تأخذ الظاهرة الفلسطينية الى مساحتها الشمولية الواسعة ، فلا تكون حادثا ما يجري في منطقة ما في مرحلة ما من هذا العصر وهذه الكرة الارضية . تصبح قضية الانسان الذي يعنيه ان تمتحن فيه هذه الصفة .

ان فلسطين الارض ـ الشعب ـ المعنى ـ الرمز ـ الدلالة ـ الصراع هي الحلم العربي الشامل . وقد تتساءلون : هل هي يوتوبيا العرب ؟ هي هي فردوسهم المفقود الذي أثرى أدبهم وشعرهم ؟

اننا نستمرىء هذه المشابهة ونخشاها ، نستمرئها لانها بلورة مطامح أمة في اسم موحد ، لانها اقرار بالاسم الواحد للحلم الجماعي ، لانها مبايعة الضياع للرمز العظيم .

ونخشاها لان مصطلح الفردوس المفقود يتضمن تسليما بحالة وجودية بلغت حـد النهاية . ان علاقة الشعوب بفردوسها المفقود هي علاقة ارتباط بالماضي الذي يحده القدر : حنين مجاني وبكاء للذكرى والعزاء ، وفرح بقدرة ماضية على انجاز جميل مضى . اما الفردوس الفلسطيني المفقود ، فانه علاقة بالماضي والحاضر والمستقبل . وما زالت ساحة الحاضر ملتهبة بالصراع الذي يقرر مدى دينامية العلاقة بين الماضي والمستقبل . لقد اندلعت اربع حروب على ساحة هذا الحاضر ، ونمـا الشعب الفلسطيني ونمى الصراع من أجل ان يكون هذا الحاضر عتبة للمستقبل لا سقفا للماضي . ومن هنا ، فان فردوس العرب مفقود مؤقتا . انه محتل وقابل للاستعادة وممكن الاستعادة . ومن هنا ايضا ، تأتي حيوية الادب العربي وفاعليته في احتواء فلسطين له . لانه يحلم بجنة ممكنة ، ولا يحلم بيوتوبيا .

بدون هذا الحلم الذي يستقطب أمة ، لن يكون بوسعنا ان نفهم واقعية الادب العربي الحديث . وبدون هذا الحلم لن يكون بوسعنا ان نفهم خلاص الادب العربي الحديث من الحوار حول نظريات الادب .. هل يكون الادب للادب ام يكون ملتزما ؟ وغيرها من الاسئلة المفتعلة التي تقذفها الينا ترف الثقافة الغربية الرسمية ، انا احلم اذن انا ملتزم . وما دامت الكتابة هي احد تجليات الحلم ، فان المسألة تأخذ شكلها التالي : انا اكتب ـ اذن انا ملتزم .

هل نسأل بعد الان : ما هو دور الاديب في العالم العربي ؟ ما هي مهمة الاديب في العالم الثالث ؟

أظن ان حالة الغليان التي نعيشها والحالة التاريخية التي أنتجنا ، وتتخذ شكلا آخر افضل حين ننتجها كلاما ، ونؤسسها كتابة تحول التساؤل الى اجابة . اننا نفضح . ندين . نقاوم ، ونقيم علاقة انسانية .

ان بلادنا تقدم أدبها ، وأدبها يقدمها اليكم ، وهكذا نعقد لقاء انسانيا . بالسمات الوطنية الخاصة لاداب شعوبنا ، نقدم مساهماتنا المتفاوتة في الجوهر الانساني الواحد. أن شعوب آسيا وافريقيا الناهضة والتي في طريقها الى النهوض تشكل ، عبر صراع التحرر والحرية ، آدابها ذات المذاق الحار . ولعل هذه الاداب تقدم للعصر المنهك بالفوارق الشاسعة من مستويات التطور وعدا جميلا بفاعلية جديدة للعلاقات بين الادب والواقع ، بعدما اصاب هذه العلاقة شيء من الركود بسبب سيطرة قيم آداب الاستهلاك والسأم وتعكير العلاقة بين الانسان والاشياء ، وكان شكلا من اشكال الاحتلال الادبي المرافق لسيطرة النفوذ الامبريالي .

ولعل حميمية آداب شعوبنا القادمة الى الحياة من كهوف الاغتراب والقهر والبؤس تحمل حداثة الفرح البشري الجديد في لقائه بالحرية ، وتقدم اضافة غنية الى الادب الانساني الشامل ، وبديلا حيويا لاداب نزع الصفة الانسانية عن سلوك الانسان في نماذج تقديس العنف وقياس الجدارة بمعايير القوة والعنف .

اننا لا ننفي من أجل النفي ، ولكننا نواصل البناء على اسس التقاليد الانسانية الحية للادب ، والقيم الانسانية المطلقة . اننا لا نؤسس على الفراغ او التقليد ، ولكننا ننمو على الجذور ، جذورنا في امتدادها بالتاريخ . ولا نغلق ابوابنا امام الرياح ، ولكننا لا نترك الريح تقتلع جذورنا . لقد ظلم هذا الشرق كثيرا ، وما زال معرضا للظلم . لقد ظلم الى درجة التشكيك بقدرته على المساهمة في الثقافة العالمية . وصارت الثقافة الرأسمالية النموذج السائد . ولكننا ماضون في استرداد الثقة بالنفس ، وفي تطوير آدابنا الوطنية لتأخذ المكان الذي تستحق من منجزات الابداع الانساني الشامل .

ها نحن نحقق الحضور في ذواتنا ، بالالتحام في نضال شعوبنا . وفي هذا الحضور الوطني نؤسس الخطوات الاولى في الحضور العالمي . لقد عاد العرب الى العالم بعد عملية نفي طويلة مارستها الاشكال والمراحل المختلفة من الاستعمار . وما زالت شعوبنا تكدح لتحرير نفسها وأوطانها من الداخل والخارج ، لتخلق الفرصة الاكمل لتعمير ثقافتها وتطورها الاجتماعي . اننا في بداية الحضور ، وبقدر ما تتعمق الرؤيا الثورية والممارسة الثورية فينا بقدر ما نقترب من الحضور والوصول .

ويبدو ان القضية واحدة . ان مساهمة كل شعب في الثقافة العالمية تأتي من تجربة ثقافته القومية التي يمتد منها الجوهر . ومن هنا ، فان ما يعيق تطور ثقافة شعب ما نتيجة عقبات التطور الاجتماعي لهذا الشعب هو ذاته الذي يعيق اثراء الثقافة العالمية ووحدتها . ويبدو ان الطريق ما زال طويلا لبلوغ هذه الوحدة ، لان الثورة لم تحقق حلمها ، بعد ، في ان تكون عالمية . والقوى الجديدة ، قوى الثورة الكفيلة بانتاج ثقافة كونية ، لم تبلغ في البلدان كلها السيطرة على امكانياتها العظيمة . ومن هنا ، ما زالت الفروق باهظة . ومن هنا ايضا ، يبقى دور الاديب كبيرا في عالمنا ، لانه يقرب مناطق العالم في الحلم الانساني المتعدد الاشكال ، والمتوحد في الجوهر .

ما زال الطريق طويلا . وما زال دورنا كبيرا . وما زالت شعوب آسيا وافريقيا تقدم نضرة الموعد بالانعتاش ، وهي على طريق الحضور .

يوم في بيت المقدس

أحمد الشقيري

فيما يلي فصل من مذكرات الاستاذ احمد الشقيري التي ستصدر قريبا في بيروت بعنوان « ما أشبه الليلة بالبارحة » .

عرفت بيت المقدس في طفولتي وصباي ، من بعيد ، فلم يشرفني الله ان تكون مسقط رأسي ، وحرمت ان أحبو على ترابها الطهور ، وان ارتع في حاراتها وساحاتها ، وان اتفيأ ظلال أسوارها وابراجها . وما أسعد الذين ولدوا في اكنانها ، فقد قدر لهم ان يترعرعوا في مهد التاريخ وان يكونوا من سدنة معالمها الخالدة .

ولقد عرفت بيت المقدس ،وانا في عكا ، وكانت يومذاك تبعد عني مسيرة ثلاثة ايام على ظهور الجياد ، ولكنها مع ذلك كانت أقرب الي من حبل الوريد ، أقرب من اذني الى سمعي ، فقد كان اسمها يتردد من حولي في البيت ، وفي الجامع ، وفي المدرسة ، وفي كل مكان .

في البيت كانت حلقة العلماء في بيتنا لا تفتر عن ذكر بيت المقدس عند كل مناسبة دينية ، وكان الحديث عن « بركاتها وفضل الصلاة في المسجد الاقصى » يطغي على كل حديث .

وفي المسجد كانت خطب الجمعة ، لمناسبة الاسراء والمعراج ، تشير الى فضائل بيت المقدس ، وينهي الخطيب كلامه وهو يرتل بصوت خاشع الاحاديث النبوية عن بيت المقدس ومنها : «من زار بيت المقدس محتسبا اعطاه الله اجر الف شهيد» . «ومن زار بيت المقدس محتسبا حرم الله لحمه وجسده على النار » . « ومن صلى في بيت المقدس غفرت ذنوبه كلها » .

وفي المدرسة كان استاذنا يتحدث بافاضة عن بيت المقدس ، وعن اسوارها وابراجها وابوابها ، وعن تاريخها ابتداء بالفتح العمري ، الى عهد الامويين والعباسيين ، وحروب الافرنج مع صلاح الدين ، الى عهد العثمانيين فالاحتلال البريطاني .

ولكننا في المدرسة لم نكن نعرف بيت المقدس بهذا الاسم ، فلقد شاع هذا الاسم فيما بعد ، فقد كان الاسم الرائج « القدس الشريف » ، ولذلك حكاية جرت بيننا وبين معلم الجغرافيا .

في ذلك الوقت ، وهو على التحديد في عام ١٩١٩ ، كان معلمنا يدرسنا الجغرافيا من غير كتاب ولا خريطة ، فلم تكن الكتب المدرسية قد طبعت ، ولم تكن الخرائط قد ظهرت، فالاحتلال البريطاني بعد العهد العثماني لم يكن قد اعد شيئا من برامج التعليم .

وكان معلمنا يدرسنا من « عقله » ، ويتحدث عن جغرافية فلسطين وسهولها وجبالها ومدنها مستعينا من حين الى حين برسم خارطة على اللوح ، يبين فيها مناطق فلسطين الطبيعية . ويتعمد ان يرسم عكا وحيفا والخليج بينهما باتقان وروية .

وقد كان معلمنا يذكر لنا كل شيء عن فلسطين الا امرا هاما كان يلفت انتباهنا ويثير حيرتنا . انه لم يكن يذكر لنا عاصمة فلسطين . وهل من المعقول ان تكون بلادنا من غير عاصمة وللبلاد الاخرى عواصم ، اصبحنا نحفظها عن ظهر قلب . وغدونا نحن التلاميذ في حيرة من أمرنا وجمعنا شجاعتنا مرة ، وقلنا لمعلم الجغرافيا : خوجة افندي : وما هي عاصمة فلسطين ؟

وكلمة « خوجة افندي » تعبير تركي معناه « يا حضرة المعلم » ، وقد بقي هذا التعبير على السنتنا ، ننادي به معلمنا بعد زوال العهد العثماني بعام او عامين .

فأجاب المعلم : في السابق كنا تابعين لبيروت . أما اليوم فان عاصمتنا هي « القدس الشريف » ، ثم سألناه أين هذه « القدس الشريف » فرسم لنا خريطة لفلسطين ، ووضع نقطة كبيرة في وسط فلسطين كتب عليها « عاصمة فلسطين » وحدد على الشاطىء المدن الساحلية : عكا ــ حيفا ــ يافا ــ غزة .

وهكذا عرفنا أن عاصمتنا لم تعد شمالا في بيروت ، وانما اصبحت جنوبا في القدس الشريف .

والقدس الشريف مثل الشام الشريف ، تعابير تركية اطلقها الرعيل الاول من العثمانيين المتدينين ، فضموا الى القدس والشام كلمة شريف تكريما وتشريفا .

وذات يوم ، في عطلة الجمعة ، تأكد لنا أن ما يقوله معلم الجغرافيا صحيح ، فقد ذهبنا الى محطة السكة الحديد للنزهة . فلم يكن عندنا شيء من وسائل التسلية سوى الخروج الى المحطة للتفرج على القطار وعرباته ، والمسافرين وهم يركبون وينزلون ، ونحن في عجب كبير ، كيف يسير القطار بالبخار . فذلك علم لم نتعلمه الا بعد ذلك بسنين .

وكنا نطوف حول العربات ذهابا وايابا ، من خلف وقدام ، لنتفرس بالعجلات والقضبان والابواب والنوافذ ، ثم نقرأ ما هو مكتوب على هذه العربة او تلك .

وكان بين هذه العربات ، وهي من مخلفات الدولة العثمانية ، عربات مكتوب عليها : سكة حديد الحجاز ــ « قدس شريف » ــ « شام شريف » الى غير ذلك من العبارات . ويومها تأكد لنا معلمنا بارع في علم الجغرافيا ، ومن أصدق من القطار علما ؟!

ومضينا مع معلمنا في علم الجغرافيا وهو يملي علينا دروسه ونحن نكتب . عن فلسطين ، وعن مساحتها وعدد سكانها ومدنها ، وجبالها ، وكان يركز على « قدس شريف » فيشيد بقيمتها الدينية ، وحصانة أسوارها ومناعة أبراجها ، ويسرد أسماء ابوابها ، ثم يصف لنا بالتفصيل المسجد الاقصى وقبة الصخرة الشريفة .

وكان معلمنا متدينا ، يذكر « قدس شريف » بكل خشوع واجلال ، على حين كان يذكر أسماء المدن الاخرى في سرد عادي ، لا تشوبه مسحة من التقدير .

ومن يومها ، وعلى يد معلم الجغرافيا ، انغرس حب « قدس شريف » في فؤادي . واصبحت انوق لرؤيتها وان اقضي اياما في ربوعها .

ولكن معلم القرآن الكريم قد ذهب بعيدا الى أعمق من ذلك ، فقد غرز حب المدينة في جوارحي ، وانتقل الحب من الجغرافيا الى التاريخ الى الدين .

ومضى معنا معلم الدين ، يسرد علينا من خزائن ذاكرته سيرة « قدس شريف » ومقامها في الاسلام ، مستعرضا تاريخها القديم منذ ملكي صادق ، اليبوسي الكنعاني العربي ، اول من اختط مدينة القدس ليتعبد فيها هو وعشيرته واطلق عليها اسم قرية السلام .

وكان معلمنا شيخا مهيبا يروي لنا تلك الحكايات بالتجلة والاحترام ، ولا يفتر عن عبارات الحمد والتسبيح كلما جاء على ذكر المدينة ، واحداثها ، ومقابرها ، واكابر الصحابة الذين دفنوا بها ، والملوك والامراء الذين بنوا فيها المدارس والرباطات والمستشفيات والاوقاف الخيرية .

وازددت حبا بالقدس الشريف ، فلم تعد عندي عاصمة لفلسطين فحسب ، ولكنها اصبحت دينا وحضارة ، وتجسيدا حيا لتاريخ العروبة والاسلام . ولكن حبي اصبح هياما وغراما في أيام الاسراء والمعراج ، وفي المسجد الجامع المعروف بجامع الجزار ، أحد ولاتها الطغاة .

وكان مفتي عكا وقاضيها ، الشيخ عبدالله الجزار ، ولا صلة له بالحاكم الجزار ، عالما جليلا مهابا ، ربى جيلا من العلماء في عكا ، واشتهر بالتقوى والورع ، وكان الناس يتهافتون على يده يقبلونها منى وثلاث ، وهو يسير من المسجد الى داره ، والناس من حوله في موكب فخيم .

وقبل صلاة الجمعة ، كان الشيخ الجزار يجلس على مصطبة دكان كبير ، يملكه احد وجهاء النصارى اسمه « الخواجه » عيسى العيسى ، فيقبل عليه الفلاحون القادمون من قراهم للصلاة والتجارة ، ويتزاحمون عليه يلثمون يده ، وينقضي الوقت وصاحب الدكان لا يبيع من بضاعته شيئا ، وهو يتهلل بشرا ان بركة المفتي قد حلت على دكانه في ذلك اليوم السعيد . بركة فقط ، من غير ربح ولا تجارة !!

وفي يوم الاسراء والمعراج كان الشيخ الجزار يتولى تلاوة « القصة » بصوته العذب الخشوع . ولم يكن يسمح لغيره من العلماء ان يتلوها نيابة عنه ، فقد اصبح ذلك الواجب جزءا من حياته ، يمنحه سرورا دافقا وسعادة عظمى ، ويبدو كأنه في مطلع الشباب .

وكنا في ذلك اليوم نسارع الى المسجد ونزاحم في الصفوف ، حتى نجد مكانا قريبا من الشيخ الجزار لننعم بصوته الشجي ووجهه البهي . وكان يحمل على كتفيه وجها ناصعا مشربا بالحمرة ، يجلله شيب نقي ، وفوق ذلك كله عمامة بيضاء كأنها هالة من نور . وهكذا كان يبدو لنا . وما ضر أن يكون الخيال احسن من الحقيقة ، ما دام يبعث في نفوسنا الرضا والسرور .

وتشرئب الاعناق ، ويسود المسجد هدوء وخشوع ، ويبدأ الشيخ الجزار تلاوة قصة المعراج ، من كتاب امامه . انه يقينا يحفظها عن ظهر قلب ، ولكنه يصر ان يتلوها من الكتاب بين يديه . فان الكتاب طاهر ، والصفحات مقدسة . ويجب أن يتلو من الكتاب ، ويقلب الصفحات بين يديه ، فذلك اكثر بركة . وتلك حلاوة الايمان لاولئك الذين نشأوا على الايمان .

ويمضي الشيخ الجزار في التلاوة ، بعبارات عذبة ، من سجع الى سجع ، فهذا البراق الشريف الذي يمتطيه الرسول (ص) فينقله من مكة الى بيت المقدس ، حيث يربطه ، ومن ثم يعرج الى السموات العلى ، الى سدرة المنتهى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، الى الحضرة الالهية .. الى اخر القصة التي تعود بالرسول (ص) من السماء الى الارض في بيت المقدس ثم الى مكة ، واهلها نيام ، ويحكيها لهم ، ويقولون له اضغاث احلام .

والقصة ، بالصيغة التي كان يتلوها الشيخ الجزار في ذلك العهد ، مليئة بالصور الرائعة عن الطيور العسجدية ذات المناقير الزبرجدية السابحة في الافلاك العلية .. او الحوار الرائع الذي دار بين الرسول (ص) والانبياء الذين التقى بهم في كل سماء ..

او غير ذلك من السرد الديني الذي يأخذ بجامع القلوب ، فيسمو بالناس ، ولو الى ساعة من الزمن الى صفاء النفس ، والراحة من متاعب الحيـاة ، واشتعال الامل والرجاء بالقدرة الخفية العليا ، ويمتلىء القلب بالسكينة ، كأنه يستقر من قلقه وحيرته وشكوكه ومتاعبه ، في قرار مكين .

وهكذا كنا نخرج من المسجد ، والسرور يغمر قلوبنا ، ونحن نتزاحم بالمناكب والاقدام حتى نصل الى الشيخ الجزار ونلثم يديه الطاهرتين ، والمؤذنون من حوله يرشون ماء الورد على يديه من حين الى حين .. ونحن لا نخشى العدوى ، فلا عدوى في الاسلام ، وهكذا تعلمنا ، وهكذا آمنا .. وما عليك أن تخاف اذا آمنت .

ونعود الى بيوتنا ، كأننا رجعنا من مصح جميل وجدنا فيه الشفاء والعافية ، لنبدأ الحياة من جديد ، انتظارا ليوم الاسراء ، او يوم آخر من الايام الدينية .

وكانت « القصة » بكل ما فيها من اساطير وحقائق ونفحات روحية تشحن المدنية كلها بالرضا والسرور ، ولا تكلفهم الا الايمان فقط .. وما ارخصه وأغلاه ثم ما أيسره وما أعسره !!

واليوم وقد مضى على هذه الصورة الحلوة ما يقرب من خمسين عاما ، جاء فيه العلم بالعجائب ، ومعه أحمال من الارق والقلق والعذاب ، فلا تنفع فيه دور الشفا ، ولا احمال العقاقير ... اليوم هذا ، أسائل نفسي : وما ضرنا ان نؤمن بتلك الصورة المشرقة .. انها حلوة عذبة ، فيها شفاء الروح وعافية النفس ، واشراقة الحياة .. ومـا طعم الحياة اذا غاب الرضا ، وحل محله القلق والعذاب .

ومضت الايام تتلوها الايام ، ونحن في كل عام نذهب الى الجامع الكبير نستمع الى قصة الاسراء والمعراج يتلوها الشيخ الجزار ، فننعم بصوته العذب ، ونخشع لعباراته وعبراته .. فبقدر ما كان كثير البكاء في المسجد ، كان طلق المحيا ، خارج المسجد ، وهو يتصدر حلقة العلماء من حوله .

ومنذ صباي ، كنت ولوعا بالتسلل الى هذه الحلقات أجلس في طرفها ، واستمع الى أحاديثها ...

وذات مرة ، رأيت الشيخ الجزار يغضب لاول مرة .. فقد كان الحديث يدور حول الاسراء والمعراج .. وكان في الحلقة أحد العلماء ، وهو الشيخ جمال السعدي .. وكان هذا يقرأ كتب التاريخ ويعنى بالشؤون المدنية اكثر من عنايته بالقضايا الدينية .

فاستأذن الشيخ السعدي في الكلام عن الاسراء والمعراج .وبعد مقدمة طويلة حافلة بالاعتذار ، بدأ الشيخ السعدي كلامه بأنه « مستفسر لا مستنكر » عما اذا كان اسراء الرسول (ص) بالروح والجسد ، ام انه بالروح دون الجسد .

ولم يكد الشيخ السعدي يفرغ من سؤاله حتى انقض الشيخ الجزار غاضبا هائجا وهو يصيح « الله اكبر ، الله اكبر ، اما تخاف الله ، يا جمال . وهل تنكر الاسراء والمعراج ، وقد جاء بنص القرآن ، انه بالروح والجسد معا . وهذا هو ما اجمع عليه السلف الصالح وجمهور العلماء » .

وراح الشيخ الجزار يستشهد بآيات القرآن ، التي تتحدث عن الاسراء والمعراج ، ولا يكاد لسان الشيخ الجزار يطاوع نبراته وكلماته ، والشيخ جمال السعدي ، يتضاءل في مقعده ، يضمر شيئا فشيئا ، دون ما هو عليه من ضمور ونحول ، حتى أصبحت جبهته وعمامته ما تحتهما شيء .

والشيخ الجزار يمضي زاجرا وهو يكرر : يا جمال ، اتق الله في دينك ، وكان الشيخ الجزار ينادي العلماء من حوله بأسمائهم ، من غير لفظة شيخ . فان معظمهم تلاميذه ، وأين هم من علمه وفضله .

ولم يهدأ الشيخ الجزار الا بعد ان نهض « جمال » وقبل يديه ظهرا وبطنا ، وهو يقول ، والله يا مولانا انا مستفسر لا مستنكر . والله سبحانه وتعالى يقول « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

وانفض المجلس على خير . ولكن الامر اصبح حديث المدينة كلها ، وأصبح الشيخ جمال السعدي أشهر من نار على علم ، كما يقولون ، مع انه كان قصيرا بحيث لا يراه احد ؟ !

ومضت الايام ، وانا اتطلع الى ان ازور بيت المقدس ، واقضي فيها بضعة أيام . وشاء القدر أن تتحقق رغبتي وان اقضي فيها بضعة اعوام . تتلوها فيما بعد اعوام واعوام .

كان ذلك في عام ١٩٢٤ حين تخرجت من المدرسة الثانوية في عكا ، واتجه الرأي في عائلتنا ان أتم دراستي في احدى مدارس بيت المقدس ، ففيها العلوم العالية ، وفيها اللغة الانجليزية . وهذه اصبحت لغة الحياة والمستقبل بديلا عن اللغة التركية البائدة. ولكل زمان دولة ورجال ولغة ولسان .

وسافرت الى بيت المقدس بالقطار ، والتحقت بمدرسة صهيون الانجليزية ، القائمة على جبل صهيون ، وكانت لي مع القطار ، والمدرسة والتلامذة والاساتذة طرائف فريدة، ذهبت حلاوتها مع زمانها ، فلم تعد تتكرر احداثها ، وقد اسعفتني ظروفي ، فدونتها ونشرتها ، لتكون تراثا لاجيالنا اللاحقة وصفحة من تاريخ وطننا (راجع كتابي : اربعون عاما في الحياة العربية والدولية) .

ولم تكن الدراسة قد انتظمت في الاسبوع الاول من وصولنا ، فاغتنمتها فرصة لازور مكان البراق حيث ربط النبي (ص) جواده ، فقد كانت قصة الاسراء والمعراج التي سمعتها مرات ومرات تلح علي بأن ارى موضع البراق في بيت المقدس ، قبل ان أتعرف على أي مكان اخر .

وذهبنا مجموعة من الطلاب ، على غير هدى ، نعبر باب الخليل ، ثم نسير في تلك الشوارع المبلطة وهي تنزل بنا من سوق الى سوق ، ونحن نسأل المارة عن « البراق »، وهم يشيرون : الى اليمين، الى الامام ، الى اليسار . واخيرا وصلنا الى البراق . وكان ذهول عجيب ومشهد عجاب .

كان المشهد عجيبا عجابا حقا . لقد رأينا انفسنا في زقاق ضيق لا يكاد عرضه يتجاوز ثلاثة امتار ، يمر منه الناس رائحين وغادين من حي الى حي ، وجماعة من اليهود ينوحون ، ووجوههم الى حائط قديم عال ، مبني من الحجارة الضخمة .

وقفنا مشدوهين امام المشهد ، وقد انعقد لساننا ، وتسمرت أبصارنا ، ولا ندري ما هذا الذي نراه . وأحسسنا بارتباك ، ولم نعد ندري ما نفعل .

وانحلت عقدتنا ، حينما تقدم الينا رجل في مقتبل العمر ، وسأل « وهل تريدون ترجمان » ؟

قلنا له : ترجمان من أجل ماذا ؟ نحن عرب .

قال : أنا أشرح لكم عن المبكى .

قلنا له : ايه المبكى . نحن نريد البراق .

قال : انتم هنا في البراق ، وهذا هو حائط المبكى . وانا اشرح لكم كل شيء ، احسن من الكتب ، ومن المدارس .

وكان « الترجمان » مغريا في حديثه فأذعنا اليه ، وأسلمنا عقولنا واذاننا الى حديثه.

قال : هل انتم مسلمون ؟

قلنا له : منا المسلم ، ومنا المسيحي .

قال : يعني عرب . ومضى في حديثه يسرد لنا حكاية الاسراء والمعراج كما سمعتها في بلدي عكا وفي جامع الجزار . وان « البراق الشريف » قد ربط في هذا المكان . وان الرسول (ص) قد ربطه ، عند هذا السور ، ومن هنا عرج الى السماء ، والى هنا عاد ، وركب البراق الشريف ورجع الى مكة .

قلنا له : الى هنا فان القصة معروفة ، ولكن ما شأن هؤلاء اليهود .

قال : اليهود ، كما ترون ، يأتون للصلاة والدعاء امام هذا الحائط وهم يبكون على خراب الهيكل ويدعون الله ان يسهل لهم بناء الهيكل مرة ثانية .

قلنا له : وهل هذا المكان لهم .

قال : ابدا . اعوذ بالله . هذا الحائط هو الجدار الغربي للمسجد الاقصى ، وهو جزء من الحرم الشريف. وهذا الزقاق نفسه مع الاحياء المجاورة كلها اوقاف اسلامية ، فيها زوايا وتكايا ومساجد . ان كل شبر في هذه البقعة وما حولها هي املاك اسلامية ، وليس لليهود ملك اطلاقا في هذا المكان ولا في هذا الحي .

قلنا : وما جاء باليهود الى هذا المكان ، ولماذا تسمح لهم بذلك ؟ .

قال : هذه عادة قديمة . اليهود يأتون الى الحائط ويبكون ويمسحون أيديهم بأحجار الحائط ، ويرطنون بعض الدعوات ، ثم يذهبون . ولا يمكث الواحد منهم اكثر من بضع دقائق . نحن سمحنا لهم في الماضي . فليبكوا الى يوم القيامة .

قلنا : ولكن هؤلاء يريدون ان يعود اليهم الهيكل . انهم يدعون ملكية المسجد الاقصى اذن !!

قال : هذه خرافات وخزعبلات . المسجد الاقصى لنا . وهيهات هيهات ان يملكوه . والله نحن في القدس سنموت عن اخرنا قبل ان يصيبوا منه حجرا واحدا .

ودنونا من الحائط قليلا واقتربنا من اليهود . كانوا رجالا ونساء في اخريات العمر، وكانت ملابسهم المهلهلة وسوالفهم المجدولة ، وقلانسهم المقوسة ، ورائحتهم الزنخة النتنة ، كل ذلك كان يدل انهم من اليهود ، كما كنا نعرفهم يومذاك .

وكان بعض اليهود يبكون في نحيب ، واخرون في صمت ، ورايت احدهم يضرب رأسه بالحائط ، واحسب انه عصر عينيه فلم يبك ، فراح يرطم الحجارة برأسه ليبكي !!

ولم يكن احد من المارة يحفل بهؤلاء اليهود الباكين ، فالناس العابرون ، والحمالون ، والاولاد ، والنساء ، والدواب يغدون ويروحون امام الحائط دون ان يكترث احد لعويل اليهود وصراخهم . وكل شيء هادىء، حتى الحمير تعبر بلا نهيق ، والخيل بلا صهيل !!

وكانت امرأة طاعنة تقف في طرف الحائط ، وبيدها كتاب تقرأ منه الادعية . فقلت للترجمان : ماذا تقول هذه المرأة في دعائها .

فاخرج الترجمان كتابا من جيبه وقال : دعاء اليهود امام حائط المبكى يردد ما يأتي ، بالترجمة العربية :

من أجل الهيكل العظيم نقف بذلة وحدنا ونتوح

من أجل اسوار هذه المدينة نقف بذلة وحدنا ونتوح

من أجل مملكتنا التي بادت نقف بذلة وحدنا ونتوح

آه .. تحنن يا رب على صهيون واجمع شتات ابناء اورشليم

وانتهت زيارتنا « للبراق الشرق » كما هو عندنا ، ولحائط المبكى كما شاع اسمه في العالم ، ولكن رفاقنا للترجمان لم تنته . فقد عرضنا عليه أن يرافقنا الى المسجد الاقصى وكنيسة القيامة ، ويعلمنا من علمه الغزير .

ومضينا معه في شوارع بيت المقدس وزقاقاتها الضيقة المتعرجة حتى وصلنا الى ساحات الحرم الشريف . وقد انفتحت صدورنا لرحابتها ونسماتها الحلوة الصافية ، وما حولها من أسوار وقباب ومآذن ، تأخذ بالالباب .

واقبلنا على مسجد الصخرة ، فاذا بنا أمام تحفة رائعة من الحسن والجمال ، يبهرك بتنسيقه الهندسي الرائع ، وبجدرانه الثمانية الفاتنة ، وقبته الساحرة ، وكأنها تنقل دعوات المؤمنين الى السماء من غير حجاب .

وخلعنا نعالنا ، ودخلنا . وانبهرت ابصارنا بما رأينا ، ونحن ننتقل في موكب من الجمال والجلال من عمود الى عمود ، ومن نافذة الى نافذة ، كلها ذات الوان عجيبة ، وظلال غريبة ، يزيد ذلك كله الخط الجمالي الذي كتبت به الايات القرآنية . وكأنما اسبغ عليه القرآن جماله وجلاله .

وقادنا الترجمان الى درج نزل بنا الى « الصخرة المشرفة » ، التي تقول الروايات الاسلامية انها تعلقت بقدم الرسول (ص) وهو يعرج الى السماء ؛ وكنت قد سمعت الكثير عنها في عكا ، ونحن نستمع الى قصة الاسراء والمعراج . وكانت الصورة الذهنية أروع من المشاهدة الحقيقية . فلم أجدها معلقة كما سمعت . وآثرت ما سمعت على ما رأيت .

وبجانب الصخرة ، رأيت شيخا طاعنا في السن ، يتعبد ؛ كما كان يتعبد الاجيال والاجيال من قبله . لقد كان هيكلا ساكنا لا يتحرك ، انه يتمتم في دعة وسكون هنا حيث الصفاء والهدوء ؛ خلع الدنيا مع نعليه خارج المسجد ، وجاء هنا يترقص بين يدي ربه ، يلتمس العفو والسكينة والرضا . انها ساعة وجد مع الله . وما أسعد اهل الوجد اذا كانوا قد بلغوا محرابه .

وروى لنا الترجمان ، ونحن نسير في جنبات المسجد ، عن جده ، وكان أحد سدنة المسجد ، انهم كانوا كل يوم اثنين وخميس يطحنون الزعفران والمسك والعنبر ، ويمزجونه بماء الورد ، ويتركونه طول الليل ؛ وفي الصباح يذهب الخدم الى الحمام فيغتسلون ويرتدون الثياب النظيفة ، ثم يحملون أواني الزعفران فيغسلون الصخرة، ثم يبخرونها بمباخر من الذهب والفضة ، وفيها عود الند مخلوطا بالمسك والعنبر . وبعد الفراغ من ذلك كله يخرج المنادون الى الاسواق ، فيدعون الناس الى مسجد الصخرة . ويظل المسجد طيلة الاسبوع وهو يفوح بروائح البخور معطرا بالمسك والعنبر .

قلت للترجمان : ولماذا لا تفعلون ذلك في هذه الايام ؟

قال : الاوقاف فقيرة هذه الايام ، وهذا العمل يحتاج الى نفقة كبيرة . بل ربما لان اجدادنا كانوا يحبون مسجد الصخرة اكثر منا . الله يرحمهم ماتوا . ومات معهم الخير والبركة .

وخرجنا من مسجد الصخرة ، وافئدتنا مبهورة قبل ابصارنا ، وفي طريقنا الى المسجد الاقصى ، أشار الينا الترجمان الى قبة تلاصق سور الحرم من جهة الشرق ، وقال : هذه قبة الغزالي . هناك كان الغزالي يعطي الدروس لتلامذته حين زار القدس قبل حروب الافرنج ببضعة سنوات . وهناك وضع الغزالي كتابه الشهير احياء علوم الدين.

قلت للترجمان : انت عالم ايضا ، ولست ترجمان فقط ..

قال : والله يا اخي انا من بيت علم . ولكن الزمان حط بنا . لقد تعلمت علوم الدين كلها . والدين لم يعد يعطي خبزا . ولذلك تعلمت صنعة الترجمان وانا اعرف كل اللغات الاجنبية . والسياح لما يأتون الى المسجد انا اترجم لهم . والعجيب ان الواحد منهم يقضي ساعات وساعات يتأمل في محاسن المسجد . وأنتم تخرجون بعد بضعة دقائق .

قلت : نحن طلاب مدارس ، ولا بد أن نعود بسرعة الى مدرستنا .

قال : وفي أي مدرسة ؟

قلت : في مدرسة صهيون .

قال : ولماذا في مدرسة صهيون؟ هذه مدرسة تبشيرية . وليس فيها الا اللغة الانجليزية وكرة القدم . ولماذا لا تنتسبون الى روضة المعارف انها كلية وطنية راقية .

قلت : نحن نريد ان نتعلم اللغة الانجليزية ، ولا نهتم بالكرة .

واتجهنا نحو المسجد الاقصى . واين هو من مسجد الصخرة عمارة وفناء وجمالا ؛ ومع هذا فقد بهرتنا رحابته واعمدته وقناطره . ووقف بنا الترجمان عند المحراب ، والتفت الى المنبر وهو يقول : — هذا هو منبر نور الدين الشهيد ، قضى عمره وهو يجاهد الافرنج ليخرجهم من بيت المقدس . وكان قد أعد المنبر ، وهو في حلب ، وقضى العمال بضعة سنين في زخرفته حتى جاء آية في الجمال ، وقد حرصوا في صنعه ، دون ان يدخلوا فيه مادة من غير الخشب . وقد توفي نور الدين ، والمنبر جاهز في حلب، قبل تحرير بيت المقدس . وجاء من بعده صلاح الدين فتم على يديه طرد الافرنج من بيت المقدس ، وأمر صلاح الدين فنقل منبر نور الدين من حلب وركب في مكانه في المسجد الاقصى . وهو كما ترونه الان .

وكان المنبر حقا تحفة رائعة في جمال الفن ، ودقة الصنعة ، اضافت عليه سيرة نور الدين وصلاح الدين هالة قدسية رفيعة ، تجللها امجاد النصر . وهل بعد النصر من امجاد .

وخرج بنا الترجمان من ساحة المسجد الاقصى عبر بوابات يفضي بعضها الى بعض ، وزقاقات معتمة الى اخرى مضيئة ، والتعب قد أخذ منا مأخذه ، وعرج بنا الترجمان الى مطعم صغير ، فكان اول عهدنا بالمآكل القدسية ، فالتهمنا اطباق اللحم والارز والباذنجان البتيري نسبة الى بتير احدى قرى القدس ؛ واتبعناها بحلوى « زلاطيمو » نسبة الى صاحبها الذي اشتهر بصنعها ؛ ولم يكن الطعام فاخرا ، ولا الحلوى ممتازة ، ولكن مع التعب والجوع والصبا التهمنا الطعام بشهية لاهبة . وتركنا الصحون خاوية خالية .

ومن المطعم ، انصرفنا في الشوارع من حي الى حي . الى ان بلغنا حارة النصارى وكانت تنبيء عن ذاتها شكلا ، وموضوعا . فقد كانت معظم الدكاكين فيها تعج بالسياح يشترون التماثيل والصلبان . وكانت الشموع تتدلى من سقوفها ، بأحجام مختلفة والوان متباينة . وكان بخور الكنائس يفوح منها ليملأ الازقة من حولها .

وسار بنا الترجمان الى ان بلغنا كنيسة القيامة . ووقف بنا وقفة طويلة وهو يشرح لنا تاريخ الكنيسة ، وبناءها على مر العصور . وشرح بالتفصيل وصول الخليفة عمر بن الخطاب الى المكان ، وان البطريق صفرنيوس سلمه مفتاح الكنيسة ودعاه الى الصلاة فيها ، وان الخليفة رفض ذلك ، وصلى في الساحة المقابلة حيث المسجد القائم . وكيف اعطى الخليفة الى نصارى بيت المقدس عهد الامان على ارواحهم وكنائسهم الى اخر القصة .

وكان معظم ما ذكره لنا معروفا عندنا ، لكثرة ما قرأناه وسمعناه . ولكن الذي لم نكن نعرفه قد تعلمناه عند باب الكنيسة . فقد اصابتنا الدهشة ، ونحن نقترب من مدخل الكنيسة لنرى على يسارنا « مصطبة » عالية يجلس عليها شيخان جليلان مسلمان ، يتبادلان التحية مع الداخلين الى الكنيسة ، سواء منهم القساوسة ام الناس العاديين .

وقد عجبنا لهذين العالمين المسلمين يجلسان عند باب الكنيسة ، وتجلس معهما على راسيهما عمامتان كبيرتان ، وعلى كتفيهما جبتان فضفاضتان ، كأنهما قدما من حلقة الدرس في المسجد الاقصى قبل هنيهة .

وسلم الترجمان على الشيخين الجليلين سلام العارف . ثم بادرنا بالقول : الاستاذان احدهما من آل نسيبة والثاني من آل جودة ، وهما من اقدم عائلات القدس الاسلامية . ان بيدهما مفاتيح كنيسة القيامة ، يتوليان فتح ابوابها واغلاقها . وهذا التقليد متوارث في هاتين العائلتين منذ الفتح الاسلامي الى يومنا هذا .

وتكلم احد الشيخين وقال : ان جدنا نحن آل نسيبة كان مع سيدنا عمر حينما فتح بيت المقدس ، ومنذ ذلك العهد ومفاتيح كنيسة القيامة بأيدينا ، نعطيها لال جودة ويفتحون ابواب الكنيسة ثم يعيدوها الينا . وقد توارثنا هذا التقليد عن اجدادنا . ولم ينقطع هذا التقليد الا زمن الحرب الصليبية .

قلت : وبعد ذلك ؟

قال : بعد أن استرد صلاح الدين الايوبي بيت المقدس ، عاد الينا هذا التقليد . واستمر في عهد الدولة العثمانية ، ومن بعده في عهد الاحتلال البريطاني .

قلت : وهل الطوائف المسيحية راضية بهذا التقليد ؟

قال : الطوائف المسيحية ليست راضية فحسب ، ولكنها لا ترضى عنا بديلا . ولا توافق أية طائفة ان تكون المفاتيح بيد طائفة اخرى .

وكان ان ازدحم باب الكنيسة بالداخلين ، وكان يوما من الاعياد الدينية ، على ما يبدو . فمشى الترجمان امامنا ونحن وراءه كأننا على موعد مع الجموع الوافدة الى الصلاة .

وكانت ساعة رائعة حقا . غريدة حقا . فقد ساقتني اسفاري في مراحل عمري المتقدمة الى كثير من الكنائس في العالم . ولكن كنيسة القيامة كانت شيئا اخر .

وكان اكثر ما يسترعي الاهتمام ان كنيسة القيامة هي مجموعة من الكنائس . لكل طائفة مسيحية كنيستها وقساوسها واعلامها ومحاربها وتماثيلها وقبورها ومباخرها ومقاعدها واخيرا مكانسها . واقول « مكانسها » فان وراء الامر ، كما شرح لنا الترجمان ، تقاليد طائفية أصبحت لها قوة القانون ولا يمكن تجاوزها . ذلك أن كل طائفة مستقلة بالعناية بكنيستها او جناحها ، وان احدا لا يتجاوز على أحد في شبر واحد ، حتى في التنظيف والكناسة . وكم وكم حدثت مشاحنات ومشاجرات بكل الادوات الموجودة في الكنائس ، اذا تجاوز راهب خطأ او عمدا على نصيب راهب اخر ، اثناء النظافة والكناسة .

وكنيسة القيامة هي برج بابل ، القائم الدائم . فالرهبان فيها من كل اقطار العالم ، ويصلون بكل لغات العالم ، وكثير منهم لا يعرف بعضهم بعضا ، ولكن جمهور المصلين هم من عرب بيت المقدس ، ومعظمهم من أتباع الطائفة الاورثوذكسية .

وبقدر ما كانت كنيسة القيامة توحي الوقار والاجلال كانت صفوف الفتيان والفتيات في غاية الروعة والجمال ، بملابسهم الزاهية ووجوههم الوادعة ، يحملون الشموع بأيديهم ؛ وبهجة العمر عندهم عيدهم في كنيسة القيامة .

واشتد الزحام فلم نعد نرى معالم الكنيسة ، وخرجنا ؛ والترجمان يفسح لنا الطريق برفق وروية ، ولولاه لما عرفنا طريقنا الى الخروج .

وقلت للترجمان : وهل الجمهور الذي شاهدناه اليوم من كل الطوائف .

قال : الا الطائفة البروتستانتية . ومعظم الناس من الارثوذكس ثم يأتي بعدهم المسلمون !!

قلت : المسلمون ؟؟

قال : نعم . الشباب المسيحيون يدعون اصدقاءهم من الشباب المسلمين لهذه الاعياد ، ويشتركون معا في الاعياد والمواسم . وخاصة في عيد الفصح .

قلت له : واليهود . وما حالكم معهم ؟

قال : والله اقول لك الحقيقة . نحن هنا في بيت المقدس كنا مع اليهود بألف خير ، في زمن الاتراك . كنا نتزاور ونتعامل مع بعضنا بعضا . وكثير من اولاد المسلمين كانوا يرضعون من السيدات اليهوديات ، والعلاقات بيننا على ما يرام . ولكن منذ ان جاء الانجليز اختلف الحال . واليهود أنفسهم بدأوا يتنمرون ، وخصوصا المهاجرين الجدد .

وانتهت زيارتنا مع الترجمان ذلك اليوم ، فكانت درسا تاريخيا ودينيا وسياسيا ، وودعناه ، بعد أن مد كل واحد منا يده الى جيبه واعطاه ما تيسر . وهو بدوره مد يده الى جيبه ليعطينا بطاقته ويقول : هذا اسمي وعنواني ، اعطوه لاخوانكم .

ومن كنيسة القيامة سلكنا طريقنا الى باب الخليل ، ومنه الى طلعة صهيون ، الى مدرستنا حيث اقضي فيها ثلاث سنوات ، اصبحت فيها بيت المقدس بعض حياتي .

ثم تشاء الاقدار بعد ذلك ان يصبح بيت المقدس كل حياتي ، فقد عملت فيها صحافيا ومحاميا ، وانتهى بي المطاف حين جندت نفسي في ميدان النضال الوطني، على الصعيدين العربي والدولي . الى ان سقط بيت المقدس جريحا بيد اسرائيل ، وسقط معه التاريخ .

دمي يراوح في الرياح

أحمد دحبور

للجرح خيل هاجمهْ
وأنا وخيلي رحلتا حلم وصحوٍ ،
طفتُ من صحو عدائيٍّ الى حلم فدائيٍّ ،
وبينهما وقفتُ هنيهة أحصي بلادي ،
لم تكن تُحصى —
فذبتُ على حصاها واختلجتُ :
لكل نبض يا بلادي حالة تأتيك من عصب لديّ ،
وكل خيط من دم يفضي إليّ ،
وهكذا أعلنتُ قلبي عاصمهْ

ووقفتُ أصغي :
إنهم يتناوبون الشرحَ ،
هل سمنتْ خراف العيد أم أجَلي هناك ؟
وشكّني قلبي فصحتُ :
بمنكر تستقبلون الفصح ،
فانفجر الصدى والصوتُ :
أين يداك ؟
إن القلب لا يكفي فأين يداك ؟
أم أرسلتَ باسمها لسانكَ ؟
(لو يخضُّ البرق ذاكرتي فتندلع الشرارةُ)
كانتا زاد الرماحِ ،
ويوم واريتُ الرماح نسيتُ بين حرابها الجوعى يديّ ،
وها أنا — في ما يرى الصاحي — أرى وطناً يمرُّ بلا أيادٍ أو عتادٍ غير ذاكرةٍ

محاصرة بريحٍ آثمـهْ

ـ هل طال ظلك تحت شمس الحربِ ؟
ـ طالت قامتي واستُبدلتْ بالظلّ
ـ من رافقتَ ؟
ـ أهـلي ،
كانت الطرقات ضيقـة ،
وعلمني هوى الفقراء كيف أرى الصراط الضيّق المعوجّ أوسع من فلاةٍ ،

فانتسبتُ إلى هواي ،
(غزالة بيضاء تنصع كلما اشتدت خطايَ)

ـ وهل وصلتَ ؟
ـ دمي يراوح في الرياح ،
ـ لم اكتفيتَ ببعض شوطٍ ،
واكتويت ببعض نارٍ ،
(لا احترقت ولا انبعثتَ)
وكيف واريت الرماح بغير شرطٍ ؟
ـ دلني تعبي على الدرب الفقيرهْ
ـ هل يتعب الفقراءُ ؟
ـ تتعب فورة العصب الفقيرهْ
وأنا وريث القهر والأعصابِ ،
كان النبع محترقاً فجئتُ النار قبل الماءِ ،
لم أنقل عن الفقراء غير النار ،
أما الوهجُ ،
أما النهجُ ،
أما العشق والنفَسُ الطويلُ ،
فإن تجار العواصم جاهزون ،

(غزالتي في البرّ حافية وأشعثُ)

كلهم يتشاورون الآن ،
يا دميَ المراوح في الرياح بأي حق لم تضيءْ ؟
وبأي حق لم تجيء ؟
سمنتْ خراف العيد والمطلوب أنتَ ،
لكل سكّين مقاطعة ويجتمعون ،
تحترق الأيادي حين تحترق الرماحُ ،
وينثرون رمادها بين البلادِ —
قطيعةْ
وعجزتُ أن أحصي بلادي ، قلتُ : هل يحصي الشقيُّ هزائمهْ ؟
وسمحتُ لليأس المؤقت أن يراجعني ، فقلتُ : لم الغزالة نائمهْ ؟
الآن يبتدىء الحوار .. دمي يغطيني
والأرض تلبسني
يا قهر يا زمني
إن كان حدك راعفاً .. فأنا فلسطيني
ويداي مدرجتان في الشرر المبكّر ،
حين صادفني الشهيد فزعتُ ،
فانعتق الرصاص من الحجارة والغبار ،
وقال : في الزمن المسوّر يولد العربيّ ،
فاستبدل رفاقك بالخليّةِ ،
واتّحدْ بالبندقيةِ ،
قال : تبدأ دورة الفقراء بالنفَسِ الطويل ،
فكنْ كليم الماءِ —

(لم تنم الغزالةُ)

قال : بعد الضيق تتسع الخلية ،
والرماح تفزُّ من صُلب النخيل ،
وقال : حربك دائمهْ

ونقلتُ عن حلم جميل رغبتي في الحب والوقت الجميلِ ،

معي العصافير المعتقة التي لم تنطلقْ
وقصيدة لم تنعتقْ ،
وأخذتُ من حلم جوابيِّ هوايَ ،
عرفتُ كيف يثبّتُ الأطفال وجهي في خريطتهم ليأخذ شكل حيفا —
كيف تنصع في مسافاتي الغزالةُ ،

ثم يتشاورون ،
وأطلب الفقراء ،
تطلبنا طريقٌ ،
ثم يجمعنا حريقٌ
ثم تصهرنا رؤى متلاحمهْ

— هل كان وجهك مشرقاً من قبلُ ؟
— تلك شرارتي في البرّ تسطعُ

— هل يموتُ الوعلُ ؟
— بل تلد الغزالةُ

— هل دخلتَ القصر من باب النجاةِ ؟
— خرجتُ قبل بناء هذا القصر من باب النجاةِ
— وكيف ؟
— أعلن أنّ هذا الفصح موتُ
وأظلُّ أصغي ،
إن صوتي وحده يأتي وتذهب كل موجات المحطات القصيرة ،
قلتُ للبطل الشهيد :
لينسني دمك الطريُّ على ثيابي لو وقفتُ .

المفهوم الاجتماعي لحرب التحرير الشعبية الفلسطينية

نبيل الرملاوي

تتعرض الثورة الفلسطينية في هذه المرحلة الى محاولات تصفية تختلف كل الاختلاف عن محاولات التصفية التي تعرضت لها في الماضي ، ولهذه المحاولات أهدافها السياسية ووسائلها وأدواتها ، وبالتالي فان طبيعة الامور تفرض على الثورة وهي محددة الهدف الاستراتيجي أن تحدد وسائلها وأدواتها لتتوظف جميعها في مواجهة طبيعة المرحلة الحالية الخطرة .

وان كانت الثورة الآن بحاجة لبلورة بعض المفاهيم الاساسية ، فان مفهوم حرب التحرير الشعبية التي حددت في الماضي كوسيلة لتحرير الارض الفلسطينية كلها هو اكثر المفاهيم الحاحا للتبلور على المستوى الاجتماعي . ففي اطار المفهوم الاجتماعي لحرب التحرير الشعبية تتحدد الوسائل والادوات لهذه الحرب . ولقد درجت الاجهزة المختصة بالدعاية والاعلام في الماضي على الخلط بين ما هو اجتماعي وما هو سياسي نظرا لطغيان التوجه السياسي في مهماتها دون ادنى اكتراث لما يترتب على ذلك من اهمال واغفال لنتائج التفريق بين ما هو سياسي وما هو اجتماعي والضرورة الملحة لاستخدام هذه النتائج والتقدم بها نحو تحقيق الصورة القصوى لحرب التحرير الشعبية لدى المجتمع العربي الفلسطيني .

فبعد الاول من يناير عام ١٩٦٥ الذي بدأت معه العمليات المسلحة معلنة تفجر الثورة الفلسطينية لتحرير فلسطين ، خضعت هذه العمليات لتحليلات سياسية عديدة على الصعيدين الداخلي والخارجي ، فكان الجانب السياسي هو محور تفسير معنى اطلاق الرصاصة في مسيرة الثورة التي ترتكز في الواقع على اكثر من جانب يتساوى كل واحد منها مع الآخر من حيث الاهمية والخطورة والتأثير على صيرورتها وغاياتها .

ويشكل الجانب الاجتماعي أحد الجوانب المذكورة في تفسير معنى العمليات المسلحة في الثورة وانعكاس مفعولها وآثارها الهامة على المستوى الاجتماعي سواء على الفرد أم الاسرة ، ام الطبقة ان وجدت ام المجتمع برمته . وبالرغم من هذه الاهمية للتفسير الاجتماعي ، فانه اغفل منذ البداية ولم يحظ بالاهتمام المطلوب ، الامر الذي تفرضه ضرورة التوعية الاجتماعية لما يمكن أن ينشأ عن فعل الثورة في مجتمعها من تحولات اجتماعية واهتزازات وتغيير في طبيعة وظائف الأنساق الاجتماعية ، والادوار والعلاقات الاجتماعية وأنماط السلوك الاجتماعي والتي هي بطبيعة الحال مرتبطة بقيم المجتمع وأعرافه وتقاليده المتوارثة . وهذا بلا شك يرجع الى انعدام الوعي الاجتماعي العام ، وفي أفضل الحالات الى الوهن والضعف بهذا الوعي وما يترتب عليه من ضعف بامكانية التوعية الاجتماعية على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية وظاهراتها وانماط سلوكها التي

لا بد ان تولدها الثـورة الشعبية لدى المجتمع ومـا يمكن ان تحدثه مـن تغييرات اساسية فيه .

صحيح ان حرب التحرير الشعبية البعيدة المدى تتضمن المعنى الاجتماعي المقصود الا أن ذلك لا يعدو كونه عنوانا لموضوع خطير يتطلب الاهتمام والشرح والتفصيل على مستوى الافراد والجماعات ليدفع كل من موقعه عجلة الثورة الى الامام عند مواجهة احد الاختيارين : الاجتماعي الثوري الجديد ، والاجتماعي التقليدي القديم .

ان الهدف السياسي لهذا الشعار هو الوصول الى حالة كاملة مـن تحديد الادوار وممارستها للشعب والمجتمع العربي الفلسطيني ضمن اطار الثورة وحربها الشعبية في مواجهتها للعدو وفي سبيل تحرير فلسطين . أما المضمون الاجتماعي له ، فينطوي على المنهجية الخاصة بتحويل المجتمع العربي الفلسطيني عبر حالات متكيفة مع متطلبات مراحل التطور نحو حالة تحديد الادوار الكاملة وممارستها . وبالتالي فان الصيغ القائمة للعلاقات الاجتماعية والقيم الموروثة والمفاهيـم السائدة ووظائف الأنساق الاجتماعية كالاسرة والطبقات الاجتماعية والبناء الاجتماعي برمته تخضع لهذه المنهجية وتتأثر بها .

انه لما لا ريب فيه أن الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي كان سائدا المجتمع العربي الفلسطيني عشية النكبة عام ١٩٤٨ ، كان يشكل المناخ الملائم لكي يحقق العدو الصهيوني والامبريالي اهدافه ، وكان قابلا عنوة عنه للغزو والتقهقر ، فكانت النتيجة التي نعرفها جميعا . فالعدو لم يستهدف الوطن فحسب ، ولكنه استهدف الوطن والمجتمع معا ، استولى على الوطن في الماضي وما زال يلاحق المجتمع في الحاضر . واذا كانت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع العربي الفلسطيني آنذاك عاملا من عوامل وقوع النكبة ، فان هذا يعني أن مجتمعا جديدا آخر بمفاهيمه وقيمه وعلاقاته وثقافته وشكل بنائه لا بد ان يوجد لينطوي على خصائص القدرة والقوة لدحر العدو واحباط مخططاته وتحرير الارض وتحقيق النصر . وهذا المجتمع الجديد لن يكون الا ثمرة لحرب التحرير الشعبية البعيدة المدى ، بل ان علاقة جدلية تشد الوثاق بين هذا المجتمع وتلك الحرب ، فهو الذي ولدها .. وهي التي تصيغه الصياغة الجديدة ، ليرتقيا بتفاعل مستمر الى قمة التكامل الذي يتمثل في تحرير الارض والانسان في وقت معا . ومن هنا جاء مفهوم حرب التحرير الشعبية البعيدة المدى لما تضمنه من معنى عميق لتحرير الانسان، انسان هذه الحرب، من كل عوائق الماضي سواء ما اتصل منها بالقيم المتخلفة عن طبيعة التطور ، أو التقاليد والمفاهيم والعلاقات الاجتماعيـة التي كونت بمجموعها مجتمعا فاقدا للقدرة على مواجهة عدو غاز ومستوطن عنصري بشع مدعم بامكانيات اعتى القوى الامبريالية في العالم ، وبصورة اخرى ، تغيير هذا الانسان على مختلف مستويات حياته الاجتماعية تغييرا جذريا بحيث يتلاءم في اوضاعه الجديدة مع متطلبات الغاية النهائية اي التحرير والعودة .

ان طبيعة العدوان الاستعماري الاستيطاني الاقتلاعي الذي تعرض له المجتمع العربي الفلسطيني كله قد جعل من قضية هذا المجتمع قضيـة ذات خصوصيـات سياسية واجتماعية واقتصادية تختلف عن طبيعة قضايا المجتمعات التي تعرضت لاشكال العدوان الاستعماري التقليدي . فبعد عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ أصبحت بالنسبة للمجتمع العربي الفلسطيني قضايا البنية التحتية وهي البنية المادية ، وفوقياتها الاجتماعية والسياسية والتشريعية والثقافية الخ .. لم تعد هي المحرك الاساسي في الصراع كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات التي تمارس حياة عادية وتخوض الصراعات التي تنشأ عادة عن واقع البنية التحتية المادية وطبيعتهـا الاقتصادية ومـا يصاحبها من علاقات انتـاج

استغلالية . بمعنى ان تحطم البنية الاجتماعية(١) والتوزع الجغرافي الذي أصاب المجتمع العربي الفلسطيني اثر الحربين المذكورتين ، وانتفاء أي شكل من أشكال العلاقات الانتاجية على مستوى الطبقات فيه بعد أن أفقدت هاتان الحربان الغالبية العظمى من أبنائه أهم وسيلة من وسائل الانتاج وهي الارض بفعل الاستيطان وقوانين التهويد والسلب داخل الكيان الصهيوني ، وتحول المجتمع بالتالي من مجتمع زراعي الى مجتمع خدمات في غالبيته ، وتحول المواجهة بينه وبين العدو من مواجهة استعمار تقليدي على أرضه الى مواجهة عدو استيطاني عنصري بعيدا عن أرضه ، كل هذا أدى الى بروز الخصائص المميزة المذكورة . وبالتالي فان التغييرات الاجتماعية التي وقعت في هذا المجتمع والتي هي في طريقها الى الوقوع نتيجة للممارسة الثورية تتميز عن غيرها من التغييرات الاجتماعية التي تنشأ لدى الشعوب والمجتمعات التي تخوض حروب تحرير ، من حيث كون التغييرات في المجتمع العربي الفلسطيني بواقعه الراهن أكثر ايجابية وأقل توليدا للمشاكل الاجتماعية وما يترتب عليها من سلبيات تحول دون تقدم الثورة ونموها. غير ان هذا لا يعني بطبيعة الحال ، انعدام المشاكل الناتجة عن فعل الثورة في المجتمع العربي الفلسطيني ، بل ان هنـاك مشاكل نشأت وتنشأ كردود فعـل للممارسات الاجتماعية الجديدة المتوافقة مع الواقع الثوري الجديد . وهنا يواجه المجتمع حالتين : الحالة الاولى : المشكلة من حيث هي واقع اجتماعي جديد . والحالة الثانية : انعدام التوعية الاجتماعية على هذا الواقع وكيفية مواجهته له وللمشاكل المترتبة عليه بحيث تخدم هذه الكيفية تكريسه والمحافظة عليه .

ان التراكم الناتج عن حلول المشاكل الاجتماعية يساهم مساهمة كبرى في الحد من ظهور مشاكل أخرى ، كما يقلل من اعتبار التطور الثوري الجديد لدى المجتمع معضلات ومشاكل . ومن ناحية أخرى فان التراكمات الناتجة عن فعل التوعية الاجتماعية تؤدي الى تجنيد العناصر الاجتماعية المتكيفة معها في مواجهة الجديد من المشاكل الاجتماعية في المستقبل .

واذا كان الامر كذلك فان اهمال المشاكل الاجتماعية وتركها للحلول الكيفية الذاتية ليس فقط يعد عاملا من عوامل تكريس هذه المشاكل وتعقيدها ، ولكنه يسهم اسهاما مباشرا في تراكمها بحيث تصبح بحد ذاتها مصدرا جديدا لتوليد مشاكل من نوع آخر لتقف في يوم ما عقبة اجتماعية في وجه التطور المطلوب نحـو مجتمع حرب التحريـر الشعبية ، أي الوصول الى تحويل المجتمع العربي الفلسطيني الى حالة تحديد الادوار الكاملة وممارستها على صعيد الفرد والجماعة والمجتمع العام .

فقد يسمع المرء ان الثورة تهدف الى تغيير الاسس التي يستند اليها النظام الاجتماعي وبناؤه ، ومن ثم تتغير الابعاد الاجتماعية بين الناس ، وما يترتب على ذلك من تغير في أدوارهم ومراكزهم في المجتمع ، والعمليات الاجتماعية ، والترتيب الطبقـي ، والقيم الاساسية التي توجه السلوك الاجتماعي . وبهذا تكون الثورة سياسية واجتماعية في آن واحد . وفي غالب الاحيان يعبر عن واقع الثورة بهذا الاسلوب في سياق الحديث عن تطلع الثورة نحو أهدافها البعيدة ، في حين يهمل كليا الجانب الآخر للثورة ، وهو الظاهرات الاجتماعية الجديدة التي تنشأ عن فعل الثورة وممارساتها اليوميـة داخل مجتمعهـا الخاص ، سواء كان على مستوى الطبقة الاجتماعية التي تناضل الثورة مـن أجل مصالحها او مجموعة الطبقات التي تشكل تحالفا طبقيا في حالة ما ، او المجتمع العام

---

١ — للاستزادة في هذا المجال راجع : شحادة يوسف ، **الواقع الفلسطيني والحركة النقابية** ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣ .

في حالة كون الثورة على درجة من الشمول الوطني . تلك الظاهرات التي تحمل ملامح المجتمع المقبل والجديد وصوره المصغرة كنماذج كيفية ورائدة وما يحدثه هذا التشكل الجديد في محيطه الاجتماعي الخارجي عن طريق الاحتكاك والتنافر والتفاعل من ردود فعل وصراعات اجتماعية ونفسية بين الماضي الاجتماعي والحاضر الاجتماعي ، بين القائم المحافظ والجديد المتطور تؤثر في مجملها على وتيرة النظام الاجتماعي السائد وتعمل على تغييره .

واذا كانت هذه العملية من شأنها أن تغير النظام الاجتماعي في النهاية فان عملية التوعية الاجتماعية المرافقة لهذه العملية من شأنها أن تختزل المدة الزمنية نحو هذا الهدف ، وهذه مهمة أساسية من مهمات الثورة التي لا تقل خطورة عن أية عملية أخرى تضطلع بها الثورة نفسها .

ومما لا شك فيه أن أي تغيير يقع في المجتمع يعتبر تغييرا اجتماعيا وثقافيا من حيث هو تغيير في المفاهيم والقيم وأنماط السلوك باعتبار ان هذه كلها تشكل جزءا من الجانب اللامادي من التراث الثقافي .

اذن العملية التغييرية الاجتماعية هي عملية تراثية ثقافية ايضا اذا جاز لنا الزعم بأن العنصر الاجتماعي الجديد هو عنصر ثقافي نضالي كمثل العنصر التراثي الثقافي الذي يغزو المجتمع عن طريق الاحتكاك او الانتشار او الاختراع والابداع ، من هنا تكتسب الثورة صفتها الثقافية التي لا بد أن ترافقها مجهودات التوعية الاجتماعية على طبيعة التغييرات التي وقعت وضرورة ربطها مع الغاية النهائية للثورة من اجل تغيير الذهنية على المدى الطويل بما يتوافق مع هذه الغاية ، وهذه هي المرحلة الاساسية التي تشكل نقلة المجتمع النوعية نحو طور أرقى في اطار حرب التحرير الشعبية البعيدة المدى .

الطبيعة الميكانيكية للظاهرات الاجتماعية الجديدة

تأخذ الظاهرات الاجتماعية الجديدة او العناصر التراثية الثقافية طريقها الى المجتمع عن طريق الاحتكاك التراثي او الانتشار او الاختراع والابداع . والاحتكاك والانتشار يكونان محور الحديث عندما يدخل العنصر الاجتماعي الثقافي الجديد المجتمع المستهدف قادما من مجتمع آخر . اما الاختراع والابداع فهو ما يبدعه المجتمع نفسه من عناصر جديدة تنشأ عنها ظاهرات اجتماعية غير مألوفة لدى المجتمع بالقياس الى قيمه وعاداته وتقاليده ونظمه وتشريعاته القائمة . وهذا هو محور حديثنا الآن باعتبار ان الثورة هي من ابداع المجتمع نفسه وما يترب عليها من ظاهرات اجتماعية جديدة تعتبر بالتالي ضمن اطار الابداع والاختراع الذي يقوم به المجتمع ذاته .

مرحلة الاحتكاك : تبدأ الظاهرة الاجتماعية الجديدة المتولدة عن ممارسة الثورة بالاحتكاك مع الظاهرات الاجتماعية التقليدية المعروفة ، وفي غالب الاحيان يتعاظم هذا الاحتكاك بحيث يصل الى مستوى النفور والصدام ، ليس مع الظاهرات الاجتماعية التي هي في نفس المستوى ، بل مع النظم والقوانين والاعراف السائدة ، ويختلف الامر هنا عن نفس الحالة التي يتعرض لها مجتمع يمارس حياته العادية عندما يواجه غزو الظاهرات الاجتماعية او العناصر التراثية الثقافية بحيث يحمل الصراع الناتج عن هذا الغزو امكانية كبيرة لرفض هذه العناصر او قبولها قبولا جزئيا . وذلك لان التركيب الاجتماعي والطبقي الذي يتسم به المجتمع العادي يمنح القوى المحافظة والطبقات العليا صاحبة المصالح المرتبطة بالواقع الراهن والفئات المؤلفة التي تشيأت الواقع وتخشى

تغييره ، يمنحها الفرصة للدفاع عن وجودها وبقائها امام اي تطور او تقدم يحمل في مضمونه تعريض هذا الوجود والبقاء للخطر او الاهتزاز او التغيير .

في حين تلقي الثورة في الحالة الاخرى على ثقلها الى جانب العناصر الجديدة وتدعمها وتعممها لما تنطوي عليه من صورة المستقبل التي تفجرت الثورة من اجل تحقيقه .

ولئن كان هناك من رفض في مجتمع الثورة لاي من العناصر الثقافيـــة الجديدة او الظاهرات الاجتماعية الناشئة عن طبيعة المرحلة الثورية الراهنة ، فان ذلك يعود الى الصعوبة في تقبل الجديد والتأقلم معه ، والتقصير الواضح فيما يجب ان تقدمه الاجهزة المختصة في مجال المحافظة على ظواهر التطور الجديدة واستمرارها وانتشارها ، وذلك بعيدا عن الاسباب التي ترفض الجديد من خلالها الطبقات الاجتماعية صاحبة المصالح المرتبطة فيما هو قائم ، والفئات المؤلينة(٢) في المجتمعات التي تمارس حياتها العادية . اذ انه ليس في المجتمع العربي الفلسطيني في اوضاعه الراهنة طبقات اجتماعية بالمفهوم العلمي لهذا الاصطلاح تربط مصالحها الاقتصادية بمجمل الاوضاع التي يعيشها الشعب والمجتمع العربي الفلسطيني وتقوم على أساس الاستغلال الاقتصادي لطبقات اجتماعية أخرى(٣)، وبالتالي فان مصلحة مشتركة يجتمع حولها المجتمع كله الآن تتمثل في تحرير فلسطين وعودة أبنائها لها .

مرحلة التفاعل : تبدأ مرحلة التفاعل مع نهاية مرحلة الاحتكاك وهي المرحلة التي تثبت الظاهرات الجديدة وجودها بالفعل ، وذلك في البحث لها عن مكان بين الظاهرات القديمة والتعايش معها بطريقة تحفظ لها البقاء والتأثير . والتفاعل هنـــا هو تفاعل اجتماعي ، والتفاعل الاجتماعي هو الذي يؤدي الى انماط سلوك عامة ومشتركة بين الجميع بحيث ينتج عنه في النهاية تكوين الاتجاهات العامة .

مرحلة القبول : وهي المرحلة التي تتشكل فيها الاتجاهات حول الظاهرات الجديدة في المجتمع ، وهذه الاتجاهات تنطوي عادة على تغييرات توافقية تتم كيفيا لتتكامل وتتحد مع الظاهرات الجديدة . ومما لا شك فيه ان هذه المرحلة قد تضم فيما تضم تيارات الرفض الضعيفة التي ما تنفك تتلاشى من حيث تأثيرها امام تيارات واتجاهات القبول الجارفة .

مرحلة التكامل : هذه المرحلة هي المرحلة النهائية ، وهي التي تنتقل فيها الظاهرات الجديدة من طور المتغيرات الى طور العموميات ، ويتم هذا بتغيير القوانين والتشريعات والانظمة بما يتفق مع طبيعة هذه الظاهرات الجـــديدة ، وبذلك تتمتع المتغيرات بقوة القانون والنظام العام .

الهوة الثورية او التخلف الثوري : اذا كان المجتمع العادي الذي يصيبه التغيير نتيجة تعرضه لعناصر ثقافية او تكنولوجية جديدة يعاني من تفاوت في درجة القبول حيال هذه

---

٢ — المؤلينة : من ألينة . وهي مصطلح عرب بمعنـــى الاستغراب تارة والاستلاب تارة اخرى . والفئات المؤلينة لمصطلح في علم الاجتماع تعني الفئات تحت البنية التحتية الاجتماعية ، وهي الفئات المسحوقة التي تشيأت واقعها واصبحت جزءا منه ولهذا تخشى التغيير وتحافظ علـــى الواقع رغم ان مصالحها مرتبطـــة بالتغيير ذاته .

٣ — لا يعني ذلك ان فئات متناثرة ومتمايزة اقتصاديا في المجتمع العربي الفلسطيني غير موجودة وغير قائمة . واعتمادنا على تحديد معنى الطبقات الاجتماعية مأخوذ عن الماركسية التي عرفت الطبقة الاجتماعية على ضوء واقع الانتاج العام والعلاقات الانتاجية المنبثقة عنه وهي علاقات استغلالية تقوم بها طبقة معينة على حساب الطبقات الادنى في المجتمع (وهذا ما هو غير موجود بالنسبة للمجتمع العربي الفلسطيني في ظل اوضاعه الراهنة) .

العناصر ، بحيث تتخلف عن قبولها مجموعات من اعضائه او طبقة من طبقاته او فئة من فئاته ، ويطلق على المرحلة الواقعة ما بين دخول العناصر الجديدة الى المجتمع ومرحلة التكامل النهائية اسم الهوة الثقافية او التخلف الثقافي، فان بامكاننا أن نطلق على المرحلة المشابهة في مجتمع الثورة اسم الهوة الثورية او التخلف الثوري .

فالاب الذي يقف مشدوها امام تحول ولاء ابنه الى الثورة بعد أن عجز ذلك الابن عن اقناعه بضرورة انتمائه والتزامه ، وما ينبع ذلك من تصادم مع رغبة وارادة ومفاهيم الاب ، والزوج الذي فوجىء بزوجته عضو في صفوف الثورة وما يفرضه هذا الوضع من التزامات ومهمات وجهود على حساب العلاقة الزوجية التقليدية التي اهتزت بسبب الاوضاع المتغيرة فرفض الزوج ما جاءت به الزوجة وآل أمرهما الى الطلاق ، الى آخر هذه المشاكل التي ترافق انعكاسات الثورة وفعلها في المحيط الذاتي بين مرحلة الانطلاق في العمليات المسلحة وحتى مرحلة التكامل ، وهي ما أسلفناه بالوصول الى أعلى مراحل التطور نحو تحديد الادوار الكاملة للشعب والمجتمع العربي الفلسطيني في اطار حرب التحرير الشعبية تعتبر هوة ثورية وتخلفا ثوريا يحتم على الثورة وأجهزتها المختصة مضاعفة الجهود في هذا المجال البالغ الاهمية لتقليص مرحلة الهوة الثورية هذه بالتوعية والتخطيط الاجتماعي للتعريف بطبيعة الثورة ومستلزماتها والزاماتها ازاء كل فرد من ابناء المجتمع العربي الفلسطيني ، أبا كان أم ابنا ، زوجة كانت ام زوجا ، بهدف صياغة عقلية ثورية جديدة تشمل كل أبناء المجتمع . ولا شك ان هذا التغيير سوف ينطوي على تغيير في المفاهيم والقيم التي سادت المجتمع نفسه عشية النكبة ، بل انه التربة الخصبة لنقيضها الذي سوف تنبت في احضانه خصائص المجتمع القادر على الاستمرار في الثورة وتحقيق النصر .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

تجربة البحث عن افق

مقدمة لدراسة الرواية العربية بعد الهزيمة

بقلم : الياس خوري

وهو مقدمة تحليلية ، تدرس اهم الاتجاهات في الرواية العربية المعاصرة ، عبر العلاقة بالتحدي الذي فرضه منطق الصراع مع الغرب الرأسمالي ، والذي يشكل الصراع العربي الاسرائيلي احد منعطفاته الحساسة . دراسة تركز على قلق البنية الروائية في بحثها عن افق تعبيري يحمل تحولات الشكل الرؤيوي .

١١٢ صفحة بثلاث ليرات لبنانية ، تضاف اليها اجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل في العالم العربي ، ١ ل.ل. في اوروبا ، ٢٥٠ ق.ل في سائر الدول .

اطلب نسختك من : قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت .

ملامح من التجربة النضالية الفلسطينية

حرب العصابات في مدن ومخيمات قطاع غزة

علي زين العابدين الحسيني

لمحة ديمغرافية عن القطاع :

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، برز قطاع غزة كمنطقة من أكثر المناطق توهجا واشتعالا بالنضال . وجذبت غزة — بحربها الخاصة — اهتماما عالميا طغى في احيان كثيرة على الاهتمام بمناطق اخرى يحتدم فيها ايضا النضال . فلماذا انفرد قطاع غزة ، قطاع الموت والجحيم — عن سائر المناطق الاخرى بوضع نضالي متميز ؟

للاجابة على هذا ، لا بد من الالمام بالمعطيات الديمغرافية الاساسية للقطاع ، وعلينا أن نعود سنوات الى الوراء حيث عام النزوح الاول (١٩٤٨) حين تدافعت جموع النازحين — قهرا — جنوبا لتتوقف ، تلك الوقفة التي استمرت اكثر من عشرين عاما .

لقد اعاد هؤلاء القرويون (الجنوبيون) تشكيل المجتمع الغزي الجديد ، فمنذ بداية وصولهم كان واضحا انهم يرفضون ان يعمقوا جذورهم في القطاع « لان هذا الرحيل رحيل مؤقت » . وكانت عبارة « بكره بنروح » هي الاغنية التي يفعمونها بحزن وشوق لا يوصفان ويرددونها في مجالسهم ويحلمون بها . وكانوا يرفضون شراء الارض ، يرفضون تشييد منازل حجرية ، حتى لا يعني هذا انهم قد تخلوا — ولو لفترة — عن التصاقهم الابدي بقراهم وبيوتهم التي ارغموا على النزوح منها .

لقد سادت روح المخيم القطاع الذي أصبح يضم ثمانية مخيمات ضخمة للاجئين هي مخيمات : جباليا ، الشاطىء ، المغازي ، النصيرات ، البريج ، دير البلح ، خان يونس ، رفح . يقطنها ١٧٢ الفا فضلا عن ٨٧(١) الفا يقيمون في مدن وبلدان القطاع . اي أن الغالبية العظمى لسكان القطاع البالغ عددهم ٣٦٠ الفا هم من اللاجئين (٢٧٥ الف نسمة) المطحونين تحت قروس البؤس ، والشقاء ، والبعد عن الوطن . والى جانبهم يعيش ابناء القطاع المواطنون ، وهم ايضا اما صغار ملاك او فلاحون يملكون أرضا في المناطق التي احتلت ، او صيادو سمك ، او من صغار الشغيلة ، او صغار الحرفيين في صناعات الفخار ، والنسيج ، والصابون ، وقطف وتغليف البرتقال . كلهم يقيمون على رقعة من الارض لا تتجاوز مساحتها الـ ٣٦٠ كيلومترا مربعا اي بمعدل ١٠٠٠ نسمة (تقريبا) للكيلومتر المربع الواحد . من هؤلاء تشكلت عجينة البارود التي راحت تنضج ببطء على نار سنوات النزوح والمعاناة والصراع من أجل البقاء .. وما أن جاء المحتلون الاسرائيليون في حزيران عام ١٩٦٧ حتى كانت عجينة البارود قد نضجت تماما . وتذكر صحيفة **دافار** الاسرائيلية :

« ان اللاجئين هم خميرة الشعب العربي في القطاع . ولقد شكل هذا الشعب (اللاجئون والمواطنون معا) خلال سنوات الارهاب القريبة (المقاومة بعد الاحتلال)

عدوا واحدا .. كانوا جميعا متطرفين في عدائهم لنا . . ولكن كان هناك من هو أقل تطرفا ، ومن هو اكثر تطرفا »(٢).

هذه لمحة سريعة عن القطاع ، كان من الضروري ان نتعرض اليها ، قبل ان نجمل الاسباب التي جعلت للقطاع وضعا نضاليا متميزا . وتتمثل هذه الاسباب فيما يلي :

السبب الاول : البنية الاجتماعية للقطاع ، حيث ان معظم سكانه ، اما من اللاجئين (اكثر من الثلثين) واما من مواطنين تتشابه ظروفهم الاجتماعية مع ظروف أبناء المخيمات ، أي أن غالبية سكان القطاع هم من المسحوقين التي ليس لها ما تخسره سوى الذل او هذه « الخيمة » . ويصف ايف كيو حالة سكان القطاع بقوله : « لقد كانوا يعملون في السنوات الماضية من أجل ان يصبحوا واعين لشخصيتهم ، فمشاكلهم ليست من النوع الذي يمكن أن يحل بمرور الزمن . لقد كان في مقدورهم وهم في مخيماتهم التعسة ان يطلوا على بيوتهم وحقولهم التي طردوا منها »(٣). وتصف **معاريف** جيل غزة الجديد بقولها :

« لقد نشأ في غزة جيل يمثل الدافع القومي لديه عامل حياة حيوي »(٤). اما **دافار** فهي تقول عنهم :

« انهم بآمالهم الشخصية وبأسهم القديم (!!!) ، واحلامهم الجماعية ، قد عبئوا بأمل مستمر « ليوم العودة » . ولقد مكنوا الجيل الجديد من بلوغ العلوم الاكاديمية في الدول العربية . وساهموا بين الحين والحين في الاعمال العسكرية ضد «الصهيونيين». وكانت نشاطاتهم هذه بمثابة مكبس الضغط الذي نشأ في المخيمات ، فلم يكن لدى هؤلاء اللاجئين ما يخسرونه »(٥).

السبب الثاني : ان اللاجئين لم يندمجوا طيلة السنوات الماضية في الحياة الاقتصادية للقطاع . وقد شكل المخيم وحدة اقتصادية واجتماعية مستقلة عن المدينة ، كذلك فهم لم يحصلوا على أية امتيازات ، مما الصقهم بقوة بالارض وبالمخيم ، فضلا عن أن الكرامة الريفية كانت تأبى عليهم الرحيل عن المخيم (وطن الغربة) ، لانهم كانوا واثقين من أنهم سينطلقون من المخيم الى طريق العودة . لقد ظلوا طيلة سنوات النزوح ، منتمين فلسطينيا ، بكل ما حمله ، ويحمله هذا الانتماء من مصاعب ، وهموم ، تحملوها في جلد وصبر ترقبا « ليوم المرواح للبلاد » .

السبب الثالث : يفتقر القطاع الى القيادات والزعامات ، فخلال سنوات النزوح فقدت الزعامات التقليدية (الدينية ، السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية) تأثيرها على الجماهير . كذلك فانه بعد حرب حزيران لم يعد قطاع غزة .. « محكوما » من قبل الادارة المصرية . ولذا فان بروز شخصية « الفدائي البطل » ، « ابن الجماهير » ، « والمقاتل من أجل حرية الوطن » جعل الجماهير تتقبل في ارتياح الزعامة الجديدة باعتبارها (زعامة الفدائيين) تمثل السلطة الفلسطينية الشرعية الوحيدة التي عرفها القطاع .

السبب الرابع : اقر قانون قبل حرب حزيران بالتجنيد الاجباري .. (وهو احد مطالب مظاهرات ٢٨ شباط ١٩٥٥) . وقد أتاح هذا القرار لجيش التحرير الفلسطيني فتح معسكرات تدريب للمواطنين من أبناء القطاع . وقبل الحرب مباشرة تسلم عدد من المواطنين المدربين قطعا مختلفة من الاسلحة . كما قام عدد من أهالي القطاع بالبحث عن الاسلحة المتروكة على ارض المعارك حيث قاموا بتخزينها في مستودعات مموهة .

السبب الخامس : التربية القومية التي نشأ عليها ابناء القطاع ، وارتباط القطاع منذ عام ١٩٥٤ بزعامة عبد الناصر واثر هذه الزعامة عليهم . وتذكر صحيفة **معاريف** :

« ان سكان قطاع غزة هم العرب القوميون اكثر من غيرهم ، فقد نشأ جيل في المنطقة يمثل الدافع القومي لديه عامل حياة حيوي . فاسم فلسطين يظهر في كل بيت من بيوت القطاع تقريبا .. وحتى زجاجات الكوكا كولا التي تصنع في غزة لم تكن تخلو من اسم فلسطين »(٦) وهذا ما أدى الى « ان يصبح المخيم ليس مجرد مساحة من الارض تضم مجموعة من اللاجئين التعساء وانما مصنعا لتفريخ الجماعات التخريبية »(٧).

السبب السادس : التجارب النضالية التي خاضها ابناء القطاع عبر اطر الاحزاب السياسية السرية . فلقد صقلت هذه الممارسات الانسان الفلسطيني ، وبلورت روح النضال لديه ، ووضعته على عتبات الثورة .

واذا كنا لا نستطيع ان نقصر اسباب انفراد القطاع بوضعه النضالي المتميز على الاسباب السابقة فقط ، الا اننا نجد ان هذه الاسباب قد شكلت الظروف الموضوعية التي أدت الى دفع القطاع من كونه « قطاع لمخيمات اللاجئين » ، الى « قطاع الموت للاسرائيليين المحتلين » .

ولقد عكف الخبراء الاسرائيليون على دراسة اوضاع القطاع في محاولة لوضع أيديهم على الاسباب الرئيسية « لنشاط حركة التخريب واتساعها » ولوضع الخطط الكفيلة — على ضوء تلك الدراسات — بمعالجة هذا الوضع والقضاء عليه ، وخلص هؤلاء الخبراء الى ان المشكلة الاساسية تتمثل في مشكلة اللاجئين وكثافتهم السكانية الكبيرة في المخيمات . ويقول داني تسدقوني في مقال (بداية الحل لمشكلة اللاجئين) :

« ان عدم العناية بمشكلة اللاجئين ، وعدم البدء في توطينهم ، ثم عدم ايجاد الامل بالمستقبل لديهم ، كل هذه خلقت مناخا مناسبا لنمو تنظيم عدائي ارهابي وسلبي على حد سواء . ولو اننا عالجنا — بشكل جدي — مشكلة اللاجئين عقب الاحتلال مباشرة، لما ولد « الارهاب » العربي في قطاع غزة . **ولما كان قد وصل الى هذه الدرجة المخيفة التي وصل اليها . لقد أصبح قطاع غزة احدى الجبهات العسكرية الاكثر مضايقة لنا من اية جبهة عربية اخرى** »(٨).

فكيف توصل القطاع الى أن يصل « بارهابه » الى هذه « الدرجة المخيفة » ؟ وكيف أصبح الجبهة العسكرية الاكثر مضايقة لاسرائيل من اية جبهة عربية ؟ والاجابة على هذا ، تكمن في طبيعة الحرب الخاصة التي توصلت اليها الحركة الثورية المسلحة في القطاع .

المفهوم الفلسطيني لحرب عصابات المدن والمخيمات :

« ليست هناك دراسة محددة حول حرب العصابات في المدن ، وبالتالي ليست هناك نظرية عامة يمكن ان تطبق في اي زمان وأي مكان .. فما يمكن ان يطبق في مكان قد يطبق او لا يطبق في مكان اخر »(٩). هذه هي الحقيقة التي واجهت الحركة الثورية المسلحة في قطاع غزة : ان عليهم — اذن — أن يخلقوا او يشكلوا حربهم الخاصة ضد العدو المحتل، وأن يصوغوا — عبر ممارساتهم النضالية — نظريتهم وتكتيكاتهم القتالية.

لقد أطلق الخبراء على حرب العصابات في المدن تعبير « حرب الانهاك والاستنزاف »(١٠). ولقد نظر الثوار الفلسطينيون الى هذه المقولة نظرة شمولية . واعتبروا أن حربهم ضد العدو ، هي حرب تهدف الى تصفية الكيان الاحتلالي عبر الكفاح المسلح والعنف الثوري ، وهي حرب متصلة الانفاس مع الحرب التي يشنها الثوار في المنظومة الثورية ، سواء كانوا يقاتلون في العراء ، او في الجبال ، او في العمق الاستراتيجي للعدو ، او خلف خطوطه الامامية ، او داخل المدن .

ولقد حققت الحركة الثورية المسلحة في قطاع غزة اهدافها عبر السبل التالية :

اولا ــ تحويل الحركة الطليعية الى حركة جماهيرية .. وتوليد جيل مــن المقاتلين الثــوار :

كانت العمليات العسكرية الاولى التي نفذها ثوار القطاع ، بمثابة **« الاعلام المسلح »** عن وجود الحركة المسلحة واهدافها ، او بتعبير ادق عن قدرة الثــورة الفلسطينية المسلحة علــى التمدد لتصــل حتى المناطق المعزولة . ولم يكن قرار البدء بالعمليات العسكرية قرارا سهلا ، فقد تطلب مثل هذا القرار دراسات ، واستعدادات وجمــع معلومات ، وتوفير شبكات اتصال ، ومخابىء ، ومصادر تمويل ، الى اخر ذلك .. وكانت احدى المشكلات الاساسية التي واجهتها قيادة « حرب العصابات » في القطاع ، ان هناك من ممثلي الاحزاب السياسية ومن الوطنيين المستقلين من يعارض تنفيــذ عمليــات عسكرية ضد القــوات والاهداف الاسرائيلية داخل نطــاق الاماكن المأهولة بالسكان العرب وذلك « خشية ان يمتــد بطش السلطة الاحتلاليــة الى السكــان الابريــاء (!!!) » .

وقد رفض القادة المقاتلون هذا التحفظ بشدة ، على أساس **ان العمل بعيدا عــن المناطق المأهولة بالسكان انما سيعزل الحركة المسلحة عن جماهيرها ، وبالتالي سيبعد الجماهير عن حلبة الصراع ــ وهو صراع مصيري ــ وعلى أساس أن الانتقام الارهابي من قبل السلطة ضد الجماهير سيدفع بها الى بؤرة النضال لتتحمل بدورها اعبــاءه ومسؤولياته ، ولتزغد الحركة الثورية بالمقاتلين ، ولتتحول الحركة الطليعية الى حركة جماهيرية** . وتؤكد صحف العدو صحة موقف المقاتلين وسلامة قرارهم عندما تقــول : « ان حركة التخريب اكتسبت قدرتهــا العسكريــة بفضــل كونهــا أصبحت حركــة شعبية »(١١) « أخذ المخربون يزيدون من قوتهم من شهر لشهر ، وكلما نجحنا في وضع ايدينا على الكثيرين منهم ، كان السكان المحليون يدركون ما يحدث فيزودون صفوف المخربين برجال اكثر »(١٢) . « ان تعاون السكان مــع المخربين لا يتم قهــرا وانمــا طواعية »(١٣) . « لدى سلطات الامن اثباتات واضحة جدا عن تعاون فعلي من جانب السكان مع المخربين .. وهنا تكمن الصعوبة الاساسية لكبح عمليات الفدائيين .. وعلى الرغم من عمليات القتل المتعددة تعتقد عناصر الامن انه لا ينتظر حدوث مواجهة (!!!) بين السكان والمخربين »(١٤) .

ولقد عبر الكثيرون من ابناء القطاع عن ذلك بقولهم : « كنا نترقب سمــاع صوت الانفجارات كل ليلة ، وحين كنا نسمع صوت انفجار قريب نصعد الى أسطحة بيوتنــا لنشاهد ما يمكن مشاهدته ... وكنا نشعر بالحزن والقلق الشديدين اذا ما خلت ليلة من الانفجارات »(١٥) . ثم جاءت **دافار** لتؤكد ذلك بقولها : « وفي الازقــة في مخيمــات اللاجئين ترى بقعا مغطاة على الطريق ، وهو دليل على اشعال المشاعل كتعبير عــن حداد الاهالي على موت مخربين مشهورين ، وترى قبور المخربين مزينة ، فهم أبطــال الجماهير في نظر الاهالي » (دافار ٧٢/١٢/٢٨) .

وهكذا ، استطاعت الطليعة الثورية عبر ممارساتها النضالية الشجاعة ــ شبــه اليومية ــ وعبر بطولاتها التي أصبحت متداولة جماهيريا ، ان تتحــول الى حركــة جماهيرية مولدة جيلا من المقاتلين الذين اندفعوا لتزويد الحركة بالثوار مما ادى الى ان يجد **الجيش الاسرائيلي نفسه لا يحارب مجموعات متناثرة من الفدائيين وانما « عليه أن يحارب شعبنا »**(١٦) . ولم يعد من الممكن كبح جماح العمل الفدائي « لقد ســقط هذا

الشعار عبر نضال الثوار الملتحم بالجماهير التي أصبحت مؤمنة **بأن الحرب مع اسرائيل لن تنتهي الا بعد تحرير فلسطين** »(١٧).

ثانياً ــ أضعاف العدو ، وارباكه واستنزاف قواه البشرية والمادية وحجر معنوياته وعدم اتاحة الفرصة له للاستقرار والتجذر في المناطق المحتلة ، وارغامه على مسمرة جانب من قواته في المدن لتخفيف العبء على المناطق الاخرى التي يقاتل فيها الثوار . ان القاء نظرة على عدد ونوعية العمليات العسكرية التي نفذها الثوار في القطاع ، سواء كانت العمليات التي اعترف بها الناطق العسكري الاسرائيلي او التي اذيعت على لسان الناطق العسكري الفلسطيني ، يتيح لنا الالمام بمدى فعالية العمل العسكري وتأثيره على مجمل الوضع الاحتلالي من حيث ضعف سلطته ومن حيث عدم تمكنه من تنفيذ مخططاته الاستيطانية والتمايشية والتهويدية . وتقول نوفيل اوبسرفاتور : « هذه هي غزة بعد اكثر من ثلاث سنوات من الاحتلال الاسرائيلي ، انها تشبه اكثر من اي وقت مضى « دولة » احتلت حديثا ، تحاول فيها القوات البحث عن الارهابيين المختبئين في المنازل ، كما تحاول القضاء على اخر معاقل المقاومة »(١٨).

« ما العمل في غزة ؟ » وكيف يتم استئصال هذا السرطان من جسم الدولة ؟ وكيف نوقف تدفق الجحيم على اسرائيل من القطاع ؟ كان الشعار الذي رفعته السلطة العسكرية الاحتلالية في بداية الاحتلال ، يحمل الكثير من التفاؤل والثقة بالنفس : « ينبغي كبحهم في القطاع »(١٩). لكن المتفائلين صدموا بقسوة عندما وجدوا ان القمع العسكري ، وقانون الجوار (قانون دايان) وقوانين نفي اسر الفدائيين والمتعاونين معهم الى معسكر ابو زنيمه في صحراء سيناء ، وابعاد المواطنين بالجملة الى الضفة الغربية .. وعمليات النسف المتواصل لمنازل المواطنين والتي وصلت الى رقم قياسي (حوالي الفي منزل) .. ان كل هذه لم تكبح جماحهم .. بل انهم جمحوا اكثر ، واتسع نطاق عملياتهم لتشمل كل مناطق القطاع ، بل ان الامر تعدى ذلك الى ما هو ابعد من القطاع حيث أصبحوا يتسللون الى مناطق المستعمرات الاسرائيلية القريبة من غزة مما دفع بالسلطات الاسرائيلية الى الاعلان عن بناء حاجز امن حول المستعمرات تحسبا من تسلل ثوار القطاع الى هذه المستعمرات(٢٠). وفي ٧١/٤/٢١ صرح المشرف على امن المستوطنات المحيطة بالقطاع : « ان وضع الامن في المستوطنات المجاورة لقطاع غزة خطير اليوم ، اكثر مما كان عليه قبل حزيران . فمنذ حرب حزيران حتى شهر شباط ١٩٧١ زرع في المستوطنات حوالي ١٥٠ لغما انفجر معظمها وتسبب في وفاة اربعة عشر شخصا (!!!) كما وقع ٥٠ حادث اتلاف ممتلكات في هذه المستوطنات »(٢١).

وللمرة الاولى منذ اقامة الكيان الصهيوني ، يشاهد المستوطنون الاسرائيليون لافتات لم تكن موجودة قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، اي قبل احتلالهم لقطاع غزة ، تحذر من السير في الطرق الترابية لاحتمال وجود الغام فيها . وتقول احدى هذه اللافتات مثلا : « انك تدخل الى منطقة يشك ان طريقها الترابية ملغومة .. يجب عدم النزول عن الشارع الرئيسي »(٢٢). وأصبح المطلب الدائم للمستوطنين الاسرائيليين في اي لقاء لهم مع احد المسؤولين المزيد من المخابىء بسبب كثرة اعمال « المخربين » ومطلوب حزام امن حول منطقتنا لحمايتنا منهم(٢٣).

وفي ٧١/٧/٢٧ اجتمع الكنيست لمناقشة الحالة الخطيرة التي تعيشها المستوطنات القريبة من غزة .. ازاء هذا الوضع اتضح عجز القيادة الاسرائيلية عن وقف تدفق النشاط الفدائي ، فقد سبق لدايان ان اصدر قرارا في ٦٩/٧/٧ باخراج الدوريات الاسرائيلية ومراكز الشرطة من المخيمات حفاظا على ارواح الجنود الاسرائيليين(!!) . في ٦٩/٨/٥ اغلقت السلطات الاسرائيلية الطريق العام (غزة ــ رفح) في وجه

الاسرائيليين من أجل حمايتهم من الهجمات المتزايدة للفدائيين في المنطقة(٢٤). **وبرر القادة الاسرائيليون ذلك بشعار جديد : « ليقتل العرب بعضهم البعض !! »** . اشارة الى عمليات الاعدام التي ينفذها الثوار في حق العملاء والمتعاونين مع العدو .

وكان في تصور السلطة الاحتلالية ان ترك الجماهير تحت « رحمة الفدائيين » « وفوضى العنف » سيؤدي في النهاية الى تفكيك التكتل الجماهيري المتلاحم بالثوار . لكن ما حدث هو العكس تماما ، حيث توسعت الحركة الثورية لتكتسب المزيد من القوة لكنها لم توجه قوتها الى الجماهير ، ــ كما توقع الاسرائيليون ــ وانما **هم خرجوا من المخيمات ليهاجموا الطرق الرئيسية ومركز مدينة غزة وليتوسعوا في قتل الاسرائيليين .** وهكذا ، وفي الوقت الذي هدأ القتال في الجبهات العربية ، كانت غزة هي الجبهة التي تحتدم بالقتال . « وفي الوقت الذي انتكس فيه العرب على جبهات القتال ، **اجتذبت غزة قوات كبيرة من جيش الدفاع ومجد اسم مخيم جباليا في قطاع غزة وفي العالم العربي كمخيم للحرية** »(٢٥).

وارتفعت اصوات اسرائيلية تندد بالسياسة العسكرية والمدنية في قطاع غزة وتهاجم دايان مباشرة لعجز الذراع العسكرية عن القضاء على النشاط الفدائي في القطاع . وبدا الكثير من الاسرائيليين يتخلون عن تفاؤلهم بالنسبة للقطاع .. فقد اتضح لهم بعد خمس سنوات من الاحتلال « انه ليس هناك احتمال لحل في قطاع غزة »(٢٦). واتضح أيضا من نتائج الاستفتاءات التي تجريها المؤسسات الاحصائية الاسرائيلية « ان اكثر من ٥٠ بالمئة من المستفتين لا يمانعون في التخلي عن القطاع في حين أن ٩٥٪ يرفضون الانسحاب او التخلي عن القدس واكثر من ٨٠ ٪ يرفضون التخلي عن المرتفعات السورية » . (اوبزيرفر البريطانية ١٩٧١/٨/١) .

وعقب احداث ايلول ١٩٧٠ ، ووقف اطلاق النار على الجبهة المصرية تسنى للجيش الاسرائيلي ان ينفرد بالقطاع للمرة الاولى منذ العام ١٩٦٧،وحشدت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية امكانيات ضخمة ، للسيطرة على القطاع ، وجلبت جنود حرس الحدود وقوات خاصة للقيام بعمليات قمع واسعة ضد الجماهير والثوار . لقد وفر لهم النظام الملكي في الاردن فرصة نادرة اشار اليها زئيف تشيف بقوله : « ان محاربة الملك حسين للمخربين ساعدت على حدوث تغير في مخيمات القطاع »(٢٧).

ثم فتحت مجازر ايلول وضرب الجيش الاردني لمخيمات اللاجئين في الاردن ، مجالا رحبا امام الاسرائيليين للتصرف بحرية أكبر ودون خشية ردود فعل الرأي العام العالمي، لدرجة دفعت د. أوري لان يكتب « لماذا لا نقصف نحن ايضا مخيمي الشاطىء وجباليا بقنابل الشظايا التي تحملها طائرات سكاي هوك .. مثلما فعل الاردنيون بالمخيمات الموجودة لديهم ؟ ولكن حكومتنا لن تفعل مثلهم فبدلا من محو مخيم الشاطىء (كم٢) من على وجه الارض قرر الجيش وجوب احتلال المخيمات من الداخل »(٢٨).

وهكذا اصبحت الظروف مواتية للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية للعمل بحرية وحشد قوات أكبر في القطاع . وتمركزت جهود الخبراء والجنرالات من اجل « حل مشكلة الامن في القطاع » . وقرر الجيش الاسرائيلي انه ينبغي احتلال المخيمات من الداخل (!!) والسيطرة عليها لمدة أربع وعشرين ساعة يوميا.ويدل هذا القرار على **انه بعد خمس سنوات ونصف السنة من دخول القوات الاسرائيلية قطاع غزة ، فان هناك اعترافا صريحا بان احتلال القطاع لم يتم حقيقة** ، وان على جيش الدفاع ان يتولى تنفيذ مهمة احتلال المخيمات ليفرض عليها سيطرته ، الامر الذي يعكس مدى حجم الحركة الثورية المسلحة في القطاع والنتائج التي حققتها على صعيد قتالها الشجاع وعنفها الثوري

المتصل . ولقد اعترفت صحافة العدو بهذه الحقيقة عندما كتبت : « ان الفلسطينيين في قطاع غزه لم ينحنوا على الرغم من الخسائر التي انزلناها بهم ، لقد فقدوا كثيرا من عناصرهم وقياداتهم ، لكنهم لم ييأسوا ، انهم يطورون يوما بعد يوم وسائلهم واساليبهم القتالية ، **وهم الوحيدون الذين يحولون دون امكانية الوصول الى تسوية بين الدول العربية واسرائيل** »(٢٩) . « لقد بادروا الى اقامة حركة ارهابية شعبية كبيرة الزمتنا بجمع موارد عسكرية جدية لقمعها »(٣٠) .

ثالثا — خلق سلطة ثورية موازية للسلطة الاحتلالية :

استطاعت الحركة الثورية المسلحة في القطاع ان تتوصل الى خلق سلطتها الثورية على جماهير القطاع . ففي عام ١٩٧٠ كتب آمنون كابليوك : « ان الفدائيين يسيطرون على المواطنين بينما يسيطر الجيش الاسرائيلي على الارض »(٣١) . وفي عام ١٩٧١ كتب د. اوري : « اصبح المخرب الان هو الزعيم والبطل في غياب قدرة السلطة على ضمان حياة المتعاونين معها »(٣٢) .

ولقد تمثلت مظاهر السلطة الثورية داخل القطاع في :

١ — **افشال المخططات السياسية** التي تهدف الى اقامة مجتمع التعايش والدمج .

٢ — **عقد محاكمات ثورية للعملاء** واعدامهم في وضح النهار .

٣ — **استجابة الجماهير لدعوة قادة الحركة الثورية للاضراب والتظاهر**، وقد وصلت الاستجابة الجماهيرية الى حد الاضراب الشامل في جميع انحاء القطاع (٧١/١/١٣ ، ١٩٧١/٨/١٤) او كما اسمته صحيفة مانشستر جارديان (١٩٧١/١/١٦) « المقاومة الشاملة على شكل عصيان مدني حيث توقف العمال والموظفون وطلبة المدارس عن الذهاب الى اعمالهم احتجاجا على ابعاد اللاجئين من المخيمات استجابة لدعوة المنظمات . » بالاضافة الى المشاركة الجماهيرية التلقائية لتشييع جنازات الشهداء والتي غالبا ما كانت تتحول الى مظاهرات صاخبة مثلما حدث في جنازة الشهيد يوسف الخطيب الذي ودعته الجماهير على أصوات الرصاص حسب تحية الوداع التقليدية للشهداء .

٤ — **التحكم في مناطق المخيمات** وارغام العدو على اخراج قواته ومراكز الشرطة من هذه المناطق . ولقد حاولت السلطة الاحتلالية اكثر من مرة خلق سلطة محلية متعاونة لتحكم القطاع من خلالها ، ولتنفذ بواسطتها مشاريعها الاستيطانية والتوسعية والسياسية . . الا انها عجزت بسبب مبادرة الحركة الثورية للتصدي للمتعاونين والعملاء واعدام بعضهم مما أدى الى احجام المتعاونين والعملاء عن القيام بأية مهام توكل اليهم من قبل السلطة . ولقد كتب زئيف شيف حول ذلك :

« لقد أدرك المتعاونون ان الذي يحسم الامور هنا هم المخربون »(٣٣) ثم ذكرت **معاريف** هذا الامر بقولها : « اصبح المخاتير ادوات فارغة عديمة التأثير »(٣٤) . وعلقت **المرصاد** على الوضع القائم في غزة بقولها : « وفقدت المؤسسة التقليدية لسكان القرى قوتها وتأثيرها في واقع الحياة الجديدة الذي نتج في المخيمات (دافار ١٩٧٣/١/٨) ولم يعد هناك من يجرؤ على التقاط « الجوز » من بين الجمر خدمة للسلطات الاسرائيلية ، اذ انه بعمله هذا سيعتبر خائنا لدى أبناء شعبه . . ان المنظمات هي القوة الصاعدة التي تمثل الفلسطينيين وبدون موافقتهم لا نفوذ لاية اتفاقية »(٣٥) .

وفي اعقاب اعدام ذيب الهربيطي سكرتير لجنة الانتخابات في معسكر الشاطىء بغزة يوم ١٩٧٣/٢/١١ ، ومحاولة اعدام رشاد الشوا رئيس البلدية السابق لمدينة غزة

وتوجيه تحذيرات حاسمة للمتعاونين ، تعاقبت استقالات اعضاء لجان الاحياء المحلية واعلن عن تجميد نشاطها . كما اعلن المستقيلون : « انه لم يعد في مقدورهم مواصلة أعمالهم بسبب تهديدات الفدائيين »(٣٦). وفي ١٩٧٣/٢/١٤ أعلن موشيه ديان انه وافق على السماح لبعض المواطنين العرب في القطاع بحمل أسلحة من أجل ما اسماه بالدفاع عن النفس .

ولكن العملية الجدلية بين ارادة الاحتلال وارادة الحركة الثورية الشعبية لم تتوقف، فكلما تفننت السلطة الاسرائيلية في ابتداع اساليب وتكتيكات قتالية جديدة ، تفنن الثوار بدورهم في ابتكار تكتيكات وأساليب قتالية مضادة لتكتيكات العدو وخططه . وتطويرها حسب ضرورات الوضع المتبدل .

التكتيكات القتالية لحرب العصابات في مدن ومخيمات القطاع :

كان لدى الثوار اعتباران اخذوا بهما عند مناقشتهم للتكتيك القتالي الواجب اتباعه عند مهاجمة الاهداف الاسرائيلية : الاعتبار الاول يتصل بالمرحلة الزمنية ، والاعتبار الثاني يتصل بطبيعة المكان والهدف المقصود .

بالنسبة للاعتبار الاول (المرحلة الزمنية) ، كان من الصعب مثلا أن تبدأ الحركة الثورية المسلحة عملياتها داخل القطاع بعمليات هجومية داخل المدن او المخيمات في وضح النهار ، فقد كان هذا النوع من العمليات يحتاج الى **ضمان غطاء جماهيري للثوار المهاجمين** . وعلى هذا فقد كان على الحركة الثورية ان تنشط عقب الاحتلال في اقامة علاقات وثيقة مع الجماهير دون ان تتخلف عن العمل المسلح، وذلك بهدف **تهيئة الجماهير واعدادها اعدادا ثوريا لكي تتحمل نصيبها من التضحية .**

وبالنسبة للاعتبار الثاني (طبيعة المكان) فقد كان يتعلق بضرورة استخدام الاساليب والتكتيكات القتالية الملائمة مع العمل في المخيمات وفي الشريط الساحلي الضيق الذي يشكله قطاع غزة . وسنحاول فيما يلي تتبع التكتيكات القتالية التي استخدمها الثوار في قطاع غزة (زمانا ومكانا) .

اولا — **حرب الالغام والمتفجرات** : بث الالغام في طرق الدوريات العسكرية ووضع الحشوات الناسفة أسفل خطوط السكك الحديدية وتحت ابراج الكهرباء وعلى الطرق الترابية المؤدية للمستوطنات المحيطة بقطاع غزة .

تميزت باكورة النشاط العسكري في القطاع بما يمكن ان نطلق عليه « حرب الالغام والمتفجرات » حيث انتشر هذا النوع من العمليات انتشارا واسعا ، وكان يتلاءم مع طبيعة المرحلة الزمنية التي تتمثل في اعداد الجماهير وتهيئتها ثوريا للاسهام بالكفاح المسلح وتحمل مسؤولياتها في مواجهة اعمال القمع والارهاب . ولقد واصل الثوار استخدامهم لهذا التكتيك القتالي فيما بعد ، بعد ان ادخلوا عليه بعض التعديلات لدرجة دفعت قيادة القوات الاسرائيلية في القطاع الى تحذير جنودها « بعدم لمس اي جهاز ترانزستور في الطريق او في اي مكان اخر لان فدائيي غزة قد ابتكروا جهازا جديدا لايقاع الناس »(٣٧). وكان شعار المرحلة النضالية : « لا تدع الاسرائيليين ينظفون البيت » و« لا تترك لهم حرية العمل في القطاع » . لذا تركزت عمليات التلغيم والنسف على المنشآت الحيوية التي يهدف العدو من ورائها ربط القطاع بالاحتلال ، وخلق مجتمع التعايش .كما كان لضرب ونسف اهداف في المستوطنات القريبة نتائج سلبية على نشاط حركة الاستيطان في قطاع غزة . حيث عدلت السلطة الاحتلالية — مؤقتا — عن بناء مستوطنات او التوسع في بناء مستوطنات في القطاع .

وقد ساهم في الاعلام عن هذه العمليات نشرات المقاومة السرية التي تصدر داخل القطاع (الجبهة الوطنية المتحدة) بالاضافة الى اذاعة الثورة والاذاعات العربية . كما ان ضيق رقعة القطاع جعل انباء اية عملية عسكرية تنتشر بسرعة بين السكان ويتداولها الصغار بكثير من الاعتزاز والزهو ، وقد أدى هذا الى تولد علاقة حميمة بين الفدائيين والصغار من أبناء القطاع الذين قاموا بدور هام في جمع المعلومات للفدائيين، وفي فضح تحركات العدو المضادة وفضحها في الوقت المناسب .

ثانيا — **الكمائن** : كانت المجموعات الصغيرة التي تضم ثلاثة مقاتلين او اكثر تكمن لسيارة دورية او لقطار حسب خطة عسكرية موضوعة مسبقا يكلف على أساسها أفراد المجموعة بمهام محدودة . وكان مثل هذه العمليات يتطلب جمع المعلومات اللازمة عن تسليح الدوريات وعدد افرادها ونوع السلاح الذي يجب ان يستخدم .. الى اخر ذلك. وكان افرادها يعتمدون على التنفيذ السريع والانسحاب السريع من المنطقة بسبب توفر النجدات السريعة للعدو . وتحديد مكان الاختفاء مسبقا . واستخدام اكثر من نوع للسلاح ، والاجادة والكفاءة في الاستخدام . ومن الامثلة العملية على ذلك . هو انه صدرت في احدى العمليات تعليمات الى مجموعتين بالقضاء على دورية اسرائيلية (آلية وسيارة جيب) اثناء مرورها ليلا على الطريق المسفلت بين رفح وغزة . ولما كانت هذه الطريق تمر بمدينتين بخان يونس ، ودير البلح وفيهما مراكز رئيسية للقوات الاسرائيلية يمكن لها ارسال نجدات دورية الى مكان الاشتباك ، فقد رؤي مهاجمة الدورية عند المكان الذي تكون فيه (الدورية) على أبعد مسافة من اي مركز عسكري للعدو مع مراعاة الطبيعة الجغرافية لموقع الاشتباك . وحدد المكان بين دير البلح — غزة في نقطة تبعد ١٢ دقيقة بالسيارة عن غزة وثماني دقائق عن دير البلح . وعلى هذا الاساس قدر قائد العملية على أن النجدة ستأتي من المركز العسكري للعدو في بلدة دير البلح والطريق من هذه البلدة الى مكان الاشتباك يتميز بطبيعة تمكن مجموعة اخرى من نصب كمين لقوات نجدة العدو والاجهاز عليها بسرعة.ولقد حدد قائد المجموعة خمس دقائق لانهاء العملية والقضاء على الدورية الاسرائيلية .. وحدد خمس دقائق اخرى للمجموعة الثانية التي كمنت على بعد خمس دقائق من بلدة دير البلح ..

وهكذا وفي الوقت الذي اوشكت فيه المجموعة الاولى على الانتهاء من العملية .. كانت المجموعة الثانية تتعامل مع قوات النجدة التي ارسلها مركز دير البلح .. والتي فوجئت بالكمين المتقدم . وقبل أن تهرع النجدات الاسرائيلية من غزة .. ودير البلح بعد الاستغاثات التي صدرت من الدورية وقوات النجدة كان جميع افراد المجموعتين قد اختفوا تماما .

ثالثا — **الهجمات المفاجئة على أهداف في أماكن عامة وفي وضح النهار** (حسبة السمك — ميدان فلسطين — ساحة التكسيات — الكازينو — سوق المخيم ، مركز الشرطة) . وكان هذا النوع من العمليات يتميز بأنه يتم في أماكن مكتظة بالجماهير ويكون الهدف اما شخصية اسرائيلية كرجل مخابرات مثلا او ضابط واما شخص عميل او خائن . ويحتاج هذا النوع من العمليات الى مهارة عالية في استخدام الاسلحة الخفيفة . ويقوم بتنفيذه شخص او اثنان.ويتوقف نجاحه على قدرة الثائر على الاختفاء وسط الجماهير .

وتعتبر هذه العمليات الهجومية المفاجئة من أخطر العمليات ، ونتائجها المعنوية هامة للغاية لانها : تتم في وضح النهار ، فاذا كانت اعدام عميل ، فهي تؤكد قدرة فعل الثورة

على الوصول الى العملاء في وضح النهار وامام الجماهير مما يثير رعب بقية العملاء والخونة . واذا كانت العملية الهجومية تستهدف ضابطا او شخصية اسرائيلية فانها تتيح للجماهير فرصة مشاهدة كفاءة الفدائي ، وتحرم العدو من فرصة اخفاء خسائره . كما انها تفقد جنود العدو وضباطه الثقة بأنفسهم وتصيبهم بحالة من الهلع والرعب من كل ما يحيط بهم . وفي لقاء لمراسل مجلة لايف الامريكية — بيتر يونغ — مع احد الجنود الاسرائيليين في مدينة غزة ، قال الجندي للمراسل الامريكي : « لا تغادر سيارتك على الاطلاق ، واصل السير دون توقف، ولا تحاول البقاء في أي مكان فترة طويلة، ان هناك لوحة تحمل ارقاما اسرائيلية على سيارتك . ولذلك **سيتصورونك** اسرائيليا وستكون سيارتك **هدفا جيدا لرصاصهم** » .

لقد اخذ هذا النوع من العمليات العسكرية طابع التنفيذ الفوري في القطاع ، وكان الثائر يتسلح بقنبلة او اثنتين يخفيهما بمهارة وبمدفع رشاش اما يحمله بين طيات ملابسه او يخبئه بمساعدة شخص اخر . ولم يكن الهدف محددا في جميع الاحيان ، فكان يحدث ان « يتسوق » الفدائي الهدف الاسرائيلي المناسب اثناء تجواله ليضرب ضربته ثم يختفي وسط الجماهير .

وابتكرت الجماهير — التي وصلت الى درجة عظيمة من الوعي والمشاركة النضالية — وسيلة تخابر لتحذير الفدائيين من عمليات المداهمة والتطويق للمخيمات . الامر الذي جعل الفدائيين يعملون علانية بعد أن وفرت لهم الجماهير غطاء الحماية . وهكذا اخضع الثوار قطاع غزة الخالي من الغابات والجبال الى واقعهم النضالي .

رابعا — **مهاجمة مكاتب العمل وباصات نقل العمال العرب في مدن القطاع** : قامت السلطات الاحتلالية بفتح مكاتب للعمل في المؤسسات والمزارع الاسرائيلية داخل الارض المحتلة قبل عام ١٩٤٨ . لربط الجماهير مصلحيا باقتصاد العدو بغية تدجينها ، وكان لا بد للحركة الثورية من القيام باجراء ثوري مضاد بدأته بحملات توعية بالمنشورات وتوجيه تحذيرات الى العمال ثم انتقلت بعد ذلك الى دائرة العنف الثوري .

خامسا — **تصفية العملاء والمتعاونين** ، وتوجيه انذارات كتابية لهم ثم اختطافهم ومحاكمتهم في محاكم للثورة داخل المخيمات ، واعدامهم علنا امام الجماهير .

ممارسات خاطئة :

ان من مبادىء العمل الثوري (وكل عمل) ، تبادل الخبرات والتجارب بين الثورات برجه عام ، وبين ثوار البلد الواحد بوجه خاص . وهذه هي الوسيلة الاساسية لكي يتفادى الثوار الوقوع في اخطاء سبق الوقوع فيها ولتجنب الممارسات الخاطئة او تقليصها ما أمكن في المستقبل . لذا فان من الضروري طرح الممارسات الخاطئة لعمل ثوار القطاع لتكون منطلقا لاي نضال مقبل . وتتمثل هذه الممارسات في :

اولا : **ان التنظيم الثوري في قطاع غزة اعتمد في بدايته على نظرية الدورية** ، اي أن كل دورية هي بمثابة خلية عمل ثورية وبذلك نشأ التنظيم المقاتل وسيطرت نظرية الدورية على التنظيم . وكان لهذا نتائجه السلبية على مجمل الوضع النضالي في مرحلة متقدمة عندما انحصرت قدرة الثورة القتالية ، وتقلصت امكانيات التسليح في الداخل ، خاصة بعد احداث ايلول في الاردن عام ١٩٧٠ ، وتفرغ الجيش الاسرائيلي لمواجهة النشاط الفدائي ، عندئذ فقد التنظيم نظريته .

ثانيا — **التخلي عن السرية والامان والعمل بشكل علني في مرحلة المد النضالي** . ولقد أصبح بوسع الكثيرين من ابناء القطاع ان يشيروا الى أحد المارة بقولهم « انه

الفدائي فلان » . واذا كان الثوار في القطاع قد نجحوا في غطاء جماهيري يحمي الثوار، الا ان هذا النجاح ما كان ليبرر لهم التخلي عن قاعدة السرية والامن لحمـــاية الثائر والحركة الثورية . (أحيانا كان يصل الامر بالمدنيين الى التجمهر حول مجموعة مـــن الثوار) ولقد كان من أسباب ضعف السرية والامن عدم التزام الجماهير بعامل السرية والكتمان — بسبب ضعف التنظيم السياسي — .

ثالثا — **عدم تحري الدقة في اختيار المخبأ الامين**: على الرغم من أن الثوار الفلسطينيين قد نجحوا في ابتكار مخابىء قتالية نموذجية للاختفاء (أسفل قواعد المراحيض ، خنادق تحت أشجار الصبار ، انفاق ، بيوت بعيدة عن الشبهات ..) الا انه حدثت عدة اخطاء قاتلة بسبب افتضاح امر هذه المخابىء للسلطة مثل ترك ادلة بسيطة تشير الى تواجد الثوار في مكان ما ، او داخل احد المنازل (لقد تسبب عدد من فناجين القهـــوة التي تركها الفدائيون على مائدة صاحب المنزل الذي يختفون فيه الى افتضاح امـــر احدى المجموعات واستشهادها بالكامل) .

رابعا — **استطاعت بعض الشخصيات العميلة ان تكسب ثقة بعض قيادات وكوادر الحركة الثورية المسلحة** في الداخل والخارج ، واوكل لهذه الشخصيات مهام نضـــالية (كاخفاء السلاح في بياراتها) .

خامسا — **عدم تبادل الخبرات والتجارب والمعلومات في جميع المجالات**، وهذا ما أدى الى وقوع الثوار في اخطاء سبق لرفاقهم ان وقعوا فيها ، فضلا عن ان توقـــف هـــذه العملية أدى الى اصابة الحركة بشلل نسبي وعجز عن مواجهة الاساليب المتطورة التي تستخدمها السلطة ضد الثوار والجماهير .

سادسا — **ضعف المستوى العسكري لعدد من المقاتلين** ، لقد كان مجرد حيـــازة الشخص لقطعة سلاح كافيا لان يقوم هذا الشخص بعمليات عسكرية واعتبار نفسه واحدا من الفدائيين . وكان هذا النوع من المقاتلين يكتفي بالتدريب داخـــل الغرف . واغتنام فرصة قد لا تكون مناسبة لتنفيذ عملية ما. الامر الذي أدى الى ازدياد عدد الشهـــداء .

سابعا — **التردد في بعض الاحيان في معاقبة العملاء والخونة** . لقد وفرت هـــذه الممارسة الخاطئة الفرصة لعدد من المنحرفين للتعاون مع السلطات الاحتلالية دون خوف من عقاب رادع .

ثامنا — **انعدام التعاون والتنسيق بين مختلف فصـــائل المنظمات الفدائية الموجودة داخل القطاع ، وعدم وضع استراتيجية عمل موحدة ومتكاملة للقطاع .**

تاسعا — **عدم تعويد ذاكرة الثائر على نسيان الاسماء** ، والاعتماد علـــى الاوراق ، والاحتفاظ بها في حوزة الثائر، والتوسع في معرفة عناصر التنظيمات ببعضها البعض ، بحيث ان اكتشاف بضعة افراد من تنظيم ما ، كان يؤدي الى انكشاف عشرات اخرين .

عاشرا — **التخلي عن بعض القواعد الاساسية في حرب العصابات** . والمهاجمة في اوقات غير مناسبة ، واهمال التخطيط والدراسة المسبقة والتنسيق بين مجموعـــات الثوار في المناطق المختلفة مما أدى الى العمل بصورة ارتجالية .

سياسة « الذراع المدنية » و« الذراع العسكرية » :

عقب الفشل الذي منيت به السلطة الاحتلالية في القطاع في معالجتها لموضوع «الامن» طالب الكثير من المسؤولين وكبار المعلقين العسكريين والسياسيين الاسرائيليين بضرورة هيمنة الذراع العسكرية على القطاع وتنحية الذراع المدنية :

والواقع انه منذ بدء الاحتلال في حزيران عام ١٩٦٧ حتى الان، لم يحدث ان حكم قطاع غزة من قبل سلطة مدنية، فالحكم عسكري يترأسه حاكم عسكري يتبع مباشرة قيادة جيش الدفاع الاسرائيلي ، ولكن عقب توقف اطلاق النار على الجبهة الشرقية وجبهة قناة السويس،واحداث ايلول ١٩٧٠ في الاردنلم يعد بوسع الاسرائيليين تحمل خسائرهم في القطاع وبدأوا يتساءلون عن حقيقة ما يجري في القطاع ، وطالبت الصحف الاسرائيلية — عقب مقتل اسرة اسرائيلية في غزة — بالحاق النشاط العسكري بقيادة المنطقة الجنوبية مباشرة بدلا من قيادة جيش الدفاع .

ونشطت السلطة العسكرية الاحتلالية في جلب جنود حرس الحدود ، والفرق ذات التدريب الخاص والكفاءة القتالية العالية والتي درب افرادها « **على خوض هذه الحرب التي تختلف عن كل ما عرفه الجيش الاسرائيلي** في حروبه ضد الجيوش العربية النظامية، والتي تختلف أيضا عن الحرب التي يشنها المخربون في مناطق اخرى كغور الاردن والحدود الشمالية »(٣٨) .

فما هو مدى النجاح الذي حققته السلطة الاحتلالية « لاقرار الامن » ، وللقضاء على « فوضى العنف » في القطاع ؟ . منذ بداية الاحتلال نشطت السلطة الاحتلالية لاخضاع القطاع عن طريق عدة اجراءات في مقدمتها محاولة خلق سلطة محلية متعاونة تمرر — السلطة الاحتلالية — من خلالها مشروعاتها ومخططاتها الاستيطانية والتهويدية والتصفوية والتعايشية . الا ان بروز الحركة الثورية المسلحة في القطاع وقوتها المتصاعدة احبطا هذه المحاولة .. وارغما العديد من المتعاونين على الاحجام عن القيام باية مهام من قبل السلطة الاحتلالية خوفا على حياتهم .

الى جانب ذلك ركزت السلطة الاحتلالية على محاولة تغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية للقطاع ، وخاصة في منطقة المخيمات وذلك عن طريق « الانقضاض على المشكلة وحل قضية اللاجئين »(٣٩). نظرا لان « المصلحة الاسرائيلية الاساسية تقتضي تقديم قضية توطين اللاجئين واستيعابهم في أحياء للاستيطان المديني عن سائر القضايا الاخرى حتى على افتراض ان سكان المخيمات سيبقون — في المستقبل — خارج حدود اسرائيل »(٤٠).

وهكذا تحركت السلطة في البداية لخلق وضع اقتصادي غير محتمل لدفع المواطنين الى مكاتب العمل الاسرائيلية خارج القطاع ، وحتى لا يكون هناك مجال واسع لتعويض الثوار عن خسائرهم في الرجال . ويقول عامير شابيرا في شرح هذه الفكرة : « ان سياسة الجسور المفتوحة والتداخل في الاقتصاد الاسرائيلي ساعدا على الرخاء في المنطقة وقد حظي سكان المخيمات بقسط من هذا الرخاء »(٤١). بيد أن العمال الذين عبروا الجسور المفتوحة ، كانوا يستغلون اجازاتهم الاسبوعية — كما اعترفت صحيفة هآرتس — في القاء القنابل على الدوريات الاسرائيلية(٤٢). لذا كانت سلطات الاحتلال تقوم في أعقاب حدوث عمليات نسف او اتلاف في المزارع او المؤسسات الاسرائيلية بتوقيف العمال العرب في المنطقة (كما حدث عندما نسفت محطة الوقود في عسقلان في اوائل تموز ١٩٧٠) .

وفي الوقت نفسه بدأت السلطة الاحتلالية في تنفيذ مخطط توطين اللاجئين في مناطق خارج القطاع (حي رفح سيناء — العريش ..) لكن لم يتسن للسلطة أن تحقق اي نجاح في مخططاتها هذه الا في عامي ٧١ ، ٧٢ (حين انفرد الجيش الاسرائيلي وقواته الخاصة بالقطاع) ، وبدأ عمليات النسف والتهجير بالقوة وشق الطرق في المخيمات .

وكان الباعث الاساسي والوحيد ايضا من وراء القضاء على المخيم « وقتئـــذ » ان

الخبراء الاسرائيليين عزوا اسباب انفراد القطاع بوضعه النضالي المتميز عن سائر المناطق المحتلة الاخرى الى الكثافة السكانية والى وجود اللاجئين في مخيمات تكتظ بهم وان حل المشكلة برمتها يتطلب تغيير خارطة الكثافة السكانية وتغيير مظهر المخيمات حسب قرار اللجنة الوزارية الاسرائيلية وذلك بواسطة عدة تدابير اهمها : ١ ــ اقامة مساكن خارج القطاع بمقياس مديني . ٢ ــ توطين زراعي محدود لابناء المخيمات المبعدين . ٣ ــ تحويل المخيم الى مجتمع مديني . ٤ ــ التعويض المالي .

وساد الاقتناع بين جميع خبراء المؤسسة العسكرية على أن حل مشكلة الامن مرتبط عضويا بحل مشكلة اللاجئين في القطاع، وان مدننة المخيم، وتحويل ابناء المخيمات الى طبقة من العمال والموظفين تعيش في احياء جديدة مزودة بالكهرباء والماء ، وفي جو من الرخاء الاقتصادي (المصطنع) ، سيحرم « حركة التخريب في القطاع من قدرتها على توسيع قواعدها». بل ان الوضع قد يدفع الى « وقوع تصادم بين حركة التخريب وبين الجماهير فيتفكك التكتل الجماهيري للمخربين »(٤٣).

وصاحبت عملية هدم المخيمات وشق الطرق الواسعة فيها حملة ابادة منظمة للمواطنين فلم يكن يمضي يوم دون ان يعلن المتحدث العسكري الاسرائيلي عن « قتل أحد المخربين » او أحد المشتبه بهم او قتل « مواطن رفض الامتثال لتعليمات الدورية » الى اخر هذه السلسلة الدموية التي عاشها قطاع غزة عدة اشهر خلال العامين ١٩٧١ ، ١٩٧٢ بوجه خاص .

وبالاضافة الى ذلك لجأ العدو الى الاجراءات القمعية الاخرى كالترحيل الاجباري للضفة الغربية والعريش، التوسع في تنفيذ قانون دايان (معاقبة الجوار) ، والابعاد الى معسكرات الاعتقال الصحراوية (ابو زنيمة ، قصيمه ، نخل ، الطور ، العريش) ، وحصار المخيمات لفترة طويلة نسبيا وتجويعها لارغام الاهالي على النزوح منها ، وحرب الابادة ضد الثوار ، ومحاولة استعداء الجماهير على الثوار عن طريق التنكر بزي الفدائيين واساءة معاملة الناس وتوجيه تهمة التعامل والخيانة لهم، ودخول البيوت في الليل والنهار بحجة طلب المساعدة والاختباء ثم التنكيل بأصحاب البيوت فيما بعد، والقاء قنابل على تجمعات الاهالي في الشوارع والادعاء بأن الفدائيين هم وراء ذلك . وتسليح المتعاونين وتحريض القبائل بعضها على بعض ...(٤٤).

ان جدول العمليات العسكرية منذ بداية الاحتلال (حزيران ١٩٦٧) حتى منتصف العام ١٩٧٠ يشير الى ارتفاع مستمر في العمليات الفدائية، وان الانكسار النسبي في اخط البياني جاء عقب احداث ايلول ١٩٧٠ وقرار وقف اطلاق النار على الجبهات العربية . ورغم ذلك فان امر «معالجة وضع الامن في القطاع» احتاج الى اكثر من عامين ليصبح الانخفاض النسبي في العمليات الفدائية انخفاضا ملحوظا ــ رغم كل الاجراءات والظروف المشار اليها .

على ضوء ما سبق ، هل يمكن التنبؤ باستمرار الانخفاض النسبي في العمليات العسكرية في القطاع ؟ لقد اقيم التنظيم بالنسبة لعدد من المنظمات الفدائية في القطاع على أساس وجود القاعدة الارتكازية الامنة في الاردن(٤٥) وزوال هذه القاعدة لا بد وان يؤثر على النشاط العسكري للثوار خلال اعادتهم لبناء التنظيم على أساس الواقع الجديد.

ان عملية البناء التنظيمي ، وبلورة الخلايا ، تتطلب جهدا متفوقا وفترة زمنية طويلة نسبيا ، الا انه يمكن أن نتنبأ ــ ليس من قبيل التفاؤل المجرد وانما من قبيل التيقن الموضوعي ــ انه على ضوء الممارسات النضالية للثوار ، وعلى ضوء النضال الجماهيري الشجاع، فان النضال المسلح سيحتدم بخبرة اوسع ، وحنكة أعظم، واقتدار أعم، لان

جذور النضال الضاربة في اعماق القطاع ستنمو من جديد وتمتد الى جميع انحاء القطاع. وهناك من الاسرائيليين من يعتقد مثلنا بأن جذور النضال الصلبة في القطاع ستبقى قوية تمد الثوار بالعزم والقوة . ولقد كتب داني تسدقوني محذرا الاسرائيليين مما ينتظرهم في قطاع غزة بقوله: « ومع ان « الارهاب » قد حصد في القطاع الا ان جذوره ما تزال وسوف تبقى طالما بقيت هناك مشكلة عربية ــ يهودية »(٤٦).

---

١ ــ احصائية **يديعوت احرونوت** ١٩٧٢/١٢/٨.
٢ ــ **دافار** ١٩٧٢/١٢/٢٦ (عمليات التوطين والاسكان هدأت قطاع غزة ..)
٣ ــ كتاب « **اسرائيل تهاجم** » للصحفي الفرنسي ايف كيو .
٤ ــ **معاريف** ١٩٦٨/٨/٩ (معسكر جباليا بطل الاضطرابات) .
٥ ــ **دافار** ١٩٧٢/٢/٢٦ . داني تسدقوني .
٦ ــ **معاريف** ١٩٦٨/٨/٩ .
٧ ــ **المصدر السابق** .
٨ ــ **دافار** ١٩٧٢/١٢/٢٨ داني تسدقوني (بداية الحل لمشكلة اللاجئين) .
٩ ــ **موجز حرب العصابات في المدن** ، ماركوس ماريجويلا .
١٠ ــ **المصدر السابق** .
١١ ــ **دافار** ١٩٧٢/١٢/٢٦ داني تسدقوني (عمليات التوطين والاسكان هدأت قطاع غزة).
١٢ ــ **هآرتس** ١٩٧١/٩/٣٠ (غزة : حرب عصابات ضد ارهاب) زئيف تشيف .
١٣ ــ **المصدر السابق** .
١٤ ــ **هآرتس** ١٩٧١/٧/١٤ .
١٥ ــ مقابلات شخصية .
١٦ ــ **دافار** ١٩٧٢/١٢/٢٨ داني تسدقوني .
١٧ ــ **معاريف** ١٩٧٣/٢/٦ المحرر العسكري .
١٨ ــ **نوفيل اوبسرفاتور** ١٩٧١/١/٣١ .
١٩ ــ **هآرتس** ١٩٧١/٩/٣٠ .
٢٠ ــ وكالات الانباء ١٩٧١/٩/٨ .
٢١ ــ تصريح للمشرف على شؤون امن المستوطنات المحيطة بالقطاع ١٩٧١/٤/٢١ اذاعة اسرائيل.
٢٢ ــ **هآرتس** مقال زئيف تشيف ، ابريل ١٩٧١ .
٢٣ ــ تصريح للمشرف على شؤون الامن في المستوطنات المحيطة بالقطاع ٧١/٤/٢١ اذاعة اسرائيل .
٢٤ ــ **لانفورماسيون** ١٩٦٩/٨/١٥ .
٢٥ ــ **دافار** ١٩٧٢/١٢/٢٦ داني تسدقوني .
٢٦ ــ **المصدر السابق** .
٢٧ ــ **هآرتس** ١٩٧٢/٩/٣٠ زئيف تشيف .
٢٨ ــ **دافار** ٧٢/١٢/٢٨ (بداية الحل لمشكلة اللاجئين) .
٢٩ ــ **معاريف** ١٩٧١/٨/٦ السيطرة تنتقل الى الذراع العسكرية د. اوري .
٣٠ ــ **دافار** ١٩٧٢/١٢/٢٦ داني تسدقوني .
٣١ ــ **عل همشمار** ١٩٧٠/١٢/١١ امنون كابليوك.
٣٢ ــ **معاريف** ١٩٧١/٨/١٦ السيطرة تنتقل الى الذراع العسكرية د. اوري .
٣٣ ــ **هآرتس** ١٩٧١/٩/٣٠ زئيف تشيف .
٣٤ ــ **معاريف** ١٩٧١/٨/٦ .
٣٥ ــ **المرصاد** ١٩٧٠/٣/١٢ .
٣٦ ــ **اذاعة اسرائيل** ١٩٧٣/٢/١٤ .
٣٧ ــ **لانفورماسيون** ١٩٦٩/٨/١٤ .
٣٨ ــ **معاريف** ١٩٧١/٨/٦ .
٣٩ ــ **حوتام** ١٩٧٢/١٢/١ عامير شابيرا .
٤٠ ــ **المصدر السابق** .
٤١ ــ **المصدر السابق** .
٤٢ ــ **هآرتس** ١٩٧١/٧/١٤ .
٤٣ ــ **دافار** ١٩٧٢/١٢/٢٨ .
٤٤ ــ **دراسة عن الاوضاع في غزة** ــ مكتب الارض المحتلة ــ فتح ١٩٧٢/٢/١٦ .
٤٥ ــ من محاضرة للشهيد كمال عدوان دورة مدرسة الكوادر الاولى ٧٢/٨/١٤ ــ ٨/٢٤/ ١٩٧٢ .
٤٦ ــ **دافار** ١٩٧٢/٢/٢٨ داني تسدقوني .

الموقف الاردني تجاه التسوية السياسية

حسين ابو النمل

لعب النظام الاردني طيلة الحقبة التاريخية الماضية دورا اساسيا في الاحداث المصيرية التي مرت بها المنطقة ، وساهم بقسط وافر ، في تنفيذ مخطط الامبريالية بتوجيه العديد من الضربات القاصمة لحركة التحرر الوطني العربية وبالذات الحركة الوطنية الفلسطينية ، مما اكسبه خبرة فعلية في كيفية قمعها واجهاضها . لكن هذا الدور الثابت للنظام الاردني كان يتعرض في فترات معينة الى اهتزاز عنيف تحت وطأة ظروف موضوعية حادة ، كانت تفرض على هذا النظام الركود والاستكانة والابتعاد عن واجهة الاحداث ، حيث كان يعرف كيف يلوي عنقه بنفسه وينحني أمام العاصفة . وفي الوقت نفسه يعد العدة للضربة القادمة ، بعد ان يسترد قواه من ناحية ، وبعد ان يتم امتصاص زخم الظروف الموضوعية من ناحية ثانية .

ان النظام الذي انحنى أمام زخم الحركة الوطنية ومدها المتعاظم في فترة ١٩٥٦ ، وقام بتسليم رئاسة الحكومة الى سليمان النابلسي ، وامتص بموقفه التراجعي هذا ، الموقف المتفجر في الاردن ، الذي كان من الممكن أن يؤدي الى اسقاط النظام في ذلك الحين وتمكن مقابل ذلك من التقاط انفاسه واستجماع قواه لاسترداد التنازلات التي كان قد قدمها .

ان النظام الذي أقدم على انحناءة الـ ٥٦ ، هو نفسه الذي أقدم موضوعيا على نفس الانحناءة في العام ٦٧ حيث تراجع ، لكن بخطى منظمة وبسياسة مرسومة . وقد واجهت القوى الوطنية هذا التراجع بالاكتفاء بالنصر غير الكامل الذي حققته دون ان تواصل النضال لانتزاع السلطة . والنظام الذي رضي بازدواجية السلطة وحكم البلد من خلال « أصدقاء » المقاومة ، هذا النظام (من ضمن مخطط الامبريالية) ركد بانتظار ان تكتمل خطة اجهاض الوضع الذي فرض عليه التراجع . وكانت سلسلة المشاريع السلمية التي تقدمت بها الامبريالية الاميركية لحل أزمة الشرق الاوسط ، كفيلة بزعزعة مواقف بعض الانظمة العربية الوطنية التي كانت متضامنة مع حركة المقاومة، فتزعزعت مواقفها لدرجة أصبحت ترى في وجود حركة المقاومة خطرا على مصالحها وعلى امكانية تحقيق التسويات المطروحة.وبالاضافة الى ذلك فان القوى الرجعية وبالذات في المنطقة العربية واصلت دعمها للنظام الاردني ، ومحاولاتها لاجهاض اي تحرك فلسطيني ثوري باتجاه اسقاط النظام حتى تمكن النظام من توجيه ضرباته القاصمة للمقاومة وتصفيتها في الاردن .

ان استعادة هاتين التجربتين للنظام الاردني مع الحركة الوطنية ، مؤشر هام يمكننا من فهم دور الاردن في المرحلة القادمة ، ومن ادراك الاسلوب الذي يتم به كمون النظام الاردني وتراجعه . واذا كان « كمون » النظام الاردني في بعض المراحل لا يعني انتهاء دوره في المستقبل ، فان ارتباط النظام الاردني بعجلة الامبريالية ومخططاتها لا يعني بالمقابل ان لا تبرز تعارضات بين مصلحة النظام وبين تلك المخططات . ولكن تلك التعارضات تبقى في اطار المعسكر الواحد من ناحية ومن ناحية اخرى فانها تحسم في

النهاية لصالح مخطط الامبريالية وليس لمصلحة الاردن . ولعل هذه المسألة تبدو جلية في هذه المرحلة من مراحل تمرير التسوية الشاملة لمشكلة الشرق الاوسط ، والتي قد تؤدي الى انتزاع الضفة الغربية من الاردن .

ان التسوية السلمية لأزمة الشرق الاوسط وبالذات مشروع الدولة الفلسطينية الذي يعني انتزاع الضفة الغربية من الاردن ساهم في تكثيف الظلال التي بدأت تحيط بمستقبل المملكة ودورها ، ولقد عززت هذه الصورة التي ارتسمت في أذهان الكثيرين عن مستقبل الاردن .تضاؤل الدور الذي احتله في الاتصالات الجارية للتسوية السياسية،مقارنة بدور الاطراف الاخرى عربية كانت ام غير عربية . خصوصا وان اتجاه الامور كان يدل على ان التسوية ستكون بشكل او بآخر على حساب الاردن .

ان الحديث عن التسوية السياسية واثرها على الاردن لا بد وان يتضمن معالجة لما يمكن أن يكون عليه مستقبل الاردن ككيان وهل سيختلف دور هذا الكيان عن الدور الذي رسم له وسار على هديه منذ تأسيسه ؟

كان انشاء امارة شرق الاردن المفاجيء في العام ١٩٢١ في اطار التنافس البريطاني — الفرنسي على اقتسام المنطقة العربية ، وبسبب رغبة بريطانيا في المحافظة على مصالحها الحيوية في المنطقة وضمان سيطرتهـــا على النفط العراقي مـــن منابعه حتى مصبه في فلسطين . كما جاء انشاء الامارة متوافقا مع المخطط الامبريالي الصهيوني لاقامة كيان صهيوني في فلسطين بحيث تكون الامارة « الاسفنجة » التي تمتص عرب فلسطين حين يبعدون عن أرضهم حسب تعبير تشرشل مهندس الاستعمار البريطاني آنذاك . وقد سار النظام الاردني منذ انشائه وحتى اليوم في اطار المخطط الاستعماري الذي رسم له وادى دوره المطلوب داخليا وفلسطينيا وعربيا .

الاردن في سياق التسوية السلمية :

تحتل القضية الفلسطينية دورا مركزيا في المحاولات الجارية لوضع تسوية شاملة ونهائية لازمة الشرق الاوسط وتجمع الاطراف المعنيـــة على أهمية وجـــود العنصر الفلسطيني لضمان نجاح أية تسوية بالرغم أن لكـــل طرف أسبابه الخاصة به . وقد عبرت الاطراف المختلفة عن ضرورة وجود الطرف الفلسطيني في التسوية بمراحلها المتعددة بمشاريع متعددة ، من بينها مشروع الدولة الفلسطينية من الضفة والقطاع ، والذي طرح بشكل واضح اثر حرب تشرين . من هنا فان نقطة التماس المباشرة بين الاردن والتسوية السلمية تتركز في مسألة انتزاع الضفة الغربية منه لا بل انها النقطة الاكثر حساسية للنظام الاردني الى درجة أصبحت تشكل بالنسبة له هاجسا . فهي في أحسن حالاتها تفقد المملكة الاردنية أحد اجنحتها بل « الدجاجة التي تبيض ذهبا » كما يسمونها وفي أسوأ الحالات تفتح الباب واسعا لاهتزاز صورة الاردن السياسية وبالتالي اهتزاز مستقبل وجوده ككيان سياسي .

ان تصاعد الدعوات لقيام كيان فلسطيني في الضفة والقطاع قد زاد مـــن المشاكل السياسية أمام الاردن ، خاصة وان الموقف الاميركي المتبني التسوية بحماس قد زاد من حدة مشاكل الاردن السياسية وجعله يدخل اللحظة الحرجة المتمثلة باتساع الفجوة بين موقف الاردن ومصالحه وموقف حليفته الرئيسية ، الولايات المتحدة الاميركية ومصالحها. الاردن يريد عودة الضفة الغربية الى سيطرته ، والولايات المتحدة الاميركية ، مصلحتها في انجاح التسوية الشاملة . وهذه التعارضات التي نشأت بين الاردن وبين الولايات المتحدة ، هي التي جعلت الموضوع يأخذ طابعا جديا بالنسبة للاردن، بسبب دور الولايات المتحدة الكبير في تثبيت وجود الاردن وعدم قدرته على الذهاب بسياسته بعيدا عـــن

شباكها ، حيث حاولت الاداة التملص من قدرها المحتوم ، ومحاولة التملص هذه كانت عنوان تحرك الاردن في المرحلة الماضيـــة ، وبالمقابل فان دور الولايات المتحدة كان في تطويع اداته تناسبا مع مصلحة التسوية . ومن هنا كان التعارض بين الاردن واميركا ومن داخل مخطط الامبريالية الواحد ، في محاولة من كل طرف لتحقيق اقصى قدر من ضمان مصالحه . وهذا هو مدخلنا لفهم التحركات الاردنية في الفترة الاخيرة ، بل منذ طرح مشروع المملكة العربية المتحدة .

وان شهدت علاقات الطرفين عمليات شد وجذب صامتة أحيانا ، وصاخبة أحيانـــا أخرى ، فان الامور بقيت في اطار (التحالف) الوثيق بين السيد والاداة ... بالرغم من التعارض الذي طبع علاقتهما حيث تكمن هنا صعوبة المعادلة السياسية التي حكمت تلك العلاقة ، الاردن تتعارض مصالحه تماما مع المصالح الاميركية ، اي التسوية ، ولكن لا مستقبل له خارج دائرة السياسة الاميركية ، واميركا في المقابل مصلحتها في هذه المرحلة في تمرير التسوية ، والتي قد تكـــون على حساب الاردن ولو رغمـــا عـــن المصلحة الحقيقية للولايات المتحدة التي تقوم على دعم النظام الاردني القائم . ولعل هذا ما يفسر لنا التحركات الاردنية التي كانت تستهدف اثبات الوجود لاميركا بالدرجة الاولى ، ويفسر من ناحية ثانية (التآمر) الاميركي على الاردن الذي بقي محكوما بمنطق (الترويض) فقط ، ومن هنا رحلة العلاقات الاميركية الاردنية من محاولة الانفلات ، الى الترويض الى الرضوخ . ومن محاولة الاقناع الهادىء الى التلويح بالعصا الغليظة ، من مشروع بورقيبة ، الى تحريك الجيش الاردني في حركة تمرده الشهيرة .

كان مشروع المملكة العربية المتحدة محاولة مبكرة من الملك حسين للالتقاء مع مشروع الدولة الفلسطينية في منتصف الطريق بعد أن تمكن من تصفية المقاومة في الاردن وهي التي كانت تعتبر آخر العقبات امام التسوية السياسية . ومع ذلك بدأت الدعوات للدولة الفلسطينية تتصاعد . ولم يكن من الضروري ان يتقدم الملك حسين بمشروع المملكـــة المتحدة، الذي يعتبر « تنازلا كبيرا » بالمقارنة مع وضعه السابق في علاقة الضفة الشرقية بالغربية الا أن ذلك (التنازل) من الملك يؤكد أن مشروع الدولة الفلسطينية واهمية دور الفلسطينيين في التسوية مطروح على بساط البحث بشكل جاد لدى المعنيين بموضوع التسوية وعلى رأسهم الحلفاء التقليديين للملك حسين .

ان تجميد ذلك المشروع خلال الفترة السابقة لان حركة المقاومة الفلسطينية تمكنت من المحافظة على تماسكها السياسي رغم الضربة العسكرية القاسية التي وجهت لها لا يلغي حقيقته كمحاولة أردنية لتطويق مشروع الدولة الفلسطينية واستيعاب بعض الحيثيات التي تقف وراءها . وما كان للاردن ان يقدم على مثل ذلك التنازل لولا ادراكه ومعرفته بحقيقة موقف حلفائه الذين يعتمد عليهم في تقريـــر موافقته . وبعد ذلك طرح الرئيس التونسي مشروعه لتشكيل دولة فلسطينية من الضفتين الشرقية والغربية وكان هـــذا المشروع بنظر الكثيرين مجرد بالون اختبار جديد لقياس رد فعل المقاومة ونموذج آخر لمشاريع عدة سبق أن طرحت ، وكانت المقاومة هي المعنية بها ، بالدرجة الاساسية . بحيث تفتح تلك المشاريع المجال لانقسام وجهات النظر بشأنها ، وتكون مجالا لقياس مقدار التبدلات التي طرأت على المفاهيم السياسية لحركة المقاومة تجاه المشـــاريع المطروحة أمامها .

لقد بلغت ردة الفعل الاردني على ذلك المشروع درجة عالية من الحدة وصلت الى ان الاردن سحب سفيره من تونس . ولقد كان الملفت للنظر ان ذلك التصريح قد أتى في وقت تزايدت به الانباء عن تفرغ كيسينجر لحل مشكلة الشرق الاوسط ، بعد أن قاربت قضية فيتنام حينذاك على الانتهاء .

ان السؤال الذي يطرح ، هو لمصلحة من ، كان طرح بورقيبة لمشروعه ؟ كان مشروع بورقيبة بالونا لاختبار موقف المقاومة وان كونه يمثل مشروعا متقدما بالمقارنة مع المشاريع السابقة وبالتالي فان درجة « الاغراء » التي به ، قد تنشط من حالة الجدل الايجابي بشأنه في أوساط المقاومة ، بالمقدار نفسه يمكن لنا اعتباره بالونا تحذيريا موجها للنظام الاردني ووضعه أمام اختبار صعب ، بين « خسارة » الضفة الغربية ، وبين خسارة المملكة بضفتيها ، لتقام عليها دولة فلسطينية .

لقد كان في هذا المشروع اشارة واضحة للنظام الاردني كي يتفهم ما كان يجري في الكواليس السياسية حول موضوع التسوية الشاملة لمشكلة الشرق الاوسط ودور الفلسطينيين بها وما يفرضه هذا الامر من انشاء كيان سياسي لهم . ان هذا الوضع يعطي تفسيرا للبرود الذي بدأ يطبع العلاقات الاميركية الاردنية ، في فترة ما قبل حرب تشرين وما بعدها ، وكذلك فانه في الوقت نفسه يعطي تفسيرا لعدد من السياسات والمواقف التي اتخذها الاردن ، داخليا ، وفلسطينيا ، وعربيا ، ودوليا ، في محاولة من النظام للتملص من موقف بدا وكأنه أمر واقع ، وقد استمرت هذه المحاولات الى حين التمرد العسكري الشهير في الاردن ، حيث كان محطة رئيسية في لعبة « التطويع » الاميركية للنظام الاردني .

لقد قام النظام الاردني ، وفي الفترة ما بين مشروع بورقيبة وحرب تشرين بجملة من الخطوات ، محاولا ربط الاردن بخيوط جديدة . وهو يواجه المرحلة التي بدت كحقيقة حتمية . لقد سلك النظام الاردني سياسة الانفراج الداخلي ، وذلك بالافراج عن المعتقلين السياسيين ، والعفو عن المحكومين في الخارج والسماح لهم بالعودة الى الاردن . وكذلك فلقد حاول ، ان يجدد الاتصال بحركة المقاومة حين بدأ يتحدث عن موافقته المشروطة على عودة حركة المقاومة (الشريفة) الى الاردن ، ضمن الدعوة التي نشأت ذلك الحين لاحياء الجبهة الشرقية . ولكن هذه المحاولة لم تؤد الى النتيجة المرجوة .

ولقد حاول النظام ان يلعب ورقة الانفراج الداخلي ، لفك عزلته العربية التي كانت تحيط به ، ومن هنا سعيه لزيارة القاهرة متصورا أن تلك الزيارة يمكن أن تكون مفتاح فك عزلته العربية . وبالاضافة لهذا فلقد « كابد » النظام لفتح الطريق الى موسكو وتأمين زيارة للملك حسين الى الاتحاد السوفييتي . ولقد بلغت اللهفة الاردنية على تأمين الدعوة الى حد أصبح خبر تذكير الحكومة الاردنية للسفارة السوفييتية في عمان ، حول رغبة الملك حسين في زيارة موسكو ، يحتل ركنا ثابتا تتناقله أجهزة الاعلام .

حرب تشرين وتحرك الاردن لمواجهة مشروع الدولة الفلسطينية :

اثر حرب تشرين وتصاعد احتمالات التسوية السلمية الشاملة ، أصبح موضوع الدولة الفلسطينية ومسألة اشتراك الفلسطينيين في التسوية أمرا مطروحا على كافة الاصعدة العربية والدولية وبدأ الاردن يعيش نسبيا حالة من الانزواء السياسي ، في الوقت الذي كانت به منظمة التحرير الفلسطينية تكسب الاعتراف ، تلو الاعتراف ، بأنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وما لهذه المسألة من أثر كبير على دور الاردن السياسي ، ولعل الملفت للنظر في هذا الصدد ، هو شبه الاجماع الذي أعطاه مؤتمر القمة العربي الاخير الذي انعقد في الجزائر ، بالنسبة لمسألة تمثيل الشعب الفلسطيني . واذا كان متوقعا موقف عدد من الدول العربية المتعاطفة مع المقاومة والتي عرفت بعلاقتها التضامنية والوثيقة معها ، فان الذي ما كان متوقعا هو موقف عدد من الدول العربية ، ذات العلاقات التاريخية بالنظام الاردني والتي عرف عنها ترابط

مصالحها مع مصالح الاردن ودوره في المنطقة ، وما عرف عن تلك الدول من علاقة وثيقة بالسياسة الاميركية . ولا يمكن الفصل بين هذا الوضع والبرود الذي استمـــر يطبع العلاقات الاردنية ـــ الاميركية .

ان النظام الاردني لم يستسلم للوضع الجديد الذي فرض نفسه على المنطقة ، وبدأ مبكرا بنشاط كثيف وعلى كافة الاتجاهات محاولا ربط الاردن بخيوط سياسية جديدة ووصل ما انقطع منها . لقد حاول النظام الاردني استكمال سياسة الانفراج الداخلية التي بدأها ما قبل حرب تشرين ، وعاد الى سياسته القديمة ، محاولة الالتقاء في منتصف الطريق مع مشروع الدولة الفلسطينية وحركة المقاومة ، اذ تقدم بسلسلة من العروض لتقاسم السلطة في الاردن مع حركة المقاومة ، ولقد كشف الاخ ابو عمار رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، جانبا من هذه العروض ، اذ اشار الى ان الملك حسين قد عرض عليه رئاسة الوزارة ، ولكنه رفضها ، وذلك بتصريح شهـــير له في الكويت . ولقد صعد النظام حديثه عن استعداده لاجراء تبديل حكومـــي بحيث يؤتى بحكومة ذات صبغة وطنية ، وبرئاسة أحد الاشخاص الشرق اردنيين المحسوبين على الحركة الوطنية . ولقد كان النظام يصعد من وعوده واستعداده « للتنازل » امام حركة المقاومة ، مستغلا كل خبرته في اتقان فن التراجع في اللحظات الخطرة والحرجة ، والتي تعلمها جيدا في تجربته مع الحركة الوطنية في عامي ٥٦ و ٦٧ . وذلك بترويجه لدعوة تناقلتها الانباء عن استعداده لترك السلطة الى حركة المقاومة وان يصبح ملكا دستوريا فقط . في محاولة منه لاستدراج حركة المقاومة لعقد صلح معه على الطريقة التي استدرج بها الحركة الوطنية عام ٥٦ ،لكن المقاومة هذه المرة لم تقع في الفخ الذي نصبه النظام لها.

ان سياسة النظام بالالتقاء مع حركة المقاومة الفلسطينية في منتصف الطريق بعروضه لتقاسم السلطة مع حركة المقاومة . هذه السياسة اقترنت بنشـــاط على الصعيدين العربي والدولي في محاولة من النظام للاتكاء على تلك النشاطات لتعزيز موقفه في لعبة التسوية ، ومن هنا كانت زيارته الدراماتيكية لسوريا في وقت كان فيـــه تمايز الموقف السوري عن مثيله المصري قد بلغ الذروة . زيارة الملك حسين لسوريا في تلك الفترة كانت محاولة ذكية للعب الورقة السورية في وجه اميركا ، ولكن (تضامن) الاردن مع سوريا لم ينته لشيء يذكر وبقيت الزيارة في أطار بروتوكولي محض . ولم يكن ثمة مجال لنتائج أفضل ، اذ أن الافق الاردني لتلك الزيارة ، كان في حدود اثارة (غيرة) اميركا كي تمنحه دورا في التسوية السياسية المطروحة .

في الوقت نفسه فقد حاول النظام الاردني أن يلعب ورقة المعسكر الاشتراكي ، متخذا بوابة له رومانيا ، التي قام الملك بزيارتها ، ولكن تلك الزيارة لم تسفر عن نتيجة ، بل على العكس من ذلك فان موقف تشاوشيسكو رئيس وزراء رومانيا ، كان جليا في تأييده لمشروع الدولة الفلسطينية ، اذ صرح بذلك علانية اثر لقائه مـــع بعض اركان حركة المقاومة الفلسطينية خلال زيارته الاخيرة لبيروت .

سبقت هذه التحركات المكثفة ، داخليا ، فلسطينيا ، عربيا ، ودوليا ، زيارة الملك حسين لبريطانيا في طريقه للولايات المتحدة الاميركية ، محاولا اضافة الورقة البريطانية ، لجملة الاوراق التي اعتقد انها بيده كأداة ضغط على الولايات المتحدة الاميركية ، كدليل حسي على انه يستطيع اللعب بعيدا عنها !!

ان النظام الاردني بخطواته هذه ، كان قد تحرك بعيدا عـــن الدور المرسوم لاداة امبريالية . لقد حاول أن يتصرف بدرجة من الاستقلالية وان يجري اتصالاته بوحي من هذا الشعور ، ولكن الولايات المتحدة الاميركية ، لم تتعود ان تمنح الانظمة التابعة لها

هذا المدى من الاستقلالية ، ومن هنا كان يجب حدوث شيء ما قبل وصول الملك واشنطن حتى يجرد من كل الاوراق التي ظن انه امتلكها . وكان ان قطعت زيارته للولايات المتحدة قبل وصوله اليها ، اذ وهو يستعد للاقلاع اليها من مطار لندن ، وصلته انباء التمرد العسكري في لواء الاربعين .. والذي امتد ليشمل قطاعات اخرى من الجيش الاردني .

هناك العديد من التفسيرات والتعليقات حول طبيعة التمرد العسكري في الاردن مستوحاة من البيانات التي صدرت عن قادة المجموعة المتمردة ، والتي تتحدث عن مستوى المعيشة ، وفارق الرواتب والامتيازات بين الضباط والجنود وكذلك الفساد المستشري بين كبار الضباط ، وغيرها من الاسباب الاجتماعية .

لقد سيس البعض حركة التمرد تلك اذ عللوها بالاحتكاك بين الجيش الاردني ، والجيشين السوري والعراقي في معارك تشرين واثر هذا في اطلاع الجنود الاردنيين على حقائق جديدة ولدت في نفوسهم الرغبة في التمرد ، وعبروا عن هذه الرغبة بحركة التمرد الاخيرة . ولا يمكن التقليل من اهمية هذه العوامل في خلق حالة تمرد ، بالنسبة لاي وضع بشكل عام ولكن بالنسبة لحركة التمرد الاردنية ، فلا يمكن تجاهل عنصر أساسي كان له دوره ، وان حركة التمرد لم تكن لتخدم تحقيق قضايا مطلبية فحسب ، بل كانت جزءا من سياق الصراع السياسي ونوع من هز العصا للنظام الهاشمي ، ولكن كيف ؟

١ ــ ان حركة التمرد تلك والتي شملت قطاعات واسعة من الجيش الاردني ، لا يمكن الا ان تكون مسيسة ، وخلفها قوة كبيرة تنظم بينها وتنسق أمورها . وبالتأكيد فان القوة السياسية لا يمكن ان تكون تقدمية ، والا لكانت دفعت الامور في الاردن الى درجة اعلى من التغيير تستهدف كل بنية النظام .

٢ ــ لقد اصبح من الثابت ان تأخر تحرك اللواء ٦٠ واللواء ٩٠ قد كشف طبيعة التحرك اذ ان السفارة الامريكية في عمان كانت قد أبرقت للخارج بتحركهما قبل التحرك الفعلي لهما ، ولقد التقطت الخارجية الاردنية تلك البرقية ، وكانت عنصر الاتهام للولايات المتحدة الامريكية والتي ادلى بها الملك في لقائه المغلق مع بعض من الشخصيات والرسميين في الاردن .

٣ ــ يفيد شهود عيان ان أجهزة الامن الاخرى وبالذات المخابرات والتي يتزعمها محمد رسول الكيلاني ، لم تحرك ساكنا لمواجهة التمرد .

٤ ــ ان طلبات المتمردين السياسية ، باقصاء عدد من الشخصيات السياسية والعسكرية الاردنية وجهت لاشخاص عرف عنهم ارتباطهم التقليدي ببريطانيا . وغاب عن قائمة الطلبات شخص كالشريف ناصر ، والذي يشكل نموذج الفساد السياسي في الاردن بالمقارنة مع بقية الاشخاص ، وارتبط اسمه تاريخيا بالتهريب والرشاوى وتجارة السلاح والحشيش . ولم تمر فضيحة في الاردن من هذا الطراز الا وللشريف ناصر دور فيها .

٥ ــ ان حالة التمرد تلك التي شلت المؤسسة العسكرية الاردنية ، كانت أكبر من ان تلبس لقضايا مطلبية فقط . وحركة في هذا الحجم انتهت بعد مدة وجيزة على طريقة لا غالب ولا مغلوب . بالرغم من حساسية النظام تجاه اي تخلخل يصيب هذه المؤسسة والاجراءات القمعية الشديدة التي تواجه بها عادة .

اخيرا : ان تصريح الملك حسين في الاجتماع المشار اليه سابقا ، والملاحظات السابقة ، تؤكد ان حركة التمرد كانت عملية اميركية **تستهدف هز العصا وبعنف هذه المرة في وجه الملك حسين ، وبطريقة تتمايز عن الطريقة التي لوحت بها عبر مشروع**

بورقيبة ، بدولة فلسطينية من الضفتين ، وكأنها تضع الملك حسين في خيار صعب بين أن يخسر الضفة ، أو أن يخسر الضفتين معاً . ونتيجة لتحرك الملك بعيداً عن المخطط الامريكي ، كان تحريك الجيش لافهام الملك حقيقة قدرته على اللعب بعيداً عن اميركا . وكان هذا الدرس ضروريا للملك حسين وبالذات وهو على وشك الاقلاع من لندن الى واشنطن . كان الامر ضروريا ليعود الملك حسين الى عمان ... وليمهد مرة أخرى لزيارة واشنطن ، في ظل ظروف مناسبة من وجهة النظر الاميركية ، بعد ان أفهم حقيقة الاوراق التي حاول أن يلعبها . وانتهت الزيارة بمضاعفة المساعدات العسكرية للاردن الى ثلاثة اضعاف وسط أخبار متزايدة عن نجاح الزيارة !!

ان الفتور الذي اصاب العلاقات الاميركية ــ الاردنية كان مدخلا للحديث عن استغناء الولايات المتحدة عن الاردن ، وان الضفة الشرقية ستكون في النهاية ملحقا لضفة الغربية ، لان مصدر حياة الاردن هو بالضفة الغربية . ولعل هذا ما يستدعي وقفة مطولة لمحاولة تصور المرحلة القادمة من العلاقات الاميركية ــ الاردنية . وما هو الدور الذي يمكن للاردن أن يلعبه في ضوء التطورات السياسية المحتملة في المنطقة وبالذات في ضوء امكانية انتزاع الضفة الغربية .

ان الخلاف بين الاردن واميركا يبقى في اطار الخلاف بين الامبريالية وادواتها . ووصول الامور الى درجة تحريك الجيش ، لا يعني أن علاقاتهما قد انتهت ، ولا يعني من الناحية الاخرى ان دور الكيان ــ الاداة قد انتهى هو الاخر . لقد هزمت فكرة الكيان من الضفتين ، وبعد عملية الترويض الاخيرة ، وصل النظام الاردني الى هذه النتيجة وأصبح اكثر مرونة في تقبل دوره كاحتياطي جاهز ليمثل الفلسطينيين في مؤتمر جنيف . والامبريالية في موقفها هذا تضحي بمصلحة جزئية لعميل من الدرجة الثانية ــ الاردن ــ لكي تمر التسوية السلمية كما تفهمها على انها انتهاء لحالة التوتر في المنطقة وذلك بتصفية القضية الفلسطينية .

أن طبيعة الوضع الجديد الذي يعيش الاردن احتمالاته ، الا وهو احتمال انفصال الضفة الغربية ، وتشكيل دولة فلسطينية عليها ، يجعل من حاجة الامبريالية للاردن ، وحاجة الاردن للامبريالية حاجة ماسة وضرورية اكثر من أي وقت مضى . ان انتزاع الضفة الغربية سيزيد من ضعف مقومات الحياة للنظام الاردني ، وسيزيد من اعتماده على المساعدات الخارجية لضمان قدرته على الحياة ، وفقط دعم الامبريالية السياسي والاقتصادي هو الذي يمكن ان يجعل الاردن قادرا على البقاء والوجود .

وبالمقدار الذي تحتاجه الاردن لدعم الولايات المتحدة ، فان احتمالات المستقبل تبقى عاملا هاما في ذهن مخططي السياسة الاميركية . فبالاضافة الى الدور التقليدي الذي اداه هذا الكيان في وجه رياح التغيير في المنطقة ، وكموقع انطلاق للتآمر على سوريا والعراق بالذات ، فان كيانا عازلا كالكيان الاردني هو الكيان المناسب تماما للامبريالية لاجهاض اي تنازلات نسبية قد تقدمها الامبريالية . وبالذات على صعيد الدولة الفلسطينية المقترحة على الضفة . ان كيانا سياسيا للفلسطينيين ترتبط درجة خطورته بالشروط الموضوعية التي تحيط به ، والتي تحدد بالتالي الدور الذي يستطيع ان يلعبه . وان الامبريالية تعمل جاهدة وتخطط لاجهاض الاحتمالات التي قد تؤدي الى أن يكون هذا الكيان كيانا ثوريا .

ان تخلي الامبريالية عن الكيان الاردني في الضفة الشرقية سيضعه في موقع المنفعل بما يجري في الضفة الغربية ، وتطورات الاحداث ستجعل من الضفة الشرقية بعدا جغرافيا للضفة الغربية ، واحتمال ابتلاع الضفة الشرقية يصبح عندها امرا واردا مما

يفتح المجال واسعا لوحدة جديدة بين الضفتين بحيث تمتلك الدولة الفلسطينية عندها حدا معينا من المواصفات التي يجب ان تتوفر لاي كيان سياسي .

ان الامبريالية ليست من الغباء بحيث تترك المجال لتحقيق فكرة طالما نادى بها الثوريون الفلسطينيون والعرب ، بتحويل عمان الى هانوي العرب . وبالرغم من ان هذا احتمال بعيد ولكن تخلي الامبريالية عن الضفة الشرقية سيجعلها موضوعيا بعدا اقتصاديا وسياسيا للضفة الغربية ، لانه معروف جيدا ان امكانات الضفة الغربية تؤهلها لهذا الدور ، لو جردنا الضفة الشرقية من العوامل السياسية التي تجعلها هي المتحكمة بالضفة الغربية .

ان الكيان الاردني في الضفة الشرقية سوف يلقى كل مساعدة من الامبريالية ، لكي يكون هذا الكيان قادرا على أن يشكل سدا في وجه الدولة الفلسطينية المقترحة ولكي يبقى قادرا على الدوام على التأثير في مجريات الامور في الضفة الغربية . وقدرة شرق الاردن على القيام بهذا الدور الضروري والحيوي جدا للامبريالية ، رهن بخلق الكيان النموذجي في الضفة الشرقية ، وذلك بجعله قلعة عسكرية جاهزة للضرب في الاتجاه الذي تريده الامبريالية ، وبخلق وضع اقتصادي جيد للمواطنين الاردنيين لتمييع اي مظهر من مظاهر الصراع الطبقي ، وللحفاظ على ارقى درجات التماسك لهذا الكيان . وليس صعبا أو مستحيلا على الامبريالية الصرف على دولة من مليون مواطن مقابل الدور الذي ستؤديه ، وجعلها تعيش اوضاعا اقتصاديا كالتي عاشتها اسرائيل في مراحل حياتها الاولى ، اي (منطق الكعكة الكبيرة) الذي يسمح لكل مواطن ان يأخذ نصيبا من هذه الكعكة .

ان احتمالات المستقبل تجعل من الدور الذي يمكن أن يؤديه الكيان الاردني دورا ضروريا ، سواء على صعيد الدور التقليدي الذي اداه منذ انشائه ، في العشرينات ، او دوره الضروري جدا ، في مواجهة احتمالات تطورات الدولة الفلسطينية ، ولابقاء ذلك الدور في الاطار الذي تتصوره الامبريالية .

ان استمرار مصالح الامبريالية في المنطقة سيعني قطعا استمرار تدعيم الامبريالية للكيانات التي تخدم هذه المصالح . بعد ان اثبتت التجارب أن الانظمة العميلة هي أداة اقل ضمانا من الكيانات العميلة ، ولنا في النظامين الهاشميين في العراق وسوريا ، والدور الذي اريد لهما في خدمة مخططات بريطانيا منذ العشرينات ، حيث سقط النظام الهاشمي في العراق بالرغم من وجود سلطة عميلة حاكمة ، بسبب امتلاك العراق لمواصفات الدولة . وعدم اختلاق الكيان كما هو الامر بالنسبة للاردن ، حيث تناسب دور الكيان مع دور النظام في خدمة مخططات الامبريالية .

النظام الاردني يحتفظ بدور الاحتياطي لمنظمة التحرر

بالرغم من قبول النظام الاردني بفكرة انفصال الضفة الغربية ، بعد فشل كافة تحركاته لتجنب هذه النتيجة ، فان الاردن لم يقدم على اعلان موقف قاطع ونهائي بالتنازل نهائيا عن حقه بتمثيل الفلسطينيين ، بالرغم من ان هذا الاعلان كان متوقعا منه بعد كل عمليات الترويض ، وبالذات بعد زيارته الاخيرة القاهرة .

ان عدم اعلان الاردن عن هذا الموقف هو نوع من تجنب اي موقف مفاجيء من قبل المقاومة بعد حرق الورقة الاردنية نهائيا . اذ ما زال هنالك شك من قبل المعنيين بموضوع التسوية بأن تذهب المقاومة الى جنيف . وحرق الورقة الاردنية سيحرر المقاومة من أداة ضاغطة عليها وسيزيد من قدرتها على املاء شروطها . لذا فان عدم اعلان الاردن عن تنازله عن مسألة تمثيل الفلسطينيين تبقي النظام الاردني والآخر

لحظة ، احتياطا جاهزا لمنظمة التحرير . وفي الوقت نفسه ، تبقى الورقة الاردنية في يد اطراف عديدة كأداة ضغط على حركة المقاومة لكي تشترك في المؤتمر المذكور ضمن الحد الادنى من الشروط .

أن عدم اعلان النظام الاردني عن موقفه بالتنازل عن حقه بتمثيل الشعب الفلسطيني بالمقدار الذي ينسجم مع دوره كاحتياطي لمنظمة التحرير ، ان هي رفضت الذهاب الى جنيف ، فبالمقابل ، فان هذا الوضع يبقي المجال مفتوحا امام مراهنة النظام على احتمال فشل التسوية الشاملة ، وامكانية عقد تسويات ثنائية بين اسرائيل والدول العربية ، وهذا ما يجعل من مسألة عودة الضفة الغربية للاردن أمرا محتملا أكثر . ولعل مراهنة النظام الاردني على هذا الاحتمال ، هو سبب تبدل طبيعة العلاقات بين النظام في عمان، والضفة الغربية . اذ استأنف النظام دفع المرتبات للموظفين في الضفة الغربية ، وعاد لتنشيط علاقاته مرة اخرى مع ركائزه هناك . حيث عادت الدنانير الملكية للظهور مرة اخرى في الضفة .

النزعة شرق اردنية وتمهيد الاجواء لتقبل فكرة الانفصال

بالرغم من المحاولات المستميتة التي أقدم عليها النظام الاردني للاحتفاظ بالضفة الغربية . ولكنه كان يدرك ، ان امكانية خسارته للضفة الغربية ، مسألة واردة بدرجة عالية في ضوء الجهود الضخمة التي تبذل لنجاح التسوية الشاملة ، وفي ضوء التأييد الذي كسبته المنظمة ، ولعل هذا هو السبب وراء سياسة النظام الاردني التي أخذت جانب المحافظة على المملكة في الضفة الشرقية ، في الوقت الذي كانت تجري فيه محاولاته لاستعادة الضفة الغربية . وتصب نزعة الشرق اردنية في صلب هذا السياق ، حيث بدأت الاحاديث السياسية تكثر عن خلافات الاسرة الحاكمة بشأن مستقبل الضفة الغربية ونغمة المشاكل التي تولدت عن عملية الارتباط هذه ، وذلك لتصوير فكرة الانفصال بين الضفتين ، كتخليص للضفة الشرقية من المشاكل التي خلقت لها نتيجة لارتباطها بالضفة الغربية !

ان تصعيد هذه النزعة الاقليمية ، باتجاه الانفصال ، انما هي توطئة ذهنية للرأي العام الاردني لقبول فكرة الانفصال ، بدون ان تولد ردود فعل لدى الناس تجعلهم يشكون بجدية دولة من الضفة الشرقية فقط . وقد لا يكون مستغربا وجود نزعة أقليمية في الاردن لطبيعة تشكيل المملكة الاردنية . ولكن نزعة التعصب الاقليمي ، لا تبلغ حدود التبشير بالانفصال . ان الدعوة للانفصال عادة تأتي من المضطهدين وليس من المستفيدين كما هو الحال بالنسبة للضفة الشرقية . وان كان عامة الناس لا يعرفون هذه الحقيقة ، ولكن المسئولين على الاقل يعرفون اهمية الضفة الغربية بالنسبة للاردن ، حيث منح دمجها مع الضفة الشرقية لمملكة الاردن ، الحد الادنى المطلوب من مؤهلات الدولة . وبالذات على الصعيد الاقتصادي حيث ان اطلاق وصف (الدجاجة التي تبيض ذهبا) على الضفة الغربية معبر تماما عن الحقيقة ويعرفها المسؤولون الاردنيون اكثر من غيرهم . ولذا فلا يمكن لنا اعتبار تنشيط النعرة الشرق اردنية الا كمحاولة من النظام للحفاظ على (دولته) في الضفة الشرقية .

اسرائيل : بين الرأسمالية والاشتراكية

كين ميبركورد

« هل يمكن أن تتعايش الرأسمالية والاشتراكية في اسرائيل ؟ » كان هذا هو السؤال الذي طرحه مؤخرا السكرتير العام لمنظمة العمل الاسرائيلية ، الهستدروت . وهو بذلك قد طرح السؤال الذي أزعج اسرائيل عبر تاريخها ، الا انه اليوم يشكل ازعاجا حادا اكثر من اي وقت مضى . ان الحلم الصهيوني المبكر ، في اقامة دولة الرفاه لليهود على أرض فلسطين ، مطروح ضمن البرنامج السياسي لحزب العمل الاسرائيلي الحاكم، والذي يدعي بأنه حزب اشتراكي . ولكن قادة العمل الصهيونيين في اسرائيل قد فشلوا، برغم نياتهم الحسنة ، في اقامة دولة اشتراكية . فمع أن القطاع العام يسيطر على الاقتصاد الاسرائيلي ، الا ان الحرية متاحة للمشروعات الخاصة في سعيها من أجل الربح . ومع ان الخدمات العامة مؤمنة الان لقطاع كبير من السكان ؟ الا ان الفروقات الاجتماعية ما زالت قائمة ، ومآسي المجتمع الرأسمالي التي تأخذ تعبيرها في الاضطراب الاجتماعي لا زالت تجتاح البلاد .

ان فشل اسرائيل في تحقيق دولة الرفاه التي تخيلها الصهيونيون الاوائل مرتبط بفشل اسرائيل في تحقيق حلم صهيوني آخر ، الحلم بوطن قومي يهودي مستقل اقتصاديا . فاسرائيل تعتمد على الدعم المالي من البلدان الرأسمالية الغربية ، وهذا الاعتماد يحبط محاولاتها في الوصول الى اهدافها الاشتراكية . ولم يكن القادة الاسرائيليون وحدهم الذين تعين عليهم ان يكيفوا معتقداتهم الاشتراكية مع الايديولوجية الرأسمالية السائدة في الغرب ، بل تحتم على الاقتصاد الاسرائيلي ايضا ان يتقولب بقالب رأسمالي وذلك بفعل سياسات الحكومات الغربية ومطالب الرأسماليين الاجانب . ان المساعدات التي تقدمها الحكومة الاميركية والمؤسسات المرتبطة بها ، مثل البنك الدولي ، الى الدول النامية ترمي ، كهدف اولي لها ، الى تشجيع الاقتصاد الحر والاستثمار الاجنبي الخاص بصورة خاصة(١). ولهذا السبب ، فان القرض الذي قدمته الوكالة الاميركية للتنمية الدولية في العام الماضي لاسرائيل ، وهو قرض من اجل الاسكان بلغ ٥٠ مليون دولار ، لم يقدم الى الحكومة الاسرائيلية وانما اعطي لبنك خاص هو بنك تيفاحوت. والرأسماليون الاجانب الذين يقدمون الدعم السياسي والمالي لاسرائيل لا يفعلون ذلك من أجل لا شيء. فحين كان آل روتشيلد مثلا ، يسهمون في زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين اثناء الانتداب ، كانوا يضمنون نجاح استثماراتهم الموظفة في الصناعات الرئيسية في فلسطين مثل شركة نيشر للاسمنت ، والمطاحن الكبرى ، وشركة كهرباء فلسطين . واليوم هناك الاشخاص امثال الاميركي سام روتنبرج ، رئيس شركة « البونددرايف » ومؤسسة الاستثمار الاسرائيلية ، الذين يجمعون بذكاء بين العمل الخيري وجني الارباح .

ان الرأسماليين اليهود ، كغيرهم من الرأسماليين ، هم مخلوقات تسعى وراء الربح، واسرائيل بالنسبة للكثيرين منهم ، مثل اية مستعمرة اخرى ، موجودة لكي يجري استغلالها . وطالما ظلت اسرائيل معتمدة على الرأسماليين الاجانب وحكوماتهم، فستظل

مرغمة على ان تبقي ضمن نظامها الاقتصادي على قدر من الرأسمالية يسمح بتحقيق الارباح .

منذ ١٩٦٧ تضاعفت ديون اسرائيل ثلاث مرات ، مما يؤكد ان اعتمادها على الدعم الخارجي قد ازداد بشكل كبير منذ ذلك الوقت . ومن ثم كانت اسرائيل مضطرة ان تمنح امتيازات كبيرة للمستثمرين الاجانب . وحتى قبل حرب حزيران كان الركود الاقتصادي الكبير الذي شهدته اسرائيل قد دفع الحكومة لكي تعدل قانونا قديما « لتشجيع استثمار رأس المال » في عام ١٩٦٦ ، من أجل تأمين التسهيلات المالية للمستثمرين الاجانب ، الذي تضمن بالاضافة الى الاعفاء من الضريبة ، تعويض رأس المال ، وامتيازات اخرى كان قد تم الاتفاق عليها . وبهذا التعديل قدمت الحكومة للمستثمرين الاجانب منحة تغطي ٣٣ ٪ من استثماراتهم في مجال المعدات و٢٠ ٪ من استثماراتهم في الاراضي والمباني . وبالاضافة الى قروض التنمية التي قدمتها الدولة للاستثمارات « الموافق عليها » ، أصبح بامكان أي مستثمر اجنبي بفعل المنح المقدمة ان يباشر مشروعا اذا أمن ٢٠ ٪ فقط من رأس المال فقط اذ تأتي الـ ٨٠ ٪ الباقية من الحكومة(٢). وفوق ذلك فالقروض التي تقدمها الحكومة هي قروض « غير مربوطة » بمعنى أنها لا تتعدل عند حدوث ارتفاع في الاسعار ، مما يجعلها في الواقع قروضا بدون فوائد . وقامت الحكومة في السنوات الاخيرة بخطوة اخرى لتجعل الاقتصاد مفتوحا امام الاستثمارات الاجنبية . ففي عام ١٩٧٠ تبنت الحكومة سياسة بيع الشركات العامة الى أصحاب الاستثمارات الخاصة . وحتى عام ١٩٧٢ كانت ٣٢ شركة قد بيعت ، بل ان الحكومة ، في حالات كثيرة ، ضمنت للمشترين ايرادات عالية على استثماراتهم . وفي عام ١٩٧٠ أيضا استبدلت الحكومة سياسة سابقة بسياسة مناقضة لها وبدأت تبحث عن قروض اجنبية . ونتيجة لذلك قفزت القروض الخاصة من الخارج من ٥٠ مليون دولار عام ١٩٦٩ الى ٢٠٠ مليون دولار في عام ١٩٧١ . وفي العام الماضي حصلت الاستثمارات الاجنبية العاملة في بناء الفنادق على اعفاءات من الضريبة ومعونة على رسوم الواردات وذلك للمرة الاولى(٣).

ولكن بالرغم من هذه الاغراءات ، أظهر المستثمرون الاجانب ترددا واضحا في اقدامهم على الاستثمار في اسرائيل . فمن أصل ٤٠٠ مليون دولار من الرأسمال الاجنبي الذي وظف في اسرائيل بين عامي ١٩٦٦ و١٩٧٠ كان هناك ٢٠٠ مليون دولار فقط تمثل استثمارات مباشرة .وفي عام ١٩٧٠ كان صافي الاستثمار الاجنبي ٥٤ مليون دولار فقط، وهو أقل بكثير من الاموال التي كانت موظفة في عام ١٩٦٣ والتي بلغت انذاك ١٦٢ مليون دولار(٤). وفي بعض الحالات ، كما حصل في شركة « عراد » للكيماويات ، كانت الحكومة مرغمة ان تؤمن للمستثمرين الاجانب كل ما دفعوه عندما خسر المشروع المشترك الذي قاموا به مع الحكومة . ان الرأسمال الاجنبي الذي دخل البلاد قد وظف بالطبع في قطاعات الاقتصاد المربحة ، وهي اجمالا ليست القطاعات التي ترغب الحكومة في تطويرها . فالشركات الاجنبية مثلا هي التي تسيطر الان على تطوير العقارات المدينية . ففي العام الماضي باعت شركة اسرالوم ، وهي شركة مختصة في بناء شقق فخمة لليهود في الخارج ، « بيوتا ثانية في اسرائيل » لاشخاص غير اسرائيليين بما قيمته ١٢ مليون دولار . وتقوم الشركة في الوقت الحاضر بتشغيل اكثر من ٢٥٠ مليون دولار لبناء شقق تشكل ٢٠ ٪ من مجموع المنازل الاسرائيلية التي يجري اعدادها للاجانب . وفي العام الماضي اشترت مجموعة سترن اللندنية اكبر شركة بناء اسرائيلية هي شركة بان ـ ون والتي كان يملكها اسرائيلي . ومن المجالات الاخرى التي يقدم عليها الاستثمار الاجنبي ، بناء الفنادق حيث ارتفعت الاستثمارات فيه من ٧٩ مليون ليرة اسرائيلية

في الاشهر الستة الاولى من عام ١٩٧١ الى ١٩٣ مليون ليرة اسرائيلية في الفترة المماثلة من العام الماضي . وهذا ، بينما يبحث المستثمرون عن اكثر المجالات ادرارا للربح ، يبقى على الحكومة ان توظف اموالها في المناطق ذات الاولوية الاولى في التنمية ، مثل النقب والجليل الاعلى ، وهذه التوظيفات تنتهي عادة بنتائج مدمرة . مثال ذلك الخسائر التي لحقت بشركتين حكوميتين في النقب حيث خسرت شركة عراد للكيماويات ٩٠ مليون ليرة وشركة ارون للفوسفات ٧٠ مليون ليرة اسرائيلية(٥).

الى جانب الاهمية التي يتمتع بها الاستثمار الخاص ، ادت حاجة اسرائيل المتزايدة الى المساعدات من العالم الرأسمالي ، الى دفع البلاد بعيدا عن الاقتصاد الاشتراكي . ومن الادلة على ذلك انخفاض دور المصالح الاقتصادية شبه الحكومية التي يسيطر عليها الهستدروت . فبين عامي ٦٦ و١٩٧٠ انخفض نصيب مشروعات الهستدروت في صافي الانتاج المحلي من ٢١ر٤ ٪ الى ١٨ر٩ ٪ . وفي بعض القطاعات كان الانخفاض على النحو التالي : في الصناعة من ١٩ر٥ ٪ الى ١٦ر٤ ٪ ، في البناء من ٢٨ر٩ ٪ الى ٢٢ر٤ ٪ وفي النقل من ٢٤ر٥ ٪ الى ٢٠ر٧ ٪(٦). من الصعب تحديد نصيب القطاع العام في الانتاج الكلي وذلك لان الدولة تدخل طرفا في ملكية عدد كبير من الشركات الخاصة . ولكن التغييرات التي حدثت مؤخرا في ملكية عدد من المشروعات الرئيسية والتي يمكن تسميتها باعمدة الاقتصاد الاسرائيلي ، تؤكد ان ملكية الدولة وسيطرتها في الاقتصاد تتناقض باستمرار . من هذه الشركات مصفاة النفط في حيفا وشركة تسيم للملاحة البحرية ، وكلاهما اشترتهما الحكومة في الخمسينات عندما كانت اسرائيل أقرب الى كونها دولة اشتراكية . وقد قامت الدولة في عام ١٩٧٠ ببيع ٢٦ ٪ من المصفاة و٥٠ ٪ من شركة تسيم الى شركة اسرائيل كوربوريشن التي يملك الاجانب معظم أسهمها . واثار بيع شركة التكرير ضجة في الاوساط التجارية الاسرائيلية . ولم تكن هذه الضجة لان الحكومة ضمنت « لاسرائيل كوربوريشن » ربحا بعد دفع الضريبة قدره ١٠ ٪ واعطتها سلطة الفيتو ، وانما ايضا لان ثلث رأسمال الشركة لا يخص مستثمرين يهود بل اناسا هم اكره الناس بالنسبة لجميع اليهود ، اي يخص مستثمرين المان . لم تبال الحكومة بهذه الضجة على أي حال ، بل وسمحت في العام الماضي لاسرائيل كوربوريشن ، بأن تزيد حصتها في مصفاة حيفا الى ٥٠ ٪(٧). ولقد حدثت تغييرات مشابهة في القطاع المصرفي . فبنك الانماء الصناعي ، وهو المحرك الرئيسي للصناعة الاسرائيلية ،قد وقع تدريجيا بيد المستثمرين الاجانب . ففي عام ١٩٥٨ اسهمت الحكومة بمقدار ٩٣ ٪ من رأسماله ، لكن حصتها انخفضت الى ٥٤ ٪ عام ١٩٦٧ اما اصواتها فيه فانخفضت الى ٢٦ ٪(٨). بالاضافة لذلك سمحت الحكومة في العام الماضي بافتتاح بنك أجنبي جديد ، هو بنك « فيرست انترنشنال بنك اوف اسرائيل » مما يلحق الضرر بالبنوك الاسرائيلية الثلاثة الكبرى الموجودة منذ وقت طويل. وكما حدث بالنسبة لعملية المصفاة كان منح الامتياز للبنك الجديد مثار انتقاد واسع للحكومة الاسرائيلية ، خاصة وان مالكي اسهم البنك الرئيسيين غير يهود . ومن المشروعات العامة او شبه العامة الهامة الاخرى التي بيعت كليا او جزئيا منذ ١٩٦٦ ، شركة باز للنفط ، ستيل سيتي (مدينة الفولاذ) في عكا ، خط انابيب ايلات ــ عسقلان ، وشركة راسكو للبناء . بل انه جرى مؤخرا اعادة تنظيم الوكالة اليهودية لكي يصبح للمتبرعين الاجانب اشراف اكبر على عملية صرف الاموال في الوكالة(٩). لم تقتصر المسألة على التضحية بالاشتراكية باعتماد اسرائيل المتزايد على الرأسماليين الاجانب . ذلك انه مع السير باتجاه بنية رأسمالية للاقتصاد ، كانت اسرائيل تتحول تدريجيا الى ضحية للاستعمار الجديد . يود الاسرائيليون ان يعتقدوا بأن يكون العكس هو الحاصل ، اذ ان ازدياد دور الاجانب

في المصارف والصناعة باسرائيل انما يحول اسرائيل الى « المركز المالي لليهودية العالمية » ، ولكنهم يخطئون في تحديد من الذي يحرك الاخر . فالناقلات الجديدة التي اوصت عليها الشركة البحرية لنقل الفواكه في حيفا ، والتي تكلف عدة ملايين من الدولارات ، وهو الامر الذي فاخر به عدد كبير من الاسرائيليين ، لا يدل مطلقا على قوة اسرائيل المالية . اذ ان هذه الشركة لا تعتبر اسرائيلية اكثر مما هي شركة ارامكو عربية . والاموال التي رصدت لشراء الناقلات اتت اساسا من مصادر غير اسرائيلية وغير يهودية ، احدها شركة جنرال دينمكس الاميركية . ولقد كشفت حقيقة ملكية الشركة في شهر شباط عندما اعيد تنظيم الشركة وانتقل مركزها الى بنما حيث تبين ان ١٥ ٪ فقط من رأس المال الموظف للشركة جاء من التجارة مع اسرائيل(١٠) . وفي حالات كثيرة تقوم الشركات العالمية بانشاء فروع لها في اسرائيل لاغراض ضريبية ، ولا يستفيد منها الاسرائيليون اكثر مما يستفيد اهالي بهاماس من الشركات الاميركية التي تقيم مراكزها في بهاماس لكي تتجنب دفع الضرائب في الولايات المتحدة . كذلك فان ارتفاع تحويلات رأس المال الخاص الى اسرائيل ، من اقل من ١٠٠ مليون دولار عام ١٩٦٨ الى ٢٠٠ مليون دولار عام ١٩٧١ انما هو دليل على زيادة الاستغلال ، وليس على التمركز . فقسم كبير من هذا الراسمال يذهب الى المضاربة في الاراضي رافعا بذلك أسعار أراضي البناء بحيث أصبح الاسرائيليون انفسهم غير قادرين على بناء البيوت . ان القانون الاسرائيلي الخاص بالاستثمار الخيري يمكن المضاربين الاجانب من استرجاع رأسمالهم وارباحهم من خلال افراغ البلاد من ثرواتها على المدى البعيد . او أن معدلات الفائدة العالية في اسرائيل (تصل الى ٢٠ ٪) هي التي تجتذب الرأسمال الذي لا يؤدي الا الى تفاقم ضغوطات التضخم في الاقتصاد الذي يولد مثل هذه المعدلات العالية للفائدة بالدرجة الاولى(١١) . ومثل هذه « الاستثمارات » ليس لها سوى قيمة ضئيلة سواء بالنسبة للمواطن الاسرائيلي العادي او للاقتصاد الاسرائيلي .

ان احدى علامات ظهور الوضع الكولنيالي الجديد لاسرائيل تتمثل بوجود نخبة حاكمة والتي أصبحت فاسدة بابتعادها عن الشعب الذي تزعم أنها تمثله . ان اخصائيي حزب العمل وشركاءهم في المؤسسة الحاكمة ، بتخليهم عن واجباتهم تجاه الشعب الاسرائيلي، انما يحكمون باسم طبقة الكومبرادور الصغيرة التي هم جزء منها، والرأسماليين الاجانب حيث الروابط معهم لا تنفصم . ولقد كشفت الروابط الوثيقة بين النخبة وضامنيهم الاجانب بالصدفة ، وذلك عندما استقال المدير العام لوزارة الدفاع في شهر آب الماضي ليصبح نائب رئيس الشركة الاميركية العالمية ، جنرال تلفون ، مما ينم عن احتمال وجود فساد . وفي العامين الماضيين اهتزت اسرائيل عندما كشفت مجموعة من الفضائح عمق الفساد في المؤسسة الاسرائيلية . ففي عام ١٩٧١ اتهم وزير الدفاع باقتناء وبيع اثريات اسرائيلية بصورة غير شرعية . وبعد ذلك بعدة أشهر تبين انه كان للحكومة ضلع في انهيار شركة اوتوكارز الاسرائيلية لتجميع السيارات والذي الحق خسائر جسيمة بالاف الدائنين الصغار . وفي الوقت ذاته كشف التحقيق في عمليات شركة نتيفي نفت الحكومة عن قصة وضيعة حول النفاق وسوء استعمال اموال الحكومة وسرقة الاملاك العامة من قبل موظفي الدولة ، انتهت باستقالة المدير العام للشركة . ولما علم ان وزير العدل دفع لمحامي التحقيق اجورا باهظة بمعدل ٢٦٥٠ ليرة اسرائيلية في اليوم الواحد ، ثار الجمهور مما ادى الى استقالة وزير العدل يعقوب شابيرا . لكن بعد ذلك بثلاثة اشهر فقط كان لدى رئيسة الوزراء الوقاحة الكافية لتعيد تعيين صديق حياتها الى وظيفته السابقة ، وهو الامر الذي وصفه احد الصحفيين الاسرائيليين بانه « صفعة وقحة في وجه الرأي العام »(١٢) . لم تكن هذه الفضائح اكثر اثارة من التحقيق

الذي جرى في شركة عامة اخرى هي شركة فيرد فقد كشف هذا التحقيق عن اهمال من قبل السلطات يكاد يصل الى مستوى الجريمة ، اذ بلغت الخسائر التي سببها هـذا الاهمال ٨٤ مليون ليرة اسرائيلية . ثم صدرت دراسة عن بنك اسرائيل في شهر كانون الاول الماضي ، لتزيد من شك المكلف الاسرائيلي في انه انما كان يدفع من أجل عدم كفاية وفساد الحكومة . فقد وجدت الدراسة انه من الشركات الاسرائيلية السبع عشرة التي تعرضت لخسائر متتالية بين عامي ١٩٦٤—١٩٦٨ كانت اثنتا عشرة منها شركات حكومية او تابعة للهستدروت ، اما الخمس الباقية فكانت غارقة في ديون حكومية مما يجعلهـا عمليا شركات عامة . كذلك اظهرت الدراسة ان الحكومة لا زالت مستمرة في ادارة بل وتوسيع عدد كبير من الشركات التي تتعرض للخسارة(١٣). لم يقدر التقرير مجموع الخسائر التي تسببت بها الدولة ولكنه من الواضح لمعظم الاسرائيليين ان ما دفعوه من ضرائب يزيد كثيرا على المبالغ التي اعترفت الحكومة بانها شطبتها منذ عام ١٩٤٨ والبالغة ٤٠ مليون ليرة اسرائيلية(١٤).

ولكن المواطن الاسرائيلي ليس بحاجة الى الفضائح او الدراسات الاحصائية لكي يقتنع بأنه مستغل (بفتح الغين) . اذ يكفي ان ينظر حوله ليرى ان « تطوير » الاقتصاد الاسرائيلي انما يعني تلبية حاجات الاثرياء الاجانب ، وتمويل الشركات المفلسة التـي تنتج مواد غالية للتصدير ، وتدفئة جيوب مالكي ثروات البلاد ، الاجانب والمحليين ، وتقوية آلة الحرب . وتتزايد شبكات الشقق الفخمة باستمرار ولكن ليس العـامل الاسرائيلي هو الذي ينتقل اليها بل المهاجر الجديد او اليهودي الثري المقيم في الخارج . وتتزايد « أصحاب العقارات المقيمين في الخارج » ينجم وضع شاذ يتمثل بوجود حوالي ١٢ الف شقة جديدة غير مباعة وتظل مقفلة الابواب فارغة في حين تعيش ٤٥ الف اسرة اسرائيلية بمعدل ثلاثة افراد أو اكثر في الغرفة الواحدة(١٥). ولا يستطيع غير نفر يسير من الاسرائيليين ان ينزل في الفنادق الجميلة التي تمتد على طول الساحل ، كما انه يتوجب على هؤلاء ان يدفعوا اسعارا اعلى مما يدفعه السائح الاجنبي في الفنـادق ذاتها . ويزداد الانتاج القومي العام في البلاد بشكل ملحوظ سنة بعد اخرى ، ولكـن مستوى معيشة المواطن الاسرائيلي العادي لم يتحسن وذلك لان قسما كبيرا من الدخل القومي يذهب للرأسماليين الاجانب على شكل فوائد للقروض او ارباح للاستثمارات . وبحسب المكتب المركزي للاحصـاء في اسرائيل فان الاجور الفعلية للعامل الاسرائيلي انخفضت بمعدل ١ ٪ في عام ١٩٧١ على الرغم من ارتفاع الانتاج بمعدل ٧ ٪ (١٦).

من الممكن توقع رد فعل الطبقة العاملة الاسرائيلية تجاه الكولنيالية الجديدة ، اذ ان هذه الظاهرة قد حدثت قبلا في كوبا والشيلي والفليبين ومناطق اخرى ، كما انها تظهر اليوم في البلدان المتقدمة في العالم الرأسمالي . ان بعض الاسرائيليين ، اليائسين من امكان الحصول على « العدالة » من خلال النظام ، يتحولون الى الجريمة وهو مـا تؤكده المعدلات المرتفعة للجريمة في اسرائيل . ويحاول قسم اخر ، من أصحاب الافكار السياسية ، الاطاحة بالنظام بالوسائل الثورية ، ولذلك يتحالفون مـع الفلسطينيين العرب الذين يعتقدون انهم واياهم ضحايا الاستغلال الامبريالي ذاته . ومن الدلائل على مثل هذه الحركة ، المحاكمات التي جرت في اسرائيل مؤخرا لعدد مـن سكان اسرائيل اليهود والعرب بتهمة القيام باعمال تخريبية . ولكن في مجتمع موحد كالمجتمع الاسرائيلي تلجأ الطبقة العاملة الى الاضرابات للتعبير عن عدم رضاها ، كما حدث في السنوات القليلة الماضية . منذ عام ١٩٧٠ ، وهو العام الذي اتخذت فيه الحكومة عددا من القرارات الهامة التي تقلل من استقلال البلاد الاقتصادي ، بدأت سلسلة الاضرابات التي اصبحت تحدث يوميا في اسرائيل . ففي ذلك العام حدث ١٦٣ اضرابا مقابل ١٠٠

اضراب في عام ١٩٦٩ ، وارتفع عدد الايام الضائعة نتيجة لذلك من ١٠٢ الف عام ٦٩ الى ٣٩٠ الف يوم في العام التالي(١٧) . ونتيجة للاضراب الذي حدث في العام الماضي في شركة عيليت للشوكولاته وحدها ودام ٥٣ يوما ، زاد عدد الايام الضائعة على عدد جميع الايام التي ضاعت باضرابات عام ١٩٦٩ . وفي شهر كانون الاول الماضي كان موظفو الجمارك في اللد، وعمال الصيانة في شركة ال ــ عال ، وعمال شركة ميكوروت الحكومية للمياه ، و٥٠ الف معلم ، و١٠ الاف مهندس ، و٢٠ الف فني ، كانوا جميعهم اما مضربين او يخططون للاضراب . وحتى المستهلك الاسرائيلي اضرب ليوم واحد في شهر كانون الثاني احتجاجا على الزيادة الفاحشة في الاسعار . ومن الدلائل على تزايد النضال العمالي في اسرائيل ان ٦٠ ٪ من الاضرابات التي نفذت في العام الماضي قد تمت بدون موافقة الهستدروت(١٨) .

ادى عدم الرضى والاحساس بالاغتراب ، وانتشار ذلك صعودا حتى المستويات الوسطى في المجتمع الاسرائيلي ، الى قيام دعوة للتغيير الجذري من قبل جناح يساري داخل المؤسسة الحاكمة نفسها . تزعم هذه الدعوة السكرتير العام للهستدروت ، يتسحاق بن اهرون ، الذي يقول بشكل جازم ان « لا صهيونية بدون اشتراكية » . ولقد واجه بن اهرون معارضة عنيفة من قبل زملائه في حزب العمل أدت الى استقالته من منصبه في شهر ايار الماضي ، وذلك عندما شعر بأن الحكومة لم تلتزم جانب الحياد اثناء نزاع حصل بين عمال التعليب وجمعية الصناعيين . لكن التأييد الشعبي الذي اعقب ذلك مكن بن اهرون من العودة الى منصبه ، وقد تدعمت قوته داخل الهستدروت بشكل كبير . وبذلك اصبح بن اهرون ، وهو الذي يلقب الصناعيين « بالافندية » يطرح مطالبه بقوة اكبر ، تلك المطالب من أجل اسرائيل اكثر اشتراكية وتخطيط الاقتصاد وفرض القيود على تدفق رأس المال . حذرت النخبة الحاكمة من ان الاقتصاد الذي يريده بن أهرون لا يشجع الاستثمارات الاجنبية ، فكشفت بذلك عن ادراكها للعلاقة السببية بين تبعية اسرائيل الاقتصادية وعدم قدرتها على أن تصبح دولة اشتراكية(١٩) .

هنالك قول ماركسي مؤداه « ان تعيش في ظل الرأسمالية يعني ان تعيش في وقت مستدان » وليس هناك بلد في العالم الرأسمالي ينطبق عليه هذا القول اكثر مما ينطبق على اسرائيل . فالقيادة الاسرائيلية على مفترق طرق . فهي تستطيع ان تنتقل الى مجتمع اكثر عدالة اذا ما تخلت عن التوسع وقللت من حاجتها للدعم الغربي ، والا فستستمر في طريقها الحالي وتزداد معاناتها من الانقسامات الداخلية والقلق الاجتماعي. ومن الممكن أن يتوضح اي من الطريقين سوف تسلكها اسرائيل ، في المؤتمر الاقتصادي الذي سيعقد في القدس في شهر ايار . كان رجال الاعمال اليهود من مختلف انحاء العالم يلتقون في السابق في الاوقات الطارئة ، وقد حدث الاجتماع الاول في ١٩٥٠ وتم الاجتماع الثاني عام ١٩٦٨ . وتدل التجربة الماضية على ان المؤتمر سيتجه نحو اعطاء المزيد من الامتيازات للرأسماليين الاجانب من أجل الحصول على تأييدهم . واذا ما حدث ذلك فستنصب مساوىء المجتمع الرأسمالي على اسرائيل بشكل لم تعرفه من قبل . لانه مهما كثرت الاحاديث الاشتراكية التي تصدر عن جولدا مئير في اجتماعات الاممية الاشتراكية ، لن يكون بامكان مئير ان تقيم دولة اشتراكية في اسرائيل ، طالما هي مضطرة ان تتجه الى المراكز المالية في العالم الرأسمالي بهدف الحصول على دعمها . وسيكون على السياسة الاسرائيلية في النهاية ان تنقلب بطريقة او باخرى ، لان السؤال النهائي هو السؤال الذي طرحه بن اهرون محذرا وهو « الى اي مدى يستطيع مجتمع رأسمالي جشع ان يكبح اتجاه الانسانية في المساواة »(٢٠) .

الحواشي :

١ ــ راجع تيرزا هايتــر ، **المساعــدات في صورتها الامبريالية** ، بنجوين ، ١٩٧١ ، الفصل الثاني .

٢ ــ **الدليل الاسرائيلي للمستثمرين** ، حكومة اسرائيل ، ١٩٦٨ ، ص ١٨ .

٣ ــ **الايكونوميست الاسرائيلية** ، ١٩٧٢ ص ٤٤ ، ٩٣ ، ١٨١ ، ٢٨٧ .

٤ ــ **التقرير السنوي** ، بنك اسرائيل ، ١٩٧٠ ، ص ٧٢ .

٥ ــ **الايكونوميست الاسرائيلية** ، ١٩٧٢ ، ص ٢٢ ، ١٦٣ ، ١٨٢ ، ٢٢٥ ، **والجيروزاليم بوست** (عدد دولي) ، ٢٠ حزيران و٣١ تشرين الاول ، ١٩٧٢ .

٦ ــ **الجيروزاليم بوست** (عدد دولي) ، ٢١ آذار ، ١٩٧٢ .

٧ ــ **الايكونوميست الاسرائيلية** ، ١٩٧٠ ، ص ١٩٥٨ ، و ١٩٧٢ ، ص ٧٥ .

٨ ــ **التقرير السنوي** ، بنك اسرائيل للانماء الصناعي ، ١٩٦٧ .

٩ ــ **الجيروزاليم بوست** (عدد دولي) ١٣ شباط و ٣ تشرين الاول ١٩٧٢ .

١٠ ــ المصدر السابق ، ٢٠ شباط ١٩٧٣ .

١١ ــ **الايكونوميست الاسرائيلية** ، ١٩٧٢ ، ص ٢٨٧ .

١٢ ــ المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

١٣ ــ المصدر السابق ، ١٩٧٣ ، ص ٦ .

١٤ ــ **الجيروزاليم بوست** ، (عدد دولي) ، ١٩ كانون الاول ، و ١٥ آب ١٩٧٢ ، و ٩ كانون الثاني ١٩٧٣ .

١٥ ــ المصدر السابــق ، ١٨ نيسان ١٩٧٢ ، **والايكونوميست الاسرائيلية** ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤ .

١٦ ــ **الايكونوميست الاسرائيليــة** ، ١٩٧٣ ، ص ١٣ .

١٧ ــ **التقرير السنوي** ، بنك اسرائيل ، ١٩٧٠ ، ص ١٩٢ .

١٨ ــ **الجيروزاليم بوست** (عدد دولي) ، ١٩ كانون الاول ١٩٧٢ ، **والايكونوميست الاسرائيلية** ، ١٩٧٢ ، ص ٢٩٣ و ٣٠٥ .

١٩ ــ **الجيروزاليم بوست** (عدد دولي) ، ١٦ ايار ، وأول آب ، و٢٢ آب ، ١٩٧٢ .

٢٠ ــ **المصدر السابق** ، اول آب ، ١٩٧٢ .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

احصاءات فلسطينية

اعــداد

اليــاس خوري

لاول مرة يصدر كتاب شبه شامل عن احصاءات الفلسطينيين في جميع البلاد العربية وفي فلســطين المحتلة ... وهي عن النواحي الاجتماعية والســكانية والديمغرافية والاقتصادية والتعليمية للفلسطينيين في كل قطر عربي . وهناك احصاء عن الفلسطينيين المستفيدين من خدمات الاونروا من النواحي التعليمية والوظيفية والخدمات الاجتماعية .

نحو ٤٠٠ صفحة من الجداول بعشر ليرات لبنانية . يضاف اليها اجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في اوروبا ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

اطلبه من : مركز الابحاث ــ قسم التوزيع .
ص ب ١٦٩١ ــ بيروت .

الكيبوتز : تقييم نقدي

اياد القزاز

تعني كلمة كيبوتز بالعبرية جماعة . وعبر التطبيق العملي أصبحت الكلمة تعني جماعة من الناس تعيش وتعمل مجتمعة في مزرعة جماعية . فالكيبوتز هي مستوطنة جماعية ذات نظام فريد نشأت في اسرائيل . وهي من الناحية المثالية والنظرية ، مشروع جماعي قائم على الملكية العامة لمصادر الثروة وعلى تجميع العمل والدخل والمصروف . ينتظر من كل عضو ان يعمل قدر طاقته ، وهو لا يتقاضى اجرا وانما تؤمن له الكيبوتز جميع السلع والخدمات والحاجات . ومن المفترض ان الكيبوتز تقوم على العمل الطويل والالتزام المتبادل والحقوق المتساوية لجميع الاعضاء ، وتتحمل مسؤولية مادية كاملة تجاههم .

في عام ١٩٦٨ كان في اسرائيل حوالي ٢٣٣ كيبوتزا يبلغ عدد سكانها ٧٢٫٠٥٢ نسمة وتمتلك ٢٨٧٫٠٠٠ فدان من الاراضي الزراعية . وكان ذلك يشكل حوالي ٣٠ ٪ من عدد سكان الريف اليهود و ٥٠ ٪ من الاراضي الزراعية . وتتجمع هذه الكيبوتزات في عدد من الاتحادات ، ثلاثة منها كبيرة وثلاثة صغيرة . والاتحادات الكبيرة هي كيبوتز ميوحاد ، وكيبوتز ارتزي ، واتحاد الكيبوتزات . اما الاتحادات الصغيرة فهي هابوعيل هاميزراحي وأغودات اسرائيل ، وهاعوفيد هاتزييوني .

تجتاز حركة الكيبوتز ككل ، فترة حرجة في تاريخها . اذ ان هناك فروقات عديدة بين ايديولوجية الكيبوتز وبين التطبيق العملي . وهذه الفروقات هي التي تؤثر في التغييرات الحاصلة اليوم والتي ربما كانت تهدد وجود حركة الكيبوتز من أساسه . وفيما يلي نعرض بايجاز لاعراض هذه الازمة واسبابها :

(١) القولبة الجامدة للحياة ، والتي تعتبر احدى الخصائص الاساسية للكيبوتز ، تدفع أناسا كثيرين الى ترك الكيبوتز . فالمرأة التي تريد ثوبا جديدا لا تستطيع اختيار النموذج الذي تريده اذ أن اختيارها محدود بنموذجين او ثلاثة توجد في غرفة الخياطة . وبكلام آخر فان القرارات الشخصية قد أخضعت لموافقة الجماعة او احدى لجانها المنتدبة .

(٢) من المفترض بالكيبوتز انها تملك وتدير جميع وسائل الانتاج . كما يفترض ان تكون الجهة الوحيدة التي تؤمن كافة الحاجات الاستهلاكية للاعضاء وعائلاتهم . فهي ضد تراكم الممتلكات الخاصة لدى الاعضاء . ولكن يبدو ان التطبيق العملي ، في العقد او العقدين الماضيين ، كان يتناقض مع القيم الاساسية للكيبوتز . من بين هذه التطبيقات كانت عملية الادخال التدريجي للملكية الفردية والعجز الظاهر لدى الكيبوتز في التصدي لهذه المشكلة . وتشمل الملكية الفردية الكتب واقلام الحبر والراديوات والملابس والاثاث ، والتي كانت ستحول الى الكيبوتز لو ان الامور هي كما كانت في السابق .

وهناك نوع آخر من الملكية الفردية نشأ عن مدفوعات التعويضات الالمانيـــة الى الافراد . في البداية كانت جميع الكيبوتزات تعارض بشدة اتفاقية التعويضات مع المانيا. إلا انها لم ترفض المدفوعات الفعلية . وقـــد اعتمدت اتحادات الكيبوتزات سياسات مختلفة حول المقدار الذي يمكن ان يسمح به للعضو للانتفاع الشخصي من التعويضات.

(٣) ومن الدلائل على الازمة ، تردد عدد كبير من الاعضاء في المشاركة الفعالة في العملية السياسية للكيبوتز وفي قبول مسؤوليات رسمية . في السابق كان حجم الكيبوتز صغيرا ، وكان جميع الاعضاء تقريبا يحضرون الاجتماعات العامة بصورة منتظمة ، كما كانت الفرصة متاحة لكل فرد لكي يساهم ويحس بأن له وزنا في اتخاذ القرارات . أما اليوم فقد كبر حجم الكيبوتز وأصبح بعضها يضم الفي شخص . وأصبح معدل الحضور اقل من ٥٠ ٪ . ومن الذين يحضرون ، هناك نسبة ضئيلة تشارك بحيوية في حين يشكو الآخرون من ان الاجتماعات مملة . ولقد أدى هذا التراخي الجماعي الى ظهور ونمو طبقة جديدة من الاشخاص مهمتهم تنظيم وادارة الكيبوتز . ولهذه الطبقة نمط متميز من العمل يباعد بينها وبين المجموع . ومثل هذه الظاهرة تشكل تناقضا مع مثل المساواة الكليـــة .

(٤) وكان التقدم في السن احد الاسباب التي ادت الى ظهور الازمة . فالكيبوتز في اساسها هي حركة شباب . وشكلت الكيبوتز في البداية متنفسا لشباب متمرد كان يبحث عن عالم افضل . ولكن مع تقدم الاعضاء الاوائل بالسن ، أصبحت وظيفة المؤسسة التي اوجدوها لتلبي حاجة الشباب بحكم المنتهية . وثقافة الكيبوتز تجعل من هم في منتصف العمر والكبار في السن عديمي النفع ما داموا لا يستطيعون جسديا مجاراة الشباب .

(٥) وتعتبر المراة سببا هاما في أزمة الكيبوتز الحالية . فجميع الاستقالات تقريبا تتم بتحريض من النساء ، ووراء كل هروب امراة . فالطلب المتزايد على الملكية الفردية ومن أجل مزيد من الحرية البيتية يوجد بشكل قوي لدى النساء ، وهو ما يسبب توترا شديدا في الكيبوتز . وليس صدفة ، على اي حال ، انه باستثناء السياسة ، ليس هناك ما يشغل اهتمام الكيبوتز بقدر ما تفعل مشاكل النساء(١).

يذكر العديد من النساء أنهن يجدن حياة الكيبوتز مضنيـــة بسبب صعوبة البيئـــة الطبيعية . وهن ، لاسباب بيولوجية ، لم يقدرن على القيام بعدد كبـــير من الاعمال الجسدية مثل قيادة التراكتور والحصاد وغير ذلك ، وكن مرغمات على اخذ اجازات مؤقتة من اي عمل جسدي يمكنهن القيام به . والمراة الحامل كان يفرض عليها ان تترك هذا الفرع من الاقتصاد وتعمل في فروع الخدمات مثل الطبخ والتنظيف والغسيل والتعليم وتربية الاطفال . اي أن المراة لم تتحرر من عبودية الوظائف المنزلية(٢) . وينظر الـــى اعمال الخدمات باحتقار لانها لا تعطي اي مردود ولانها تستهلك معظم مصروفـــات الكيبوتز . أن الكيبوتز تجعل القيمة العليا لتلك الفروع التي تعطي مردودا اقتصاديا اكبر . ولهذا السبب تنظر النساء الى انفسهن كمواطنات من الدرجة الثانية(٣).

ولدى النساء شعور بعدم الطمأنينة ، وخصوصا عندما يكن في منتصف العمر لان المناخ والعمل الشاق يجعل المراة تصل الى مرحلة منتصف العمر في وقت أقل مما هو لدى نساء الطبقة الوسطى الاميركيات . ويشعرن بأنهن يفقدن جاذبيتهن الجنسية . وهذه المسألة أخطر في الكيبوتز منها في أي مكان آخر لان رابطة الزواج تقوم على الحب، والجاذبية الجسدية احد عناصره . وفي الكيبوتز لا توجد عقبات كثيرة تحد مـــن فسخ الزواج ، مثل الممتلكات وتربية الاطفال وغير ذلك ، ونتيجة لعدم الطمأنينة هذه اعادت النساء المتقدمات في السن من جديد رغبتهن في الملابس . كن في الماضي يقنعن بارتداء

الشورت او بنطلونات واسعة تصلح للجنسين أو تنانير وبلوزات ، امـــا اليوم فانهن يصرن على ارتداء الفساتين(٤).

يمقت كثير من النساء فصلهن عن أطفالهن في الليل وفي الصباح الباكر . لقد كان هذا الفصل تجربة مثبطة بالنسبة للكثيرات اذ ينظرن الى ذلك على انه حرمان آخر لهن من حقوقهن الانثوية الطبيعية(٥).

ثم ان عدد الرجال يزيد كثيرا على عدد النساء وخاصة في الكيبوتزات الحديثة التي أقيمت منذ عام ١٩٤٨ . في خمسة من هذه الكيبوتزات يبلغ عدد الرجال ضعف عدد النساء واحيانا اكثر، وفي ٢٢ كيبوتزا يزيد عدد الرجال بنسبة ٥٠ ٪ الى ١٠٠ ٪ على عدد النساء ، وفي ٢٥ كيبوتزا يزيد عدد الرجال بنسبة ٢٥ ٪ الى ٥٠ ٪ على عـــدد النساء . وهذه النسبة المنخفضة لها مدلولات سلبية عديدة بالنسبة للنساء . وأهم هذه الامور ان دور النساء هو دون دور الرجال في رسم وتقرير سياسة الكيبوتز وادارتها ، سواء بالنسبة لعدد الاصوات في الجمعية العمومية أو بالنسبة للمناصب في اللجان المختلفة التي تدير شؤون الكيبوتز .

(٦) والعمل المأجور مؤشر آخر على وجود هذه الازمة . ان جميع الكيبوتزات تقريبا تستخدم الآن عمالا مأجورين من خارجها ، وفي بعضها يزيد عدد مثل هؤلاء العمال على عدد أعضاء الكيبوتز ! وبعضها تستخدم عمالا من الخارج فقط في الزراعة أثناء مواسم الحصاد ، أو في بعض الحالات الطارئة . ان استخدام عمال من الخارج يتعارض تماما مع فلسفة وتقاليد ومعايير الكيبوتز . فذلك يتضمن وجود الاستغلال ويؤدي الى نشوء نظام من التمايز ضمن النظام . ويبرر استخدام العمل المأجور من خارج الكيبوتز على انه ناجم عن تحول العديد من الكيبوتزات نحـــو التصنيع الذي يتطلب أعمالا ماهـــرة ومهارات متخصصة لا تتوفر اجمالا في الكيبوتز . كما أن المسؤوليات العامة للكيبوتز تسهم الى حد كبير في نقص الطاقة البشرية وفي الكيبوتز وفي زيادة استخدام العمـــل المأجور . ويقدر ان ١٠ ٪ من الاعضاء يعملون ويعيشون خارج الكيبوتز ، ولانه يفترض بها أن تؤمن عمالة كاملة لاعضائها ، فيتوجب على الكيبوتز ان تختار بين العمل المأجور وتخفيض وظائفها الاقتصادية وغير الاقتصادية الى حد كبير .

(٧) ومشكلة اخرى تواجه الكيبوتز هي تدني الرغبة في الالتحاق بالكيبوتز . ففي عام ١٩٦٤ كان يوجد باسرائيل ٢٣٣ كيبوتزا ، ٥٩ ٪ منها (تضم ٧٦ ٪ من مجموع سكان الكيبوتزات) كانت قد انشئت قبل قيام الدولة .

لم يكن النمو وحده بطيئا ، بل ونسبة تبدل الاعضاء كانت عالية جدا . ويعترف حتى اخلص المؤيدين للكيبوتز بأنه ليس بمقدور اي كان ان يكيف نفسه جسديا ونفسيا مع متطلبات الكيبوتز غير العادية . بين عامـــي ١٩٥٦ — ١٩٦١ انضم الى الاتحـــادات الرئيسية الاربعة للكيبوتز ١١٫٦١٤ عضوا جديدا ، وغادر الكيبوتز ٣٫٨١٩ عضوا ، وبذلك بلغت نسبة التبدل في العضوية ٣٢ ٪(٦).

لقد فقد الكيبوتز جاذبيته بعد انشاء دولة اسرائيل . فالمهاجر الجديد الذي أتى في الخمسينات من بلدان اسلامية ، كان يفتقد كليا الى التدريب الايديولوجي الذي تميز به المهاجرون الاوائل . والمهاجرون الذين جاءوا من أوروبا الشرقية تولدت لديهم كراهية للحياة الجماعية ، على الرغم من انهم كانوا واعين للنظريات الاشتراكية التي تقوم عليها الكيبوتز . فالذين جاءوا من الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية يتطلعون الآن الى حياة لا تخرج عن اطار تحقيق الرغبات الفردية .

كذلك ادى انشاء دولة اسرائيل في عام ١٩٤٨ الى تغيير جذري في اتجاه شباب المدن

من « الصابرا » نحو حركة الكيبوتز . لقد فقدت الكيبوتز فجـأة سحرها وجاذبيتها . فالنشاطات الجديدة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المتعددة التي أوجدتها الدولة الدينامية النامية بشكل سريع قد فتحت آفاقا جديدة وفرصا جديدة لابناء «الصابرا»(٧).

(٨) ليس للتمايز الاجتماعي مكان ، من الناحية النظرية ، في حركة الكيبوتز . ومع ذلك فالتمايز قائم في هذا المجتمع اللاطبقي . لقد استطاعت الكيبوتز والى درجة كبيرة ، من خلال بنيتها كوحدة اجتماعية ازالة الفروقات الاقتصادية التي تشكل قاعدة التمايز ، الا ان السلطة والمكانة الاجتماعية استمرتا في الكيبوتز كأساس للتفريق بين الشرائح العليا والدنيا . يقوم مفهوم الرتبة على الاقدمية وعلى المراكز الادارية . والرتبة الاعلى في مجتمع الكيبوتز هي ما يعرف بالشخصية المهمة . وتكون هذه الشخصية عادة قائد محلي ممن أسهموا في انجاح المشروعات الخاصـة بمجتمع الكيبوتز . وجميع هذه الشخصيات الهامة من الاعضاء القدامى وبعضهم من الرواد أو مؤسسي الكيبوتز . وفي المرتبة الثانية يأتي أيضا أعضاء قدامى ممن يشغلـون مناصب ادارية مثل رئيس عمال الحقل، رئيسة ممرضات وما شابه ذلك، ويعرفون بأنهم عمال ثابتون ومسؤولون. وفي المنزلة الدنيا يأتي العمال غير المهرة او المتنقلون ، ويتألف هؤلاء من القادمين الجدد ، والاعضاء القدامى الذين يعتبرون كسالى ولا يتحملون المسؤولية ، أو أولئك الذين لا يرغب الآخرون في العمل معهم . ويكلف هؤلاء عادة للعمل في الخدمات المختلفة او في الحدائق .

من هذا العرض الموجز نرى ان الكيبوتز تجتاز مرحلة حرجـة ، وقد تنتهي هـذه التجربة الاجتماعية اذا لم تتوفر لها المساعدات من قبل الحكومة والمنظمات الخاصة .

ان للحكومة والهيئات العامة الاخرى مصلحة كبيرة في الابقاء والمحافظة على الكيبوتز.

صحيح ان الكيبوتز لم تعد تشكل العمود الفقري للقوة العسكرية كما كانت قبل عام ١٩٤٨ ، الا انها لا زالت تؤدي وظائف عسكرية عديدة تعتبر اساسية ومهمة بالنسبـة للجيش . قبل حرب ١٩٦٧ كان عدد كبير من الكيبوتزات يقوم في المناطق البعيدة القريبة من الحدود مما أعطاها وضعا دفاعيا فريدا . كذلك قدمت الكيبوتز الى سلك الضباط عددا يزيد نسبيا عن حجمها بكثير . فحوالي ثلث الضباط هم من الذين عاشوا في الكيبوتزات، وحوالي ٦٠٪ من الطيارين الجدد هم من مواليد الكيبوتزات(٨). وعدم التناسب هذا ناجم عن كون الكيبوتز مؤسسة كلية ، لها العديد من خصائص الجيش ، مثل الانضباط والنظام . فجميع اشكال النشاطات اليومية يتم تحديدها بشكل دقيق بموجب نظـام واضح من القوانين الرسمية المفروضة من فـوق . ان الكيبوتز مثل الجيش تقمـع الاهداف الفردية وتخضعها لاهداف المؤسسة خالقة بذلك ولاء قويا للمؤسسة ومشجعة على الروح القومية العدوانيـة والشخصية الجسمية القوية . وهـذا التشابه بين الكيبوتز والجيش يجعل من الكيبوتز المكان الذي يعطي ضباطا وجنودا أفضل .

وتقوم وسائل الاعلام بتصوير الكيبوتز على انه مجتمع مثالي حيث تتحقق المساواة الكاملة للجنسين وحيث الممتلكات تعود للاعضاء مجتمعين . ومثل هذه الصورة تشكل دافعا قويا لاجتذاب الشباب والاشخاص الحالمين بالمثل .

من جهة اخرى تستطيع اسرائيل ، من خلال الكيبوتز ، ان تجعل نفسها ، ولو جزئيا، في صف البلدان الاشتراكية . واسرائيل بذلك ، تحاول الحصول على عطف وتأييد هذه البلدان لسياستها الخارجية وكذلك لسياستها على الصعيد الداخلي .

هناك عدد من اعضاء الحكومة ممن ولدوا أو نشأوا في الكيبوتز مثل الون ، نائب رئيسة الوزراء ، ودايان وزير الدفاع ، وغيرهم . وهؤلاء الاشخاص يحتفظون بعضويتهم

في كيبوتزاتهم ، ومع انهم لا يقومون بنشاطات تتعلق بشؤون الكيبوتز مثلما كانوا في السابق ، الا انهم يستمرون في وضع برامج الكيبوتز ، داخل الحكومة وخارجها ، مثل برنامج المساعدات للكيبوتزات الجديدة ، وتشجيع المهاجرين الجدد على الالتحاق بالكيبوتز . ويعتقد العديد من هؤلاء الاشخاص انه فقط عبر طريقة الحياة القائمة في الكيبوتز تستطيع اسرائيل ، كدولة ، ان تنمو وتحافظ على ذاتها في وسط بيئة معادية .

---

١ — Spiro, Melford, *Kibbutz : Adventure in Utopia*, Cambridge, Harvard University Press, 1956, p. 221.

٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٢٥ .

٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٢٦ .

٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٣٤ .

٥ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٣٣ .

٦ — Stern, Boris, «The Kibbutz That Was», *Washington Public Affairs Press*, 1965, p. 92.

٧ — **المصدر نفسه** ، ص ٩١ .

٨ — Leslie Y. and Rabkin, Waren, «Children of the Kibbutz,» *Psychology Today*, Vol. 3, No. 4, Sept. 1969, pp. 40-48.

لمزيد من المعلومات التفصيلية عن الكيبوتز اطلب الكتب التالية الصادرة عن مركز الابحاث

— **الكيبوتز** ، لعبد الوهاب كيالي .

— **الموشاف** ، لابراهيم العابد .

— **المستعمرات الاسرائيلية الجديدة منذ عدوان ١٩٦٧** ، الدكتور انيس صايغ .

— **الكيبوتز من الداخل : دراسة سياسية وادارية** . موسى حنا عنز .

سعر كل كتاب ليرتان لبنانيتان ، تضاف اليها بدل اجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي : ١ ل.ل. في اوروبا ، ٢٥ ق.ل. في سائر الدول .

اطلبها من : قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت .

تطور مشروع نهر الاردن

طعان صعب

يتكون نهر الاردن* من نهرين فرعيين يعرف أحدهما بالشريعة والاخر بالاردن ، وهي نفس تسمية النهر الكبير . يتشكل الشريعة ، وهو يعرف بهذا الاسم قبل دخوله الى بحيرة طبريا ، من التقاء روافد عند سفح جبل الشيخ وأهمها الحاصباني والدان وبانياس . يجري الحاصباني ، الذي يقع منبعه العلوي في لبنان ، من حاصبيا في جنوب غرب جبل الشيخ ويمر في الزاوية الغربية من الاراضي السورية شمال جسر المغزار ، ويدخل من ثم في الزاوية الشمالية الشرقية من فلسطين . وينبع الدان في داخل اسرائيل قرب تل القاضي . اما بانياس ، الذي يقع منبعه في شمال غرب سوريا ، فانه يجري من مدينة بانياس الى جبل الشيخ ثم يدخل الى اسرائيل في أقصى الزاوية الشمالية الشرقية في نفس الحدود ، تقريبا ، التي تفصل سوريا عن اسرائيل . تلتقي الروافد الثلاثة على مسافة تسعة اميال شمال منطقة الحولة ، وينساب الشريعة من أدنى نقطة التقاء الروافد الى بحيرة الحولة حيث تزداد مياهه من الينابيع .

يطلق اسم الاردن على الفرع الاخر من النهر فيما بين بحيرة طبريا والبحر الميت . يحقق الاردن اول هبوط بارز له على بعد ميلين من أدنى الحولة وبعد تجاوزه جسر بنات يعقوب . من هذه النقطة واثناء جريانه بين بحيرة الحولة وبحيرة طبريا وعلى مسافة ١١ ميلا يهبط النهر ٩١٥ قدما ويتحول الى تيار هائج الى ان يدخل الى بحيرة طبريا . وبعد خروجه من بحيرة طبريا ، يهبط ٥٩١ قدما في وادي الاردن حتى يصل الى البحر الميت .

ان أهم روافد الاردن هي اليرموك والزرقاء والكبير . يجري اليرموك ، الذي يبلغ طوله ٢٥ ميلا ، مسافة ١٠ اميال بمحاذاة الحدود الشرقية لفلسطين ويرسم على امتداد مجراه الحدود بين سوريا والاردن ، ومن ثم يشكل الحدود بين الاردن واسرائيل على مسافة ٦ أميال الى ان يتصل بنهر الاردن . ينبع اليرموك في سوريا وتغذيه روافد عديدة تلتقي معظمها عند محطة القارن المتاخمة للحدود الاردنية بجوار موقع السد العالي . ويلتقي غربا بالروافد الاخرى لنهر الاردن عند جسر المجامع في نقطة تقاطع الحدود السورية والاردنية والاسرائيلية . وتعرف هذه المنطقة التي تقع على بعد اربعة أميال جنوب بحيرة طبريا بمثلث اليرموك .

يجري الرافد الثاني ، الزرقاء ، من بلدة الزرقاء شمال عمان الى مدينة السلط الاردنية حيث يلتقي بالنهر الرئيسي . ويجري الرافد الثالث ، الكبير ، من عين جالود في اسرائيل الى نهر الاردن .

يبلغ الطول الاجمالي لنهر الاردن ١٥٧ ميلا ، يقع ٧٣ ميلا منها في المناطق الخاضعة للاحتلال الاسرائيلي ، والباقي في سوريا ولبنان والاردن . ويبلغ حجم منسوب مياه

* تعالج هذه الدراسة مشاريع تحويل نهر الاردن المختلفة حتى العام ١٩٦٧ .

النهر ١٨٨٠ مليون متر مكعب سنويا ينبع ٧٧٪ منها (أي ١٤٨٨ مليون متر مكعب) في الاراضي العربية والباقي (أي ٤٣٢ مليون متر مكعب) في اسرائيل(١) .

تتميز الدول المجاورة لنهر الاردن بأمر واحد مشترك ، فهي ليست من بلدان الشرق الاوسط المنتجة للنفط ، كما انها تعتمد بشكل رئيسي على مياه النهر في تحقيق تنميتها الاقتصادية . وتبدو الحاجة الى مياه النهر اكثر الحاحا بالنسبة لاسرائيل والاردن لان وجود هذين البلدين يعتمد على الاستخدام الكلي للمصادر المائية . وهذا الحال ينطبق ايضا والى حد كبير بالنسبة الى سوريا ولبنان . والملاحظ ان التزايد السكاني الكبير في لبنان والاردن قد وصل الى معدلات بات معها الاستغلال الكامل للاراضي والمصادر المائية غير كاف لوقف الكثافة السكانية الكبيرة في المستقبل القريب(٢) .

وفي حين يحتاج لبنان والاردن الى المياه لتنفيذ مشاريع الري بصفة رئيسية فان توليد الطاقة الكهربائية من القوة المائية يأتي في المقام الاول بالنسبة الى سوريا واسرائيل . من الواضح ، اذا ، ان لنهر الاردن ، وهو نهر دولي ، أهمية حيوية بالنسبة للاقطار الاربعة التي يمر في اراضيها ، وبالتالي فان قيام أحد أو كل هذه الاقطار باستغلال مياهه يثير مشاكل معقدة تزداد تفاقما في ظل الوضع السياسي القائم .

وضعت عدة مشاريع* ، خلال السنوات الخمسين الماضية ، في موضوع استغلال مياه نهر الاردن . ومع ان تلك المشاريع كانت متشابهة من ناحية المقومات الهندسية الاساسية الا أن اختلافات أساسية قامت فيما بينها ، وقد عكست هذه الاختلافات الهدف الكامن وراء كل مشروع والاغراض السياسية والاقتصادية للجانب الذي رسم المشروع لصالحه . واذا لم يكن هدف هذه الدراسة ان تعالج تفاصيل مختلف المشاريع التي قدمت الا انه لا يمكن فهم المشاريع الاقليمية فهما كاملا الا من خلال دراسة التطور التاريخي لعملية التخطيط من اجل استغلال المصادر المائية في حوض نهر الاردن .

المشاريع الصهيونية لاستغلال مياه نهر الاردن

شرع المخططون الصهيونيون ، ببعد نظرهم ، بحث الحكومة البريطانية في مطلع عام ١٩١٦ على المطالبة بالسيادة الكاملة على كل نهر الاردن كجزء من الانتداب على فلسطين ، واثناء تصفية ممتلكات الدولة العثمانية في الشرق الاوسط في عام ١٩١٨ ، أرسل الرئيس الاميركي ولسون لجنة كنغ — كراين الى المنطقة . أشارت هذه اللجنة في تقريرها الى الحجة الصهيونية الخاصة بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين على النحو التالي : « ليس من الضروري اقتلاع السكان الحاليين لانه يمكن للاراضي ان تستوعب أكثر من عددهم بعدة أضعاف عن طريق التحريج ووسائل الزراعة الحديثة واستغلال الطاقة المائية واستصلاح الاراضي والري على أسس علمية وما شابه »(٣) .

تصادف في ذلك الوقت أن آمال الصهيونية في انشاء « فلسطين الكبرى » قد احبطت بسبب اصرار الفرنسيين على جعل حدود سورية ولبنان الى جنوب غرب منحدرات جبل الشيخ ، وترتب على هذا الامر ان أصبحت منابع الحاصباني وبانياس في داخل المناطق الواقعة تحت الانتداب الفرنسي .

لقد درست الحكومة البريطانية عدة مشاريع بشأن استغلال مياه نهر الاردن

---

* حيث لا يرد الحديث عن مشروع محدد ، فان الاشارة الى « مشروع نهر الاردن » تعني مجمل عملية التخطيط لاستغلال مياه النهر . وتشمل المياه مجرى النهر الرئيسي والاحواض الشتوية التي تغذي المجرى والجداول الجانبية الخ... أو ما يعرف بنظام نهر الاردن « Jordan River System » . وهذا ما ذهب اليه عنوان هذه الدراسة .

وارسلت لجنة « بيل » الى فلسطين ، في عام ١٩٣٧ ، لهذا الغرض . افادت هذه اللجنة بأنه يمكن استخدام مياه النهر لزيادة الاراضي الصالحة للزراعة في البلاد وانه يمكن ري الوادي بواسطة قنوات مكشوفة تمتد اليه من النهر(٤). ونتيجة لاعمال هذه اللجنة ، وضعت اول دراسة مائية شاملة خلال المدة من ١٩٣٧ الى ١٩٣٩ من قبل م. س. ايونايدز ، مدير التنمية في الاردن في تلك الفترة .

مقترحات لاودرميلك : كلفت الوكالة اليهودية في فلسطين ، في عام ١٩٣٨ ، السيد والتر لاودرميلك ، وهو اميركي متخصص في صيانة الموارد الطبيعية ، بدراسة مشاريع الري في البلاد . وبالنتيجة ، رسم لاودرميلك في كتاب بعنوان « فلسطين — أرض الميعاد » خطة استقدام اربعة ملايين مهاجر يهودي جديد الى فلسطين ، بالاضافة الى عدد سكان البلاد البالغ ١ر٨٠٠ر٠٠٠ نسمة في عام ١٩٤٤(٥).

اقترح لاودرميلك جر المياه من الاردن العلوي واليرموك والزرقاء لري الغور على جانبي وادي الاردن ، ونقل المياه الفائضة المتوقعة بواسطة أنابيب وأقنية الى الاراضي الشاسعة في النقب ، وبناء خزانات للاحتفاظ بمياه الامطار . وبما ان تنفيذ هذه المقترحات قد يؤدي الى قطع المياه عن البحر الميت ومن اجل التعويض عن خسارة هذه المياه ، أوصى لاودرميلك بأن توصل مياه البحر الابيض المتوسط بالبحر الميت عن طريق نظام أقنية وأنفاق طولها ٢٥ ميلا وأن تستخدم القناة الجديدة في توليد الطاقة الكهربائية لفلسطين . ودعا مشروع لاودرميلك الى ري الاراضي الفلسطينية في الشمال والوسط والمساحات الشاسعة في النقب والى صيانة المصادر الكيمائية في البحر الميت(٦).

مشروع هايز : يعتبر كتاب لاودرميلك الذي ظهر في عام ١٩٤٤ بمثابة الاساس الذي بني عليه مشروع هايز المنشور في عام ١٩٤٨ . يشتمل مشروع هايز ، المكون من ثماني مراحل ، على تطوير ينابيع المياه الباطنية ، استخدام مياه الاردن العلوي الصيفية في ري الاراضي المجاورة ، تحويل وتخزين مياه اليرموك ، مشروع المتوسط — البحر الميت للطاقة ، تخزين مياه الفيضان الشتوية العلوية في خزان في سهل البطوف لتنفيذ الري على طول السهول الساحلية ، تجفيف مستنقعات الحولة ؛ واخيرا ، استخدام مياه الفيضانات في ري النقب . وقدر للمشروع ، في حال اتمام كافة مراحله ، بأن يزيد مساحة الاراضي المروية بمقدار ٢ر٤٢٦ر٠٠٠ دونم وبأن يؤمن ٥٦٠ مليون كيلووات ساعة من الطاقة الكهربائية سنويا(٧).

في حين أن المقترحات السابقة تناولت اراضي في فلسطين والاردن فان مشروع هايز تضمن بناء سد على نهر الحاصباني في لبنان ، وتحويل المياه عبر سوريا ولبنان لري اراضي واقعة في داخل فلسطين ، مع عدم اشراك هذين البلدين في ثمار المشروع . وكما هو الحال في مشروع لاودرميلك ، قضى مشروع هايز بأن تتقاسم اسرائيل والاردن مياه اليرموك علما بأن اسرائيل ليس لها حدود مع هذا النهر الا على مسافة ستة أميال ، وذهب الى ابعد من هذا بأن اقترح عدم اعطاء نصف مياه النهر الى الاردن الا في مرحلة متأخرة . ويقول هايز في هذا الصدد « مهما يكن من أمر فان استرداد مياه الاردن الباقية يجب ان ينتظر اتمام أعمال الري السابقة الذكر ، وهذا يساعد على تحديد باقي مياه الاردن بصورة أكثر دقة » . من هذا ، يبدو جليا ان الصهيونيين كانوا ينوون تحويل المياه الى خارج وادي الاردن لري صحراء النقب في أقصى الجنوب حينما كانوا يروجون لآراء لاودرميلك وهايز بشأن استخدام مياه الاردن ، على نطاق واسع ، خارج حوض النهر .

ان لمشروع هايز — لاودرميلك اهمية بالغة من حيث كونه حجر الزاوية في المشاريع

الاسرائيلية اللاحقة . نشر المشروع فيما بين صدور قرار التقسيم عن هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٧ والحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨ . فصل المشروع بعناية بهدف ري ثلثي الاراضي من دون الحاجة الى تعاون الدول العربية. وجدير بالملاحظة ان الصهيونيين وضعوا هذا المشروع في البال حينما أعربوا عن آرائهم في مشروع التقسيم بدليل انهم أصروا على ان تنال اسرائيل مساحات واقعة في مناطق أوردها المشروع . وفي هذا ، كتب الدكتور عمانويل نيومن في مقدمة « تقرير هيئة وادي تانسي عن نهر الاردن » انه بموجب قرار التقسيم « نالت الدولة اليهودية مساحات من الاراضي تشمل المشارف العلوية لنهر الاردن في الشمال ، وحوض الحولة ، وبحيرة طبريا والسهول المجاورة لها ، وكثيراً من أراضي النقب الصالحة للري برغم كونها قاحلة . وعلى ذلك، أصبحت الفرصة مواتية لتنفيذ فحوى مشروع هايز — لاودرميلك وهو نقل مياه الشمال ، عبر شبكة من الخزانات والاقنية ، الى السهول الخصيبة في الجزء الجنوبي من البلاد »(٨).

مشاريع السنوات السبع والعشر الاسرائيلية : وضع مشروع السنوات السبع الاسرائيلي ، وهو يرتكز بصورة رئيسية على مقترحات هايز — لاودرميلك في عام ١٩٥٣ ثم أدمج في مشروع السنوات العشر في عام ١٩٥٦ . استهدف المشروع الاول تأمين ٥٤٠ مليون متر مكعب من مياه نهر الاردن من المصادر التالية(٩):

— تجفيف وري منطقة الحولة	١٢٠ مليون متر مكعب
— تحويل من نهر الاردن ، عند جسر بنات يعقوب ، لري الاراضي باتجاه الجنوب الى النقب	٣٤٠ مليون متر مكعب
— تحويل من بحيرة طبريا ، بواسطة قناة كنريت — بيسان ، باتجاه الجنوب الى مقاطعة بيسان	٨٠ مليون متر مكعب

وفي المقابل ، فان مشروع السنوات العشر تطلع الى تأمين ٧٠٠ مليون متر مكعب من مياه نهر الاردن وبحيرة طبريا على أساس التوزيع التالي(١٠):

— مياه الحولة	١٠٠ مليون متر مكعب
— تحويل مياه الينابيع المالحة من بحيرة طبريا الى نهر الاردن نزولا مع المجرى الى النهر	٣٠ مليون متر مكعب
— تحويل من بحيرة طبريا بواسطة قناة كنريت — بيسان	٧٠ مليون متر مكعب
— تحويل تحت جسر بنات يعقوب لري الاراضي باتجاه الجنوب الى النقب	٥٠٠ مليون متر مكعب

وعلى ذلك ، فان مشروع السنوات العشر يؤمن الـ ٧٠٠ مليون متر مكعب من مصدرين رئيسيين على النحو التالي :

— تموين من نهر الاردن عند بحيرة طبريا وما فوق	٦٠٠ مليون متر مكعب
— الكمية اللازمة من مياه اليرموك لتنفيذ المشروع	١٠٠ مليون متر مكعب

كان أبرز ما تميز به مشروع السنوات السبع هو اقتراح تحويل مياه نهر الاردن الى خارج حوض النهر باتجاه النقب في الجنوب ، وقد اجريت على هذه الناحية تغييرات رئيسية في مشروع السنوات العشر المعدل بالنسبة للانشاءات ونظام أخذ المياه وحجمها.

كان يقضي مشروع السنوات السبع بأن تحول مياه الاردن عند جسر بنات يعقوب ، وان تنقل بواسطة قناة الى خزان سهل البطوف ، ومن هناك بواسطة أنبوب رئيسي قطره ١٠٨ انشات ، يتجه جنوبا الى الغالوجا ، ومن ثم عبر خطوط أنابيب تربط المشاريع المحلية على طول الطريق .

ارتأى مشروع السنوات العشر تحويل مياه الاردن وطبريا عند ايشدكنروت ، وهو

مسرب للمياه يقع في الزاوية الشمالية الغربية من بحيرة طبريا ، وتقدر كمية المياه التي تؤخذ من هذه النقطة بـ ٥٠٠ مليون متر مكعب ، أي بزيادة ١٦٠ مليون متر مكعب عن مشروع السنوات السبع — وجعل بحيرة طبريا مركز التخزين الرئيسي بدلا من خزان البطوف الذي تبين ان المياه كانت تتسرب منه .

يرجع السبب في اختيار المسرب البديل الى قصة تستحق السرد . فمن المعروف ان اسرائيل ابتدأت بتجفيف مستنقعات الحولة في مطلع عام ١٩٥١ ؛ وما ان وسعت اشغالها الى المنطقة المجردة من السلاح حتى أثارت سوريا احتجاجا لدى كبير مراقبي هيئة رقابة الهدنة التابعة لهيئة الامم المتحدة ، وأمام مجلس الامن ، على أساس خرق اسرائيل لاتفاقية الهدنة المعقودة بينها وبين سوريا . وبتاريخ ١٢ آذار قدم كبير المراقبين تقريره عن الشكوى السورية المتعلقة بمشروع اسرائيل تسوية قاع نهـر الاردن في الطرف الجنوبي من بحيرة الحولة . وأفضى التقرير بأن اسرائيل لن تجني ميزة عسكرية تتفوق بها على سوريا من جراء تجفيف بحيرة الحولة ، وبأن اي من الطرفين الموقعين على اتفاقية الهدنة لم يتمتع بحقوق السيادة في داخل المنطقة المجردة من السلاح . واضاف التقرير أنه الى حين التوصل الى اتفاق آخر ، فان شركة فلسطين لتحسين الاراضي ليست محقة في متابعة العمل ، وعليه ، يجب انذارها بوقف جميع عملياتها في داخل المنطقة المجردة من السلاح(١١) .

توقف العمل بالفعل لمدة سنتين بسبب عدم امكان سوريـا واسرائيل التوصل الى اتفاقية ، وحينما استأنفت اسرائيل العمل عند جسر بنات يعقوب ، اشتكت سوريا مرة اخرى لدى مجلس الامن واتخذ المجلس قرارا بالاجماع يدعو الى وقف العمل مؤقتا في المنطقة المجردة(١٢) . وبتأثير من ضغط الولايات المتحدة التي هددت بارجاء مساعدتها المالية الى اسرائيل ، رضخت اسرائيل لقرار مجلس الامن وتعهدت بايجاد مسرب بديل على بحيرة طبريا بهدف تحويل مياه الاردن الى النقب(١٣) .

المشاريع العربية

مشروع ماكدونالد : اعد السير ماردوخ ماكدونالد وشركاه في عام ١٩٥١ ، بطلب من الحكومة الاردنية ، تقريرا عن امكانيات ري جانبي الوادي بين بحيرة طبريا والبحـر الميت . راجع ماكدونالد الدراسة التي وضعها ايونايدز خلال مدة الانتداب ، لرسـم المواصفات اللازمة لها . كان ايونايدز قد اقترح ري وادي الاردن بواسطة قناة واحدة تمتد على طول الضفة الشرقية من النهر وان تغذى من تحويل مياه اليرموك بخط تغذية يأتي من بحيرة طبريا التي تصبح مخزنا للمياه ؛ وبواسطة قناة اخرى مماثلة تمتد على طول الضفة الغربية(١٤) .

اتبع ماكدونالد الخطوط العامة لمشروع ايونايدز ، واقترح شق أقنية على جانبي النهر لتحقيق ري الغور . وعلى افتراض انه سيكون هناك مشروع عربي — اسرائيلي مشترك في نهاية الأمر ، اقترح استخدام بحيرة طبريا كخزان لتجميع ميـاه الفيضان الزائدة في اليرموك والاردن للاستفادة منها في فصل الصيف .

لم ترد فكرة التحويل عند ماكدونالد استنادا الى مبدأ اساسي قام عليه مشروعه الذي يقضي بأن «مياه الحوض يجب ان لا تحول الى خارجه الا اذا اشبعت بالفعل حاجات الذين يستفيدون من المياه او الراغبين حقا في الاستفادة منها في داخل الحوض »(١٥) . أصبح هذا المبدأ ، مبدأ أولوية الحوض ، الذي صاغه ماكدونالد في مشروعه ، مسألة رئيسية في النزاع اللاحق بشأن استغلال مياه الاردن . وعليه ، لقد عارض ماكدونالد ، كما

عارض سلفه ايونايدز ، المشاريع الاسرائيلية القاضية بنقل اكبر كمية ممكنة من المياه الى خارج الوادي ، أي الى السهل الساحلي والنقب .

مشروع بانجر : وضع هذا المشروع في عام ١٩٥٢ من قبل الدائرة التعاونية لتطوير الموارد المائية التابعة للحكومة الاردنية بالتعاون مع وكالة التعاون الفني في عمان . اقترح المشروع بناء سد في المقارن على اليرموك لري وادي الاردن جنوب طبريا ولتوليد الطاقة ، بموجب الاتفاقيات السورية ــ الاردنية المؤرخة في ٣٠ تموز ١٩٥٢ و٣٠ آذار ١٩٥٧ . ويعني اكتشاف مكان آخر مناسب لتخزين مياه اليرموك فيه بدلا من بحيرة طبريا بأن الخطط الرامية الى الاستفادة من مياه اليرموك على أوسع نطاق يمكن أن تنفذ دون الحاجة الى تعاون بين الاردن واسرائيل . وتقدر سعة الخزان المقترح بـ ٥٠٠ مليون متر مكعب ، يجر ٦٥ مليون متر مكعب منها الى المزاريب في سوريا ، ويستغل الباقي في ري الاراضي في المملكة الاردنية الهاشمية . ويزود معمل الطاقة البلدين بالكهرباء بنسبة ٧٥٪ الى سوريا و٢٥٪ الى الاردن . ويبنى خزان صغير في العدسية على مسافة قصيرة من أدنى الحدود الاسرائيلية ــ الاردنية من أجل تسهيل ضخ المياه من النهر الى قناة في الغور الغربي تصل الى أريحا(١٦).

وبالاتفاق مع الحكومة الاردنية ، خصصت وكالة هيئة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين (الانروا) مبلغ ٤٠ مليون دولار من اعتمادات برامج التأهيل من اجل بناء سد المقارن ، وقدرت تكاليف المشروع بحوالي ٧٠ مليون دولار . وبالفعل ، قدمت الوكالة الاموال اللازمة في نيسان لبدء الصرف على المشروع(١٧)، الا أن حكومة الولايات المتحدة الاميركية أوقفت المشروع عند هذا الحد ، علما بأنها كانت قد وافقت عليه ، واقترحت ابداله بمشروع « مين » .

التخطيط الاقليمي

مشروع « مين » : لما كانت وكالة هيئة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين (الانروا) قد أخفقت في تحقيق أي تقدم نحو اعادة توطين اللاجئين ، فقد دعت شركة شارلز مين الاميركية بأن تتولى ، تحت رقابة « هيئة وادي تانسي » ، اعداد دراسة عن كل التقارير المستندة الى التحقيقات الهندسية والخرائط الطوبوغرافية التي قدمت الى الجهات الصهيونية من جانب جايمز هايز ووالتر لاودرميلك ، والى المملكة الاردنية الهاشمية من جانب م.س. ايونايدز وماردوخ ماكدونالد وميلز بانجر .جمعت نتائج الدراسة في تقرير بعنوان « الاستغلال الموحد للموارد المائية لاقليم وادي الاردن » وقدم التقرير الى كل من الدول العربية واسرائيل في عام ١٩٥٣ من قبل السيد اريك جونستون ، مبعوث الرئيس ايزنهاور الخاص الى الشرق الاوسط(١٨).

يتكون مشروع « مين » من العناصر الرئيسية التالية بحسب تحديدها الجغرافي من الشمال الى الجنوب :

١ ــ بناء سد وخزان على الحاصباني بهدف تخزين وضبط مياه النهر الفائضة في الشتاء .

٢ ــ تركيب « قناة طاقة » تمتد من سد الحاصباني ومركز توليد طاقة قرب تل الحي للاستفادة من مياه الري في توليد الطاقة الكهربائية .

٣ ــ تحويل مياه سد بانياس ونهر الحاصباني وينابيع تل القاضي الواقعة في اعلى الوادي ، الى قناة مهمتها ان تنقل المياه بدفع الجاذبية لري الاراضي في حوض الحولة العلوي ومقاطعة حشاشار وتلال الجليل ووادي جزنيل .

٤ ــ تجفيف بحيرة الحولة ومنطقة المستنقعات الى الشمال للاستفادة من أراضي الحولة في الزراعة ومن تخزين المياه المستردة من الترشح والتبخر ، اللذين يصيبان المياه بشكل حاد أثناء جريانها ، حاليا ، الى بحيرة طبريا .

٥ ــ اقامة التجهيزات اللازمة لتوليد الطاقة الكهربائية من القوة المائية على نهر اليرموك ، وتتكون من سد في المقارن وقناة طاقة ومركز لتوليد الطاقة قرب العدسية ، على ان جزءا من المياه في قناة الطاقة يمكن ان يستخدم للري في وادي اليرموك .

٦ ــ تحويل مياه اليرموك في أدنى مركز توليد الطاقة في العدسية الى قناة الغور الشرقية وبحيرة طبريا حيث تخزن هذه المياه مع مياه نهر الاردن لاستخدامها في ري الاراضي الصالحة للزراعة في الغور .

٧ ــ شق قناتين رئيسيتين على الجانبين الشرقي والغربي لنهر الاردن ، وتركيب اجهزة ضبط على بحيرة طبريا لتأمين نقل المياه بقوة الجاذبية لري الاراضي بعيدا في الشرق الى وادي راما وفي الغرب الى وادي القلط ، تبعا لازدياد ارتفاع علو مياه البحيرة بمعدل مترين حتى لا تزداد ملوحة المياه فيها .

٨ ــ تركيب أجهزة رقابة وآلية لتحقيق استخدام افضل للمياه الجارية على مدار السنة في الجداول جنوب بحيرة طبريا ، وانشاء خزانات لحفظ مياه الفيضان من الجداول الى الحد المعقول . ويمكن زيادة الطاقة التخزينية لهذه الخزانات عن طريق زيادة علو سد المقارن الى أعلى مما كان مقررا له مبدئيا اذا أجازت التحقيقات الاضافية بذلك .

٩ ــ استخدام الآبار للري الاضافي ، وذلك في المناطق التي يكون فيها هذا الاستخدام ملائما كما هو الحال في الغور وفي وادي بافنيل(١٩) .

اجمل جوردون كلاب ، رئيس مجلس هيئة وادي تانسي ، جوهر تقرير « مين » في الكلمات التالية : « بما أن القضية ذات طابع هندسي ، فان أسرع وسيلة وأكثرها اقتصادا لتحقيق اكبر فائدة من استغلال مياه نهر الاردن تتطلب قيام تنظيم افضل لمنابع المياه في الحاصباني ومنطقة الحولة بهدف ري الاراضي في ذلك الجزء من حوض نهر الاردن بقوة الجاذبية ، كما تتطلب استخدام بحيرة طبريا كخزان لمياه الفيضان من نهري الاردن واليرموك . ويمكن تأمين وصول هذه المياه بقوة الجاذبية لري الاراضي على الجانبين الشرقي والغربي لوادي الاردن الى الجنوب . وفي حين ان تدفق المياه بقوة الجاذبية يلغي تكاليف الضخ الباهظة فان الخزانات توفر مياه الفيضان لاستخدامها في شهور الجفاف . بالاضافة الى ذلك فان بحيرة طبريا تقدم فائدة كبرى باعتبارها خزانا طبيعيا للمياه . ولا يوجد هناك ، مهما غلا الثمن ، موقع آخر بديل يمكنه ان يخزن ويضبط بفاعلية ، كبحيرة طبريا ، تدفق مياه الفيضان في نهر الاردن ورافده الرئيسي ... اليرموك . ويقترح تخصيص كمية من المياه المتوفرة الى كل مساحة صالحة للزراعة تقع في حدود دفع الجاذبية »(٢٠) .

ويضيف السيد كلاب بأن تقرير « مين » ، وهو يشرح عناصر قيام تنظيم فعال في داخل حوض نهر الاردن ، « لا يأخذ في الاعتبار العوامل السياسية ولا يحاول أن يضع مشروع نهر الاردن في اطار الحدود الوطنية القائمة حاليا » . ويرى ، في الاخير ، أن توزيع المياه الى مختلف المناطق لا يقصد منه تخصيص المياه الى تلك المناطق(٢١) .

يظهر عند حصر مختلف المساحات وكميات المياه المتوفرة في داخل حوض النهر ، التي توزع بموجب مشروع « مين » على أساس الحدود السياسية القائمة ، أن ٤١٦ر٠٠٠ دونم من الاراضي تقع في داخل اسرائيل ، و ٤٩٠ر٠٠٠ دونم في الاردن ، و ٣٠ر٠٠٠ دونم

في سوريا ؛ وان اسرائيل تنال ٣٩٤ مليون متر مكعب من المياه ، والاردن ٧٧٤ مليون متر مكعب ، وسوريا ٤٥ مليون متر مكعب(٢٢).

لم يكن المشروع مقبولا من جانب اسرائيل أو من الدول العربية على حد سواء . لقد انتقدت اسرائيل المشروع لانه دعا الى استغلال الموارد المائية لنهر الاردن في وادي الاردن والى عدم ادخال نهر الليطاني ، وهو نهر لبنان الوطني ، فيه . وأصرت اسرائيل على أنه اذا كان لا بد من اعتماد مشروع اقليمي فانه يجب ان يشمل كل الموارد المائية للمنطقة بدلا من حصر المشروع في نظام نهري واحد ؛ وبديهي ان هذين الامرين كانا سيمنعان اسرائيل من تنفيذ مشاريعها الوطنية لري السهل الساحلي والنقب بمياه نهر الاردن طبقا لمقترحات لاودرميلك ــ هايز . واعتبرت اسرائيل ، أيضا ، ان حصتها من المياه من مشروع « مين » غير كافية وتذرعت في ذلك بالمبالغة في تقدير مساحة الاراضي الصالحة للري في وادي الاردن السفلي .

أما الدول العربية ، فقد عارضت مشروع « مين » لاسباب فنية بالاضافة الى الاسباب السياسية . اعترضت الدول العربية ، بصفة رئيسية ، على حصة اسرائيل من المياه وانتقدت تخزين مياه اليرموك في بحيرة طبريا لانها تخوفت من أن هذا التخزين قد يجعل الاردن معتمدا كليا على اسرائيل ، خصوصا بالنسبة لجريان المياه المخزونة ، بدون انقطاع او عائق ، في أقنية الغور الشرقية والغربية . وعلى ذلك ، وبدلا من استخدام بحيرة طبريا للتخزين ، فضل الاردن أن يباشر بمفرده ببناء سد بارتفاع ٥٠٠ قدم في المقارن على نهر اليرموك على أساس المقترحات التي تضمنها مشروع بانجر(٢٣). وأبانت الدول العربية الى هذا بأن مشروع « مين » تجاهل الحدود السياسية واعطاها كمية قليلة جدا من المياه ، علما بأن المنابع الرئيسية لنهر الاردن تقع في الاراضي العربية. فالمشروع اياه ، مثلا ، لم يفد لبنان على الرغم من ان الحاصباني يجري في الاراضي اللبنانية وبدليل انه دعا الى اقامة سد وخزان على هذا النهر لصالح اسرائيل ، وفي هذا تجاهل واضح لحق لبنان في الاستفادة من مياه النهر في ري الاراضي الواقعة في حوضه . وبنفس الاسلوب ، فان المشروع لم يعترف بحقوق سوريا كاملة في استغلال مياه بانياس استغلالا كبيرا في داخل الاراضي السورية .

الى جانب اعتراضاتها الفنية على المشروع فان الدول العربية لم تقبل بالمشروع على الصعيد السياسي أيضا . فمنذ البداية ، رأت الدول العربية في تقرير « مين » محاولة لتصفية قضية فلسطين من خلال الوصفات الاقتصادية . وكانت الخطيئة الكبرى للتقرير ، في نظر العرب، في كونه نبذ جانبا الطبيعة السياسية للنزاع العربي الاسرائيلي الى درجة أن خطوط الهدنة والحدود لم تظهر على الخرائط المرفقة بدراسة المشروع ، وفي نظرته الى الكيانات السياسية في المنطقة على اساس انها مجرد اقاليم في حوض وان تحسين ظروفها الاقتصادية يستدعي استغلال مياه الحوض بصرف النظر عن الحالة السياسية القائمة .

رفض العرب مشروع « هيئة وادي تانسي » المشترك بادىء ذي بدء ، وعبر رئيس وزراء الاردن السيد فوزي الملقي عن وجهة النظر العربية هذه في مقابلة ، فقال بأن حكومته « سوف لن تنظر في أي مشروع يؤدي الى الانحراف عن سياستها القاضية بعدم الصلح مع اسرائيل وان الاردن سوف يستمر في تحمل المشقات السياسية بدلا من أن يشارك في أي مشروع يفضي الى تعاون مباشر أو غير مباشر مع اسرائيل »(٢٤).

حمل أريك جونستون ، مبعوث الرئيس ايزنهاور الخاص ، مشروع « مين » وزار عواصم الشرق الاوسط في تشرين الاول ١٩٥٣ بهدف تأمين دعم العرب والاسرائيليين

لمشروع موحد يتعلق بتنمية وادي الاردن . حدث هذا في وقت اختلطت فيه الاوراق على نحو مناهض لرحلة السيد جونستون . ذلك انه لم يصل الى الاردن مباشرة بعد الغارة على قرية قبيه التي قتل فيها الاسرائيليون ما يزيد على خمسين اردنيا وحسب ، بل انه واجه شعورا بالاستياء بسبب تخلي الانروا المفاجيء عن مشروع بانجر(٢٥) . لقد ثارت الشكوك في العالم العربي بأن الضغط الصهيوني في هيئة الامم المتحدة وواشنطن ساهم في هذا التغيير ، خاصة وان اسرائيل لم تخف معارضتها لمشروع بانجر ولرعايته من قبل وكالات تابعة للولايات المتحدة الاميركية وهيئة الامم المتحدة . أضف ان اسرائيل حملت على المشروع بحجة انه يحول دون استغلال الطاقة المائية الكاملة لنهر الاردن ، وأصرت على حقوقها المائية في نهر اليرموك . وادعت بالسيطرة الفعلية على كل المياه الجارية الى بحيرة طبريا من الشمال . وبالنتيجة ، فلقد أثيرت امام مجلس الامن ، وخلال رحلة جونستون ، امكانية قيام اسرائيل منفردة بتحويل مياه نهر الاردن الى داخل اسرائيل عن طريق قناة جديدة تمتد في المنطقة المجردة من السلاح . ولم يكن في وسع السيد جونستون ، في ظل هذه الظروف ، أن ينجح الى أبعد من اقناع اسرائيل والاردن وسوريا ولبنان بالموافقة على دراسة مقترحاته وتقديم تعديلات عليها ، اذا ارتأت ذلك ، وعلى استعدادها للنظر فيها مجددا في وقت لاحق .

المشروع العربي : تقدمت اللجنة الفنية التابعة للجامعة العربية بمشروع مضاد فيما بين رحلتي جونستون الاولى والثانية الى الشرق الاوسط ، وكان هذا المشروع بمثابة نقطة الارتكاز لوجهة النظر العربية خلال المفاوضات التي عقدت مع جونستون . ومن بين الملامح البارزة لهذا المشروع انه اعترف بمبدأ مشاركة اسرائيل للدول العربية في مياه الاردن وقبل بجعل بحيرة طبريا موقعا لتخزين المياه الفائضة ، الا انه رفض اعتبارها المركز الرئيسي للتخزين . وسبب ذلك ان وادي الاردن كان سيقع تحت رحمة اسرائيل بالنظر لسيطرتها الكاملة على البحيرة ولان مياه البحيرة كانت سترتفع مترين آخرين تقريبا فتغمر المقدسات المسيحية القائمة على شواطئها . والى هذا ، فان نسبة التبخر العالية في مياه البحيرة وملوحة مياهها جعلتا موضوع استخدامها كمركز رئيسي للتخزين غير مرغوب فيه .

استهدف المشروع العربي الاستفادة من مياه اليرموك في الري وتوليد الطاقة الكهربائية لمصلحة سوريا ولبنان . وعلى ذلك قضى المشروع بتحقيق ما يلي :

١ ــ بناء سد للتخزين على اليرموك اما في المقارن او في وادي خالد ومعمل لتوليد الطاقة الكهربائية من القوة المائية في نفس المكان .

٢ ــ حفر قناة تمتد من السد في اعلى المجرى الى العدسية حيث يقام معمل آخر لتوليد الطاقة الكهربائية من القوة المائية .

٣ ــ بناء سد في العدسية لتحويل المياه والتحكم بها . وتكون مهمته تحويل جزء من المياه الى قناة الغور الشرقية بهدف الري في الاردن وكمية اخرى قليلة الى بحيرة طبريا من أجل التخزين .

٤ ــ بناء قناة شرق الغور على طول الجانب الشرقي من نهر الاردن ، تمتد من العدسية جنوبا الى البحر الميت تقريبا . تغذي هذه القناة من مياه التحويل في العدسية ومن قناة تغذية تأتي من بحيرة طبريا . ويركب سيفون قريبا من أدنى حدود الاردن واسرائيل لتوصيل مياه الغور الشرقية الى قناة الغور الغربية لري وادي الاردن الغربي .

٥ ــ استخدام معملي الطاقة للمنفعة المتبادلة لسوريا والاردن .

٦ — يبلغ حجم منسوب المياه في اليرموك ٤٥٧ مليون متر مكعب يخصص منها ٣٣٠ مليون متر مكعب للاردن و ٩٠ مليون متر مكعب لسوريا . ويبلغ مجموع ما يحصل عليه الاردن لمشروع الغور الشرقي والغربي ٨٩٨ مليون متر مكعب ، يدخل فيه حصة الاردن من اليرموك مضافا اليها ٣٦٨ مليون متر مكعب تأتيه من بحيرة طبريا .

أوصى المشروع بانجاز الانشاءات التالية لتأمين المنفعة من مياه الاردن العلوي للبلدان المجاورة للنهر :

١ — بناء سد للتخزين على نهر الحاصباني في لبنان على بعد ١٢ ميلا من نقطة اتصاله بنهر الاردن .

٢ — شق قناة من سد الحاصباني لري الاراضي اللبنانية الواقعة في حوض النهر ولتوليد الطاقة الكهربائية من القوة المائية عند النقطة التي تسقط فيها القناة في مياه الحاصباني في الفاجار ، وانشاء معمل لتوليد الطاقة في هذه النقطة .

٣ — شق قناتين من نهر بانياس لري الاراضي السورية على ضفتي النهر .

٤ — شق قناة من بانياس تتجه جنوبا عبر نهر الاردن الى نقطة في ادنى الشاطىء الغربي من بحيرة الحولة ، وتغذي هذه القناة قنوات فرعية بهدف ري الاراضي الاسرائيلية .

علاوة على ذلك ، نص المشروع على استخدام ٢٢ مليون متر مكعب من مياه نهر الاردن لري أراضي محافظة البطيحة السورية شمال غرب بحيرة طبريا . وتحصل اسرائيل ، بدورها ، على ٩٦ مليون متر مكعب من مياه الاردن العلوي عن طريق القناة التي تمر في اراضيها ، ويحصل لبنان على ٣٥ مليون متر مكعب من مياه الحاصباني ، وتحصل سوريا على ٤٢ مليون متر مكعب من مياه بانياس والاردن .

ويقضي المشروع ، في النهاية ، بأن تخزن المياه الباقية من نهر الاردن وروافده الواقعة الى الشمال من بحيرة طبريا في هذه البحيرة لتوفير الحاجات المائية اللازمة لري وادي الاردن الجنوبي ، وابرز الملامح الاساسية لهذه الناحية من المشروع هي الآتية :

١ — تزود قناة تغذية ، تمتد بين بحيرة طبريا وقناة الغور الشرقية ، الاردن بـ ٤٢٨ مليون متر مكعب من المياه ، ٣٦٨ مليون متر مكعب من مياه نهر الاردن و ٦٠ مليون متر مكعب من مياه اليرموك المخزونة في بحيرة طبريا ، كما سبقت الاشارة .

٢ — تزود قناة بيسان (التي تمتد من الرأس الجنوبي الغربي لبحيرة طبريا الى بيسان والتي تصل الى الحدود الاردنية تقريبا) اسرائيل بـ ٤١ مليون متر مكعب من مياه نهر الاردن . ويحتفظ لاسرائيل ، ايضا ، بـ ٤٥ مليون متر مكعب من مياه هذا النهر لاستخدامها في مثلث اليرموك(٢٦) .

وعلى أساس هذا المشروع ، نجد ان سوريا قد خصت بـ ١٣٢ مليون متر مكعب لري ١١٩٫٠٠٠ دونم ، والاردن بـ ٦٦٨ مليون متر مكعب لري ٤٩٠٫٠٠٠ دونم ، واسرائيل بـ ١٨٢ مليون متر مكعب لري ٢٣٤٫٠٠٠ دونم ، ونال لبنان (الذي لم يعتبره تقرير « مين » من بين الاقطار المستفيدة) ٣٥ مليون متر مكعب لري ٣٥٫٠٠٠ دونم .

مشروع كوتون : اختلف المشروع الاسرائيلي المضاد ، المعروف بمشروع كوتون ، اختلافا جذريا عن مشروع « مين » والمشاريع العربية بسبب اصراره على تحويل ٤٠٠ مليون متر مكعب من مياه الليطاني الى اسرائيل(٢٧) واقتراحه ري النقب عن

طريق ايصال المياه من نهر الاردن العلوي ، شمال بحيرة طبريا ، الى خزان في بيت نيتوفا ، على بعد ٥ أميال شمال الناصرة ، ونقلها من هناك بواسطة قناة الى النقب ، وشق قناة أخرى من بحيرة طبريا الى وادي بيسان . على أن تؤمن حاجة الاردن الى مياه الري عن طريق قناتين مهمتهما نقل مياه اليرموك الى الغور مع المحافظة على التخزين الرئيسي في بحيرة طبريا . واقترح المشروع ، في سبيل ازالة المخاوف الاردنية ، بأن يصار الى اقامة نظام سيفون في داخل الاراضي الاردنية لنقل مياه اليرموك ، عبر مجرى نهر الاردن ، الى الجانب الغربي . وهكذا ، فان تموين الاردن بمياه الري على الضفاف الجنوبية لن يكون خاضعا للسيطرة الاسرائيلية الا بالنسبة لمياه الفيضان الشتوية التي ستخزن في البحيرة وتطلق فيما بعد عبر قناة تغذية الى الجانب الشرقي من مجرى نهر الاردن(٢٨).

ذهب مشروع كوتون ، الذي تضمن المقومات الرئيسية لمشروع لاودرميلك — هايز ، الى ابعد مما ذهب اليه مشروع « مين » ، هذا الذي تجاهل خطوط الهدنة والحدود السياسية ودعا الى ادخال المياه الموجودة خارج حوض الاردن — اليرموك في المشروع الموحد « لان الحدود المائية — الهيدروغرافية — ليس لها معنى حقيقي » . أن المصادر المائية محل البحث هي ، بالطبع ، تلك التي تخص نهر الليطاني الذي تفصل حوضه عن حوض نهر الاردن سلسلة من الجبال . لقد زعم مجلس اسرائيل الاستشاري لشؤون الري والطاقة الكهربائية المستمدة من القوة المائية بأنه « لا يستطيع ان يفهم لماذا حذف استخدام مياه الليطاني كليا من أي مشروع اقليمي حقيقي سواء من ناحية التحليل او البرنامج »(٢٩).

بينما يوزع مشروع « مين » ما مجموعه ١٢١٣ مليون متر مكعب من مياه الاردن واليرموك على الدول المجاورة للنهر، فان مشروع كوتون يخصص ما مجموعه ٢٣٤٥٫٧ مليون متر مكعب لري ٣٠٫٠٠٠ دونم في سوريا و ٣٥٠٫٠٠٠ دونم في لبنان و ٤٣٠٫٠٠٠ دونم في الاردن و ١٫٧٩٠٫٠٠٠ دونم في اسرائيل ، والفارق في كميات المياه يغطى من مياه الليطاني . ونتيجة لذلك « تقول خلاصة المكتب الاسرائيلي للاعلام » فان الصعوبات التي تتراءى كبيرة في مشروع « مين » ، كصعوبة التوفيق بين حاجة كل دولة من دول الاحواض الى الري وبين الوجود الفعلي للمياه في داخل هذه الاحواض ، تصبح ثانوية في ظل مشروع كوتون(٣٠).

وترى وجهة النظر الاسرائيلية ان مهمة المياه التي حددت على أساسها التوزيعات خاضعة للتجربة الفعلية في استهلاك المياه ، هذا بالنسبة الى لبنان وسوريا والاردن . اما بالنسبة لاسرائيل ، فأن تقرير كوتون طرح مقولة مؤداها « بأن المياه المخصصة لاسرائيل هي فائض لا يستفاد به في دول الحوض الاخرى . وعلى خلاف الوضع في تلك الدول ، فان مساحة الاراضي الصالحة للري في اسرائيل ، خاصة في السهل الساحلي والنقب ، تزيد على كمية المياه المتاحة لها »(٣١).

وتدعيما لمقولتهم ادعى الاسرائيليون بان الجزء الاكبر من منسوب مياه نهر الليطاني لا يستغل في الري في داخل لبنان و « أن تحويل الفائض من مياه هذا النهر لن يعوق ابدا تطوير الري في لبنان على اعتبار ان القسم الاكبر من منسوب المياه سيبقى مهدورا في البحر الابيض المتوسط ما لم يحول باتجاه الجنوب »(٣٢).

يرمي مشروع كوتون ، في الواقع ، الى السيطرة على منابع المياه في حوض الاردن ، كالحاصباني وبانياس ، توصلا للمياه العذبة ، ويتطلع المشروع شمالا ، الى خارج حوض النهر ، اي الى نهر الليطاني ، سعيا وراء منابع أخرى للمياه العذبة . كان هذا

المشروع ، في نظر الاسرائيليين ، نتيجة طبيعية للمشاريع التي تقدم بها الصهيونيون الاوائل الذين توقعوا بأن ديمومة الدولة اليهودية في فلسطين يعتمد في نهاية المطاف على امكانية اجتذاب المياه الشمالية ، من الاقطار المجاورة ، باتجاه الجنوب الى فلسطين .

أظهرت المشاريع التي تقدمت بها الدول الاربع المجاورة للنهر ، خلال زيارة السيد جونستون الثانية للشرق الاوسط في عام ١٩٥٤ ، بأن كل واحدة من هذه الدول اعترفت بالحقوق الشرعية للدول الاخرى في المشاركة في استغلال مياه الاردن . لقد حاول السيد جونستون التوصل الى تسوية ما فيما بين مشروعه والمشاريع العربية ومشروع كوتون غير القابلة للتوفيق ، فألغى أكبر المراحل التوسعية في مشروع كوتون ، وهي التي تتعلق بنهر الليطاني ، على اعتبار أن هذا النهر لبناني مئة بالمئة ، ولذا فلا يجوز ادخاله في مشروع دولي . ونبذ المشاريع الاسرائيلية الخاصة بتحويل المياه الى السهل الساحلي والنقب على أساس ان مياه نهر الاردن يجب ان تتوفر ، قبل اي شيء آخر ، لسد حاجات الاراضي الواقعة في حوض الاردن ، آخذا بعين الاعتبار ، في نفس الوقت ، الاعتراضات العربية ضد تخزين المياه في بحيرة طبريا .

بات واضحا اثناء المفاوضات ان نقاط الخلاف تركزت أكثر ما تركزت على حصة المياه التي ستنالها كل دولة ودرجة الرقابة الدولية التي يجب ان تفرض على اي مشروع عربي — اسرائيلي مشترك خاصة بما يتعلق بالرقابة على المياه المخزونة تحت السيطرة الاسرائيلية .

تركزت جهود السفير جونستون ، طوال المرحلة الباقية من مهمته ، على ايجاد بعض الاسس المشتركة من التفاهم ، وقد نجح بالفعل في نهاية حزيران سنة ١٩٥٤ في التوصل الى بعض الاتفاقات العامة مع المندوبين العرب بصدد المواضيع التالية :

١ — الحاجة الى تنمية اراضي حوض نهر الاردن ووضع مشروع رئيسي لوادي الاردن .

٢ — الحاجة الى رفع مستويات المعيشة للاقطار المعنية وللاجئين العرب من دون المساس بحقوق الاخرين .

٣ — توزيع المياه الى بلدان النهر على أساس امكانية الاستفادة من استخدامها في حوض الاردن .

٤ — الاخذ بمبدأ تخزين المياه على نهر اليرموك بالاضافة الى بحيرة طبريا .

٥ — واخيرا ، الرقابة الدولية على السحوبات المائية(٣٢) .

استند موقف اسرائيل في ذلك الوقت الى مبدأ يقضي بأن توزع المياه الى حيث يمكن استخدامها وليس على اساس ما اسمته « بالرشوة السياسية » . ان ادعاءات الكفاية والمنفعة هيمنت على النقد الحكومي الاسرائيلي لمشروع جونستون واعتبروا المشروع غير قابل للتبرير من الناحية الفنية . وعارضت اسرائيل اقتراح رقابة هيئة الامم المتحدة على السحوبات المائية كما انها لم تستسغ احتمال تدخل هيئة دولية في المشروع . على انها ، بالرغم من ذلك ، أيدت اسلوب العمل الاقليمي بشرط ان يكفل هذا الاسلوب حقوقها المائية ويسهل اعادة توطين اللاجئين العرب بصفة دائمة .

مشروع بيكر/هارزا : على الرغم من ان مسألة الرقابة الدولية بقيت بدون حل خلال زيارة جونستون الثانية الا ان بعض المكاسب قد تحقق بالنسبة لتوزيع المياه ، خصوصا عندما اظهر مشروع بيكر/هارزا أن مساحة الاراضي الصالحة للزراعة في الاردن تزيد

على التقديرات السابقة ، وان زراعة الفدان الواحد من هذه الاراضي يتطلب كمية مياه أقل مما كان متوقعا . وتبين انه اذا استخدمت المملكة الاردنية الهاشمية ٦٠٥ ملايين متر مكعب من مياه اليرموك وجداول نهر الاردن ، بالاضافة الى ١٥٥ مليون متر مكعب من مياه الاردن عن طريق بحيرة طبريا ، أمكنها ان تروي ٥١٣٫٧٠٠ دونم من الاراضي في مقابل ٤٩٠٫٠٠٠ دونم كانت ستروى بموجب مشروع جونستون والمشاريع العربية . من جهة أخرى فان المقومات الفنية لمشروع بيكر/هارزا ، وتتضمن بناء سدين في المقارن والعدسيه وشق قناة من العدسية تتصل بطبريا شمالا وبالغور جنوبا، تنسجم مع المشاريع العربية ومشروع « مين » . ويقضي هذا المشروع بتوليد الطاقة الكهربائية من القوة المائية بواسطة اربعة معامل كبيرة على نهر اليرموك ، ومعملين صغيرين على قناة الغور الشرقية ، وشق قنوات صغيرة على امتداد اليرموك بين معامل الطاقة بدلا من قناة طاقة واحدة بين المقارن والعدسية كما هو الحال في مشروع بانجر والمشاريع العربية(٢٤) .

يتصل المشروع بعلاقة وثيقة جدا بالتخطيط الاقليمي الموحد وان كان يتعلق بالاردن في المقام الاول . وسبب ذلك هو أن المشروع افاد بمعلومات عن الاراضي الصالحة للزراعة ، ومهمة المياه المطلوبة ، ونوعية التربة ، والخصائص المائية ، والامكانات الزراعية للاراضي الواقعة في حوض النهر في الاردن . وبناء على هذا الاساس العلمي ، امكن القول بأن كمية المياه التي خصصها المشروع الموحد للاردن يمكنها ان تروي بفاعلية الاراضي الواقعة في الجانب الاردني من الوادي .

شهدت زيارة السيد جونستون الثالثة الى الشرق الاوسط تقريب المسافة بين مواقف الاطراف المعنية في المفاوضات . فقد قدمت الدول العربية تنازلا كبيرا بموافقتها على اتخاذ بحيرة طبريا موقعا رئيسيا لتخزين مياه اليرموك بشرط اعداد الترتيبات اللازمة لقيام رقابة دولية على التخزين . ووافقت الى هذا على المطالبة بكميات من المياه تقل عن تقديراتها الاصلية . وبالنسبة لاسرائيل ، فقد وافقت من جانبها على استبعاد مياه الليطاني من المشروع الموحد الا انها استمرت في معارضتها لرقابة هيئة الامم المتحدة على تخزين المياه .

لم يكن في وسع العرب ان يركنوا الى غير الرقابة الدولية ، ولم يكونوا مستعدين أن يأتمنوا اسرائيل بمفردها على تخزين المياه . من جهة اخرى ، فان مسألة تحديد حصص المياه للاقطار المعنية بقيت عائقا آخر بدون حل .

المشروع الموحد : حينما عاد السيد جونستون الى الشرق الاوسط كانت اسرائيل قد اكتشفت رشحا في خزان البطوف وبما انها أصبحت بحاجة الى بحيرة طبريا لتخزين مياه الاردن العلوي ، لذا فقد وافقت ، في الاخير ، على تخزين مياه اليرموك في المقارن .

أعد السيد أريك جونستون ، بعد دراسته لمشروع بيكر/هارزا ، ومشروع «مين» ، والمشروع العربي ، ومشروع كوتون ، مجموعة مقترحات منقحة تقدم بها الى الجانبين العربي والاسرائيلي خلال زيارته الرابعة الى المنطقة في ايلول سنة ١٩٥٥ . تضمن مشروعه الذي عرف بالمشروع الموحد كافة المقترحات السابقة ، واعتمد في تكوينه على مبدأ مؤداه ان حوض نهر الاردن يجب ان يستأثر بالاولوية بالنسبة لاستغلال مياه النهر وأن المياه المتبقية بعد اشباع الحاجات في داخل الحوض يمكن ان تستخدم ، عندئذ ، خارج الحوض .

افترض جونستون ان حصة الدول العربية في المياه تؤمن كل المتطلبات المائية في داخل الحوض ، لذا فقد أعطى لاسرائيل حرية استخدام حصتها من المياه خارج وادي

الاردن ، أي على امتداد سهل اسرائيل الساحلي وفي النقب ، واقترح بأن توكل رقابة السحوبات المائية وجمع البيانات الى جهاز محايد(٣٥).

تضمنت المقومات الفنية الاساسية للمشروع الموحد بناء سد في اليرموك العلوي بهدف تخزين ٣٠٠ مليون متر مكعب من المياه وانتاج ١٥٠ مليون كيلووات ساعة من الطاقة الكهربائية سنويا ، وتخزين مياه فيضان اليرموك التي تراوح ٨٠ مليون متر مكعب سنويا في بحيرة طبريا ، ومن ثم تحويل هذه الكمية الاخيرة ، مضافا اليها حصة الاردن من مجرى نهر الاردن الرئيسي ، عن طريق قناة تمتد من بحيرة طبريا الى العدسية ، لري الاراضي في الغور(٣٦).

وبموجب التوزيع المعدل الذي جاء به جونستون ، يحصل لبنان على ٣٥ مليون متر مكعب من مياه الحاصباني ، وتحصل سوريا على ٢٠ مليون متر مكعب من مياه بانياس الى جانب ٢٢ مليون متر مكعب من المجرى الرئيسي لنهر الاردن العلوي ، بالقرب من بحيرة طبريا ، واعطيت سوريا حصة اضافية مقدارها ٩٠ مليون متر مكعب من مياه اليرموك . وبالنسبة لما يتبقى من مياه المشروع فانه يوزع على النحو التالي : يحصل الاردن على ٧٢٠ مليون متر مكعب : يأتي ٣٧٧ مليون متر مكعب منها من مياه اليرموك و ١٠٠ مليون متر مكعب من الاردن و ٢٤٣ مليون متر مكعب من جداول الاردن الجانبية ، وتحصل اسرائيل على ٢٥ مليون متر مكعب من مياه اليرموك بالاضافة الى كل الباقي من الاردن العلوي(٣٧). للتعرف على الاختلافات بين المشاريع الاقليمية ، راجع الخلاصة في الجدول (١).

بصرف النظر عن النجاح الذي تحقق ، بقيت العقبتان الرئيسيتان ، وهما الرقابة الدولية وتحديد حصص المياه ، بدون حل . اذ ان اسرائيل اصرت خلال المفاوضات على معارضتها للمشروع الموحد بالنسبة لتوزيع حصص المياه وطالبت بـ ١٥٠ مليون متر مكعب اكثر من الكمية التي خصصت لها بموجب هذا المشروع . فضلا عن ذلك ، فلقد اعتبرت اسرائيل ان اي نوع من انواع الرقابة من جانب هيئة الامم المتحدة هو انتهاك لسيادتها . وفضلت ، بدلا من هذه الرقابة ، بأن يصار الى اشراف مباشر من جانب مجموعة من مهندسي المياه المحايدين ، لقد مثل هذا الرفض رغبة اسرائيل في « التفاوض المباشر مع الدول العربية املا في تغيير موقف هذه الدول من عدم الاعتراف بها »(٣٨).

من ناحية اخرى ، ابتدأ العرب يشكون في الاهداف السياسية لمقترحات جونستون ، خاصة بعدما أكد وزير الخارجية الاميركية الراحل ، السيد جون فوستر دالس ، في خطاب ألقاه في ٢٦ آب سنة ١٩٥٥ ، أمام مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك ، استعداد حكومة الولايات المتحدة الاميركية للاسهام في تحقيق مشاريع التنمية المائية والري التي من شأنها ان تساعد على اعادة توطين اللاجئين ، ورغبة الولايات المتحدة الاميركية في توطيد حدود دائمة بين اسرائيل وجيرانها بدلا من خطوط الهدنة ، كوسيلة لتحقيق السلام والهدوء في المنطقة(٣٩). جاء هذا الخطاب ليؤكد مخاوف العرب من اهداف سياسة الولايات المتحدة الاميركية في الشرق الاوسط وادرك العرب بأن قبول المشروع يعني الوقوع في شرك اميركي يستهدف تصفية قضية اللاجئين . ان هذا الاسلوب هو واحد من محاولات عديدة لحل النزاع العربي الاسرائيلي عن طريق التدابير الاقتصادية . وعلى ذلك لم يقبل العرب بالمشروع(٤٠).

وفي النهاية ، اتخذت اللجنة السياسية التابعة لجامعة الدول العربية خطوة اجرائية تقضي بأحالة المشروع الموحد الى اللجنة الفنية التابعة للجامعة لمزيد من الدراسة الى

حين التوصل الى اتفاقية ، وكانت هذه الخطوة بمثابة اعلان عن انتهاء المفاوضات .

كان يبدو في صيف ١٩٥٥ بأن التوصل الى اتفاقية بات امرا ممكنا ، غير انه في تشرين الاول من تلك السنة ، أصبح واضحا ان مهمة جونستون محكومة بالفشل بدليل ان المفاوضات توقفت في تلك السنة ولم تستأنف ابدا بعد ذلك . كما ان التدهور السريع في الوضع السياسي أدى الى وقوع حوادث غزه في عام ١٩٥٥ وبالتالي الى ازدياد التوتر في المنطقة بسبب حلف بغداد ، والتسابق على التسلح بين اسرائيل والدول العربية ، والنزاع على قناة السويس ، والحرب الساخنة الباردة بين الشرق والغرب. وأن نشوب حرب السويس ، نتيجة لهذا كله ، الغى اي احتمال في قيام تعاون اقليمي بين الدول العربية واسرائيل(٤١).

وما أن انتهت مهمة جونستون الى ما انتهت اليه وانقطعت المفاوضات حتى عاد الاسرائيليون والعرب الى التخطيط ، كل من جانبه ، في جو مشحون بالعداء والتوتر الحاد .

المشاريع الاسرائيلية والعربية الحالية

نظام نقل المياه الوطني : تبنت اسرائيل مفهوما اساسيا كان هايز ولاودرميلك قد فصلاه في مقترحاتهما ، وظهر هذا المفهوم في مشاريع اسرائيل الاولى وفي مشروعها الحالي المعروف بنظام نقل المياه الوطني . يقضي المشروع الجديد بتركيب أنبوب طوله ٦٥ ميلا واقامة خزانات تتصل به مباشرة ومحطات ضخ وتقوية . وبأن تقوم ثلاث مضخات ، عند المسرب الواقع في ايشد كنروت ، بضخ المياه الى مستوى الانبوب وذلك عبر بوابة تغذي قناة متصلة بخزان عمليات في بيت نيتوفا . وبأن تنقل المياه من هذه النقطة ، عبر ثلاثة انفاق تمتد تحت تلال ميناسا والجليل وبواسطة خطوط أنابيب ، الى منابع المياه التي تغذي مشروع يرقون — النقب في راس العين ، شرق تل ابيب . وبأن تتجه المياه ، اخيرا ، الى الجنوب بواسطة انبوبي يرقون — النقب الموجودين حاليا في المشروع المحلي(٤٢).

يختلف المشروع الحالي عن مشروع السنوات العشر من حيث اعادته النظر في كمية المياه التي ستنالها اسرائيل . لقد اعلنت اسرائيل انها ستحول ١٨٠ مليون متر مكعب من المياه سنويا لمدة خمس سنوات بينما تقوم ببناء محطتي الضخ الاضافيتين وأن كمية المياه التي ستحول بحلول عام ١٩٧٠ تقدر بـ ٣٢٠ مليون متر مكعب .

مشروع الغور الشرقي الاردني : بعد فشل الجهود في التوصل الى اتفاقية مع اسرائيل بشأن استغلال مياه نهر الاردن ، سعت المملكة الاردنية الهاشمية الى بناء قناة طولها ٤٣ ميلا لتأمين ١٤٠ مليون متر مكعب سنويا من مياه اليرموك والزرقاء ومن سبعة جداول موسمية ، بهدف ري ٣٠،٠٠٠ فدان من الاراضي في شريط يتراوح طوله بين ٣ الى ٥ أميال ، على امتداد المنحدر الشرقي لوادي الاردن ، الى الجنوب من نقطة التقاء نهري الاردن واليرموك . على ان تكون هيئة لقناة الغور الشرقية مهمتها ان تدير المشروع ، وتوزع المياه ، وتنظم حجم المزارع التي تتلقى المياه وفقا لمعايير الزراعة الناجحة والملكية الزراعية المتعددة الاطراف .

لقد دخل هذا المشروع حيز التنفيذ الفعلي بفضل التمويل المشترك من جانب الحكومة الاردنية وادارة التعاون الفني الاميركية في عمان . ومنذ الشروع في بناء القناة ساهمت الولايات المتحدة الاميركية بـ ١٨ مليون دولار والحكومة الاردنية بـ ٥ ملايين دولار في سبيل تنفيذها . يتسع نفق القناة الى ضعفي كمية المياه الجارية حاليا

ويسمح بناؤها بادخال توسيعات عليها في المستقبل . من هذا ، يتضح ان القناة يمكن ان تلائم بسهولة اي مشروع اقليمي لاستغلال مياه نهر الاردن(٤٣).

مشروع الجامعة العربية الجديد : وافقت الجامعة العربية ، في غضون ذلك ، على تدابير استغلال مياه الحاصباني وبانياس واليرموك . اقترح المشروع الجديد ، الذي اقرته الجامعة في كانون الثاني عام ١٩٦٤ ، انشاء سد على الحاصباني ، وتحويل ما بين ٤٠ الى ٦٠ مليون متر مكعب من مياه هذا النهر الى الليطاني لري الاراضي في جنوب لبنان ، بالاضافة الى ١٦ مليون متر مكعب سيحصل عليها لبنان من نبع الوزاني . يستخدم جزء من منسوب الوزاني الصيفي لتلبية حاجات الري في سوريا ويحول منسوبه الشتوي ، مضافا اليه ما بين ٢٠ الى ٣٠ مليون متر مكعب سنويا من مياه الحاصباني ، شرقا الى بانياس ، ثم جنوبا الى سد المخيبة على نهر اليرموك . وتنقل المياه من المخيبة الى قناة الغور الشرقية ومن هناك ، بواسطة سيفون ، عبر نهر الاردن ، الى قناة الغور الغربية لري الاراضي باتجاه الجنوب نحو اريحا(٤٤).

ان محصلة هذه التحويلات المائية هي استبقاء ما بين ٢٠٠ الى ٢٥٠ مليون متر مكعب من مياه الاردن لتنفيذ الري في الاراضي العربية ، وترك حوالي ١٠٠ مليون متر مكعب تجري الى داخل اسرائيل. ان هذه الكمية الاخيرة، مع ما يضاف اليها من مياه نبع الدان الواقع تحت السيطرة الاسرائيلية ، تؤمن لاسرائيل ١٨٠ مليون متر مكعب من منسوب المياه في انبوب طبريا — النقب في مرحلته الاولية . وبكلمات اخرى ، فان النتيجة الحقيقية لهذه التحويلات هي الحد من اقبال اسرائيل على سحب كميات كبيرة من المياه كما يتطلب مشروع نقل المياه الوطني في مراحله الاخيرة(٤٥).

الجدل العربي الاسرائيلي الراهن

تطالع المرء ، في غمرة النزاع العربي الاسرائيلي على مياه نهر الاردن ، سلسلة من النقاط التي تستند اليها حجة كل من طرفي النزاع . واذا ابتدأنا باسرائيل ، فاننا نجد ان كتاب الحكومة السنوي لعام ١٩٥٨ ينص على ان « اكبر عامل يوجه التخطيط لمشاريع المياه الوطنية هو نشر الاستيطان في طول البلاد وعرضها لاسباب سياسية وأمنية »(٤٦). وعلى نحو اكثر تصميما ، اصر القادة الاسرائيليون على النواحي الاقتصادية التي تسبب ، في نظرهم ، ضررا للدول النهرية الاخرى(٤٧). ويتلخص موقف اسرائيل الاساسي في انها دولة مستقلة تمتد سيادتها الى المنطقة المجردة من السلاح وبحيرة طبريا ، وانها بموجب هذه السيادة تتمتع بالحق الكامل في تنفيذ مشاريعها المائية ومشاريع توليد الطاقة الكهربائية من القوة المائية ، من غير التزام من جانبها بالحصول على موافقة اي كان قبل البدء باشغال التحويل(٤٨).

وبالنسبة لمسألة التزام اسرائيل باتفاقيات مياه الاردن المعقودة في السنوات ١٩٢٢، ١٩٢٣ و ١٩٢٦ ، فان اسرائيل دفعت بعدم التزامها على اساس انها لم تقبل بتلك الاتفاقيات اطلاقا وان الاتفاقيات المذكورة ، التي كان من الممكن ان يكون لها قيمة الزامية لو قامت علاقات جيدة بين الاقطار المعنية ، لم تعد سارية المفعول(٤٩). لقد لخص المندوب الاسرائيلي وجهات نظر حكومته في هذا الشأن على النحو التالي : « ان القول بأن علينا ان نكون ملزمين ، ازاء موقف سوريا العدائي من **الحرب والنزاع**، بالاعتراف باتفاقية ميتة كانت تنظم فيما مضى علاقات جوار جيدة بين المملكة المتحدة وفرنسا ، لهو تفكير في منتهى الهزل»(٥٠).

وفيما يتعلق بحجم الحصة الاسرائيلية من المياه ، اصرت اسرائيل على ان مطالبتها بـ ٣٢٠ مليون متر مكعب تتفق مع ما خصص لها بموجب مشروع جونستون . وزعمت

انها على استعداد للتفاوض بهذا الشأن مع الدول العربية الشريكة بالمياه علما بأن هذه الدول لم تكن مستعدة للدخول معها في اية مفاوضات . وتـدرعت اسرائيـل بغياب المفاوضات لتعطي لنفسها الحق في سحب المياه طالما ان المملكة الاردنية الهاشمية كانت قد سحبت كميات كبيرة من مياه اليرموك من دون موافقتها . وترى اسرائيل ، من أجل تعقيد الامور ، بان لها حق ابداء الراي في هذا الموضوع استنادا الى ان اليرموك يجري في اراضيها مسافه ٦ اميال قبل دخوله الى الاردن(٥١) .

بالاضافة الى ما سبق ، طرحت اسرائيل مشروع التحويل على اساس انه مشروع اقتصادي بناء يستند الى مبرر قانوني متمثل في التوزيعات المائيه المحدده في المشروع الموحد ، وان الدول العربية تعارض المشروع لاسبـاب سياسية وحسب مع عـدم اكتراثها بالسلام والهدوء في المنطقة : « ان استغلال اسرائيل لحصتها العادلة من مياه المشروع ، باعتبارها شريكة بالمياه ، لا يحرم أي من جيرانها من حصته المشروعة من مياه الاردن — اليرموك ولا ينتهك او يهدد اي من مصالحهم . وان المعارضة العربيـة لمشروع اسرائيل ليس لها اساس من الانصاف اذ ان المشروع لا يؤثر ابدا على المصالح الحقيقية والحاجات المائية للدول النهرية الاخرى . وان الناطقين العرب يتجاهلـون كلية الطبيعة البناءة للمشروع ويشوهون صفته وقصده وآثاره»(٥٢) .

فندت الدول العربية ، من الجهة المقابلة ، ادعاءات اسرائيل بالقول ان التصريحات الاسرائيلية تكشف الدوافع السياسية والعسكرية الكامنة وراء سعيها لتحويل نهـر الاردن ، وان هذا الامر يشكل تهديدا خطيرا بالهجرة اليهودية الواسعة الى اسرائيل . وان هذه الهجرة سوف لن تقضي فقط على اية فرصة في استعادة اللاجئين الفلسطينيين لبيوتهم واراضيهم ، بل انها ستضيف قدرات جديدة الى طاقة اسرائيل الحربية الامـر الذي سيشجعها على تنفيذ سياساتهـا التوسعية في الاراضي العربية المجاورة(٥٣) . وترى وجهة النظر العربية بأنه ليس لسوريا او لاسرائيل أية سيادة على المنطقة المجردة من السلاح ، لان اتفاقيات الهدنة كانت قد تركت مسألة السيادة الى حين التوصـل الى اتفاقية سلام نهائية . وأنكرت ، بذلك ، على أي من الطرفين بأن يأتي عملا منفردا من شأنه أن يؤثر على الملكية العربية في المنطقة ، من دون اذن لجنة الهدنة المشتركة والفريق الاخر(٥٤) .

وبالنسبة لقضية بحيرة طبريا ، انكر العرب بأن تكون البحيرة بكاملها واقعة في داخل القطاع الخاضع للسيطرة الاسرائيلية بدليل ان لسوريا « سيطرة واقعية منذ عام ١٩٤٨ على امتداد طوله ٤ أميال من شاطىء البحيرة الشمالي الشرقي ، وقد أكدت سوريـا عن طريق هذه السيطرة حقوقها التقليدية القديمة في الوصول الى البحيرة عبر خـط الهدنة(٥٥) . وفيما يتعلق بتحويل المياه ، ترى وجهة النظـر العربية انـه بينما تدعو المشاريع الاسرائيلية الى سحب ٣٢٠ مليون متر مكعب ، فان المضخات الثلاث التي تنوي اسرائيل تركيبها لها طاقة ضخ تصـل الى ٧٢٠ مليون متر مكعب . لـذا فان اسرائيل ، بعد ما تجد حلا لمشكلة تخزين المياه ، سيكون في مقدورها ان تسحب كمية المياه طبقا لمشروع السنوات العشر السالف الذكر .

وبشأن تذرع اسرائيل بمشاريع الري الصغيرة التي نفذها العرب ، فان العـرب لم يقبلوا على هذه المشاريع الا بعد ما فشلوا في تحقيـق أي مشروع اقليمي بسبب الاعتراض الاسرائيلي وتحويل المياه المنفرد من جانب اسرائيل . كما ان اسرائيل التي طالبت بحصتها على أساس مشروع جونستون المعدل ، كانت هي نفسها قد أصرت خلال مفاوضاتها مع المبعوث الاميركي على تزويدها بـ ١٥٠ مليون متر مكعب اكثـر

من الحصة التي حددها لها مشروعه . بالاضافة الى هذا ، فان الاعتراض العربي على مشروع التحويل الاسرائيلي الحالي يرجع الى أن هذا المشروع يخرق المبدأ الذي يقضي بأن لا تحول مياه حوض الى حوض اخر الا بموافقة الدول الشركاء في مياه الحوض . وبما أن التفاوض بهدف التوصل الى موافقة من هذا القبيل مستحيل بالنظر لتعقيدات مشكلة فلسطين ، لذا فان مسألة توزيع المياه التي تعتبر جزءا من تلك المشكلة يجب أن تعالج في اطار حل شامل للمشكلة الاساسية .

لقد ساق العرب ، على أي حال ، حجة اساسية أخرى مؤداها ان قيام اسرائيل بتحويل مياه الاردن سوف يلحق ضررا فادحا بالمصالح الاقتصادية الاردنية والسورية ، ولهذا الضرر وجهان ، اولهما : ان كمية المياه المتوفرة للدول النهرية الاخرى ستنخفض انخفاضا كبيرا ، وثانيهما : ان المياه المتبقية ستكون مالحة جدا وبالتالي غير صالحة لري الاراضي الواقعة في وادي الاردن السفلي . اضف الى ذلك بان انخفاض منسوب المياه في النهر قد يلحق بالصناعات القائمة على شواطئه خسائر فادحة لا يمكن تعويضها(٥٦) .

ان العرب لم ينكروا حق اسرائيل في الحصول على كمية من المياه سوف تحرمهم من الحصة التي يستحقونها وحسب ، بل انهم يرفضون ، في الاساس ، الاعتراف باسرائيل ككيان شرعي استنادا لمبادىء القانون الدولي . ذلك أن : « سند اسرائيل في ملكية اراضيها يقوم على نظرية حق المنتصر التي أصبحت زائلة ويستمد من الصلاحية والاهلية القابلتين للجدل التي أعلنت بموجبهما الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة تقسيم بلد ضد ارادة شعبه»(٥٧) .

تمسك العرب بهذا الموقف بسبب رفض اسرائيل تنفيذ قرار هيئة الامم المتحدة القاضي بتخيير الفلسطينيين بين العودة الى بلادهم او التعويض عليهم . لقد اكدت آخر المقترحات التي تقدمت بها لجنة التوفيق لفلسطين ضرورة اعطاء اللاجئين الفرصة للتعبير عن تفضيلهم الحقيقي بين العودة الى اسرائيل او التعويض والاستيطان في أي مكان اخر . غير أن مقترحات هذه اللجنة قضت ، في نفس الوقت ، بأن يكون لاسرائيل القول الفصل بالنسبة لقبول اللاجئين الذين يختارون العودة الى ديارهم ، وذلك ضمانا « لحق اسرائيل في رفض اعادة المخاطر الامنية الى اراضيها » .

ان هذه العروض التي تقدم بها في عام ١٩٦٢ ممثل خاص للجنة التوفيق ، هو السيد جوزيف جونسون ، رئيس مؤسسة كارنيجي الخيرية من أجل السلام العالمي ، لاقت الرفض الكامل من جانب الحكومة الاسرائيلية(٥٨) .

خاتمة

على الرغم من اعلان كل من اسرائيل والدول العربية بان تحويل المياه من جانب الطرف الاخر يعتبر عملا عدوانيا وانه سيقمع بالقوة اذا اقتضى الامر ، فان كلا الجانبين باشرا بتنفيذ مشاريعهما في جو سياسي خيمت عليه اخيرا الحرب العربية الاسرائيلية لعام ١٩٦٧ . وبالفعل فان توقعات جونستون في عام ١٩٥٤ تحققت بأكثر من حذافيرها في عام ١٩٦٧ : « ان المحاولات الرامية الى التحكم بمجرى النهر من طرف واحد يمكنها فقط ان تخلق توترا في المستقبل وقد تؤدي بسهولة الى اصطدام مكشوف . وما لم يوضع مشروع ما للتنمية يحقق مصلحة الطرفين ، فان الوضع سيتطور حالا الى درجة ان من يملك قدرة السيطرة على المياه يستطيع الحصول عليها . ولست بحاجة ان افصل النتائج التي قد تنجم بسبب ذلك »(٩٥) .

جدول (١)

مقارنة بين المشاريع الاقليمية(١)

موقع الاراضي التي ستروى (بالدونمات)	مشروع (مين)	المشروع العربي	مشروع (كوتون)(أ)	المشروع الموحد
اسرائيل	٤١٦ر٠٠٠	٢٣٤ر٠٠٠	١ر٧٩٠ر٠٠٠	
الاردن	٤٩٠ر٠٠٠	٤٩٠ر٠٠٠	٤٣٠ر٠٠٠	الارقام غير متوفرة لاجراء المقارنة بها .
لبنان	—	٣٥ر٠٠٠	٣٥٠ر٠٠٠(ب)	
سوريا	٣٠ر٠٠٠	١١٩ر٠٠٠	٣٠ر٠٠٠	
كمية المياه بملايين الامتار المكعبة سنويا				
اسرائيل	٣٩٤	١٨٢	١٢٩٠ (ج)	الباقي بعد تنفيذ السحوبات من قبل الدول النهرية المشاركة(د)
الاردن	٧٧٤	٦٩٨	٥٧٥	٧٢٠
لبنان	—	—	٤٥٠ر٧	٣٥
سوريا	٤٥	١٣٢	٣٠	١٣٢
المجموع	١٢١٣	١٠٤٧	٢٣٤٥ر٧	—

(١) كاترين دوهرتي : « النزاع على مياه الاردن » : **الاتفاق الدولي** ، عدد ٥٥٣ (أيار ١٩٦٥) ص ٢٧ .

(أ) يشمل هذا المشروع مياه نهر الليطاني بالاضافة الى مياه حوض الاردن .

(ب) يشمل الاراضي خارج وادي الاردن .

(ج) يشمل ٦٢٠ مليون متر مكعب من مياه نهر الليطاني سنويا .

(د) يشمل حصة محددة مقدارها ٢٥ مليون متر مكعب من مياه نهر اليرموك .

الحواشي :

١ — ج. هـ. جانسن ، « مشكلة مياه الاردن » المجلد ٢٠ ، عدد ٢ (شباط ١٩٦٤) ص ٦١ .

٢ — دون بيرتز ، « مشاريع النهر وتأثيرها على التنمية الاقتصادية في الاردن وسوريا ولبنان »، **مجلة الشرق الاوسط** ، مجلد ١٨ ، عدد ٣ (صيف ١٩٦٤) ص ٣٠٥ .

٣ — جورجيانا ستيفنس ، «وادي نهر الاردن»، **التوفيقات الدولية** ، عدد ٥٠٦ (كانون الثاني ١٩٥٦) ص ٢٣٤ .

٤ — نفس المرجع ، من ص ٢٢٦ الى ص ٢٣٩ .

٥ — والتر كلاي لاودرميلك ، « فلسطين — أرض الميعاد » (نيويورك ، هاربرز واخوانه ١٩٤٤) ، ص ١٦٩ .

٦ — نفس المرجع من ص ١٧٠ الى ص ١٧٥ .

٧ — جايمز هايز « تقرير هيئة وادي تانسي عن نهر الاردن » ص ٥ .

٨ — هايز من ص ١٥ الى ص ١٦ .

٩ — وكالة هيئة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين (الانروا) — « تقرير خاص عن الاردن » **نشرة التنمية الاقتصادية** ، عدد ١٤ (تموز ١٩٥٦) ص ٩٦ .

١٠ — نفس المرجع من ص ٩٦ الى ص ١٠٠ .

١١ — الكتاب السنوي لهيئة الامم المتحدة ، سنة ١٩٥١ ، من ص ٢٨٥ الى ص ٢٨٦ .

١٢ — الوثائق الرسمية لمجلس الامن ، سنة ١٩٥٣ ، السنة الثامنة ، ملحق خاص عدد ٨ لتشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الاول (وثيقة رقم ٣١٢٨ — ص ٣٧) .

١٣ — كاترين دوهرتي «النزاع على مياه الاردن» **التوفيق الدولي** عدد ٥٥٣ (ايار ١٩٦٥) ص ١٩.

١٤ — « النزاع على مياه الاردن » **مجلة الشرق الاوسط** ، مجلد ٧ ، عدد ٢ (ربيع ١٩٥٣) ص ١٥٥ .

١٥ — السير ماكدونالد وشركاه «تقرير عن توسيع الري في وادي الاردن » (وستمنستر ، كوك ، هاموند وكيل ، ١٩٥١) ص ١ .

١٦ — الانروا ، « تقرير خاص عن الاردن » ص ٨٤ .

١٧ — عمر غوباشي ، « تطور مشروع نهر الاردن » — نشرة اعلامية ، عدد ١٨ (نيويورك : مركز الاستعلامات العربي ، تشرين الثاني ١٩٦١) ص ١٥ .

١٨ — قررت ادارة الرئيس ايزنهاور ارسال السيد جونستون الى الشرق الاوسط ، نتيجة لتعرضها ، في ذلك الوقت ، لضغط شديد من جانب الكونغرس الذي اعتبر تصفية قضية اللاجئين مطلبا أساسيا من اجل تحقيق السلام والهدوء في المنطقة .

ستيفنس ، « وادي نهر الاردن » ص ٢٦٠ .

١٩ — شارلز مين ، « الاستغلال الموحد للموارد المائية لاقليم وادي الاردن » — (بوسطن : شارلز مين ، ١٩٥٣) من ص ٣٥ الى ص ٣٦.

٢٠ — نفس المرجع ، رسالة تمهيدية بقلم جوردون كلاب (٣١ اب سنة ١٩٥٣) .

٢١ — نفس المرجع .

٢٢ — نفس المرجع .

٢٣ — يضيف مشروع « مين » اقتراح بانجر بانشاء سد بارتفاع ٥٠٠ قدم في المقارن بانه غير عملي وباهظ التكاليف . نفس المرجع من ص ٦١ الى ص ٦٣ .

٢٤ — نيويورك تايمز ، ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٣، ٣:٢٤ .

٢٥ — دانا آدمز شميدت ، « احتمالات الحل للنزاع على وادي نهر الاردن » ، **شؤون الشرق الاوسط** ، مجلد ٦ ، عدد ١ (كانون الثاني ١٩٥٥) ص ٦ .

٢٦ — الانروا ، « تقرير خاص عن الاردن » من ص ٩١ الى ص ٩٤ .

٢٧ — نشأت فكرة استخدام مياه نهر الليطاني ، وهو نهر لبناني وطني ، لري الاراضي في فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى حينما رفضت بريطانيا وفرنسا ، وهما الدولتان المنتدبتان على فلسطين وسوريا ، الطلب الصهيوني باعتبار ذلك الجزء من النهر الذي يجري من الشرق الى الغرب هو الخط الذي يرسم الحدود بين فلسطين وسوريا . واكدت دراسة ، وضعت في عام ١٩٤٣ من قبل مصلحة مياه فلسطين

ومهندسين لبنانيين ، بان سبع مياه الليطاني فقط يمكن الاستفادة بها فعلا في داخل لبنان واما الباقي فيتوجب تحويله الى فلسطين وان لبنان سوف يحصل ، في مقابل ذلك ، على معظم أو كل الطاقة المنتجة . « كان واضحا للاسرائيليين بأن احلامهم في أعمار النقب لا يمكن ان تتحقق عمليا بغير مياه الليطاني » .

دانا آدمز شميدت ، « احتمالات الحل للنزاع على وادي نهر الاردن » ص ٤ .

٢٨ ــ دون بيرتز ، «تطور مياه وادي الاردن» ، مجلة الشرق الاوسط ، مجلد ٩ ، عدد ٤ (خريف ١٩٥٥) من ص ٤٠٤ الى ص ٤٠٥ .

٢٩ ــ « مشروع كوتون لتطوير واستغلال المصادر المائية لحوضي الاردن والليطاني » (نيويورك : المكتب الاسرائيلي للاعلام ، شباط ١٩٥٤) ص ٢ . ورد ذكر العبارة في **«مشكلة مياه الاردن»: تحليل وتلخيص الوثائق المتاحة** (واشنطن : أصدقاء الشرق الاوسط الامريكيون ، ١٩٦٤) ص ٧٢ .

٣٠ ــ نفس المرجع .

٣١ ــ نفس المرجع .

٣٢ ــ نفس المرجع ، توصل خبراء مكتب الولايات المتحدة لاستصلاح الاراضي في عام ١٩٥٤ الى أنه يمكن استغلال مياه الليطاني والاستفادة منها كاملة في داخل لبنان . دانا آدامز شميدت « احتمالات الحل للنزاع على وادي نهر الاردن » ص ١٠ .

٣٣ ــ **نيويورك تايمز** ٢٦ حزيران ١٩٥٤ ــ ٢:٤ ــ وجورجيانا ستيفنس (**تقسيم نهر الاردن**) ودراسات معهد هوفر عدد ٦ (الولايات المتحدة الاميركية : معهد هوفر للحرب والثورة والسلام، جامعة ستانفورد ، ١٩٦٥) ص ٢٩ .

٣٤ ــ ميخائيل بيكر (الابن) وشركة هارزا الهندسية : «مشروع وادي اليرموك ــ الاردن، تقرير المشروع الرئيسي » (روشستر ١٩٥٥) ــ وردت في كتاب « مشكلة مياه الاردن » من ص ٧٥ الى ص ٨٠ .

٣٥ ــ ستيفنس : «وادي نهر الاردن» ص ٢٧٤ .

٣٦ ــ دوهرتي : « النزاع على مياه الاردن » ص ٢٨ .

٣٧ ــ بيرتز : « مشاريع النهر وتأثيرها على النمو الاقتصادي في الاردن وسوريا ولبنان » ص ٢٩٧ . « من الملاحظ ان حصة اسرائيل لم تحدد بوضوح ، بل أن التقرير نص على انه باستثناء السحوبات والتوزيعات المائية الى سوريا والاردن ولبنان فان مياه نهر الاردن ستكون بتصرف اسرائيل . ويرى دون بيرتز ان معدل كمية المياه التي ستتاح لاسرائيل على هذا الاساس قد يصل الى حوالي ٤٠٠ مليون متر مكعب » .

٣٨ ــ دوهرتي : « النزاع على مياه الاردن » . ص ٢٩ .

٣٩ ــ ستيفنس : « وادي نهر الاردن » . من ص ٢٧٦ الى ص ٢٧٩ .

٤٠ ــ ادوارد رزق : نشرة اعلامية عدد ٢٣ (نيويورك : مكتب الاعلام العربي ، تشرين الاول ١٩٦٤) من ص ١٩ الى ص ٢١ .

٤١ ــ سمحا فلايمان : « الصراع على مياه الاردن » ــ « نيو اوت لوك » مجلد ٣ ، عدد ٤ (٢٦) (شباط ١٩٦٠) ص ٦ ــ وردت في كتاب « مشكلة مياه الاردن » ص ٥١ .

٤٢ ــ موريس جاربل : « مشروع وادي الاردن» ــ « **الاميركي العلمي** » .

و س ج. سميث : « تحويل مياه الاردن » ــ « **العالم المعاصر** » ، مجلد ٢٢ ، سنة ١٩٦٦ ، ص ٤٩٤ .

٤٣ ــ بيرتز : « مشاريع النهر وتأثيرها على النمو الاقتصادي في الاردن وسوريا ولبنان » ص ٢٩٧ .

وجوزيف ل. ديز : « مشروع الغور الشرقي الاردني » ــ **مجلة الشرق الاوسط** من ص ٣٥٧ الى ص ٣٧١ .

٤٤ ــ دوهرتي : « النزاع على مياه الاردن » ص ٣٤ .

٤٥ ــ بيرتز : « مشاريع النهر وتأثيرها على النمو الاقتصادي في الاردن وسوريا ولبنان » ص ٢٩٨ .

٤٦ ــ **كتاب حكومة اسرائيل السنوي** ٥٧ ــ ١٩ (١٩٥٨) ــ (القدس : المطبعة الحكومية ١٩٥٨) ص ٦١ .

٤٧ ــ دوهرتي : « النزاع على مياه الاردن » ص ٤٧ .

٤٨ — فرد خوري : « الصدام والنزاع على الجبهة الاسرائيلية — السورية » ، **مجلة الشرق الاوسط** مجلد ١٧ ، عدد ١ (شتاء ١٩٦٣) من ص ١٦ الى ص ١٧ ومن ص ٢٣ الى ص ٢٤ .

٤٩ — أشترطت المذكرات المتبادلة بين فرنسا وبريطانيا وجوب عدم التعرض للحقوق القائمة لسكان سوريا في استخدام مياه الاردن ،وبعبارة اكثر تحديدا ، لقد منح سكان سوريا نفس حقوق الملاحة وصيد الاسماك في بحيرتي الحولة وطبريا على قدم المساواة مع سكان فلسطين ،ومنحوا، كذلك ، حق رعاية الماشية والتزود بالمياه (أو حقوق العناية بالتربة والمزروعات) وحق عبور الحدود بحرية لممارسة جميع هذه الحقوق . نفس المرجع ، ص ٢٣ .

٥٠ — غوباشي : « تطور مشروع نهر الاردن » ص ٣٢ .

٥١ — جانسن : « مشكلة مياه نهر الاردن » ص ٦٤ .

٥٢ — مشاريع اسرائيل المائية ص ١ و ٦ كما ورد في دوهرتي « النزاع على مياه الاردن » ص ٤٨ .

٥٣ — رزق : « **نهر الاردن** » ص ٣٣ .

٥٤ — خوري : « الصدام والنزاع على الجبهة الاسرائيلية — السورية » ص ١٧ .

٥٥ — جانسن : « مشكلة مياه نهر الاردن ». ص ٦٥ .

٥٦ — رزق : « نهر الاردن من ص ١ الى ص ٤ ومن ص ٣٠ الى ص ٣٥ و ص ٤٣ .

٥٧ — غوباشي : « تطور مشروع نهر الاردن » ص ٣٢ .

٥٨ — جورجيانا ستيفنس : «تقسيم نهر الاردن»، ص ٨٣ .

٥٩ — أريك جونستون :**مهمة الى الشرق الاوسط** (نيويورك : المؤتمر السنوي الثاني لاصدقاء الشرق الاوسط الاميركيين ، ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٥٤) ص ٢ ، مدونة في كتاب « مشكلة مياه الاردن من ص ٨٣ الى ص ٨٤ .

« تمثلت صورة الوضع المتفجر قبل عام ١٩٦٧ في الاصطدامات الاسرائيلية — السورية التي وقعت على طول خطوط الهدنة في عام ١٩٦٥ اذ ان القوات الاسرائيلية قصفت مواقع العمل السورية لتحويل المياه على نهر بانياس خلال ثلاثة حوادث حدود منفصلة في هذا العام . وفي حادثة اخرى وقعت في فترة اقرب ، اي في ١٢ تموز سنة ١٩٦٦ ، قام سلاح الجو الاسرائيلي بقصف اشغال البناء في قناة بانياس — اليرموك حتى مسافة بعيدة في الجنوب ، قرب الشواطىء الشمالية لبحيرة طبريا .

سميث ، « تحويل مياه الاردن » ص ٤٩٧ .

مراجعات

Olivier Carré, L'idéologie Palestinienne de Résistance (Ed. Armand Colin, Paris 1972).

المقاومة الفلسطينية كانت ومـا زالت موضوع العديد من المؤلفات في لغات مختلفة . الا ان هذا الكتاب يتميز عنها كلها بتوجه طريف . فهو يركز على تحليل نصوصها ، ولكـن ليس بالاساليب المعهودة . انما باللجوء الى الطرق الحديثة التي دخلت على فقه اللغة ، والتي يغطيها احيانا مفهوم البنيانية . وقد ركزت النظريات الحديثة في هذا المجال على أهمية ادوات التعبير ـ الكلمـات والمعاني ـ في تحديد الهوية الاجتماعية لاية مجموعة بشرية وتاريخ تطورها .

ويذكر الكاتب ، اوليفييه كاريه (الـذي يجيد اللغة العربية) ، ان تحليله هذا للنصـوص الفلسطينية (التي تضم الشعر الفلسطيني المقاوم ونصوص الحركات الوطنية الفلسطينية) هو الثالث ـ على حد علمه ـ من التجارب الشبيهة علـى نصوص عربية بعد « تحليل مفاهيمي للقرآن » نشره عدد من الباحثين الفرنسيين عـام ١٩٦٣ وتحليل مفاهيمي تركيبي نشره الكاتب نفسه عـن كتـب التدريس الديني في مصر عام ١٩٧٠ [صفحة ١٣٧] .

وقد اختار الكاتب في دراسته نصوصا مـن الكتابات المقاومة ـ على حد تعبيره ـ داخـل اسرائيل وخارجها ، فلا يقتصر حديثه اذا عـن المقاومة المسلحة . واعتنى باختيار عدد محدود من النصوص الاساسية التي اعتبرهـا ذات طـابع تمثيلي لمجمل الكتابات ولجأ الى اسلوبين « يراهما علميين » ووضع المجموع في اطار تاريخ «فلسطيني» لفلسطين منذ بروز الصهيونية السياسية وحتـى نهاية عام ١٩٧٠ [ص ٩] .

يبدأ كاريه بتحديد بعض الاصطلاحات تمهيـدا لتطبيقها على الواقع العربـي ـ والفلسطينـي خاصة ـ واخذى الاصطلاحات الاساسية هـو اصطلاح «الاسطورة»* . ويقصد به ـ في تعريف سوريل « التعبير التعبدي لمجموعة بشرية ما ». ويرى الكاتب ان « الاساطير » العربية المعاصرة يمكن ان تحدد هكذا [صفحة ١١] :

ـ « اسطورة » العدوان الديني على الاسلام والامة الاسلامية .

ـ اسطورة القومية العربية .

ـ « اسطورة » اليسار المناهض للامبريالية .

و« الاساطير » العربية برأي كاريه قديمة قدم الشخصية العربية ، ولكن الصدمـة الفلسطينية أصبغت عليها صبغة العصر الحالي . ويضيـف الكاتب ان الايديولوجية الناصرية حاولت مراعـاة « الاساطير » الثلاث باعتدال ، بينمـا ركـزت الايديولوجية البعثية بشكل خاص على «الاسطورة» القومية العربية والايديولوجية الفلسطينية المقاومة ركزت على العداء للامبريالية [صفحة ١٣] . وربما احتاج هذا الطرح الى توضيح وتعديل .

وفي استعراضه الموجز للتاريخ « الايديولوجي » الفلسطيني ، يعتبر كاريه ان الايديولوجية الحالية التي تتسم بالطابع الوطني الفلسطيني وطابـع الثورة القومية العربية وطابع ثورة الطبقـات الكادحة هي حصيلة عملية نضوج تاريخية امتدت منذ بدء الهجمة الصهيونية . واختار لتوضيح عملية النضوج هذه سلسلة مـن النصوص الوطنيـة الفلسطينية منذ بدء الاحتلال البريطانـي وحتـى المقاومة المعاصرة . والنص الاول هو الميثاق المنبثق

---

* mythe الترجمة ليست دقيقة لهذه الكلمة الا انها اقل المرادفات ايذاء للمعنى .

عن المؤتمر الفلسطيني الاول عام ١٩١٩ الـــذي عقدته الروابط الاسلامية والمسيحية في فلسطين . ويسجل الكاتب فيه التركيز على **الوطن والقومية والامة العربية** وضرورة وحدتها . [صفحة ١٤].

والنص الثاني هو المذكرة المرفوعة من المؤتمر الفلسطيني الرابع عام ١٩٢١ لحكومة لندن مطالبة **بحكومة وطنية** منتخبة من كل المواطنين الفلسطينيين (مسلمين ومسيحيين ويهود) . ويبرز فيه بالاضافة الى الملامح السابقة التأكيد على **وحدة الوطن**ورفض التقسيم . [صفحة ١٥] .

اما النص الثالث فهو الفتوى التي أصدرهـا الحاج امين الحسيني في آذار ١٩٢٤ مبايعا فيهـا الشريف حسين بن علي ملكا للعرب وخليفة علـى المسلمين . ويركز كاريه على تأثير الفكر العروبي والاتجاه **الاصلاحي الاسلامي** على المفتـي الـذي فرض نفسه كشخصية قيادية منذ ذلك التاريـخ تقريبا . [صفحة ١٧] .

والنص الرابع هو الدستور التأسيسي لحـزب الاستقلال المقر عام ١٩٣٢ والذي يركز ايضا علـى **استقلال** الارض العربية **الواحدة** بالاضافة الـى التجديد السياسي الاقتصادي الاجتماعي . [صفحة ١٨] .

ويعطي الكاتب أهمية خاصة للدور المميز الذي قام به الشيخ عز الدين القسام الذي عبر اكثر من أية شخصية فلسطينية الاتجاه الجذري والمعادي للاستعمار لدى جماهير الفلاحين والعمال ، ويعيد لتلك الفترة ميلاد **حرب الفوار** الفلسطينية . كمـا يسجل الانطباع العام الذي تركه عند الفلسطينيين **الملوك والرؤساء العرب** الذيـن طالبـوا بوقـف الاضراب ، والذي نتج عنه التفريق الدائم بين الدور السلبي لهؤلاء مقابل الثقة الدائمة **بالامـة العربية** [صفحة ٢١] .

والنص الاخير الذي يستعرضه الكاتب في هـذا المجال هو الميثاق الوطني الفلسطيني المعدل في صيف ١٩٦٨ ، والذي يشكل استمرارا للنصوص السابقة وفي نفس الوقت بداية لتبلور الايديولوجية الفلسطينية المعاصرة . ويسجل تكـرار لفظتـي **الوطنية والقومية** في هذا الميثاق ، والتأكيد بشكل خاص على **الشخصية الوطنية** الفلسطينية المرتبطة **بالقومية العربية** ، كما يشير « لاسطورة » مـن الاساطير التي يعتبرها أساسية في الفكر المقاوم والتي تتكرر في مجمل الادب الفلسطيني المعـاصر السياسي وغير السياسي وهي اسطورة « الانبعاث من خلال الموت » . [صفحة ٢٢] .

ويستعرض الكاتب بعد ذلك وضع الفلسطينيين تحت الاحتلال الاسرائيلي [عام ١٩٤٨] الذيـن عاشوا التحول المفاجيء من اغلبية الى أقليـة في وسط سكان غرباء ، والذين عبروا عن رد فعلهم من خلال الحركات الوطنية مثل « الارض » والحزب الشيوعي « ركاح » ومن خلال الادب المقاوم .

وتعكف الدراسة بعد ذلك على تحليل لعينة من هذا الادب (وبالتحديد شعـر محمود درويش) بالاضافة الى تقرير حركة الارض الموجه الى الامم المتحدة عام ١٩٦٤ واربعة نصوص اخرى مـن المقاومة « الخارجية » المعاصرة وهي :

ـ البيان الصادر عن حركة فتح في ١٩٦٩/١/١ (في باريس وهذا ما لا يذكره الكاتب) والذي يحدد الخطوط الرئيسية للحركة واهدافها .

ـ تقرير الجبهة الشعبية لتحريـر فلسطـين لمؤتمرها المنعقد في مطلع ١٩٦٩ والصادر تحت عنوان « الاستراتيجية السياسية والتنظيمية » .

ـ كتاب نايف حواتمه الصادر في نفس العام تحت عنوان « حول أزمة حركـة المقـاومة الفلسطينية » .

ـ واخيرا البيان المشترك لكـافة التنظيمات الصادر عن المؤتمر الوطني السابع في مطلـع حزيران ١٩٧٠ .

(ويقع الكاتب في استعراضه لتاريخ الحركات الفلسطينية في بعض الاخطاء ـ الثانوية ـ خاصة في ما يخص الجبهة الشعبية [صفحة ٣٠]) .

*

الفصل الثاني من الكتاب يخصصه كاريه **لتحليله البنياني** لشعر محمود درويش الذي يعتبره « اعمق الشعراء الفلسطينيين » في الارض المحتلة ، دون أن ينسى ذكر توفيق زياد [الذي يكتب « شعرا نديا ، ذا سهولة شفافة »] وسميح القـاسم وحنا ابو حنا وراشد حسين وسالم جبران والادباء اميل حبيبي وتوفيق فياض .

أما التحليل بحد ذاته لشعر درويش الذي يعتبره

كاريه معبرا عن مجمل شعر الارض المحتلة ، فيعتمد على الانماط البنيانية التي وضعها رولان بارت وليفي ستروس وغيرهما ويلجأ بالتالي الى اصطلاحات غير مألوفة للقارىء العادي ويحددهـا الكاتب الى حد ما في سياق دراسته او في ختامها.

ويضع كاريه شعر درويش في اطار « حكايـة اسطورية واسعة ، مأساة (دراما) بتلوها الشاعر باسم شعبه ، لان كلا منهما مشغول بها كأبطال لولادة جديدة » [صفحة ٣٨] .

ويشرح كاريه مجموعة من قصائد درويش التـي قام هو نفسه بترجمتها ونشرها بالفرنسية ، محاولا تطبيق المعطيات فيها شكلا ومحتوى على التعريفات البنيانية [الرسم البياني صفحة ٤٢] ، اذ يرى ان مجموعة قصائد درويش ... (عاشق مـن فلسطين ، آخر الليل ، حبيبتي تنهض من نومها) تشكل حكاية اسطورية كاملة . [صفحة ٤١] . فدرويش « من خلال الحكاية الدرامية للبطل — المغني ازاء حبيبته فلسطين* يعبر خاصة عـن الاسطورة الاساسية للموت والانبعاث ، ويحاول من خلال ذلك ايصال الرسالة السياسية للمقاومة، اي الرفض (القاتل) للاسس السياسية والاجتماعية الحالية لاسرائيل ، من أجل الانبعاث في نظـام اجتماعي وسياسي منعكس » ... « فلسطـين الجديدة تلد من خلال الموت الذي تصبه الدولـة الاسرائيلية » [صفحة ٤٣] ويمسك كاريه ببعض القصائد [مثل شهيد الاغنية ، وجنـدي يحلـم بالزنابق البيضاء**، وعاشق من فلسطين ...] ليبرز من خلالها الصور المترابطة لاسطورة درويش — فلسطين ويشير مشددا الى تكرار استعمـال التعابير والصور التوراتية والانجيلية في شـعر درويش ومجمل شعراء الارض المحتلة (وخاصـة صورة الصليب والمصلوب) ويلخص كاريه « معنى الشعر الفلسطيني — الاسرائيلي » — على حـد تعبيره — بأنه رفض ثلاثي واعادة تقييم ثلاثي :

— رفض الادب (وخاصة الشعر) المرتبط بقيم قديمة .

— رفض لغة خانعة امام « السلطان » .

— رفض واعادة تقييم للفلكلـور والاساطـير التقليدية .

وفي مجال استعراضه لردود الفعل العربيـة خارج الارض المحتلة لهذا الادب ، يرمي الكاتب بعض شعراء الخارج بأسهم خفيفة (فينال نزار قباني وسام « المقلد ثم العائد الى الحظيرة ») [صفحة ٥٠] .

سجل فلسطينيو الارض المحتلة اذا اسطورة جديدة وغير عادية في الاساطير الاسلامية (السنية) والعربية المعاصرة، ويعني بذلك اسطورة «الانبعاث من خلال الموت »*، وحتى بـين ادبـاء المهجر الفلسطيني . فلا فدوى طوقان ولا معين بسيسو ولا غسان كنفاني حملوا الفكرة المتسلطة ذاتهـا . فالتجربة مختلفة [صفحة ٥٤] .

*

ويخصص الكاتب الفصل الثالث لتحليل شبيه وانما على نمط اخر (وهو ما أسماه التحليـل المفاهيمي التركيبي) لنصوص سياسية من المقاومة المعاصرة عددناها سابقا . ويتلخص هذا الاسلوب بفرز المفاهيم الاساسية في أي نص (مثل مفهـوم الدولة الاسرائيلية ومفهوم العرب في اسرائيـل ومفهوم الامم المتحدة ومفهوم الدولة الديمقراطيـة الخ ...) وموقعها بالنسبة لمفهـوم أساسي (كفلسطين او الشعب الفلسطيني هنا) وعلاقاتها بين بعضها البعض .

وقد أبرز الكاتب بين المفاهيم **الخارجية** التـي تحيط بالشعب الفلسطيني الدائرة « الدولـة الاسرائيلية ، الصهيونية واليهود » التي تشكل عنده الدائرة الاولى التي تحيط بالمشكلة الفلسطينية (ويضاف اليها في تقرير حركة الارض مفـاهيم الحكومة الاسرائيلية والحكم العسكري وقوانـين الطوارىء) . اما الدائرة الثانية فتشمل : الدول العربية ، الامة العربية ، الامبريالية والامـم المتحدة [صفحة ٥٥] .

بالنسبة لدائرة « الضغط » الاولى ، فعناصرها تظهر في النصوص الخمسة وكأنها غير متأثرة

---

* وكل قصيدة من قصائد درويش يمكن ان تحمل برأي كاريه عنوان « عاشـق من فلسطين » [صفحة ٤٠] .

** التي يقدرها الكاتب بشكل خاص .

* مع انه يرى بعض الاثار ذات المعنى في احاديث ميشيل عفلق .

بالوقائع الفلسطينية الصرفة . وهذا مـا يعتبره الكاتب احدى مميزات الايديولوجية الفلسطينية : الاتجاه نحو التجريد والتحليل [صفحة ٥٧] . وعرض كاريه التفصيلي يظهر بعض الفروق في توجه البيان الداخلي (مذكرة حركة الارض) عن بيانات المقاومة الخارجية : ففي الاول تظهر **اسرائيـل** واجهزتها وادواتها (**الحكومة ، الحكم العسكري، قوانين الطوارىء ومصادرة الاراضي**) في دور فاعل مبـاشر تجـاه الشعـب الفلسطيني (او « العرب في اسرائيل ») بينما تظهر في دور سلبي في البيانات الاخرى . وبالمقابل تركز الاخيرة على الصهيونية اكثر من بيان الارض . أما « اليهود » فمصيرهم غير واضح المعالم في فتح ومنظمة التحرير واكثر وضوحا (مع فروق) في البيانات الاخرى [صفحة ٦٢] .

في الدائرة الاخرى هناك **الدول العربية** من جهة **والامة العربية** من جهة اخرى . النظرة العـامة سلبية نحو المفهوم الاول وايجابية نحو الثاني ، وتبدو هذه الجدلية للكاتب مـن اهـم مميزات ايديولوجيـة الـرد الفلسطيني . ووجودهـا يكاد يكون معدوما في بيان الارض واكثر الحاحا في مؤلف حواتمه [صفحة ٦٨] . ويدخل الكـاتب هنا في بعض تفسيرات غير دقيقة عن مواقف بعض المنظمات [تفسيره لموقف الجبهة الشعبية مثلا من « سيطرة رأس المال المحلي » على الدول العربية صفحة ٦٩] .

وهناك **الامبريالية والامم المتحدة** أهم مفهومين متعلقين بالقوى العالمية في البيانات الفلسطينية . الارض تكاد لا تذكر الامبريالية وفتح تعطيه معنـى محليا بينمـا الجبهتان الشعبيـة والديموقراطيـة تعطيانها حيزا واسعا . الامم المتحـدة موجودة خاصة في بيان الارض الذي يتوجه اليها عاتبـا وشاكيا . المنظمات الفدائية لا تذكرها الا في صدد اعلانها لرفض قرارات ١٩٤٧ — ١٩٤٨ (في بعض البيانات) و١٩٦٧ في جميعها . الا انه يلمس في بيان فتح (الصادر كما ذكرنا في مطلع ١٩٦٩) مرونة خاصة بالنسبة « للحلـول السياسية » . فبيان فتح « يرفض كل حل سياسي يتجاهل وجود الشعب الفلسطيني » . ويستنتج الكاتب من هذا اللاتوافق وجود توافق ضمني : وهو أن فتـح سترضى بحل يأخذ بعين الاعتبار وجـود الشعب الفلسطيني [صفحة ٧٣] .

في الدوائر الداخلية (أي التي لها علاقة مباشرة بالشعب الفلسطيني) نجـد المفاهيم التاليـة : **فلسطين، العرب في اسرائيل، الجماهير الفلسطينية** او **الشعب الفلسطيني ، البورجوازية (الكبيرة والصغيرة) الفلسطينية ، المقاومـة والثورة ، الاستقلال ودولة فلسطين الغد .**

في تركيزه على هذه المفاهيم وعلاقاتها بعضها ببعض في كل من النصوص الخمسة ، تبرز عند الكاتب ملاحظات كالتالية :

— « الارض » تؤكد علـى الاراضي المغتصبة والعودة الى التقسيم لصالح الشعبين . والتناقض كامن اذا في هذه المعادلة : المطالبة بالاراضي ثم بتقسيمها . [ص ٧٦] .

— في بيانات اخرى (وخاصة تقرير الجبهـة الشعبية) تناقض آخر غـير محلول : المطالبة بالمساواة بين العرب واليهود في فلسطين المحررة وفي نفس الوقت الاندماج في الامة العربية . [ص ٧٧] .

— في بيان فتح ، تبرز الحركة في دور مميز . فالشعب الفلسطيني ليس هو الحقيقة الاولى وانما فتح التي « تنظمه وتقوده » . [صفحة ٨١] .

— في نص المجلس الوطنـي ، يتخذ الشعب الفلسطيني دورا أكثر فعالية ويرد ذكر تركيبـه الطبقي . ولكن الجبهتين الشعبية والديموقراطية تركزان اكثر على دور « العمال والفلاحين » في صفوفه ، الى جانب « الطبقة المستغلة » — على حد تعبير الجبهة الشعبيـة — في اسرائيـل . [صفحة ٨٢] .

— البورجوازية تحظى باهتمام هاتين الجبهتين كذلك . ولكن بعض الاختلاف يظهر في نظرة كل منهمـا لدور الشرائح المختلفـة منها وخاصـة البورجوازية الصغيرة . وحواتمه يشدد اكثر على تصفية الرجعية الفلسطينية من صفوف المقاومة . [صفحة ٨٦] .

— الجبهة الشعبية تركز على **الثورة** . الجبهة الديموقراطية بالمقابل تركز على **المقاومة** . ودراسة حواتمة غنية جدا في وصف المقاومة . اختيار بيان فتح المقتضب جعل الكاتب يميل استعمال فتـح لهذين المفهومين بشكل مكرر .

ـ الجبهتان كذلك تركزان على اهمية **الايديولوجية والنظرية** . الجبهة الشعبية تشير باصرار الى اهمية **الحزب** القائد ، بينما تؤكد الديموقراطية على أهمية دور الجماهير (حواتمة يكاد لا يذكر الحزب) : وهذا ما يرى فيه الكاتب اهم التناقضات بينهما .

ـ دولة المستقبل تبدو غائبة الملامح عند المنظمات الفدائية . كتابات حواتمة دخلت في التفاصيل اكثر من الكتابات الاخرى بشكل « يروق للغربيين » (اليسار الغربي طبعا) اكثر مما يجاري الحساسيات العربية . [صفحة ٩٤] .

وفي معرض جمع استنتاجاته يشير الكاتب (الذي أنهى دراسته في أواسط عام ١٩٧١) الى « خصب الايديولوجية الفلسطينية المقاومة حتى بعد هزيمة ١٩٧٠ » [صفحة ٩٧ وصفحة ١١٢] ملخصا ملاحظاته هكذا :

ـ تقرير الارض يعبر عن شعور عارم بالضغط ويركز على تجارب قابعة اكثر مما يتجه الى مثال عال في اطار ايديولوجي عام . وفي هذا المعنى يلتقي مع الشعر المقاوم في تحديد الخصم : الدولة الاسرائيلية مع حكومتها وحكمها العسكري . ويبرز الكاتب تركيز « الارض » على اسطورة (بمعناه المذكور اعلاه) الامة العربي « بتأثير ناصري » في رأيه .

ـ بيان فتح كذلك قليل التركيز ايديولوجيا ولكنه يترك المجال مفتوحا لمواقف اشد تصلبا او اكثر اعتدالا . البيان يؤكد على الحتمية التاريخية للتحرير من سيطرة الامبريالية وهذه النبرة الوحيدة التي تتسم بالماركسية اللينينية في البيان بنظر كاريه ، الذي يرى بالمقابل ضعفا كبيرا في طرح الحل المستقبلي العام لمصير « المسلمين والمسيحيين واليهود » . [صفحة ١٠٠] .

ـ بيان المجلس الوطني اكثر « أدلجة » ربما لتأثير المنظمات اليسارية على صياغته . وبالفعل يلمس كاريه تأثيرا ماركسيا واضحا في مجمل الطرح خاصة فيما يخص العلاقة بين المصدر [الشعب الفلسطيني ، الثورة الفلسطينية ، المقاومة الفلسطينية] و« المفعول به » [الثورة، الامة العربية ، الامبريالية] . فالبيان اذا اكثر تصلبا واممية من بياني الارض وفتح ، ولا يحتوي على اي تناقض . [صفحة ١٠١] .

ـ تقرير الجبهة الشعبية يبرز ثلاثة مفاهيم أساسية في موقع الجذر وهي الامبريالية ، الرأسمالية والمقاومة الفلسطينية . ومنها تنبع ايديولوجية الجبهة . والبيان يتضمن ثلاث نقاط حساسة وصعبة الطرح : دور البورجوازية الصغيرة ودور الطبقة الاسرائيلية المستغلة (بفتح الغين) ومحتوى فلسطين المثالية .

ـ في مؤلف حواتمة ، تماسك شديد . ثلاثة مصادر أساسية كذلك : فلسطين ، الصراع الطبقي ، الثورة . وبين المقولات الثلاث التي وجد فيها الكاتب تناقضا في طرح حواتمة ، واحدة فقط لم تحل لا منطقيا ولا جدليا : وهي اعطاء الحقوق لليهود في فلسطين مندمجة في العالم العربي . [صفحة ١٠٤] .

ورغم كل هذا التباين في تحاليل ومواقف المنظمات الوطنية الفلسطينية ، يرى كاريه ان نقاط الالتقاء بينها جميعا اكبر بكثير من نقاط الاختلاف . فهناك تلاق تقريبا في الموقف من : الدولة الاسرائيلية ، فلسطين ، الشعب الفلسطيني (او العرب في اسرائيل) ، الامبريالية ، الصهيونية ، الاستقلال، الامة العربية .

ويستخلص الكاتب عددا من « الاساطير » الاساسية في الايديولوجية الفلسطينية المعاصرة :

ـ الانبعاث من خلال الموت .

ـ الامة العربية الاشتراكية والمناهضة للامبريالية .

ـ المقاومة / الثورة / الحرب الشعبية .

ـ مفاهيم البورجوازية وخاصة الصغيرة منها التي تلعب دورا هاما .

ـ الدولة الفلسطينية الديموقراطية ، التي يعتبرها الكاتب اطرف اكتشاف فلسطيني .

ومما لفت انتباه كاريه غياب الاشارة الى الاسلام (رغم ورود بعض النصوص الاسلامية في منشورات فتح) . وهذا برأيه يشير الى تحول عن الدور السابق للدين (دور المفتي والشيخ القسام الخ ...)

فالايديولوجية الفلسطينية تتغذى اذا اساسا من الايديولوجية الكونية للثورة العالمية ضد الامبريالية (وخاصة الماركسية اللينينية) وتعود لتثبت جذورها

في الواقع العربي . وفي هذا الدور « نجحت اكثر من الناصرية والبعث والشيوعيين العرب » ، الا ان نجاحها الكلي ليس مؤكدا . [صفحة ١٠٨].

ويتحدث كاريه عما يسميه فشل المقاومة ازاء اسرائيل وازاء الدول العربية ويعتبرهما مترابطين. ويستعرض في هذا المجال بعض المعلومات من كتاب جيرار شاليان التي ليست دقيقة تماما (يعتبر ان المقاومة مثلا جندت حوالي ٤٠ الف مسلح ككل عام ١٩٧٠ ويرى ان هذا الرقم قليل جدا (!!!) بالنسبة لتعداد الشعب الفلسطيني) ، وكذلك الحال في كلامه عن اخطاء المقاومة عشية مجزرة ايلول (فهو يخطىء المقاومة لمحاولتها اغتيال الملك حسين قبل المجزرة بأيام معطيا بهذا وزنا للمصدر الهاشمي لهذا الخبر) [صفحة ١١٠] .

ويشير كاريه مرة اخرى الى احتمال الرضى عن دولة فلسطينية في القطاع والضفة الغربية [صفحة ١١٢] . ويؤكد على استمرارية تأثير الفكر القومي على سكان الشرق العربي (بمن فيهم الفلسطينيون) مما يعطي برأيه نجاحا اكثر لفكر الجبهة الشعبية من الفكر الاممي للجبهة الديموقراطية ، الا اذا طرأ تحول في البناء الفكري لسكان « الشرق الادنى » في نهاية « هذا الزمن من البؤس الشوفيني » . [صفحة ١١٧] .

هكذا يستعرض كاريه الايديولوجية الفلسطينية . ولا بد من الاقرار بسعة اطلاعه للادبيات الفلسطينية السياسية وغير السياسية ، مما يعطي طابع الصدق لجزء كبير من تحليله . الا ان هذا التحليل — الذي استعرضناه مع شيء من الاسهاب نظرا لطرافته بالنسبة للقارىء العربي لا يغني — كما يظهر لكل من واكب من الداخل الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة — عن معرفة دقيقة لمجمل المعطيات والتناقضات التي تزخر بها الاوضاع في منطقتنا .

داود تلحمي

جميل غنوم ، **من حارب الغرب في حرب ١٩٧٣ ؟**

(سلسلة حقائق عن الماركسية — بيروت — كانون الاول ١٩٧٣)

هذا الكتاب وزع في الاسواق ما بعد حرب تشرين مباشرة . وهو عبارة عن كتاب جيب . يقع في حوالي ستين صفحة . ويمكن لنا اعتباره نموذجا لكتابات تلقى بكثافة في السوق والتي لا يمكن للقارىء المحترف ان يعيرها اهتماما يذكر لان مجرد تصفح عناوينه الرئيسية يمكن له الحكم على مضمونه . ولكن ما يجب الاشارة اليه ان هذا النمط من الكتب ليس موجها للقارىء المحترف والواعي بل انه موجه الى جمهرة القراء العاديين والذين يمتلكون قدرا محدودا من المعرفة والثقافة السياسية ، ومن هنا خطورته .

يعيد الكتاب طرح أفكار قديمة تدور حول مسؤولية الاتحاد السوفييتي في التخطيط لخلق اسرائيل ومدها بكل سبل الحياة « انسجاما مع مخططات اليهودية العالمية التي تهدف الى جسر العالم الى الاشتراكية والشيوعية » كما يقول في الصفحة السابعة . و(يتصدى) لكشف هذه الحقيقة وبالذات في فترة ما بعد حرب ٧٣ حتى « لا تحجب مساعداتهم الحالية اهدافهم المبيتة » و«كون المساعدات لا تعدو كونها لعقة عسل ستعقبها اطنان من العلقم » كما يقول في الصفحة الثالثة . وهو انما يقوم بهذا العمل ايمانا منه بالمثل الشعبي الدارج « احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة » و« ربي انقذني من اصدقائي اما اعدائي فأنا كفيل بهم » (ص ١١) . واذ كانت هذه هي الفكرة الاساسية التي يروج لها الكتاب في الجزء الاول منه فالاوضاع الداخلية في المعسكر الاشتراكي تحتل القسم الثاني من هذا الكتاب ، حيث يتحدث عن « المجاعة » في الاتحاد السوفييتي (ص ٣١) وعن ان « مغادرة الاراضي السوفييتية محظورة بصورة عامة على جميع المواطنين السوفييت » وذلك خوفا من « يطلبوا حق اللجوء السياسي في الخارج » ناهيك عن ان « الانتقال من موسكو وكييف والمدن الرئيسية السوفياتية

الاخرى واليها محظور ولا يتم الا بموجب تأشيرة يصعب الحصول عليها قبل عدة شهور » (ص ٣٢). كل هذا مضافا الى « متاعب اقتصادية ومناخ القمع والارهاب والاضطهاد الديني » (ص ٣٨) .

ان الاتحاد السوفييتي مسؤول ايضا عن « الاعتراف بحدود دولية لاسرائيل من قبل العرب » « كنتيجة لمسؤوليته عن استمرار احتلال اسرائيل للاراضي العربية » لانه لم يعمل على « اقناع اسرائيل وزحزحتها قيد أنملة عن عنفها وصلفها » في الوقت « الذي لم يأذن للعرب ان يشنوا حرب تحرير » (ص ٥) . كما انه مسؤول كذلك عن « اسقاط لاءات الخرطوم الثلاث » لان هذا يصب في مخططات اليهود العالمية » حيث « سترتمي الدول العربية في احضان الاتحاد السوفياتي » وهذا الاحتضان من قبل الاتحاد السوفييتي لخلق مبرر كي « تنشط الدول الغربية لاغداق المعونات على اسرائيل » ومسؤولية الاتحاد السوفييتي عن كل شيء حتى عن مساعدات الدول الغربية لاسرائيل بسبب « ان الصهيونية والشيوعية حركة واحدة ، ولينين هو عميل للصهيونية » (ص ١٥) . وذلك باعتبار « ان مخططات اليهودية العالمية تهدف الى جر العالم الى الاشتراكية والشيوعية » (ص ٧) .

هذه الاطروحة عن وحدة الشيوعية والصهيونية واليهودية سرعان ما يضطر الكاتب الى نقضها عندما يتحدث عن « الاضطهاد الديني » و« النقمة التي تنصب عليهم من السلطات الحزبية التي تتهمهم بميولهم الصهيونية ورفضهم الاندماج في الحياة العامة » وحيث تنجح هنا « الصهيونية في تحريك الشعور القومي والديني لهم » . ويصل الكاتب الى ذروة التناقض في أطروحته التي تقوم على وحدة الشيوعية والصهيونية ، ووحدة اليهودية والاشتراكية ، وحديثه في مكان آخر عن النقمة التي تنصب على ذوي الميول الصهيونية واضطهادهم دينيا والتي هي سبب هجرتهم من الاتحاد السوفييتي ، خاصة « وان الوقائع قد اثبتت ان الطلاق يحدث بين هؤلاء وبين مبادىء ماركس ولينين عندما يبرحون الاتحاد السوفييتي الذي يعمل على التخلص من العناصر اليهودية التي تثير القلاقل والمتاعب » (ص ٤٠). ولا ينسى الكاتب « فضل » امريكا التي تلعب دور المنقذ لمنطقة الشرق الاوسط والتي استطاعت — اي امريكا — وبالرغم من « السرية التامة التي احاطت بالخطة الصهيونية الشيوعية » من ان تحذر عبر مؤتمر صحفي عقده ناطق بلسان الخارجية الامريكية ، « اتهم فيه موسكو بالتعاون مع الصهيونية بتشكيل طابور خامس سينشط لقلب الانظمة في الشرق الاوسط » (ص ١٦) . « وسادة الكرملين خلقوا دولة اسرائيل وحافظوا عليها بشتى الوسائل » وسادة الكرملين —اي الشيوعيين— الذين تسلموا السلطة عام ١٩١٧ مسؤولون بأثر رجعي حتى عن « الفوج من المهاجرين الروس عام ١٨٨١ » وروسيا ايضا مسؤولة عن « الكتاب الابيض » الصادر عن بريطانيا ، قانون الهجرة اليهودية الى فلسطين باعتبار « أنه قد هاجر من روسيا فوج من المهاجرين عام ١٩٢٠ » (ص ٢٦) . وهنا يكاد يخيل للقارىء وكأن الكتاب الابيض هو كتاب روسي وليس بريطانيا لانه لم يرد لها ذكر على الاطلاق خاصة و« قد تمتع اليهود بحياة الرخاء في الغرب » (ص ٢٦) . ويعفي الكاتب نفسه من الحديث عن الاعداء ، لانه لا يخافهم عملا بالقول المأثور الذي يثبته في المقدمة « ربي نجني من اصدقائي اما اعدائي فأنا كفيل بهم » .

وفي معرض حديث الكاتب عن موضوع الهجرة ومسؤولية الاتحاد السوفييتي يتذكر مسؤولية مصر على هذا الصعيد وهي « التي نزح منها واحد وعشرون الف يهودي » (ص ٢٦) . وعندما يخص مصر بالاسم وفي همى تركيزه على هذه المسألة يعود لمسألة عودة « المسيح المنتظر » (ص ٢٦) وحيث يكرر هذا التعبير وفي اكثر من مكان على هامش حديثه المتكرر عن الالحاد ومصلحة المسلمين ... وعندما يريد أن يستخلص توجيهات فلا يجد سوى النصيحة بأن « الحرب يجب ان توجه ضد هؤلاء لهدمهم واستئصال شرورهم من الجذور ، وعندما ننجح نطمئن الى أننا قطعنا أشواطا في الدفاع عن حقنا وكرامتنا » (ص ١٢) .

ان الافكار والمعلومات الواردة في الكتاب لا تحتاج الى تعليق كبير لانها تدحض بعضها بعضا وذلك لتناقض الهدف الذي تتوخاه الفكرة الاولى والتي تقوم على وحدة (التخطيط والعمل والهدف بين الصهيونية واليهودية من ناحية والشيوعية من ناحية اخرى) ، والفكرة الثابتة التي تقوم على (الطلاق الكامل بين الصهيونية واليهودية المؤمنة

والتي تتعرض لاضطهاد الشيوعية السوفييتية الملحدة) .

ان خطورة الكتاب لا تكمن في القيمة العلمية التي يعتقدها ، ولم يهدف كاتبه لهذا على الاطلاق، وهو بالاساس ليس موجها الى نمط القراء القادرين على محاكمة المسائل المطروحة بأفق واع ويمتلكون قدرا معينا من المعرفة . ان الكتاب موجه الى جمهرة القراء العاديين جدا الذين لا يجدون حرجا في قراءة هذا النمط من الكتب بعنوانه المثير من حارب العرب في حرب عام ١٩٧٣ ؟ والاسلوب الذي كتب به مناسب تماما من خلال بساطة اسلوبه وصغر حجمه وسعره الزهيد نسبيا الذي غالبا ما يكون رمزيا ويقل بكثير جدا عن السعر المكتوب عليه كما جرت العادة بالنسبة لهذا المستوى من الكتب .

وطبيعة القراء الذين يتوجه اليهم الكاتب يتضحون من خلال طبيعة المواضيع التي يتطرق اليها والمعلومات التي يستند عليها . انه يستثير مرة ثانية كل الاكاذيب السياسية منذ ربع قرن حتى الان ، والتي تحولت في اذهان بعض الناس الى ما يشبه الحقائق كنتيجة لتكرارها في أكثر من مناسبة ، ضمن المنطق (الغوبلزي) في الاعلام . المنطق الذي يقول ان تكرار الكذبة يجعل تصديقها امرا ممكنا ويحولها الى حقيقة ، وعندما يستثير الكاتب مرة اخرى كل ذلك (التراث) من الفكر السياسي (الشعبي) فانه يحاول مرة اخرى تصعيد موجة الكراهية للاتحاد السوفييتي ، وتحميله كل المسؤولية في أي هزيمة تلحق بنا . وذكر (الحقائق) يكون بداية صحيحة دائما للانطلاق في مجرى (منطقيا) ينحرف رويدا رويدا ليصل الى نتائج خاطئة لا يستطيع الكاتب العادي التملص منها ، ويعلق في ذهنه بضع تفصيلات تكون سببا (لتراكم) مشاعر الكراهية على طريق صنع الرأي العام بما يتناسب ومخططات القوى المعادية، حيث المستفيد الوحيد من هذا المناخ هي الامبريالية الاميركية .

ومن الملفت للنظر تاريخ صدور الكتاب كانون الاول ديسمبر ١٩٧٣ بالرغم من أن التاريخ الحقيقي لصدوره هو شهر تشرين الثاني وسرعة نزول الكتاب دليلا اخر يفضح الجهة التي أصدرته ، والذي يتناسب ومناخ حرب ١٩٧٣ بعد أن افتضح مرة ثانية الدور الامريكي القذر في الحرب الاخيرة. وعودة « الثقة » بالسلاح وبالدور السوفييتي في وجه المشككين . وصدور الكتاب في هذا الوقت محاولة لخدش هذا المناخ بالطريقة التي تسيء للصديق وتخدم مخططات العدو بالرغم ان الكاتب في مقدمته يستهجن هو نفسه صدور الكتاب قائلا « هل يعقل ان يصدر الكتاب في هذا الوقت وفي أعقاب عدوان اسرائيلي جديد على العرب القى الاتحاد السوفييتي بثقله فيه واغدق على مصر وسوريا فيضا من المساعدات العسكرية والدعم؟».

ح٠ أ٠

بلال الحسن ، **الفلسطينيون في الكويت**
(مركز الابحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ بيروت : ١٩٧٤)

تناول الكثيرون من الكتاب والباحثين العديد من الجوانب السياسية والتاريخية والقانونية المختلفة للقضية الفلسطينية بالدرس والتحليل ، الا أنهم اغفلوا جانبا هاما منها ، هو ما يتعلق بالواقع الاجتماعي الاقتصادي للفلسطينيين في مهاجرهم المختلفة والذي يخفي جانبا انسانيا هاما لقضية .

ازداد الاهتمام بالفلسطينيين ومطالبهم بعد انطلاق ثورتهم المسلحة ، الا ان اسئلة عديدة تثار حولهم بقيت بلا اجابة صحيحة . فما هي الاعداد الحقيقية لهم ؟ وما هي اوضاعهم القانونية في مهاجرهم ؟ ما هي مستوياتهم التعليمية والمهنية والاقتصادية ؟ ما هي انواع الانشطة الاقتصادية التي يمارسونها في تلك المهاجر وفي ظل قوانينها واوضاعها ، وهل لتلك الانشطة اثر على اقتصاد تلك الدول ، وما مدى ذلك ؟ وبخلاف غيرهم من الشعوب التي اقتلعت من اوطانها ، فقد كان على الفلسطينيين ان يواجهوا ويحلوا مشاكل فريدة من

نوعها الى حد كبير ، فما هي أبرز هذه المشاكل وكيف واجهوها ؟ .

عدم اقدام الدارسين على خوض هذه المواضيع بالتشدد العلمي اللازم دفع بمركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية المدرك لضرورة واهمية فهم هذا الواقع الفلسطيني الذي نشأ بعد نكبة عام ١٩٤٨ ، والمدرك لافتقار المكتبة العربية الفاضح للكثير الكثير من الدراسات الموضوعية والبحوث العلمية المتعلقة بالشعب الفلسطيني في مهاجره المتعددة ، دفعه في بداية عام ١٩٧١ الى اضافة قسم رئيسي جديد لاقسامه العديدة هو « قسم الدراسات الفلسطينية » بهدف دراسة واقع الشعب الفلسطيني المشتت في بقاع مختلفة من الارض من مختلف الجوانب العددية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ودراسة حركة النضال الفلسطيني ماضيا وحاضرا ، وجمع التراث الوطني الفلسطيني وحفظه ، لتحويل هذه المعرفة العلمية الى واقع عملي يكون قادرا على الاسهام في دفع وتلبية حاجات الجانب الاخر لهذا الواقع ، اي الثورة المسلحة واعداد الجماهير وتعبئتها للاستمرار في خوض النضال الطويل انطلاقا من خلفية واعية وتصور ناضج مدروس .

والدراسة التي نحن بصددها « الفلسطينيون في الكويت » واحدة في سلسلة من الدراسات الجادة والموضوعية التي أعدها ويعدها باحثو « قسم الدراسات الفلسطينية » في المركز أملا في سد النقص الكبير في معلوماتنا عن شعبنا واهلنا . والسيد بلال الحسن كاتب هذا البحث هو من أبرز الباحثين المتخصصين الاكفاء بالقضية الفلسطينية وبالواقع الفلسطيني وكان في نفس الوقت رئيس « قسم الدراسات الفلسطينية » بالمركز .

تقع هذه الدراسة في ١٢٨ صفحة من القطع الصغير موزعة على ثمانية فصول هي : الهجرة ، التركيب السكاني الداخلي للفلسطينيين ، التركيب الاجتماعي للفلسطينيين في الكويت ، العاملون في القطاع الحكومي ، العاملون في القطاع الخاص ، الاجور ، التعليم ، وملاحظات ختامية .

كون هذه الدراسة عبارة عن بحث احصائي يدفعني الى لفت النظر الى تحفظين يخصان الارقام الواردة في صفحاته . ان هذه الارقام مصدرها التقارير الرسمية ، لكن ينبغي ان تؤخذ في معظمها بشيء من الحذر ، فالاحصاء في مثل هذه الدول لم يبلغ دقته الكافية ، وينبغي ان تؤخذ تقديرات السكان والتعليم بالذات بمزيد من الحذر والحيطة في بعض البلاد ومنها الكويت . والتحفظ الثاني هو ان الارقام الواردة حول التعليم تقدم لنا صورة واضحة نسبية عن كم التعليم ولكنها لا تعطينا ما يكفي لرؤية كيفه خاصة وان فصل التعليم قد استهلك اكثر من ثلث صفحات البحث .

والكتاب يبدأ بالتحدث عن هجرة الفلسطينيين نحو مناطق الخليج العربي وخاصة الكويت سعيا وراء العمل بعد نكبة عام ١٩٤٨ بسبب ما شهدته صناعة النفط فيها من غد واسع ، حيث كان حجم الفلسطينيين داخل الاطار السكاني العام في الكويت يقفز قفزات متسارعة فتضاعف عددهم اكثر من مرة ، ففي عام ١٩٦١ كان عدد الفلسطينيين ٣٧٣٢٧ نسمة بنسبة ١١٫٦١ ٪ الى مجموع السكان العام بينما ازداد عددهم في احصاء عام ١٩٧٠ الى ١٤٧٦٩٦ نسمة بنسبة ٢٠ ٪ الى عدد السكان العام ، وهذه النسب توضح المكانة الخاصة التي يحتلها الفلسطينيون في الكويت . ويذكر السيد بلال ان عدد الفلسطينيين المهاجرين الى الكويت والقادمين من الاردن يبلغ خمسة اضعاف عدد الفلسطينيين من البلاد العربية الاخرى مبرزا عددا من الاسباب لعبت دورها في ذلك . الا انني اعتقد بأن السيد بلال قد اغفل سببا هاما لعب الى جانب تلك الاسباب ابرز دور في تكثيف الهجرة من الاردن اكثر من بقية البلاد العربية الى الكويت ، وهو سماح السلطات الكويتية لفلسطينيي الاردن بالسفر الى الكويت دون الزامهم بالحصول على تأشيرة دخول (فيزا) مسبقة الى الكويت كما كان ولا يزال مفروضا على فلسطينيي البلاد العربية الاخرى ، خاصة اذا علمنا ان تأشيرة الدخول المسبقة لا تعطى الا بعد الحصول على عمل في الكويت قبل الوصول اليها وبعد الحصول على جواز سفر صالح من السلطات العربية التي يقيم الفلسطيني على اراضيها . وكم كان شاقا على الفلسطينيين في البلاد العربية الاخرى غير الاردن الحصول على جواز سفر فكيف بالحصول على عمل مسبق في بلد لم تطأه قدمه بعد ؟ هذا هو ابرز سبب وليس توفر فرص العمل امام الفلسطينيين في سوريه ولبنان

هو الذي جعل مجال الهجرة امامهم محدودا كما يذكر السيد بلال .

وفي الفصل الثالث الخاص بالتركيب الاجتماعي للفلسطينيين في الكويت يذكر السيد بلال ان الارقام تبين ان هجرة غير المتعلمين هي الطابع المميز على عكس الشائع في اذهان الناس من ان الفلسطينيين الذين يهاجرون الى الكويت هم النخبة المتعلمة . هنا أعود للتذكير بتحفظاتي على دقة الارقام الواردة في هذا البحث لانني أختلف مع السيد بلال حول صوابية اعتماده الكامل على تلك الارقام وحول صحة استنتاجه القائل في الصفحة ٢٨ « وهي ارقام تكفي لتوضيح ان الهجرة تتوزع اساسا بين غير المؤهلين علميا وبين المؤهلين بالشهادات الدنيا ، اما ذوي الاختصاص فيشكلون قلة واضحة » . وذلك لان الاحصاء الاردني العام للسكان عام ١٩٦١ يشير الى ان ٦ر٢٢ ٪ من عائلات لواء نابلس افادت بأن لها افرادا خارج الاردن بينما لا تتجاوز هذه النسبة ٥ر٣ ٪ في لواء الخليل ، وهذا يعود الى نوعية الفرص التي تتوفر للعمل في الخارج والتي تتطلب بشكل عام حدا أعلى من المهارات والتأهيل العلمي ، خاصة اذا ما علمنا ان مستوى التعليم في لواء الخليل ينخفض بشكل واضح عن مثيله في لواء نابلس وعن المعدل العام للاردن . ويدعم هذا التفسير كون المستوى العلمي للاردنيين المهاجرين الى الخارج يفوق كثيرا المستوى العام للاردن بأكمله حيث بلغت نسبة من حصل سنة جامعية او اكثر من الفلسطينيين الاردنيين في الخارج ٨ر٣ ٪ بينما هي للسكان في الاردن ٣ر٠ ٪ ونسبة من لم يدخل صفا للسكان في الاردن ٩ر٦٢٪ ولن هم في الخارج ٤ر٢٧ ٪ ، وقد انعكس هذا الوضع على التوزع المهني للعاملين في الخارج وبالتالي على مستوى الدخل لديهم حيث بلغت نسبة من مارس من الفلسطينيين الاردنيين في الخارج اعمالا ومهنا فنية وعلمية وادارية وكتابية أكثر من ٢٠ ٪ منهم بينما لم تتعد هذه النسبة ٩ ٪ من مجموع العاملين في الاردن في نفس السنة . وفي الفصول الثلاثة التالية وهي الرابع والخامس والسادس يتحدث الكاتب عن العاملين من الفلسطينيين في القطاعات المحددة التي يعملون فيها سواء من حيث مستوياتهم المهنية والاقتصادية وظروف العمل التي يعيشونها ومستويات الاجور التي يتقاضونها، بشيء من العجالة والاستخدام المتعسف لاحصاءات لا تمكننا من اجراء مقارنات واستنتاجات علمية دقيقة ولا تزيد قيمة تلك الاحصاءات عن كونها مؤشرات عامة يكون التعميم المبني عليها في الكثير من النقاط محتملا بالكاد او هو غير محتمل بالمرة. خاصة وان دراسة هذا الجانب من حياة الفلسطينيين في الكويت تقتضي عرضا اوسع لكثير من المعلومات التي كان لا بد من جمعها من اكثر من مصدر دون الاعتماد على المصادر الرسمية فقط ويقتضي كذلك تحليلا أعمق وذلك من خلال بحث واقع التنمية الصناعية في الكويت من حيث تطورها ومشاكلها ومن خلال دراسة سوق العمل القلق وغير المستقر والحركة العمالية في الكويت . ولا شك ان دراسة قانون الصناعة رقم ٦ الصادر في الرابع من آذار (مارس) ١٩٦٥ والذي يعد من أهم التشريعات الصناعية يعطي تفسيرا لعدد من الملاحظات التي تركها المؤلف معلقة بلا اجابة . فقد نص هذا القانون بالمادة الثامنة منه على انه « اعتبارا من نفاذ هذا القانون ، لا يجوز منح الترخيص الصناعي الا للكويتيين افرادا او شركات مؤسسة طبقا لاحكام قانون الشركات التجارية وبشرط ان يكون المدير المسؤول كويتي الجنسية او يكون مجلس ادارتها مؤلفا من اعضاء غالبيتهم من الكويتيين . أما غير الكويتيين الذين يملكون منشآت صناعية قائمة وقت نفاذ هذا القانون ولم يكن لهم شركاء كويتيون يملكون ٥١ ٪ من رأس مال المنشأة الصناعية فيجب عليهم ان يتموا تصفية أعمالهم خلال سنتين من وقت العمل بهذا القانون ما لم يستوفوا الشروط المنصوص عليها في هذه المادة خلال مدة التسجيل المنصوص عليها في المادة ٦ منه » . هذا النص يفسر سبب ارتفاع نسبة الاداريين بين العاملين الكويتيين ويتعارض مع قول المؤلف من ان هناك مؤسسات اصحابها من العرب فقط او من الاجانب فقط سواء بصفة مفردة او بصفة مشتركة . عدم دقة الارقام التي يوردها المؤلف يتوضح بشكل جلي اذا ما علمنا ان المؤلف يؤكد في الجدول رقم ٢٦ على ان هناك نشاطات اقتصادية لا يوجد بها كويتيون وهي الزراعة والصيد والكهرباء والغاز والمياه بينما الارقام المأخوذة عن المجموعة الاحصائية لعام ١٩٧٢ صفحة ٤٩ ــ ٥٠ تشير الى ان هناك في قسم الكهرباء والماء والغاز ٢١٣٠ عاملا وثلاث عاملات.

ويتناول المؤلف موضوع تعليم الفلسطينيين في الكويت في الفصل السابع من الكتاب بشكل غير مكتمل مع ان هذا الفصل غطى اكثر من ثلث الكتاب حجما . فالحقيقة ان تعليم ابناء فلسطين في الكويت تحول فعلا الى مأساة ، وهناك ضرورة ملحة لاعداد دراسة متكاملة حول هذا الموضوع . ففي أغنى دولة في العالم وفي القرن العشرين يحرم الالوف من ابناء فلسطين في الكويت من ابسط حقوق الانسان في عالمنا المعاصر وهي مجانية التعليم الابتدائي حيث يمارس على هؤلاء نوع جديد من أنواع التمييز العنصري المحدث. يقول السيد توفيق ابو بكر عضو المجلس الوطني الفلسطيني في مقال له نشرته مجلة الطليعة الكويتية في العام الماضي « حين تنام الافاعي في الكويت من شدة الحر يذهب الاطفال الفلسطينيون الى مدارس منظمة التحرير الذين تعرضهم قلة المواصلات لمخاطر كثيرة صيفا وشتاء » . وخوف الاهلين من المخاطر التي تتعرض لها الفتيات في استعمالهن لوسائط النقل العمومية اثناء تنقلهن ما بين المدرسة والبيت نظرا لانعدام وسائط النقل الرسمية هو السبب الحقيقي لانخفاض نسبة الطالبات الى الطلاب في المرحلة الاعدادية وليس كما يقول السيد بلال من ان هناك أسبابا تتعلق بالظروف الاجتماعية التي تتيح فرص الزواج للفتيات في هذه المرحلة . وانها لمفارقة عجيبة ان تمنح حكومة العراق والجزائر وسوريا وغيرها مئات المنح للطلبة الفلسطينيين سنويا في وقت لا تعطي فيه الكويت لاكثر من ١٨٠ الف فلسطيني يعيشون فوق ارضها ويبنون مع أبنائها مجتمع الغد الا اربع منح فقط . فكما ذكرت فصور هذه المأساة متعددة ولا بد من تخصيص دراسة مستقلة متكاملة لها وبشكل سريع . ولا شك ان معالجة علمية رائدة لموضوع مثل هذا لا بد الا ان تثير الكثير من الملاحظات والا ان تساعد على تبين المسائل التي ينبغي ان يكون لها السبق في البحث عن طريق اجراء دراسة اكثر دقة وعمقا وهذا لا يعيب مثل هذه الدراسات الصياغية او الاستطلاعية لانها بحوث تقتحم مناطق معتمة لتجلو خوافيها وتكشف عن طبيعتها . فما أقل الطرق المعبدة امام الباحث الجاد فيما يتعلق بالواقع الاجتماعي والاقتصادي للفلسطينيين ، ودراسة السيد بلال الحسن مساهمة مشكورة في تمهيد احدى هذه الطرق .

وانا على يقين من انني لا ابخس كتاب بلال الحسن حقه ولا أحط من قدره ان قلنا انه على تميزه لم يسلم من الهنات التالية: (١) ان الكتاب يعوزه التنظيم والتبويب الجيدين . (٢) من غير الممكن فهم واقع الفلسطينيين في الكويت ومحاكمته وبلورة آفاقه بمعزل عن فهم الواقع الكويتي الذي نشأ فيه ويعمل في وسطه لان هذا الواقع يترك آثاره الواضحة عليه . وهذا ما افتقرت اليه هذه الدراسة . (٣) افتقار البحث ولو لفقرة تعرفنا بالمؤسسات غير المنظمة من حيث حجمها وطبيعة أعمالها وتوزعها الجغرافي في الكويت . (٤) خطأ التفريق بين الموظف والمستخدم على اساس ان الموظف هو الذي يقوم بعمل ذهني من اي نوع كان ، اما المستخدم فهو الذي يقوم بعمل عقلي من اي نوع كان كما ورد في الصفحة ٤٤ والصحيح ان المستخدمين هم الذين يعتمدون في عملهم على المجهود البدني أساسا كما ورد في الصفحة ٥٣ من نفس الكتاب . (٥) افتقار الدراسة لبعض التعريفات الضرورية والخاصة بالدراسة مثل من هو الفلسطيني المعني ، هل الفلسطيني الذي يحمل الجنسية الكويتية او اللبنانية او السورية او المصرية ضمن هذه الارقام كما هو الحال مع الفلسطيني الذي يحمل الجنسية الاردنية ، وكذلك الحال بالنسبة للكويتي خاصة واننا نعلم ان آلافا من بدو السعودية والعراق يعتبرون انفسهم من الكويتيين على الرغم من انهم لا يحملون الجنسية الكويتية ، فكيف عاملتهم الاحصاءات الواردة في هذه الدراسة . (٦) ملاحظات اخيرة تتعلق بالنواحي الفنية لاخراج الكتاب أهمها ضيق الهوامش الداخلية للصفحات بشكل عام واختلاف مساحتها من صفحة لاخرى وخاصة في الهوامش السفلى للصفحات بالاضافة الى ان طباعة بعض الصفحات جاءت مورقة غير مستقيمة .

سمير ايوب

غادة السمان ، **رحيل المرافيء القديمة**
(منشورات دار الآداب ، بيروت ــ ١٩٧٣)

انها ليست المرة الاولى التي اقرأ غادة السمان . اتابعها منذ كنت أحشر مع زملائي الطلبة في أحد مقاعد ثانوية مدينتي . كانت غادة حينها رمزا لحبنا المستحيل ، نجد في كلمات رواياتها الجسر الذي نعبر فوقه علنا نصل الى ذلك الحب . هذا في الماضي . أما في مجموعة قصصها الاخيرة « رحيل المرافيء القديمة » لا بد من شهادة نسجلها لغادة ــ علما بأنها ليست بحاجة لمثل هذه الشهادة ، وانما نحن ــ وهي انها حققت قفزات نوعية ليس في وقاحتها النظة ، او شراستها المتفجرة ، او حريتها الحالمة وحسب ، وانما بدرجة التزامها السياسي والاجتماعي ايضا . انها في « رحيل المرافيء القديمة » تنقلب الوقاحة ــ كما يتصورها البعض عند غادة السمان ــ الى جرأة، والشراسة الى صلابة ، وتترجم حريتها الى الواقع ــ واقع ما بعد هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ــ الذي ينزف ابدا .

ان من يقرأ لغادة السمان يشعر وكأنه يلتقي مجددا مع انفعالاته الاولى تلك التي تثور من تأثير لحن موسيقي خاص ، ويجد نفسه يهذي من فعل هذا اللحن حتى يكاد يعتقد ان لوثة اصابته . ان قلمها مغني غريب يحمل في حنجرته غرائز ارض الواقع ، الارض المهجورة ، الارض التي هاجرها الانسان في غادة الى فينا (الدانوب الرمادي اول قصص المجموعة) ، ويدفن في قلبه انفعالات الاجساد المرتخية التي تدرك الارتعاشات اللامحدودة، وتتحفز في عقله رغبة قاتلة في مصارعة الاخرين الذين تحولوا الى جيف نتنة واستسلموا لغبار الافكار ــ لسياسة الامر الواقع ــ الذي يعمي بصرهم وبصيرتهم في آن ، وتتفجر في عضلاته قوة صاعقة للبطش بمن اصابهم استرخاء شبه ابدي مقيت بعد عملية تخدير كاملة رسمت نهايات فعاليتهم كقوى حية .

« رحيل المرافيء القديمة » ست قصص تتمم الواحدة منها الاخرى . وتنساب قصص المجموعة كلها في خيطين نسيج الثاني منها وتشعب بفعل وتأثير الخيط الاول : الاول سياسي والثاني اجتماعي . ويأتي هذا الانسياب في اخراج بديع تنقل غادة القارىء عبره من عالم واقع الانسان المزق الى عالم الماضي القريب ، عالم الاوهام ــ والالم . وبالاعتماد على هذا الاخراج البديع تقوم غادة السمان في أول قصص المجموعة (الدانوب الرمادي) بعملية مراجعة لجمل ممارسات ومفاهيم مذيعة جميلة ومواطنة ملتزمة جذابة (بطلة القصة)، وبتصوير خيبة الامل حين يصل اثرها الى الاعماق وانعكاسات هذه الخيبة على الانسان العربي وما تفعل به من تشويه وتمزيق . المذيعة الملتزمة هي الاعلام العربي قبل هزيمة حزيران (يونيو) ، وهي التي علمها والدها « **السفير ست لغات** » ، ولكنها بالرغم من ذلك تجد نفسها عاجزة « **عن التفاهم الكامل مع انسان واحد فقط ...** » ولذلك يتحرك الانسان المهزوم في المذيعة هاربا الى فيينا بعد أن اختارت المذيعة « المجيء اليها مع (جورجي) ــ صديقها ــ لانه اخرس ! » لقد دفعت مرارة الهزيمة الانسان في المذيعة للاصرار على التفاهم مع (جورجي) ومع سواه بلغة الاشارة . « لغة العصور الحجرية . لغة ما قبل اختراع اللغة والكذب والزيف ... » .

وتتابع غادة السمان عرضها المؤلم لمرارة الهزيمة ولدور الاعلام العربي الكبير الذي كذب وزيف وزور .. في أول قصص المجموعة « الدانوب الرمادي » ــ اذ لكل منا دانوبه ــ بازدواجية صبغت قصص المجموعة الست وتجرنا للدخول فيها دون اقتناع . فصوت المذيعة (بطلة القصة) « **ــ اجمل الاصوات الاذاعية كما كانوا يصفونه ــ كان اداة الجريمة .. كان فحيح الافعى ...** » وفي الايام الاولى لحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كانت تذيع انشودة « امجاد يا عرب امجاد » وكلها سعادة لانها تخيلت « **اخيها الفدائي ورفاقه الاخرين على مشارف القدس يدخلون نصفها المحتل ...** » عندما لاحظت اثناء اذاعة الانشودة « **وجوه الملايين التي كانت تجيء زجاج نافذة الستوديو تنصت للاخبار بعيونها الفضولية الطفولية الفاغرة قد تجعدت وهرمت الف سنة** » .

الرحلة مع غادة السمان الى دانوب (شتراوس) الرمادي ــ الذي هو دانوبها ــ هي رحلة هروبية

من واقع اليم يتسابق فوق ارضه المتاجرون بالوطن. وقد يخيل لمن يعاشر « الدانوب الرمادي » ان بطلة القصة تطرح ذاتها كرمز للعهر الجنسي وحسب ، وهذه غلطة فاحشة يقع فيها كل من يقترب من أدب غادة السمان متسرعا ويلتقط من مجموعة قصصها الست الوجه الجنسي الذي طالما اتهمت به صفحاتها الروائية . صحيح ان المذيعة تهرب في جسد انسانها من واقع الهزيمة ، الا ان طرح ذاتها كرمز للعهر الجنسي يفرض — بالمقابل — سؤالا أساسيا الذي هو الوجه الاخر للعهر ، وهو عهر الاعلام العربي ، من عاهر اكثر : المرأة التي تهرب في جسدها من واقع سياسي أصغر (علاقتها مع حازم مدير الاذاعة) ، أم المسؤول العربي الذي يبيع وطنه في أية لحظة في سبيل احتفاظه بكرسي الحكم ، والذي ينسج قصص الانتصارات ويفبرك روايات الانجازات في الوقت الذي يكون يلهث خلاله هاربا من أرض المعركة !! لقد عرفت المذيعة انها تسببت في مقتل سبعة من الفدائيين ، بينهم اخيها، وفواز — الفدائي الثامن — وحده نجا باعجوبة . فقد روى لها فواز ما حدث : « **سمعنا صوتك وكنت تذيعين بلاغا فهمنا منه ان احد الجيوش العربية قد وصل الى مشارف القدس وسيبدأ هجومه لتحرير نصفها السليب . كنا نعسكر تجاه بعض الجيوب الاسرائيلية والمراكز ، قررنا تطهيرها ووقتنا ذلك بحيث تصل القوات العربية في الوقت اللازم ... وهجمنا دون ان ندري اننا سنكون وحدنا ... طوقنا ... صمدنا ... لم يصل احد . صمدنا حتى نفدت ذخيرتنا . صمدنا حتى لم تبق فينا اصبع تشد زنادا . وطبعا لم تصل الجيوش العربية كما وعدتنا البلاغات الكاذبة على انغام (امجاد يا عرب امجاد) ... وحدي هربت** » . فأخوها وغيره من الرفاق ماتوا ضحية التوريط ... « ضحية العهر الاعلامي » .

عندما ذهبت المذيعة الى حازم الذي كان بالنسبة اليها التجسيد الحي للسلطة والنظام اللذين كانت تقدسهما وتؤمن بأن « **وطنها دائما على حق** » تسأله : « **لماذا خدعنا الناس ؟ لماذا اذعنا بلاغات كاذبة ؟ لماذا نموه الان الهزيمة ؟ لماذا ؟ لماذا ؟** صرخ بها وقال : **انت عميلة** ». انها أصبحت تعيش في زمن بات التفكير فيه مرادفا للعمالة . « **أنا افكر ، فانا عميل !!.. لماذا ؟** » وكررت المذيعة الاسئلة بحرقة ، لكن حازم لم يرد وانما اكتفى باغلاق فمها بشفتيه . « **يا لتفاهة الجواب !** » لكنها قبلت . في صبيحة اليوم التالي للهزيمة دهشت المذيعة حين ذهبت الى الاذاعة ولم تجدها مغلقة . هذه الدكان التي « **استنفدت اغراضها وبساعت بضاعتها ووزعت مورفينها . وانتهى الامر ... (ترى ما الذي يتابعون بيعه ؟)** » تاولها حازم تعليقا يبين « **فضائل الهزيمة للعرب** » وكم كانت ضرورية لاذاعته . قرأته .. بصوت « **بين النشيج وآهة رجل يحتضر** » . أنهاها حازم على قراءة التعليق الرديئة : « **ماذا دهاك اليوم ؟.. كانت قراءتك في غاية السوء** » . اجابته بقولها : « **لانني كنت اقرأ أشياء لم أعد قانعة بها** » . الا ان تحرك الانسان المتمرد في المذيعة على هذه الصورة لم يرض حازم ، مدير الاذاعة ، فصرخ بها : « **رأسك الصغير لم يخلق ليفكر وانما لينتظرني في فراشي . اذهبي الى هناك وانتظريني ...** » . وتصل ثورة غادة السمان ذروتها عندما ينتفض الانسان في المذيعة بحازم قائلا: « **يا سيدي المحترم ... حولت حنجرتي الى مومس ، وشاركت في تحويل مؤسسات الاعلام في بلادي الى بيوتات للعهر ... انكم لا ترون في (العهر) فظاعته الا حينما يتجسد في جسد امرأة ... اما عهركم في السياسة والاخلاق والممارسات كلها فانكم تمرون به دون أن يرف لكم جفن يا سيدي المحترم ... تجنون أمام جسد المرأة المستباح ، ولا تحسون بشيء امام جسد الوطن المستباح ... وطني غانية التاريخ ...** » .

ان ذلك كله جزء من واقع داعر مزق الانسان في المذيعة ودفعه الى الهروب ، الى فيينا ، الى بلاد لا يعرف اهلها بصحبة (جورجي) الاخرس . لقد هربت المذيعة بعد هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الى بلاد نهر « الدانوب الازرق » ، الا أنها لم تصدم — « مثل غيرها من السياح » — حين رأت ان الدانوب رمادي وليس ازرق . فقد خاطبت سائق السيارة التي قادتها الى الدانوب : « اسمع يا سائقي العزيز ، كل منا حزين من أجل (دانوبه) الذي كان يظنه أزرق الضياء واكتشف انه نهر من رماد كهذا النهر ... اننا في الحقيقة نقف امام نهركم لاننا نرى عبره انهار اعماقنا التي جفت والتي استحالت دما مخثرا ... وفي مياهه الرمادية المطفأة نرى منفضة سجائر عمرنا المليئة برماد

ايامنا واوهامنا ... اننا لا نعتب على كذبة مواطنك شتراوس ... لا ... اننا نعتب على الحياة واكاذيبها الكبيرة ... فاحلامنا الزرقاء كبحر بكر ، واحلامنا الوردية كبشرة طفل ولد للتو ، كلها كلها تحالفت عليها قوى الشر ... وما لم يفسده الموت المتربص بنا والغدر فسي الولادة والموت ، افسده الغدر في طبيعة من حولنا ... اسمع يا سائق التاكسي ... اريد ان أقول لك ان بلادي تطيع من الجلادين الاذكياء وتطيع من المواشي الاغبياء امثالي ... » .

كلمة اخيرة لا بد من قولها . اننا نكتشف عبر الازدواجية الموجودة في قصص المجموعة التي تشدنا غادة السمان الى الدخول فيها دون اقتناع : ضمير المرأة التي تعي مأساتها لانها تدرك جيدا لامعنى وجودها في بيئة متخلفة من ناحية ، ثم ضمير المجتمع السياسي والثقافي والانساني الذي يتصدع ازاء « الاكذوبة الكبيرة » التي تحياها المجتمعات العربية من ناحية ثانية، نكتشف عبر هذه الازدواجية قيمة المعاني الانسانية لدى غادة السمان . وتتمكن غادة السمان من التفاعل ضميريا مع الواقع بعد ان ترفع عنه حجاب كذبة الحياة الكبيرة ، اذ ان حرية الكلمة عندها ليست نابعة من حرية الفكر وحسب ، بل من حرية الجسد ايضا . وتأتي « عذراء بيروت ١٩٧٣ » — « عذراء التكنولوجيا » — (وهي اخر قصص المجموعة) كي تؤكد وتتمم صورة رخص المرأة في مجتمع يحترف شراء تفاهتها ويلح على ربط مصيرها الكامل بمصير بكارتها . فالجسد عند غادة السمان وسيلة للمعرفة، والحب طريق للخلاص ، والمتعة نافذة للهروب ، والرجل حالة من تأنيب الضمير او ليلة بلا اسم ولا تاريخ ولا عنوان .

عند قراءة قصص المجموعة « رحيل المرافيء القديمة » يتحول القارىء الى اسير ، او الى خادم ، بطلاتها . ان غادة السمان في الواقع لا تكتب قصة ، انها تتذكر وحسب قصة المرأة العربية من خلال ضمير انساني له ذلك الجسد الحر .

مصطفى كركوتي

Michael Brecher, The Foreign Policy System of Israel, (London, Oxford University Press, 1972).

يعتبر هذا الكتاب من احدث الكتب التي تناولت سياسة اسرائيل الخارجية في اطار نظامي وهو على حد علمنا اول كتاب باللغة الانجليزية في هذا الموضوع ، وكان مؤلف هذا الكتاب رئيسا لقسم العلوم السياسية بجامعة ماكجيل بكندا ، وهو في الوقت الحالي استاذ زائر في العلاقات الدولية بالجامعة العبرية بالقدس . ويقول الكتاب انه جاء نتيجة خمس سنوات من البحث ، قضى المؤلف ثلاث سنوات منها في اسرائيل ، واعتمد على المصادر الاولية والثانوية واستفاد من مقابلات مع اكثر من ٢٠٠ شخص من البارزين في المجالات المختلفة ، ويقع الكتاب في حوالي ٧٠٠ صفحة من الحجم الكبير .

منهج البحث

من المعروف ان العلاقات الدولية تعاني من اختلافات في مناهج البحث ، وصمم المؤلف بحثه على أساس : **اولا** ، المداخل : وهي مداخل خارجية ومداخل داخلية ، أما المداخل الخارجية فهي النظام الشامل ، النظام التابع ، اما المداخل الداخلية فهي المقدرة العسكرية والاقتصادية ، والبنيان السياسي وجماعات المصالح والنخبة ، بالاضافة الى الاتصال وهو نقل المعلومات عن طريق وسائل الاعلام الجماهيري والتقارير والاتصال المباشر ... الخ ، وهذا في مجموعه يكون الابعاد العملية للبيئة. أما الابعاد السيكولوجية للبيئة فهي مكونات الموقف أي الايديولوجية والميراث التاريخي وسمات الشخصية ، بالاضافة الى الانماط التصورية للنخبة . **ثانيا** ، العملية: وتتعلق بتكوين السياسة وتنفيذها . **وثالثا** ، المخارج : أي خلاصة الاعمال او القرارات .

تعرض المؤلف لاسرائيل وعلاقتها بالتحول في النظام الدولي والاتفاق الامريكي السوفيتي بشأن قيام اسرائيل ، وظاهرة الصراع الدولي والتصارع في التسلح ، ومظاهر عناصر القوة ودورها في الصراع الدولي ، وتناول تطور الوضعية الدولية من ثنائية محكمة الى ثنائية مفككة الى تعدد المراكز مما أشاع ظاهرة عدم المغامرة بحرب نووية ، الامر الذي أدى الى توازن مستقر في النظام الدولي ، وضرب امثلة لحدود تدخل القوى الكبرى مثل الموقف السوفيتي ابان حرب يونيو ١٩٦٧ وعدم التدخل بشكل مباشر ، وتتميز اسرائيل بكبر حجم تمثيلها الدبلوماسي في الخارج اذا قورنت بأي دولة اخرى في حجمها نتيجة لوجودها وعزلتها وحاجتها للتأييد الدولي ، وتعد الجاليات اليهودية رصيدا لاسرائيل في الخارج .

وتميزت السياسة الخارجية الاسرائيلية عند البداية بعدم الارتباط نظرا للظروف الدولية التي صاحبت تأييد قيام اسرائيل ، حتى ان ذلك قد تجسد في برنامج الحكومة المعلن في ٨ مارس ١٩٤٩، ووصل بالبعض الى وصف هذه السياسة بأنها سياسة حياد ، ثم كان الاعلان الثلاثي في مايو سنة ١٩٥٠ وانتقد الاتحاد السوفيتي هذه السياسة ، وشهدت الحرب الكورية انقساما كبيرا في السياسة الاسرائيلية تجاه الكتل ، فنظرا لاهمية الدعم الامريكي لاسرائيل ايدت اسرائيل قرار مجلس الامن في يونيو — يوليو سنة ١٩٥٠ ، كما أيدت عمل الجمعية العامة في خريف وشتاء ١٩٥٠ — ١٩٥١ حول المسألة الكورية وبالتالي ظهر الارتباط الاسرائيلي بالغرب. وتعرض المؤلف لموقف الاتحاد السوفيتي من اسرائيل ، والازمات التي تعرضت لها .

تناول الكتاب النظام التابع في الشرق الاوسط والنظم القائمة فيه ، وحلل المقدرة العسكرية لاسرائيل ، ووضح أسباب انتصار اسرائيل ، كما تناول الوضع الجيوبوليتيكي لاسرائيل ، والسكان، وهنا قال ان عدد السكان ليس دليلا مطلقا على التفوق العسكري فهناك مقاييس اخرى كالتعليم والمهارات ومستوى التحديث، واثار الكاتب مستوى التسليح ، ومقدرة اسرائيل الاقتصادية ، والعجز المزمن في المعاملات الجارية لميزان المدفوعات ، وتناول دور الدعم الخارجي الاقتصادي الاسرائيلي.

واثيرت في البنيان السياسي قضايا النظام الحزبي والحكومات الائتلافية والانتخابات وعلاقة ذلك بالسياسة الخارجية ، ودور لجنة الشؤون الخارجية والامن في هذا الصدد ، كما تناول الجماعات المصلحية كالمؤسسة العسكرية واليهودية ودور الموظفين ، والهستدروت ... الخ .

وتعرض المؤلف للجماعات الاكاديمية ودورها في السياسة الخارجية كالجمعية الاسرائيلية للعلوم السياسية وجمعية السياسة الخارجية ، ومعهد المشكلات الدولية بتل ابيب ، ويتميز اساتذة الجامعات في اسرائيل بأنهم اكثر نشاطا في الناحية السياسية .

وتناول الكاتب الابعاد السيكولوجية للبيئة في نخبة السياسة العليا في مجلس الوزراء ودور (اللجنة الوزارية للدفاع) ومدى تأثير المباي في هذا الصدد ، وتتحدد مكونات الموقف بالنسبة لصانع القرار في (اليهودية) ويرى أنها مظهر من مظاهر الثقافة السياسية بالنسبة لنخبة السياسة العليا ، كما تؤثر على سياسة اسرائيل الخارجية، مثل مراعاة وضعية اليهود عند تحديد موقف اسرائيل من الفصل العنصري في جنوب افريقيا ، كما تعرض لتأثير ذلك على الموقف من الاتحاد السوفيتي .

وتعرض الكاتب لمدى تأثير (المثل الاشتراكية) على سياسة اسرائيل الخارجية ورأى أن ذلك تحول الى عمل في سياسة اسرائيل تجاه الدول الجديدة مثل العلاقات مع بورما وغانا . وتناول المؤلف مدى تأثير الميراث التاريخي ، وانماط شخصية حكام اسرائيل ، وفي هذا الصدد تعرض لوجهات النظر المتناقضة بين بن جوريون وشاريت حول المسائل الدولية ، كما تناول الانماط التصورية لاشكول ومائير وسابير ، والون ، وديان ، وايبان، وبيريز . أي ان مكونات الموقف لصانعي القرار في اسرائيل تحدد في الكون الاساسي وهو (اليهودية) ثم القيم الاشتراكية ، والميراث التاريخي ، وانماط شخصية الحكام .

تناول البرفسور بريتشر في عملية السياسة الخارجية لاسرائيل تشكيل قرارات السياسة العليا ، أي التعرض لانواع القرارات ، ودور رئيس الوزراء ووزير الدفاع ووزير الخارجية ودور لجنة الدفاع التابعة لمجلس الوزراء، والدائرة

الداخلية للنخبة الفنية في وزارة الخارجية وتعرض لتنفيذ بعض المهام المساعدة وهنا تناول دور رئيس الدولة واذاعة اسرائيل والهستدروت واليهودية، وعمل وزارة الخارجية الاسرائيلية من حيث الاصل والتكوين ونموها ودور وزير الخارجية والمدير العام ومساعد المستشار ورئيس الادارة ورئيس البعثة ومكتب وزير الخارجية والمدير العام .

قسم المؤلف القرارات السياسية الى قرارات استراتيجية ، وقرارات تكتيكية ، وقرارات منفذة. ومن أمثلة القرارات الاستراتيجية جعل القدس مقرا للحكومة ، وتأييد عمل الامم المتحدة في كوريا، وقيام حملة سيناء ، وقيام حرب ١٩٦٧ ومن امثلة القرارات التكتيكية مثل الموافقة على اتخاذ عقوبات ضد روديسيا وتأخير العمل العسكري ضد مصر ، فاتخذ مجلس الوزراء القرار في ٢٧ مايو ١٩٦٧ في اعقاب زيارة وزير الخارجية الاسرائيلي لباريس ولندن وواشنطن ، ومن أمثلة القرارات المنفذة ارسال اسرائيلي لمهمة معينة .

وهناك مجموعة من الاشخاص في قمة صناعة القرارات في العشرين سنة الاخيرة منذ قيام اسرائيل وهم بن جوريون وشاريت ومائير واشكول وايبان . وفي ص ٤٠٦ من الكتاب اورد المؤلف احصاءات حول توزيع النخبة الفنية حسب التخصصات وذلك في وزارة الخارجية ١٩٤٨ — ١٩٦٨ حسب مجالات الدراسة بالنسبة للتعليم العالي ووجد ان ١٧ شخصا (اقتصاد) ، ١٧ (علوم سياسية) ، ١٤ (دبلوماسية وعلاقات دولية) أي ٤٨ في الاقتصاد والعلوم السياسية والعلاقات الدولية ، ٣١ في العلوم السياسية والعلاقات الدولية . اما التخصصات الاخرى فكانت ٢٨ (قانون) ، ١٢ (تاريخ) ، ٤ (فلسفة) ، ١٠ (دراسات شرقية)، ٥ (انسانيات) ، أما التخصصات الاخرى وهي التجارة والادب الانجليزي والتربية والاجتماع والصحافة والدراسات الكلاسيكية وعلم النفس والدراسات الدينية .. الخ فبلغ العدد الكلي ٣٠، كما يلاحظ أن منهم من كان من أساتذة الجامعات كما تناول المؤلف دور رئيس الاركان ومدير المخابرات العسكرية وبعض الشخصيات في وزارة الدفاع .

ويرى الكاتب أن اذاعة اسرائيل تقوم بوظيفتين من وظائف السياسة الخارجية وهي نقل تصورات لابعاد العملية للبيئة لصانعي القرار في اسرائيل، وتنفيذ السياسة الخارجية الاسرائيلية عن طريق اذاعات اللغات الاجنبية باثنتي عشرة لغة ولا سيما البرنامج العربي ويرى المؤلف ان هذا البرنامج وسيلة لكسر الحاجز الخاص بالعلاقات مع العرب. وقامت الجماعات اليهودية في أنحاء العالم بدور بارز في مساعدة وتحقيق اهداف السياسة الخارجية الاسرائيلية .

تناول المؤلف عند الكلام عن نظام السياسة الخارجية الاسرائيلية ١٩٤٨ — ١٩٦٨ دور القوى العظمى في اصدار قرار تقسيم فلسطين ١٩٤٧ ، والمساعدة العسكرية من الكتلة الشرقية الى اسرائيل ابان حرب ١٩٤٨ ، وقيام الكتلة السوفيتية بتأييد مصر ١٩٥٥ — ١٩٥٦ وتطور هذا التأييد حتى حرب ١٩٦٧ ، وتميز تأثير الامم المتحدة على قرارات السياسة الخارجية الاسرائيلية بالدور المحدود قاعدا ١٩٤٨ — ١٩٤٩ .

ويرى الكاتب ان السياسة الخارجية الاسرائيلية حققت عدة منجزات في الفترة محل البحث ١٩٤٨ — ١٩٦٨ وهي : ١ — اعتراف وتأييد الدول العظمى في المرحلة الحرجة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ ، ٢ — الدخول دون تأخير في عضوية الامم المتحدة في وقت استثنيت فيه كثير من الدول القديمة الجديدة . ٣ — اقامة علاقات دبلوماسية مع أغلبية الدول . ٤ — قيام وجود اسرائيلي في افريقيا . ٥ — تأييد دبلوماسي وعسكري من فرنسا في شكل تحالف واقعي من ١٩٥٥ — ١٩٦٦ . ٦ — الدعم الامريكي العسكري والاقتصادي لا سيما بعد حرب ١٩٦٧ وهذا الجزء يعتبر استنتاجا للنقاط الاساسية في هذا الكتاب وردت في الاجزاء الثلاثة السابقة .

وفي نهاية الكتاب اورد المؤلف عدة ملاحق خاصة بالسياسة الخارجية في برامج الحكومة الاسرائيلية، وتصريحات زعماء الاحزاب الاسرائيلية في الحملات الانتخابية ، ووزراء الحكومة الاسرائيلية ١٩٤٨ — ١٩٦٨ ، وتحليل مضمون للانماط التصورية للنخبة الاسرائيلية صانعة القرارات ، وبعض المؤلفات التي تعرضت لقرارات السياسة الخارجية ، ومعلومات اضافية عن النخبة الفنية في وزارة الخارجية الاسرائيلية .

يعتبر الكتاب اضافة جديدة من حيث المنهج في دراسة السياسة الخارجية، فرغم ان الكاتب يدخل

في مجموعة كبار السن من علماء السياسة الا ان هذا لم يمنعه من مسايرة المناهج الحديثة ، وقضاء خمس سنوات في تأليف كتاب ، وهذا يوضح أن العبرة ليست بالكم ولكن بالكيف ، اي انه لم يعوق استخدام المناهج المتطورة بل سايرها .

ويحتوي الكتاب على معلومات مفيدة حول نظام السياسة الخارجية الاسرائيلية من حيث الابعاد العملية للبيئة وكذلك الابعاد السيكولوجية للبيئة، وعملية السياسة الخارجية الاسرائيلية ، ومخارج نظام السياسة الخارجية الاسرائيلية ، وهذا أمر هام بالنسبة لصانعي السياسة العرب وعلماء السياسة والمتخصصين في الدراسات الاسرائيلية .

ويؤخذ على الكاتب انحيازه الى وجهة النظر الاسرائيلية ، وهذا لا يحتاج الى جهد لاثباته فقد اعترف صراحة بذلك في تقديمه للكتاب وينظر الى تحيزه على انه انساني وحتمي ، وانه لامر مؤسف ان يقول هذا الكلام استاذ في العلوم السياسية متناسيا ان الموضوعية وعدم التحيز وتجريد الذات بشكل كبير هي سمة أساسية لطلبة العلوم السياسية .

ويعتبر هذا الكتاب خير عمل دعائي عن اسرائيل، ومن هنا يظهر فعالية الدور الذي يقوم به علماء السياسة ، واهمية توطيد العلاقات بينهم وبين مؤسسات السياسة الخارجية ، وقد اعتمد المؤلف على مراجع وبيانات دقيقة تعتبرها بعض الدول خطرا على امنها القومي واخلالا بالسرية ، في عصر تغير فيه مفهوم السرية ، ومن المسائل التي تستدعي الدراسة ان اسرائيل تنشر اكبر قدر من المعلومات عنها في كافة المسائل .

ومن الاهمية بمكان تشجيع المؤلفين العرب على التاليف في نظام السياسة الخارجية العربية نظرا لاهمية ذلك سياسيا واعلاميا وعسكريا .. الخ .

ولم يعتمد المؤلف على مراجع عربية او على الاقل لكتاب عرب باللغة الانجليزية وهناك دراسات عربية علمية حول هذا الموضوع واعتمد اساسا على المراجع الاسرائيلية الذي ساعد بدرجة كبيرة على تحيزه لصالح اسرائيل ، وهذا في رأينا نقص خطير في الكتاب ، وان كان قد اعتمد بشكل نادر على بعض المراجع العربية ولكن بشكل ثانوي للغاية .

وعندما تعرض المؤلف للنظام التابع في المنطقة تعرض للنظام التابع في الشرق الاوسط مدخلا بذلك اسرائيل وعدة دول غير عربية ومحاولا ادخال عناصر متعددة للنظام وبالطبع لم يتعرض للعالم العربي في حد ذاته كنظام تابع لان ذلك من الممكن ان يساعد في فهم عناصر هذا النظام المنسجم بشريا باستثناء الوضعية الاسرائيلية .

وعندما تعرض الكاتب لمكونات الموقف ذهب الى أن اليهودية هي الكون الاساسي ولكن الحقيقة تقول انها الايديولوجية الصهيونية فكثير من اليهود يرون في اسرائيل اساءة لمعنى اليهودية .

وردد الكاتب المفاهيم الصهيونية الخاصة بأن اليهود (شعب الله المختار) (والحق التاريخي)، (قرب الاستقلال عام ١٩٤٨) ولم يناقش هذه المفاهيم او على الاقل يظهر الآراء الاخرى في هذا الصدد وبالتالي اسقط كل اعتبار لدراسته للعلوم السياسية ، ويبدو ان اتصاله برجال السياسة الاسرائيلية افقدته صفة الموضوعية .

واعتبر المؤلف ان المثل الاشتراكية احد مكونات الموقف وان المثل تحولت الى عمل في سياسة اسرائيل تجاه الدول الجديدة مثل بورما وغانا ، فالاشتراكية في اسرائيل غير موجودة والواقع ان سياسة اسرائيل تجاه الدول الجديدة مثل بورما تمليها عدة اعتبارات خاصة بالمصلحة الاسرائيلية ، أما (المثل الاشتراكية) فهي على اكثر تقدير كاموفلاج للسياسة الخارجية .

واعترف الكاتب في وصف الانماط الشخصية لحكام اسرائيل والاعتبارات السيكولوجية بشكل مفرط مما اخرجه عن دائرة اختصاصه ، كما ان عرضه لهذه المسائل تميز بالانطباعات .

ويوضح الجزء الخاص بالاستنتاجات ان المؤلف يردد المنطق الاسرائيلي الخاص بحل قضية فلسطين دون تفنيد وتحليل .

وفي النهاية لا يسعنا الى ان نعترف بالقدرة المنهجية للمؤلف على ابراز الحقائق ولو انه توخى الدقة والموضوعية لوصل الى وضع افضل ، ولكنه تحيز الى حد الاعتراف بذلك صراحة في مقدمة الكتاب ، الامر الذي يؤسف له . كما ان هذا الكتاب يمكن ان تستفيد منه الجهات المعنية باتخاذ القرارات في الدول العربية الامر الذي يجب النظر اليه بعين الجد .

محمد علي العويني

حديث ينشر لاول مرة :
مع الشهيد غسان كنفاني

حصلت « شؤون فلسطينية » على النص الكامل لحديث خاص غير منشور ، أجراه كاتب سويسري ، يتخصص في أدب غسان كنفاني ، مع شهيد المقاومة الفلسطينية قبل استشهاده باسابيع قليلة . ونحن ننشر الترجمة الحرفية لهذا الحديث غير المنشور ، في الذكرى الثانية لاستشهاد غسان ، وسوف يكون الحديث جزءا أساسيا من دراسة علمية يعدها الكاتب عن أدب غسان كنفاني .

غسان ، هل لك ان تخبرني شيئا عن خلفيتك الشخصية ؟

— أظن ان قصتي تعكس خلفية فلسطينية تقليدية للغاية . فقد غادرت فلسطين عندما كنت في الحادية عشرة من العمر وكنت أنتمي الى عائلة من الطبقة الوسطى . كان والدي محاميا ، وكنت أدرس في مدرسة فرنسية تبشيرية . وفجأة ، انهارت هذه العائلة المتوسطة وأصبحنا لاجئين فتوقف والدي فورا عن العمل بسبب جذوره الطبقية المتأصلة . فالاستمرار بالعمل بعد مغادرتنا فلسطين لم يعد أمرا منطقيا بالنسبة له . اذ ان ذلك كان سيفرض عليه التخلي عن طبقته والانتقال الى طبقة ادنى . وهذا ليس بالامر السهل . اما نحن ، فقد باشرنا بالعمل كصبية ومراهقين كي نعيل العائلة . وقد استطعت ان اتابع تحصيلي العلمي بنفسي من خلال عملي كمعلم في احدى المدارس الابتدائية في القرية، الامر الذي لا يتطلب كفاءة علمية عالية . وكانت تلك بداية منطقية ساعدتني على متابعة المرحلة الثانوية التي انهيتها في تلك الاثناء . وبعد ذلك انتميت الى الجامعة [جامعة دمشق] ، قسم الادب العربي ، لمدة ثلاث سنوات ، فصلت بعدها لاسباب سياسية. عندما سافرت الى الكويت حيث مكثت طوال ست سنوات . وقد باشرت القراءة والتأليف هناك .

ابتدأت حياتي السياسية عام ١٩٥٢ عندما كنت في الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من العمر . وفي العام نفسه ، او في عام ١٩٥٣ قابلت الدكتور جورج حبش في دمشق صدفة ، لاول مرة . كنت اعمل يومها مصححا في مطبعة . ولست اذكر من الذي عرفني على الدكتور ، غير ان معرفتي به ابتدأت آنذاك . وعلى الفور انخرطت في صفوف حركة القوميين العرب وهكذا ابتدأت حياتي السياسية . وخلال اقامتي في الكويت ، مارست نشاطات سياسية ضمن حركة القوميين العرب التي تتمثل الان بأقلية لا بأس بها في الحكومة الكويتية . وفي عام ١٩٦٠ طلب مني ان انتقل الى لبنان لاعمل في صحيفة الحزب . وفي عام ١٩٦٧ طلب مني ان اعمل مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وهي عبارة عن فرع فلسطيني لحركة القوميين العرب . وفي عام ١٩٦٩ باشرت عملي في صحيفة « الهدف » وما زلت .

هل باشرت الكتابة نتيجة لدراستك الادب العربي؟

— كلا ، اعتقد ان اهتمامي بالادب العربي ابتدأ قبل دراستي . وأظن ان اهتمامي هذا كان نتيجة لعقدة ، ان لم تخني الذاكرة . فلقد كنت أدرس في مدرسة فرنسية تبشيرية ، كما سبق ان ذكرت ، قبل ان نغادر فلسطين . لذلك ، لم أكن متملكا من اللغة العربية كعربي . وقد سبب لي ذلك كثيرا من المتاعب ، فطالما هزأ بي اصدقائي لانني لم أكن أجيد العربية . ولم يكن ذلك القصور واضحا عندما كنا في فلسطين بسبب طبقتي الاجتماعية . ولكن عندما خرجنا من فلسطين اصبح اصدقائي من طبقة مختلفة ولاحظوا فورا بأن لغتي العربية ركيكة وبأنني ألجأ الى التعابير الاجنبية في أحاديثي، وبالتالي ، انصب اهتمامي على اللغة العربية كي

اداري مشكلتي هذه . وكان ذلك في عام ١٩٥٤ على الاغلب . اظن انني كسرت ساقي في ذلك العام في حادثة . وكان علي أن ألازم الفراش طوال ستة شهور . عندها ابتدأت المطالعة بالعربية بصورة جدية .

أظن أن باستطاعتنا ان نورد أمثلة عديدة عبر التاريخ عن أناس « ضيعوا » لغتهم وهم بالتالي يحاولون استردادها . هل تظن ان هذه العملية تطور الانسان سياسيا ؟

ـ لا أدري . قد يكون الامر كذلك . أما بالنسبة لي شخصيا فقد تم « تسييسي » بطريقة مختلفة . اتجهت نحو السياسة في مرحلة مبكرة لاننا كنا نعيش في المخيم . ولذا ، كنت على اتصال مباشر مع الفلسطينيين ومشاكلهم من خلال ذلك الجو المهزن والعاطفي الذي عشته كطفل . ولم يكن من الصعب علي اكتشاف الجذور السياسية للجو الذي عشته.

وعندما باشرت بالتدريس ، واجهت مصاعب جمة مع الاطفال الذين درستهم في المخيم . فقد كنت أغضب دائما لدى مشاهدتي طفلا نائما اثناء الصف . وببساطة اكتشفت السبب : لقد كان هؤلاء الاولاد يعملون في الليل ، يبيعون الحلوى او العلكة او ما شابه في دور السينما والطرقات . وبالطبع ، كانوا يأتون الى الصف وهم في غاية التعب . ان حالة كهذه ، تقود الانسان فورا الى جذور المشكلة . فقد تبين لي ان نوم الطفل ليس ناجما عن استخفافه بي او عن كرهه للعلم ، كما لم يكن للامر علاقة بكراهتي كمعلم ، بل كان مجرد انعكاس لمشكلة سياسية .

اذن ، ساهمت تجربتك هـذه في تطوير وعيك الاجتماعي والسياسي .

ـ نعم ، وأذكر بأن ذلك حدث ذات يوم بصورة مباشرة . كما تعلم ، يتولج معلمو التلاميذ الصغار تعليمهم كافة المواد بما فيها الرسم والحساب والانكليزية والعربية وغيره . وذات يوم ، كنت أحاول تعليم الاولاد ان يرسموا تفاحة وموزة تمشيا مع البرنامج الذي أقرته الحكومة السورية ، اذ أنني كنت أمارس التعليم هناك . وكان علي أن أتقيد بالكتاب . وفي تلك اللحظة ، عندما كنت أحاول أن أرسم هذين الرسمين على اللوح بأكمل وجه ممكن ، انتابني شعور بالغربة والغرابة وعدم الانتماء وأذكر جيدا بأنني شعرت في تلك اللحظة بأن علي ان اقوم بعمل ما اذ انني أدركت بوضوح ، قبل أن أستطلع وجوه الاطفال الجالسين ورائي ، بأنه لم يسبق لهم ان شاهدوا تفاحة او موزة . وبالتالي كانت هذه الاشياء آخر ما يثير اهتمامهم . لم يكن هناك ارتباط بينهم وبين هذين الرسمين . وفي الواقع ، كانت العلاقة بين احاسيسهم وهذه الرسوم علاقة متوترة لا علاقة جيدة . كانت تلك نقطة تحول حاسمة ، اذ انني اتذكر بوضوح تلك اللحظة بالذات من بين جميع الاحداث التي مرت بحياتي . ونتيجة لذلك ، محوت الرسوم عن اللوح وطلبت من الاطفال ان يرسموا المخيم . وبعد بضعة ايام ، عندما جاء المفتش الى المدرسة ، قال بأنني حدت عن البرنامج الحكومي المقرر مما يبرهن على انني معلم فاشل . وقد حملني اضطراري للدفاع عن نفسي الى [خضم] القضية الفلسطينية مباشرة . ان تراكم خطوات صغيرة كهذه يدفع الناس الى اتخاذ قرارات من شأنها ان تترك طابعها على حياتهم بأكملها .

تعليقا على هذه النقطة ، أظن انها تهمك انت بالذات [فانت] ، عندما تتناول الفن ، كاشتراكي على اي حال ، فانك تربط الفن مباشرة بالبيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . لقد لمست انت ذلك من خلال رسم تفاحـة وموزة . ولكن بالنسبة لمؤلفاتك ، هل لهذه المؤلفات علاقة بالواقع وبالزمن الحاضر او هل هي مستقاة من التراث [الادبي] ؟

ـ لقد نشرت قصتي الاولى عام ١٩٥٦ وكان عنوانها « شمس جديدة » . وتدور [حوادثها] حول طفل من غزة . عندما استعرض مجمل القصص التي كتبتها عن فلسطين حتى الان ، يتبين لي ان كل قصة ترتبط بطريقة مباشرة او غير مباشرة وبخيط دقيق او متين بتجاربي الشخصية في الحياة . غير ان اسلوبي الكتابي تطور خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٠ او ، على وجه التحديد ، عام ١٩٦٢ . في البداية ، كنت اكتب عن فلسطين كقضية قائمة بحد ذاتها ، وعن الاطفال الفلسطينيين ، عن الانسان الفلسطيني ، من آمال الفلسطينيين بحد ذاتها ، كأشياء منفصلة عن عالمنا هذا مستقلة وقائمة بذاتها كوقائع

فلسطينية محضة . ثم تبين لي انني اصبحت ارى في فلسطين رمزا انسانيا متكاملا . فانا عندما اكتب عن عائلة فلسطينية ، فانما اكتب في الواقع عن تجربة انسانية . ولا توجد حادثة في العالم غير متمثلة في المأساة الفلسطينية . وعندما اصور بؤس الفلسطينيين ، فانا في الحقيقة استعرض الفلسطيني كرمز للبؤس في العالم اجمع . وبامكانك القول بأن فلسطين تمثل العالم برمته في قصصي . ففي وسع الناقد [الادبي] الان ان يلاحظ بأن قصصي لا تتناول [الفرد] الفلسطيني ومشاكله فحسب ، بل تتناول حالة انسانية لانسان يقاسي من المشاكل اياها . ولكن ربما كانت تلك المشاكل اكثر تبلورا في حياة الفلسطينيين .

هل رافق تطورك الادبي تطورك السياسي ؟

— نعم ، في الواقع ، لا أدري ما الذي سبق الاخر . قبل البارحة ، كنت اشاهد احدى قصصي التي انتجت كفيلم سينمائي . كنت قد كتبت هذه القصة عام ١٩٦١ . وقد شاهدت الفيلم بمنظور جديد اذ اكتشفت فجأة بأن الحوار بين الابطال وخط تفكيرهم وطبقتهم [الاجتماعية] وطموحاتهم وجذورهم في ذلك الحين كانت تعبر عن مفاهيم متقدمة عن افكاري السياسية . [اذن] باستطاعتي القول بأن شخصيتي كروائي كانت متطورة أكثر من شخصيتي كسياسي ، وليس العكس ، وينعكس ذلك في تحليلي للمجتمع وفهمي له .

هل تعكس كتاباتك تحليلا لمجتمعك ، أم هل تتلون تحليلاتك بصبغة عاطفية ايضا ؟

— اظن ان قصصي القصيرة كانت تستند الى موقف عاطفي في بادىء الامر . ولكن يمكنك القول بأن كتاباتي ابتدأت تعكس الواقع منذ اوائل الستينات . ان مراقبتي لهذا الواقع وكتابتي عنه قاداني الى التحليل السليم . ان قصصي نفسها تفتقر الى التحليل . ولكن هناك الاسلوب الذي يتصرف به ابطال القصة والقرارات التي يتخذونها والاسباب التي تدفعهم لاتخاذ هذه القرارات وامكانية بلورة تلك القرارات الخ ... اني اعبر في رواياتي عن الواقع ، كما افهمه ، دون تحليل . أما ما عنيته بقولي بأن قصصي كانت اكثر تطورا [من آرائي السياسية] فهو عائد الى دهشتي الصادقة لدى متابعتي تطور الابطال في القصة التي كنت اشاهدها كفيلم ، والتي لم اكن قد قرأتها خلال السنين الماضية . لقد دهشت عندما سمعت [مجددا] حوار ابطالي حول مشاكلهم واستطعت ان اقارن حوارهم بالمقالات السياسية التي كنت قد كتبتها في الفترة الزمنية ذاتها فرأيت بأن ابطال القصة كانوا يحللون الامور بطريقة اعمق واقرب الى الصواب من مقالاتي السياسية .

ذكرت بانك بدأت عملك السياسي بانضمامك الى حركة القوميين العرب يوم قابلت حبش عام ١٩٥٣ . متى اعتنقت المبادىء الاشتراكية [اذن] ؟ ان حركة القوميين العرب لم تكن حركة اشتراكية في بادىء الامر .

— كلا ، لم تكن كذلك . كانت حركة القوميين العرب [موجهة] ضد الكولونيالية والامبريالية والرجعية . ولم يكن لها خط ايديولوجي [معين] في ذلك الحين . غير ان هذه الحركة تبنت خطا اشتراكيا خاصا بها خلال السنوات التي عاشتها. فمناهضة الامبريالية تعطي دفعة نحو الاشتراكية ذلك ان لم يتخل المرء عن القتال في وسط المعركة وان لم يتوصل الى تسوية مع الامبريالية . ففي هذه الحالة لن يتسنى لتتطور هذه الحركة الى حركة اشتراكية . ولكن اذا استمر المرء في القتال [فمن الطبيعي] ان تتطور الحركة [المناهضة للامبريالية] الى موقف اشتراكي . ولقد أدرك القوميون العرب هذه الحقيقة في أواخر الخمسينات . أدركوا بأنه ليس في وسعهم ان يكسبوا الحرب ضد الامبريالية ما لم يستندوا الى طبقات [اجتماعية] معينة : تلك الطبقات التي تحارب الامبريالية لا من اجل كرامتها فحسب ، بل من أجل رزقها ومعيشتها . وكان هذا [الطريق] هو الذي سيؤدي مباشرة الى الاشتراكية . ولكنا كنا في مجتمعنا وحركتنا [أي حركة القوميين العرب] حساسين جدا فيما يتعلق [بالمبادىء] الماركسية — اللينينية ، ولم يكن موقفنا هذا ناجما عن عدائنا للاشتراكية بل كان نتيجة للاخطاء التي ارتكبتها الاحزاب الشيوعية في العالم العربي . لهذا كان من الصعب جدا على حركة القوميين العرب ان تتبنى الماركسية اللينينية قبل عام ١٩٦٤ . ولكن في عام ١٩٦٧ ، في شهر تموز على وجه التحديد ، اعتنقت الجبهة الشعبية [مبادىء] الماركسية — اللينينية فكانت بذلك [الجبهة] الوحيدة ضمن حركة القوميين العرب التي اتخذت خطوة كهذه . اما حركة القوميين العرب فقد غيرت اسمها الى « حزب

العمل الاشتراكي ». اما الفرع الفلسطيني لها فقد دعي « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » . وهكذا نشأت هذه الحركة [الجبهة الشعبية] . طبعا ، هذا تبسيط للمشكلة . فقد كنا نحن قد تطورنا ضمن حركة القوميين العرب . كان هنالك صراع دائم داخل الحركة بين ما يدعى باليمين واليسار . وفي كل جولة ، كان اليسار الجهة الرابحة لان موقفنا فيما يتعلق بمناهضة الامبريالية والرجعية كان افضل [من موقف اليمين] . وقد نتج عن ذلك اعتناق الماركسية ــ اللينينية . اما انا فلست اذكر الان ما اذا كان موقفي من الصراعات التي دارت داخل الجبهة مائلا الى اليمين او الى اليسار اذ ان الحد بين اليمين واليسار لم يكن فاصلا آنذاك كما هو الان ، مثلا ، في الاحزاب السياسية المتطورة. ولكن يمكنني القول بأن حركة القوميين العرب كانت تشمل بعض العناصر الشابة ، وكنت من ضمنها ، التي كانت تسخر من حساسية الكبار في السن تجاه الشيوعية . وبالطبع ، لم نكن يومها شيوعيين ، ولم نكن نحبذ الشيوعية . غير ان حساسيتنا ضد الشيوعية كانت اقل نسبة من حساسية المتقدمين في السن . وبالتالي ، لعب الجيل الجديد دورا بارزا في تطوير حركة القوميين العرب الى حركة ماركسية ــ لينينية. وكان العامل الاساسي في ذلك كون غالبية اعضاء حركة القوميين العرب من الطبقة الفقيرة . اما الاعضاء المنتمون الى البرجوازية الصغيرة او البرجوازية الكبيرة فقد كان عددهم محدودا . كما انهم لم يستمروا في هذه الحركة اذ انهم كانوا بتركونها بعد مرور سنتين من انضمامهم اليها . كما انضم اليها اعضاء جدد [من هذه الطبقات] تركوها بدورهم [بعد فترة وجيزة] . أما الطبقات الفقيرة فقد كانت تستمر وتستمر ولم تلبث أن شكلت قوة ضاغطة داخل حركة القوميين العرب .

متى ابتدأت بدراسة الماركسية ــ اللينينية ؟ هل تذكر ذلك ؟

ــ لا اعتقد ان تجربتي الخاصة في هذا الخصوص تجربة تقليدية . اولا ، لقد كنت ولم أزل معجبا بالادباء السوفيات . غير ان اعجابي بهم كان مطلقا آنذاك . وقد ساعدني ذلك في اذابة الجليد بيني وبين الماركسية . وقد اطلعت على الماركسية في مرحلة مبكرة من خلال قراءاتي واعجابي بالكتاب السوفيات . ثانيا ، كان زوج شقيقتي قائدا شيوعيا بارزا . وكانت شقيقتي قد تزوجت عام ١٩٥٢ . وقد أثر زوج شقيقتي على حياتي في تلك المرحلة المبكرة . وايضا ، عندما ذهبت الى الكويت اقمت مع شبان اخرين في بيت واحد وكان مجموعنا سبعة أشخاص . وبعد بضعة اسابيع من وصولي اكتشفت بأن الستة الاخرين كانوا يشكلون خلية شيوعية . اذن باستطاعتي القول بأن اتصالاتي كانت ممتازة . وبالتالي باشرت بالقراءة عن الماركسية في مرحلة مبكرة جدا . ولا أدري كم استوعبت في ذلك الحين وفي تلك المرحلة، تحت تأثير تلك الانفعالات في ظل حركة القوميين العرب . ليس في وسعي ان اقيس مدى فهمي او استيعابي للمادة التي كنت اقرأها . غير ان المضمون لم يكن غريبا علي .

قد تكون هذه التأثيرات المبكرة هي التي جعلت قصصك [الاولى] متقدمة [بالنسبة لافكارك السياسية في حينها] . فاطلاعك على الادب السوفياتي واتصالاتك بالماركسيين انعكست على كتاباتك على ما أعتقد .

ــ لا أظن ان لهذه العوامل أسبقية . أظن أن التأثير الاكبر على كتاباتي يرجع الى الواقع نفسه: ما اشاهده ، تجارب اصدقائي وعائلتي واخوتي وتلامذتي ، تعايشي في المخيمات مع الفقر والبؤس. هذه هي العوامل التي أثرت في . ربما كان ولعي بالادب السوفياتي عائدا الى ان ذلك الادب يعبر عما كنت اشاهده في الواقع ، ويحلله ويعالجه ويصفه . ان اعجابي ما يزال مستمرا ، بالطبع . غير اني لا اعرف ما اذا كان للادب السوفياتي تأثير على كتاباتي . لا اعرف حجم هذا التأثير . غير اني افضل ان اقول بأن التأثير الاول لا يعود له ، بل يعود الى الواقع نفسه . لقد استوحيت كافة ابطال رواياتي من الواقع الذي كان يصدمني بقوة وليس من الخيال . كما انني لم أختر ابطالي لاسباب فنية [ادبية]. لقد كانوا جميعهم من المخيم وليس من خارجه . أما الشخصيات الفنية في قصصي الاولى فقد كانت دائما شريرة . وذلك عائد الى [تجربتي مع] مرؤوسي من العمل. اذن كان للحياة نفسها التأثير الاكبر [على كتاباتي].

كنت تنتمي الى الطبقة المتوسطة ولكنك انضممت الى البروليتاريا عندما كنت ولدا صغيرا .

ـــ نعم ، طبعا ، خلفيتي مرتبطة بالطبقة الوسطى اذ ان والدي كان ينتمي اليها قبل ان نذهب الى سوريا كلاجئين . وكان التصاق عائلتي بجذورها [الطبقية] بعيدا عن الواقع الذي لم تكن بينه وبين تلك الجذور اية صلة . وكان علينا ، نحن الاولاد ، ان ندفع ثمن هذا التناقض [بين الماضي والواقع] . وبالتالي ، أصبحت علاقتي [مع افراد طبقتي] علاقة عدوانية بدلا من أن تكون علاقة ودية . ولن ادعي بأني انضممت الى البروليتاريا. لم أكن بروليتاريا حقيقيا، بل انضممت الى ما نسميه في لغتنا بـ « البروليتاريا الرثة » التي لا يشكل افرادها جزءا من الجهاز المنتج فهم [يعيشون] على هامش البروليتاريا . غير أن ذلك ساعدني بعدها ، بالطبع ، على تفهم ايديولوجية البروليتاريا ، ولكن ليس بامكاني القول بأني كنت أشكل جزءا من البروليتاريا في ذلك الحين .

الا انك استطعت ، منذ البداية ، ان ترى الواقع في منظور المغلوبين على أمرهم .

ـــ نعم ، بوسعك ان تقول ذلك . غير ان مفهومي هذا لم يكن متبلورا بطريقة تحليلية علمية بل كان [مجرد تعبير عن] حالة عاطفية .

لننتقل الان الى عام ١٩٦٧ عندما ولدت «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» . ماذا كانت معتقدات هذه المنظمة وما هي الاسباب التي دعت الى خلق منظمة جديدة ؟

ـــ كما تعلم ، لم تكن الجبهة الشعبية منظمة جديدة . فهي تشكل أساسا الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب التي كنت عضوا فيها . وقد تطورت في البدء من خلال الحركة كما تطورت الحركة مع جميع اعضائها في عام ١٩٦٧ لقد انشأنا « الجبهة الشعبية » لان العالم العربي [أخذ] يحتل مركز الصدارة [في المعترك السياسي] . كما ان حجم الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب توسع جدا وطرأت تغييرات على قيادته وعقلية اعضائه . لذا انضممنا الى الجبهة الشعبية . وبالطبع ، انضممت انا شخصيا الى الجبهة لانني اعتقد بأن الجبهة كحزب تمثل مرحلة متقدمة نسبيا عن التنظيمات [السياسية] الاخرى في مجال العمل الفلسطيني . واعتقد ان بامكاني تحقيق تصوراتي المستقبلية من خلال هذا التنظيم . هذا هو السبب الرئيسي الذي دفعني الى الانضمام للجبهة الشعبية .

كيف تنظر الى دورك كرئيس تحرير صحيفة « الهدف » في هذا التنظيم ؟ هل لك ان تخبرني شيئا عن الطريقة التي تتبعونها لتعبئة الجماهير ؟

ـــ انا عضو في هذا التنظيم الذي يشكل في الواقع حزبا له نظامه الداخلي واستراتيجيته السياسية. كما أن له استراتيجية تنظيمية وقيادة تستند الى مبادىء ديمقراطية مركزية . لهذا ، عندما تسند لي القيادة هذا المركز بالذات ، فأن علي ان انجز برنامجا معينا . فانا عضو في اللجنة المركزية للاعلام في الجبهة الشعبية . « والهدف » تشكل جزءا من البنية الاعلامية للجبهة حسب مفهومنا للاعلام الذي لا يقتصر على الدعاية فقط بل يتعداها الى التثقيف والتعليم الخ... وانا لست مسؤولا عن الهدف ، فهذه المهمة مناطة باللجنة المركزية للاعلام ، وانا امثل هذه اللجنة في الصحيفة . عمليا ، يتوجب علي أن أعنى بالوجه التنظيمي لهذه المؤسسة [الهدف] . ولكن لدينا لجنة تقرأ « الهدف » وتقيمها وتكتب المقالات وتناقش الافتتاحيات . ويوجد داخل الجبهة عشر مؤسسات ودوائر مشابهة . وقد تكون مؤسستنا اصغر من المؤسسات الباقية . ولكن هناك دوائر ضمن الجبهة الشعبية تمارس نشاطات اجتماعية وسياسية داخل المخيمات . كما أن لدينا من يعمل في المجال العسكري وغيره . ويشكل كل منا جزءا مكملا للاخر . وبالطبع يستفيد العاملون في المجال التنظيمي ، اي في ترتيب المحاضرات والبرنامج التعليمي واللقاءات والاتصالات مع الجماهير من صحيفتنا للتعبير عن وجهة نظر الجبهة الشعبية . كما انهم يستشيروننا فيما يتعلق بالجماهير . اذن ، تقوم كافة الدوائر سوية ، نتيجة لهذه العلاقات الديلكتيكية بينها ، بحملة التعبئة الجماهيرية .

هل بامكانك ان تخبرني شيئا عن الصحيفة نفسها ؟

ـــ ان العمل [في الصحيفة] مرهق جدا . هذا هو شعوري الان وقد أتممت عدد هذا الاسبوع . انني أشعر بالارهاق وانه لامر مروع لاي كان أن يعمل في صحيفة كهذه . ففي اللحظة الذي تنتهي بها آخر جملة من العدد الاخر تجد نفسك فجأة تجاه عشرين صفحة فارغة عليك ان

تملأها . كما أن كل سطر وعنوان وصورة في الصحيفة تناقش من قبل [أعضاء] الجبهة ويرصد اقل خطأ كان . فالصحيفة اذن عرضة للنقد والعمل بها لا يشبه العمل في صحيفة عادية. ففي الصحيفة العادية عليك فقط ان تنجز عملك أما في صحيفتنا فان ادق التفاصيل توضع موضع النقاش من قبل الدوائر [المختلفة داخل الجبهة] اذ أنها تقرأ بأمعان . وبالتالي من الصعب جدا على الانسان ان يقوم بعمل متكامل امام هذه المحكمة الكبيرة التي تتألف من [سائر] اعضاء الجبهة . وبالتالي يشعر الانسان بأن عليه ان يبذل جهدا اكثر .

علاوة على ذلك ، نحن نعيش الان في بلد من البلدان النامية . وفي حركة المقاومة ، وفي تنظيم كتنظيمنا ، تحاول كافة الدوائر ان تستقطب « ذوي » المواهب والكفاءات ، مهما كانت ضئيلة، كي تنجز الاعمال التي تترتب عليها اذ أن انجاز الاعمال وتطبيق البرامج التي يكلف بها الانسان هي أشياء أساسية بالنسبة للفرد . ونحن ، في « الهدف » ، لدينا عدد ضئيل من الموظفين . وعندما نطلب من الجبهة ان تفرز لنا عددا أكبر من العاملين فان الجواب الذي نسمعه هو : « اعطونا اثنين او ثلاثة من موظفيكم ليعملوا في القواعد لان العمل في القواعد اهم من العمل في الصحيفة » . وبالتالي نخلد الى الصمت ، لئلا يسحبوا الموظفين منا . وانه لمن الصعب ان يصدق الاخرون بأن ثلاثة اشخاص فقط يقومون بتحرير الهدف . وهذه الحالة قائمة منذ ثلاث سنوات . ونحن نحصل على مساعدة [اضافية] من شخص رابع احيانا . غير انه يسحب منا ثم نحصل على غيره وتعاد الكرة من جديد . وبالتالي نحن لم نحصل في احسن الحالات على أكثر من اربعة أشخاص كان عليهم ان يملأوا عشرين صفحة .

اذن ، عليكم ان تعملوا نهارا وليلا .

— نعم ، لا اظن ان أيا من الرفاق يعمل اقل من ١٣ — ١٤ ساعة في اليوم . وذلك بلا توقف وبلا عطلة وبلا شفقة من الناقدين . فالناس في منظمتنا وفي الحكومة وفي الصحف الاخرى كانوا يوجهون النقد الينا .

هل تعتبر الهدف صحيفة متقدمة ، هل تعتقد بانها تقرأ كصحيفة متقدمة من زاوية سياسية نظرية ؟

— نعم ، واعتقد ايضا بأن ذلك يسبب مشكلة. وأنا لا احاول ان اثني على الصحيفة . ولكن من الصعب جدا ان يعبر المرء عن افكار سياسية ونظرية عميقة بأسلوب بسيط . وقليل من الناس يملكون هذه المقدرة . في الجبهة الشعبية لدينا شخصين باستطاعتهما التعبير عن افكار عميقة بأسلوب سهل بحيث يستوعبها جميع من يقرأها : احدهما جورج حبش . اما الاخر فهو احد القادة العسكريين الذي كتب كتابات بديعة . اما بالنسبة للباقين ، فالامر صعب وخصوصا اذا لم يكونوا قد مارسوا [الكتابة] من قبل . ونحن دوما نواجه انتقادات من القواعد مفادها ان استيعاب ما تكتبه صحيفتنا صعب جدا وان علينا ان نبسط الامور وان نكتب بطريقة سهلة .

لهذا يتطلب تحضير المقال وقتا طويلا اذ أن علي أن اراجع المقال وان أبسط بعض النقاط التي يطرحها بعد أن تتم كتابته . واظن ان انشاء صحف اخرى داخلية في الجبهة من شأنه ان يسهل علينا مهمتنا واستمرارنا في هذا الخط . فالصحيفة الداخلية بامكانها أن تعبر عن أشياء سهلة وافكار بسيطة . أما بالنسبة لصحيفة مركزية علنية معروفة كصحيفتنا فانه من الصعب علينا ان نتمثل بالصحف الداخلية لان علينا ان نتبنى خطا جديا . ولكننا نحاول [الان] ان نحدد من عدد المقالات التي تتناول افكارا سياسية معقدة بحيث تحتل هذه المقالات عددا قليلا من الصفحات ، ونركز على الحملات السياسية المباشرة .

هل تنشرون اعمالا ادبية : شعر وغيره في صحيفتكم ؟

— نحن نخصص صفحتين للادب والنقد السينمائي والفن المسرحي والرسم وغيره . واظن ان هاتين الصفحتين هما الاكثر رواجا لان الكثيرين من أعضاء الجبهة يتعرفون على خط التفكير اليساري من خلال هذه الصفحات .

هل نشرت انت شخصيا قصصا قصيرة ؟

— لم أجد الوقت الكافي للكتابة منذ مباشرتي العمل في « الهدف » . وفي الواقع ، لم انشر [مؤخرا] سوى قصتين عن امرأة مسنة اكتب عنها دائما [أم سعد] . لا أملك الوقت لممارسة الكتابة الادبية وهذا امر مزعج للغاية .

هل تحب الكتابة لانك تحبها ؟

ـــ عادة ، عندما افرغ من عملي في المكتب وأعود الى البيت ينتابني شعور بالارهاق مما يمنعني من ممارسة الكتابة . لذلك افضل القراءة . وطبعا يتوجب علي ان اقرأ مدة ساعتين يوميا اذ انه ليس بامكاني الاستمرار دون ذلك . ولكن بعد الانتهاء من القراءة أشعر بأن الاخلاد الى النوم او مشاهدة فيلم سخيف أفضل [بالنسبة لي] اذ أنني لا استطيع ان اكتب [بعد انتهائي من عملي].

هل تعتقد بأن آخر التطورات داخل الجبهة تنعكس في انها اصبحت تجمعا تكثر فيه المناظرات اكثر منها تجمعا يقوم بنشاطات عسكرية ؟

ـــ كلا ، لا أوافقك الرأي . والواقع اننا في الجبهة كنا نصر دائما على خط استراتيجي معين شعاره ان كل سياسي هو ايضا مقاتل وكل مقاتل هو سياسي . اما الظاهرة التي تشاهدها الان فهي ليست مقصورة علينا [على الجبهة] . فهذه الظاهرة مردها ان حركة المقاومة الفلسطينية تعيش الان حالة انحسار بسبب ظروف موضوعية تعمل على تحطيمنا في هذه الفترة من الزمن . ونحن نعيش حالة الانحسار هذه منذ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ مما يمنعنا من تصعيد نشاطاتنا العسكرية . ولكن ذلك لا يعني اننا سنتوقف عن العمل العسكري . هذا بالنسبة لحركة المقاومة عامة . اما بالنسبة للجبهة الشعبية بوجه التحديد ، فان عملياتنا العسكرية في غزة والضفة الغربية واسرائيل نفسها تصاعدت خلال السنتين الاخيرتين. ولكن اسرائيل تحاول طمس هذه العمليات . ولكننا نشيطون . كما ان لنا قواعد في جنوب لبنان ونحن نعد لحرب شعبية سرية ضد الرجعيين في الاردن . غير ان حالة الانحسار التي نعيشها والجو القمعي العام الذي تفرضه الحكومات العربية يؤثران على الرأي العام فيحسب الناس اننا توقفنا عن ممارسة النشاطات العسكرية . ولكن هذه النتيجة هي نتيجة خاطئة .

كيف اثرت حالة الانحسار ، في رأيك ، على الفرد الفلسطيني دون الاشارة الى خط سياسي معين ؟

ـــ الحركات السياسية شبيهة بالانسان . فعندما يكون الانسان معافى ومشهورا وغنيا يلتف حوله الاصدقاء ويسانده الجميع . ولكن عندما يشيخ ويمرض ويخسر أمواله ينفض الاصدقاء من حوله . ونحن الان [كحركة مقاومة] نمر في هذه المرحلة ـــ مرحلة الفتور ـــ ان صح التعبير . فالفرد الفلسطيني يشعر بأن الاحلام التي بناها في السنين القليلة الماضية قد تقوضت . وهذا شعور مؤلم ، كما تعلم . وانا أعتقد ، وأظن ان الكثيرين من الرفاق يشاطرونني الرأي ، بأن هذه المرحلة مؤقتة . فعندما يكتشف الفرد الفلسطيني بأننا نحارب عدوا كبيرا ليس بامكاننا ان نهزمه في بضع سنوات ، وبأن حربنا طويلة الامد ، وبأننا سنهزم مرارا ، عندها لن يكون ولاء الفرد الفلسطيني للثورة الفلسطينية هشا وعاطفيا كما هو الامر الان . اظن انه بوسعنا ان نعبىء الجماهير ثانية عندما نحقق اول نصر جديد لنا . وأنا واثق بأن هذا النصر قادم . ونحن لا نخشى « فترة الفتور » هذه كما يحلو لي أن أسميها . فهذا أمر طبيعي اذ ان القادة العرب ورجال الاعلام العربي قطعوا وعودا كثيرة للجماهير ومنوها بنصر سهل المنال . أما الان فقد اكتشف الكثيرون من العرب بأن هذه الوعود كانت خداعة . وبالتالي ، لا اظن ان هذه الظاهرة [أي الفتور لدى الفرد الفلسطيني] ظاهرة متأصلة مستمرة . فنحن نعلم بأننا سنجتاز هذه المرحلة في المستقبل وبأن ولاء الجماهير للثورة سيكون اقوى مما كان عليه .

هل كنت انت او هل كانت قيادة الجبهة متفائلة أكثر من اللزوم في عام ١٩٦٧ او ١٩٦٨ او ١٩٦٩ ؟ هل أعطيتم انتم وعودا اكبر من اللازم ؟ هل كنتم تنظرون الى هذا الصراع كصراع سهل ؟

ـــ كلا ، في الواقع كانت الجبهة الشعبية تحذر الجماهير من خلال وثائقها المكتوبة بأن المشكلة ليست مشكلة سهلة . كما انها كانت تنبههم الى انهم سيهزمون مرارا وسيواجهون حمامات الدم وكثيرا من المآسي والمذابح . طالما ذكرنا ذلك . ولكن عامة كانت قيادة الثورة الفلسطينية تلوح للجماهير بنصر سهل . أما فيما يتعلق بالتفاؤل ، نحن متفائلون جدا وأستطيع القول بأن وضعنا الان ، بالرغم من كوننا في الحضيض بالنسبة لنضالنا الصعب الان ، هو افضل مما كان عليه عام ١٩٦٧ او ١٩٦٨ او ١٩٦٩ وذلك من زاوية علمية وكحركة مقاومة تقيم من خلال حركتها التاريخية وليس من خلال ظواهرها الاستعراضية السطحية .

حديث مع يسرائيل شاحاك

الدكتور طالب يونس

في اليوم العاشر من نيسان (ابريل) ١٩٧٤ أجرى الدكتور طالب يونس ، الباحث العربي في لندن ، الحديث التالي مع الدكتور يسرائيل شاحاك ، رئيس لجنة حقوق الانسان الاسرائيلية . وقد خص د. يونس شؤون فلسطينية بالحوار الذي تاخر نشره لضرورات الطباعة . وتود شؤون فلسطينية ان تشير الى ان د. شاحاك لا يمثل ، بين يهود الارض المحتلة ، الا جماعة صغيرة جدا ، عدديا ونسبيا ، وانها تقصد ، في نشر الحديث معه ، اعطاء القارىء العربي صورة عما يفكر به هذا الرجل المعارض لسياسة «اسرائيل» والذي يعبر عن معارضته عادة بنشاطات ومواقف جريئة وصريحة.

ـ لم أعد أسئلة معينة . ولكن هل بالامكان ان نبتدىء بحرب تشرين الاول (أوكتوبر) ومضاعفاتها ؟ والذي يهمني بوجه التحديد هو رأيك بالنسبة لتاثيرات الحرب على اسرائيل من النواحي التالية : أولا : ردة الفعل داخل اسرائيل . مثلا : سلوك الحكومة اثناء الحرب ، ردات الفعل النفسية ، التطلعات الطويلة الامد والمطالب [المطروحة] ، كاستقالة دايان .

● هل تعتقد فعلا بأن لهذه [الامور] اهمية بالغة ؟ انها تكون قد اصبحت في طي النسيان عندما يحين الوقت لنشرها في « شؤون فلسطينية » . انني أعير اهتماما اكبر لتطلعات الفلسطينيين الطويلة الامد وأوضاعهم في الاراضي المحتلة الخ...

ـ في الحقيقة ، كنت على وشك ان اطرح هذا الموضوع ولكن ، كما تعلم [نحن] نسمع الكثير عن ردة الفعل [بالنسبة للحرب] داخل اسرائيل وعن الشعب الاسرائيلي وعن الحرب ذاتها . غير أننا لا نعرف ما اذا كان ذلك مبالغا فيه أم لا .

● الحرب لم تبدل شيئا هذه المرة . وردة الفعل بالنسبة للحرب كما هي ، والبنيان الداخلي لحزب العمل الاسرائيلي يتصدع . ولكن اساسا لم يتحسن موقف الاسرائيليين بالنسبة للفلسطينيين بل ازداد سوءا . انني لا أتوقع في الوقت الحاضر ان يقوم بين غالبية اليهود أي تحرك كان تجاه تسوية معقولة للفلسطينيين . فالحالة أسوأ من هذه الناحية وليست أفضل [مما كانت عليه] قبل حرب تشرين الاول (أوكتوبر) .

ـ اذا انتقلنا الى قضية الاراضي المحتلة فماذا يمكننا أن نستنتج بالنسبة لموقف غالبية الاسرائيليين من التسوية ؟ هل ازداد موقفهم تصلبا ؟ هل بقي كما هو ؟ هل لان ؟

● المناطق المحتلة [لا تطرح] مشكلة واحدة بل مشكلتين ، في وجهة نظر غالبية الاسرائيليين . أولا : هناك الاراضي التي تشمل ، في نظرهم ، ما يسمونه « بأرض اسرائيل » والتي تغطي سائر [أراضي] فلسطين ومرتفعات الجولان والجزء الشمالي من سيناء والاراضي السورية التي احتلت مؤخرا . بالنسبة لهذه الاراضي ، ان الأغلبية الساحقة من الاحزاب الصهيونية لن توافق ، في تقديري ، على تسوية معقولة . والفلسطينيون الكثيرون الذين يضعون في حسابهم انه بالامكان التفاهم مع « الحمائم » أمثال ألون وايبان يرتكبون خطأ واضحا . وهم يجهلون ما يجري . فقد [يوافق الاسرائيليون] على تسوية ما ، ولكن فيما يتعلق بجنوب سيناء [فقط] .

ـ وهذا لن يرضي الفلسطينيين .

● ليس ذلك فحسب ، بل انه لا يشكل حتى خطوة رمزية تجاه [الوصول الى تسوية] مع

الفلسطينيين . فقبل اسبوع فقط كان ديان في واشنطن حيث صرح بأن الاستيطان اليهودي في الاراضي المحتلة يجب ان يستمر . فالمسألة اذن لا تنحصر في عدم امكانية الوصول الى تسوية [مع الاسرائيليين] بل تتعلق ايضا بأوضاع الفلسطينيين السيئة جدا في الاراضي المحتلة ، الامر الذي يجب ان يطلع عليه الفلسطينيون في الخارج . فالبنيان القومي للفلسطينيين [داخل الاراضي المحتلة] ينهار تدريجيا . فالمفكرون يضطهدون ، والفلاحون يجردون من املاكهم ويتحولون الى عمال في اسرائيل . والاراضي تصادر . وهذا يشكل في الحقيقة حربا ضد الامة [الفلسطينية] . ولن يتغير هذا الوضع في المستقبل القريب .

ـ هنالك اذن مشكلة ليس فقط بالنسبة لمطالب الفلسطينيين القصوى فحسب ، بل بالنسبة لمطالبهم المعقولة حيث ان الاسرائيليين غير مستعدين للقبول بحل وسط يقدم حدا أدنى من التنازلات . الاسرائيليون ليس عندهم استعداد للنظر في هذا الامر .

● الحكومة الاسرائيلية ومعظم الاحزاب غير مستعدة لتقديم أية تنازلات معقولة في رأيي . فهذا الوضع ما زال قائما منذ عشرين سنة ، ولم يطرأ عليه أي تغيير فعلي . واني لاتساءل ما الذي يدفع مجموعة معينة من الفلسطينيين فجأة الى الاعتقاد بأن أولئك المعروفين بالصهاينة المعتدلين مستعدون لان [يعطوا] تنازلات أكثر . هذا في رأيي خطأ .

ـ اذن ما وراء فكرة ايجاد دولة فلسطينية صغيرة في الضفة الغربية تحت اشراف الولايات المتحدة أو الدول الكبرى ، لقد اصبحت هذه الفكرة موضع التداول مؤخرا . ونحن لا نعرف ما هو موقف الفلسطينيين ، ولكن ما هو موقف الاسرائيليين ـ لا أعني الحكومة فقط بل الشعب ؟

● هنالك قطاع صغير من الشعب الاسرائيلي يتراوح بين ١٠ ـ ١٥ بالمئة من مجموع السكان يرغب في الوصول الى تسوية مع الفلسطينيين ويساند الدولة الفلسطينية . ولكن ما يعنينا هنا هو الاقلية ونحن هنا في صدد الاقلية لا الاغلبية وتشكل الاقلية الان فئة ضعيفة وصغيرة عدديا . والحق ان غلطة الفلسطينيين تكمن هنا . اذ ان على الفلسطينيين ان لا يتعاونوا مع الاغلبية ومع « الحمائم » [المشاركين] في الحكم . بل يتوجب عليهم ان يعيروا انتباههم للاقلية من الاسرائيليين الذين يكافحون الان وأبدا ضد تدمير بيوت الفلسطينيين على سبيل المثال . ولكن بعض الفلسطينيين يرغبون في دخول اللعبة السياسية والتعامل مع ما يسمى الصهيونية المعتدلة . وأنا أقول لهم انهم على خطأ فهم يرتكبون حماقة .

ـ ما الخيار اذن ، في رأيك ؟

● على الفلسطينيين ان يتعاونوا مع الاسرائيليين الذين كانوا يدافعون باستمرار ، خلال الاعوام الستة او السبعة الماضية ، عن حقوق الفلسطينيين [بصفة خاصة] وحقوق الانسان بصفة عامة ، اولئك الذين عارضوا ، وما زالوا يعارضون الاعمال التعسفية التي تتبناها الحكومة الاسرائيلية . ذلك بالرغم من أن هذه الفئة تشكل أقلية عددية . ثم ان على الفلسطينيين أن يتجنبوا التعاون مع الذين يشاركون في الحكم في اسرائيل والذين أسهموا في كافة الجرائم [التي ارتكبت] ضد الشعب الفلسطيني . فهم سيصابون بخيبة أمل ان فعلوا ذلك . ومن الجنون ان ينتظر الفلسطينيون ان يمنحهم ألون أو ايبان أو دايان ايا من حقوقهم . فهؤلاء لن يعطوهم شيئا .

ـ غير اننا نعرف بأن السادات يشدد بوضوح على ان فك الارتباط يعتبر مرحليا ما لم تحقق مطالب الفلسطينيين . فهو بالتالي ليس ملزما ادبيا بالاستمرار في مفاوضات السلام [ما لم يحقق هذا الشرط]. والسادات يردد دائما: « الفلسطينيون، كما نردد دائما ، كانوا وسيبقون جوهر المشكلة ». فاذا افترضنا ان القيادة الاسرائيلية أساسا ليست مستعدة لتقديم تنازلات للفلسطينيين ، فهل بالامكان أن ترغمها الظروف على ذلك ؟

● لن يتحقق هذا الامر ما لم يطرأ تغيير فعلي وعلني على سياسة الولايات المتحدة . ولا توجد الان اية مؤشرات من هذا القبيل . وسيحدث تغيير [في وجهة النظر الاميركية] عندما تعلق الولايات المتحدة على تدمير البيوت وطرد الاهالي منها . وسيحدث تغيير عندما تعلن الولايات المتحدة ان المناطق المحتلة غير تابعة لاسرائيل . وحتى الان لم يصدر عنها اي تصريح من هذا النوع .

ـ ولكن رسميا ، عفوا لمقاطعتك ، رسميا (وأشدد على « رسميا ») لم تقر الولايات المتحدة

الوضع [الراهن] للاراضي المحتلة .

● أنت مخطىء . فمنذ حرب تشرين الاول (اوكتوبر) دأبت الولايات المتحدة على استعمال كلمة « اسرائيل » في تصريحاتها الرسمية وذلك اشارة الى الاراضي المحتلة . ومن السهل التحقق من ذلك منذ تشرين الاول (اوكتوبر) وصاعدا . فالاصطلاح الجغرافي « اسرائيل والمناطق المحتلة » لم يرد قط [في التصريحات الاميركية التي صدرت بعد الحرب] .

ـ هذا يشكل معضلة اذن . فموقف القيادة الاسرائيلية لم ولن يتبدل . كذلك الامر بالنسبة لاميركا .

● قد يتبدل الوضع في غضون سنة او ما يقارب ذلك .

ـ قد يتبدل الوضع . الا انك تتنبأ بأن التحول في المستقبل القريب سيكون قليلا ؟

● نعم .

ـ توجد جماعة من الفلسطينيين الان ممن يشعرون بأن عصفورا في اليد خير من عشرة على الشجرة .

● بشرط ان تحصل عليه .

ـ بشرط ان تحصل عليه . واقامة دولة فلسطينية ليس ضمن تصورات الاسرائيليين ، في رأيك ، فهم لن يأخذوا هذا الحل بعين الاعتبار .

● ان غالبية الاحزاب الاسرائيلية ، ستعارض ، بالطبع ، [اقامة] اية دولة فلسطينية على الاطلاق . فضم غزة [مثلا] أقر من قبل سائر الاحزاب الصهيونية ، بل سائر الاحزاب الممثلة في الحكم . وحتى الشروط المطروحة بالنسبة للضفة الغربية تستثني الدولة الفلسطينية . فالاحزاب الصهيونية [مستعدة] لأن تعيد فقط جزءا من الضفة الغربية للملك حسين . لنتناول ، مثلا ، الشروط الفعلية التي وضعها السيد رابين ، الذي يفترض الكثيرون خطأ انه من « الحمائم » . يقول رابين ان الشرط المسبق لتحقيق اي نوع من السلم مع العرب (ولم يقل الفلسطينيين) يوجب على العرب القبول باستمرار الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية لفترة قد تبلغ الثلاثين عاما . وقد صرح رابين بذلك في أوائل آذار (مارس) . والحقيقة ، هذا البند موجود هنا وبامكانك ان تتحقق من [صحة] هذه المعلومات بنفسك .

ـ دكتور شاحاك ، انت تستعمل الاصلاحيين « الصقور » و « الحمائم » اشارة الى السياسيين الاسرائيليين . ولكن هل يوجد فعلا فرق مميز وواضح بين الفريقين فيما يتعلق [بموقفهم] من الفلسطينيين ؟

● نعم . [هنالك فرق] ليس بالنسبة للفلسطينيين بل بالنسبة للعرب بشكل عام . فالفريقان اجمالا متفقان فيما يتعلق بالفلسطينيين . [اما فيما يتعلق بباقي العرب] فهنالك موقفان : من الاسرائيليين من يرغب في الاستيلاء على المزيد [من الاراضي] . فالسيد بيغن والسيد شارون يشيرون الى اسرائيل الحالية والاراضي المحتلة بعبارة « أرض ـ اسرائيل الغربية » وهذا يعني انهم يعتبرون الضفة الشرقية للاردن ، وبالمناسبة ، جنوب سوريا أيضا ، جزءا مكملا من « أرض اسرائيل » . وبالتالي يجب الاستيلاء على هذه الاراضي في اقرب فرصة سانحة .

ـ أليس ذلك دليلا على قصر نظر من الجانب الاسرائيلي ؟

● ان الكثير من اعمال الاسرائيليين تبرهن عن قصر نظر . ان آخر صهيوني كان يتحلى بشيء من الواقعية ، بن غوريون ، توفي . اما السياسيون الباقون ، فكثير منهم يتصفون بقصر النظر .

ـ يقول البعض ان ضعف الحكومة العمالية بالذات ، أي [ضعف] التحالف العمالي القائم يشكل عقبة في طريق ايجاد حل وسط بالنسبة للاقتراحات المطروحة لايجاد كيان جغرافي للفلسطينيين .

● هذا صحيح الى حد ما . انني في الحقيقة لا اعتقد بأن لاي حزب اسرائيلي له أهميته ، اي حزب يشارك في الحكم ـ او يميل نحو اليمين له استعداد لاجراء « تنازلات » فعلية للفلسطينيين ما لم تجبره الولايات المتحدة على ذلك .

ـ هذا محزن جدا . فقد نشبت حتى الان اربع حروب [بين العرب والاسرائيليين] . ولقد كانت الحرب الاخيرة هي الاشد ضراوة ، في رأيي . ولا يسعنا هنا الا ان نتساءل هل الحرب هي المخرج الوحيد لهذه المشكلة ؟ فالذي دفعني الى اثارة

موضوع موقف الاسرائيليين من الحرب يعود الى رغبتي بالافصاح عما سمعته . اما بالنسبة للعرب فقد كان شعورهم بهذا الصدد بأن عليهم ان يخوضوا الحرب بغية استرجاع حقوقهم اذا كان ذلك ضروريا ، كما قال السادات . فقد يكون المرء ضد الحرب مبدئيا الا انه قد يلجأ اليها كحل أخير . وقد برهنت الحرب [الاخيرة] على ان اعتماد اسرائيل على القوة وحدها ان اسرائيل كانت على خطأ . أليس بوسع القيادات الاسرائيلية التي تثير موضوع الأمن وغيره دائما ان تنظر الى المستقبل وتدرك ان ميزان القوى يتغير ؟

● لا أظن . ان كنت تعني « بالقيادات » الاحزاب الكبرى التي تشارك في الحكم ، لا أظن ان هؤلاء سيعمون ان ميزان القوى يتغير . وهم بالتأكيد لا يدركون ذلك في الوقت الحاضر . وبالطبع يجب عمل شيء ما ، تحرك سياسي ، وانا لا اقول ان ذلك بديل للحرب . لست أكيدا بأن هذا يشكل خيارا . غير ان العمل السياسي قد يحسن الاوضاع على الاقل . [يجب ان يتمثل هذا التحرك السياسي] بتحالف الفلسطينيين مع أصدقائهم ، الذين ذكرتهم ، أي اولئك الذين يدافعون عن حقوق الفلسطينيين الانسانية والسياسية ضمن اطار حركة سياسية حيث يعمل اليهود والفلسطينيون كجبهة مشتركة من اجل تحقيق مطالب الفلسطينيين، مثل الحق في تقرير المصير ، والعمل ضد اضطهاد الفلسطينيين داخل الارض المحتلة — اي مبادىء عامة . عندها سيتمكن الفلسطينيون من معرفة أصدقائهم وأعدائهم . وعندها عليهم ان يتحالفوا مع أصدقائهم .

— انا واثق من ان الفلسطينيين يدركون [أهمية] الجهود التي يبذلها الاخرون ، أمثالك ، في سبيلهم . كما انني واثق بانهم يقدرون هذه الجهود . ولكن ، هل هذا كاف بحد ذاته ؟ ذلك لان دايان سيستمر في خلق « حقائق جديدة » في الاراضي المحتلة ، بضم مزيد من الاراضي وطرد المزيد من الفلسطينيين وتدمير عدد اكبر من القرى .

● غير ان العمل السياسي أفضل. فالفلسطينيون غير قادرين الان على عمل أي شيء بالنسبة لدايان أو بيغن او شارون لان حكومة الولايات المتحدة وجيوشها النظامية فقط يخيفان دايان وبيغن وشارون . أما بالنسبة لقوات الفلسطينيين الان أو تلك التي سيحصلون عليها في المستقبل ، فهي لن تضاهي قوات الجيش السوري او المصري عسكريا وبالتالي يتوجب على الفلسطينيين ان يستغلوا طاقاتهم الكامنة ، ومنها قدرتهم على شن حملات سياسية واستصراخ الرأي العام العالمي والتحالف مع اصدقائهم في اسرائيل . هذه هي امكانياتهم ، وعليهم ان يستغلوها . صحيح ان العمل السياسي بطيء كما انه قد لا يغني عن نشوب حرب جديدة . لكنني لا أجد مخرجا آخر . وأكرر ، بالنسبة لضرورة التركيز على العمل السياسي ، الفلسطينيون في الخارج لا يساعدون اخوانهم في الارض المحتلة بما فيه الكفاية . فاخوانهم في رام الله ونابلس وغزة وطبعا في قرى اخرى عديدة يضطهدون ويتعرضون للظلم في هذه اللحظة بالذات . كما ان بيوتهم تهدم . وبالاضافة الى ذلك ، يتعرضون هم شخصيا للضرب . فلماذا لا تنظمون مظاهرة كبيرة من أجل كل بيت يهدم من بيوت اخوانكم ومن اجل الاطفال الفلسطينيين الذين يلقى بهم في الشارع يوميا . فبدلا [من الاكتفاء] بالتكلم والاعتراض ، على الفلسطينيين خارج الارض المحتلة ان يتظاهروا من اجل كل بيت فلسطيني يفجر وكل طفل يلقى في الشارع .

— هذا يعني ان على الفلسطينيين ان يقوموا بتظاهرة يوميا .

● هذا ما أرمي اليه بالضبط . في رأيي ، على الفلسطينيين ان يقوموا بمظاهرة دائمة في مكان معروف مثل مقر الامم المتحدة او ساحة البيكاديلي [في لندن] دفاعا عن حقهم في تقرير المصير . وباستطاعة الفلسطينيين ان يرفعوا لافتة جديدة كل يوم . فهنا تكمن قوتهم .

— من البديهي أن هذه احدى الطرق [لمعالجة الوضع] . ولكن هل نظن ان هذا وحده ...

● هذا يشكل منطلقا . وهو هام للفلسطينيين في رام الله ونابلس [مثلا] من الناحية النفسية والسياسية . فعندما يهدم بيت في رام الله ، يتساءل الفلسطينيون هناك : ترى ماذا يفعل اخواننا في لندن احتجاجا على ما حل بهذا البيت . وانتم عليكم ان تبرهنوا لهم بأنكم تحتجون باستمرار ضد كل عمل تعسفي [يرتكب في حقهم] .

— الفلسطينيون يتظاهرون في لندن . ولكن ، كما تعلم ، على الاجنبي ان يتقيد بقوانين البلد الذي

يقيم به . انعد الان الى موضوع الفلسطينيين في الشرق الاوسط ، داخل الاراضي المحتلة او خارجها . لقد قر قرارهم على ان الكفاح المسلح هو المخرج الوحيد بعد أن لجأوا الى الرأي العام العالمي ووسائل اخرى عديدة دون جدوى . هل تظن ان لجوء الفلسطينيين الى حمل السلاح هو الشرارة الوحيدة التي تجرت الوضع الراهن ؟

● لقد لجأ الفلسطينيون الى الكفاح المسلح منذ فترة طويلة . ان باستطاعتي تفهم هذا الجانب من الكفاح المسلح . وانا أقر كليا حق الفلسطينيين في حمل السلاح . وكما اعترف بحق شعب فيتنام الشمالية والشعب الجزائري بالتحرير كذلك أقر هذا الحق للفلسطينيين .

— ان لم تسفر مساعي السلم الحالية عن نتيجة ملموسة ، فما هي تقديراتك الشخصية فيما يتعلق بمستقبل المنطقة ؟

● ان الاحتمال المرجح ، في رأيي ، هو اندلاع الحرب مجددا في المستقبل القريب — في غضون سنة ، قبل ربيع ١٩٧٥ .

— بين الان وذلك الحين. هذا يعني ان مصر...

● لا أستطيع التكهن بالشكل الذي تتخذه هذه الحرب . ولكنها ستتخذ شكلا ما . وما علي الا ان اردد مقتطفات من المقالات العديدة التي وردت في الصحافة الاسرائيلية مطالبة باسترداد اسرائيل « لقوتها الرادعة » ، كما اشير اليها [في هذه المقالات] . ان المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة ترغب في شن حرب ما . وتبقى ماهية هذه الحرب موضع التساؤل .

— والغرض من هذه الحرب هو اعادة الوضع الى ما كان عليه حيث كانت اسرائيل متفوقة عسكريا على البلدان العربية ؟

● كلا . [فقط] استرجاع قوة اسرائيل الرادعة . فليس بامكان اي شخص في اسرائيل اليوم الادعاء بأن اسرائيل خرجت من الحرب الاخيرة منتصرة . فقد حاول الاسرائيليون ترويج هذا الادعاء في تشرين الثاني (نوفمبر) غير انهم يعرفون الان بأن الحرب كانت ، في افضل الاحتمالات ، ورطة [بالنسبة لهم] . وكثير من الاسرائيليين، بالاضافة الى معظم الذين ينتمون الى المؤسسة الحاكمة يرتأون انه من الضروري ان تخوض اسرائيل حربا اخرى كي تظهر بمظهر المنتصر — كي تتاح لها الفرصة لان تحرز انتصارا قاطعا .

— انتصارا شاملا ؟

● نعم .

— وماذا سيكون موقف الدول الكبرى في هذه الحالة ؟

● لقد قدمت لتوي من واشنطن ، كما تعلم . ان السلطة الحالية ، في رأيي ، موافقة اجمالا . فالدكتور كيسينجر سيوافق . اما اذا أراد ان يتفادى هذه الحرب ، ففي وسعه تحقيق ذلك ببضع كلمات . غير انه لن يحاول تفادي الحرب . وانا أعتقد بأن الاستعدادات لها قائمة وكيسينجر يعرف ذلك تمام المعرفة .

— اذن ، ماذا يمكننا ان نستنتج بأن كيسينجر خدع المصريين ، او انه كان مخلصا ؟ فما قاله الرئيس السادات مفاده انه [أي السادات] يعتقد بأن على كيسينجر ان يكون صادقا في محاولاته لاحلال السلم في الشرق الاوسط ، وذلك مراعاة للمصالح الاميركية المهددة ، نتيجة لحظر النفط بوجه خاص .

● ربما كان السادات قد صرح بشيء ما بينما صرح حسنين هيكل ، الذي اكن له قسطا وافرا من الاحترام بتصريح مختلف (بهذا الصدد) . قد تكون على حق . فمن الصعب معرفة الحقيقة في السياسة . ربما يحاول السادات ان يتيح فرصة امام مساعي كيسنجر . وقد لا يكون السادات نفسه مقتنعا بتلك المساعي . ربما كان محقا — اما فيما يتعلق بنوايا كيسنجر ، فانا أميل الى تصديق ما تقوله رئيسة وزراء اسرائيل، غولدا مئير ، بهذا الصدد ، اكثر مما يقوله السادات . وذلك لان لديها فرصا اكثر للاطلاع على النوايا الحقيقية لحكومة الولايات المتحدة . وما صرحت به غولدا مئير يختلف عما قاله السادات . فقد صرحت بان كيسنجر يدعم تعزيز قوة اسرائيل وضمان امنها ، وانا اميل الى تصديق مئير اكثر من السادات فيما يتعلق بموضوع كيسنجر .

أستنتج انها صرحت بما اشرت اليه علنا ؟

● نعم ، لقد رددت نفس الكلام الذي قاله

السادات : كيسنجر الى **جانبنا** وهو **يساعدنا** الخ ... لا بد ان احدهما على خطأ . وبالتالي ، اذا قلنا ان السادات لم يخدع فلا بد ان غولدا مئير خدعت ، لان كيسنجر قطع لهما عهودا متناقضة . واظن ان الوعود الحقيقية قطعها كيسنجر لمئير .

— اذا كان الامريكيون سيتبعون الخطالسياسي الذي تتحدث عنه فسوف يسبب ذلك ردة فعل كبيرة ضدهم في العالم العربي . وكما اشرت ، الاراء تختلف بصدد نوايا امريكا . واذا وجد العرب ان امريكا قد غررت بهم مجددا ، اظن انهم سيعيدون النظر كليا في تنظيمهم السياسي ، ولن يكون ذلك في صالح امريكا . هل تظن ان ذلك سيروق للامريكيين ؟

● لا أظن ان ذلك سيروقهم . ولكن ، وارجو ان لا تعتبر ما سأقوله اهانة للعرب — الامريكيون يقولون بان العرب تقبلوا الكثير في الماضي — خطة روجرز مثلا . فأميركا قد غررت بالعرب فعلا عدة مرات في السابق ليس فقط اثناء حرب الايام الستة وبعدها بل طوال فترة المناورات التي اجراها روجرز . كما ان اتفاق وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية عام ١٩٧٠ كان عبارة عن تنفيذ لخطة روجرز . فما الذي حدث بعد ذلك ؟ اظن ان التاريخ يعيد نفسه .

— هذه المرة تعاد الكرة بحذاقة بالغة .

● نعم ، فعلا بحذاقة اكثر — فكيسنجر اذكى من روجرز بكثير . ولكن ، اساسا ، تتكرر اللعبة ذاتها . واظن ان العرب ، واستيحك عذرا لهذا القول — سيخدعون مرة اخرى . وقد يثير ذلك ضجة في بادىء الامر ، فرض حظر النفط او شيء من هذا القبيل — ولكن ...

— كنت على وشك ان اثير موضوع حظر النفط. لقد اختلفت الاراء بالنسبة لرفع الحظر عنالولايات المتحدة او الاستمرار به الى ما لا نهاية . وقد اجمعت الاكثرية هذه المرة على ضرورة رفع الحظر لان الولايات المتحدة قد اتخذت ، على الاقل ، مبادرة [لحل الازمة] بينما ارتات الاقلية بان هذه المبادرة غير كافية اذ انه يجب ان يتم انسحاب كامل من الاراضي المحتلة . أولا . والولايات المتحدة وحدها قادرة على تحقيق ذلك . وانا ، من جهتي ، اوافقك على آرائك بشان روجرز والماضي الخ ... لكنني اعتقد بانه اذا كانت الجولة المقبلة على غرار الجولة السابقة فسيكون استعمال سلاح النفط اشد فعالية وتاثيرا من السابق .

● انني لا اشاطرك الرأي . وقد يثير ذلك عجبك . غير ان هذا ان يتكرر . فسيفرض الحظر وستقطع امريكا الوعود ثانية وستعاد الكرة من جديد .

— ما هي المكاسب التي يمكن أن يحققها الاسرائيليون نتيجة لحرب اخرى ، بصرف النظر عن الاعتبارات الجغرافية والسياسية .

● اذا خرجت اسرائيل منتصرة من الحرب فسيحقق الصهيونيون مكاسب وافرة .

— ماذا لو هزمت اسرائيل — عمليا ؟

● هذا احتمال يرد في خواطر اشخاص مثلي فقط.

— غير انه احتمال وارد — ذلك بالرغم من انه من المتوقع ان يحاول شخص كدايان فرض نفسه عندما يجد ان مركزه مهدد بسبب الحرب الاخيرة .

● دايان في طريقه الى الزوال . فلا داع اذن لان نضيع الوقت بالتحدث عنه . غير ان المؤسسة العسكرية [في اسرائيل] تحسب بان الحرب لم تجر على ما يرام بسبب اخطاء فنية بالامكان تداركها في الجولة القادمة وبالتالي ، ستنتصر اسرائيل . وهذا الموضوع ، في رأيي ، قابل للنقاش . لكنه يمثل وجهة نظر الاسرائيليين . اما الحرب — من الصعب التكهن بالنسبة للحرب . الا ان المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة ما زالت تؤمن بفرضيتها السائدة منذ اكثر من عشرين عاما ، وهي فرضية بسيطة مفادها ان « العربي يظل ابدا عربيا » . وهذا الموقف العنصري هو اساس كل شيء . وهو لا يزال قائما . وعلى الفلسطينيين والعرب ان يعوا ذلك .

— ماذا بالنسبة لموقف الاقليات — اليهود الشرقيين وغيرهم ؟

● هؤلاء ايضا ينتهجون المنهج نفسه .

— غير انهم مظلومون ومضطهدون ؟

● انهم مظلومون ، لكنهم يظلمون الاخرين . فالافنياء من البيض في الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة يضطهدون الفقراء من البيت . وهؤلاء ،

بدورهم ، يضطهدون السود اكثر . اما الوضع الان فهو يتلخص بان اليهود الشرقيين يشغلون المركز الوسط ، فهنالك اكثر من مليون فلسطيني في الاراضي المحتلة ، واليهود الشرقيون يضطهدونهم . كما ان اليهود الشرقيين ألفوا ظروف القهر التي يعيشونها . واظن ان اقناعهم سيتطلب وقتا .

ـ اقناعهم بتغيير موقفهم ؟ ما يتبادر الى ذهني الان هو حركة الفهود السود .

● نعم ، حملهم على تغيير موقفهم . فحركة الفهود السود وما يشابهها تنبع عن الاقلية .ونحن هنا بصدد الاغلبية وليس الاقلية .

واسمح لي ان احيد عن الموضوع هنا ، ان اللائمة تقع على بعض العرب ايضا . فقسم كبير من اليهود الشرقيين هم أصلا يهود عراقيون . وانها لحقيقة ثابتة بان الحكومة العراقية ، بالتواطؤ مع الحركة الصهيونية ، طردت هؤلاء اليهود من العراق اثناء حكم نوري السعيد عام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ . فاذا حاولت الحكومة العراقية الحالية ان تقدم ترضيات (ولو كلامية) لهؤلاء اليهود ، لو اعلنت الحكومة بان طرد الصهيونيين ونوري السعيد لليهود كان خطأ وانهم يشعرون بان ذلك خطأ ، عندها ...

ـ ماذا سيكون موقف الصهيونيين من ذلك ؟ ماذا سيقولون اذا اعلنت الحكومة العراقية بانها اخطأت بحق اليهود وانها ستكفر عن ذلك بصرف مبلغ معين من التعويضات .

ـ لن تتخذ هذه الترضية شكل تعويضات . فالغرض من ورائها ليس التعويض فحسب بل الاجهار بان الحكومة العراقية تعترف بهؤلاء اليهود كزملاء عراقيين . وعندها سيستعيد الكثير من اليهود الذين كانت لهم ذكريات حلوة وسعيدة في العراق ايامهم الماضية وسيحملون اللائمة للرجعيين العرب ، امثال نوري السعيد ، الذين تواطأوا مع الصهيونيين لطردهم اليهود .وسيعرف هؤلاء ، عندها ، بان تغيرا طرأ على الحكومة والشعب العراقي .

ـ هل يعني هذا ان بعض اليهود العراقيين قد يقررون العودة الى العراق .

ـ ربما ، فمنعهم من ذلك هو اجحاف بحقوقهم الانسانية ، فانا ان قلت في اسرائيل او اي مكان اخر ان لكل فلسطيني حق العودة الى مسقط رأسه ، فيجب ان يطبق المثل على اليهودي العراقي . فاذا كانت بغداد مسقط رأسه ، فيجب ان يكون له الحق الكامل بالعودة اليها ان رغب في ذلك . وهذا ، بالمناسبة ، موضوع يرد في جميع لقاءاتي مع اليهود الشرقيين . فهم يقولون لي : « حسنا » ، انت ترغب بعودة الفلسطينيين الى يافا . فلم لا يمنح لنا حقا مماثلا بالرجوع الى بغداد اذا ما رغبنا الرجوع ؟ وبالفعل ، يجب ان يكون لليهود العراقيين هذا الحق .

ـ ولكنهم يقولون ذلك حتما من باب الجدل فقط .

ـ قد تعود اقلية ضئيلة في تقديري . وما يلي ذلك سيعتمد على وضعية الافراد العائدين .

ـ ولكن بالتاكيد ، ليس بالامكان تطبيق القانون نفسه على الحالتين . فنحن بصدد طرد شعب برمته عندما نتحدث عن الفلسطينيين . اما عندما نتحدث عن مواطنين يهود في العراق او تونس او المغرب فنحن بصدد افراد .

ـ لا اوافقك الرأي . اظن انه بالامكان تطبيق هذا القانون على الحالتين . فالشعوب مؤلفة من افراد ، وللافراد افضلية ، فانا شخصيا ، اعطي الافراد اسبقية بالرغم من تفرغي للحقوق القومية . وأحد الامور الايجابية التي يمكن للفلسطينيين والحركة الفلسطينية القيام بها لاقناع الاسرائيليين [بحسن نواياهم تجاه اليهود] هي الاجهار بدون تحفظ بانهم يدعمون حقوق اليهود الشخصية والبرهان عن ذلك باقناع اخوانهم العراقيين بوجهة نظرهم .

ـ ولكن هدف الفلسطينيين النهائي ، وقد يكون ذلك هدفا مثاليا ، يتلخص في ان الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية يتمثل في اقامة دولة علمانية ، دولة مقصورة على فئة مصطفاة ...

ـ انا لا اتحدث عن هذا الجانب . هنالك صلات وثيقة بين القيادة الفلسطينية والاوساط العراقية . وعلى القادة الفلسطينيين ان يصرحوا علنا اثناء زياراتهم العديدة لبغداد : كما ان للفرد الفلسطيني حقوقه الوطنية التي تشمل حقه في

العودة الى مسقط رأسه ، كذلك الفرد اليهودي، وانتم في نظرنا ، مخطئين لمنعكم اليهود من العودة الى بغداد او البصرة اذا ما رغبوا في ذلك .

● انني غير متأكد قط مما اذا كان اي يهودي اسرائيلي قد قدم فعلا طلبا للرجوع الى العراق ورد طلبه .

— اولا ، لا يمكن لليهودي الاسرائيلي ان يقدم طلبا بهذا الخصوص لان تبعيته العراقية الغيت . فهو اجنبي [بالنسبة للحكومة العراقية] . وكما ترى ، يعني ذلك ان الحكومة العراقية قد عاملت الاسرائيلي اليهودي تماما كما تعامل الحكومة الاسرائيلية الفلسطينيين . فاذا اراد فلسطيني ان يعود الى يافا ، فوضعه القانوني شبيه بوضع اي اجنبي — صيني في بكين ، مثلا والمثل يسري على يهودي من بغداد. فاذا تاق فرد يهودي لاسباب عاطفية وانسانية ، وبغض النظر عما اذا كان يسكن في اسرائيل او فرنسا ، للعودة الى بغداد لانه ولد فيها ، فيجب ان يمنح هذا الحق غير ان تبعيته الاسرائيلية تلغي حقه في العودة لان الفلسطينيين في حالة حرب مع اسرائيل .

— حسنا ، هذا يسري على الفلسطينيين ايضا.

● لكن الفلسطينيين يحاربون من اجل حقوقهم القومية . لذلك ، يتردد الفلسطينيون في اعتناق جنسيات الدول المضيفة .

— وفي رأيي ، يجب ان تراعى حقوقهم هذه لكن من الضروري ان نتذكر انه اذا لم يتخذ الفلسطينيون هذا الموقف بالنسبة لحقوق اليهود الشخصية في الدول العربية ، فسيكون المجال لتأليف جبهة مشتركة من اليهود والفلسطينيين ضيقا . فعلى الفلسطينيين ، بغض النظر عن العمل السياسي ، ان يفكروا في المستقبل . ويستوجب ذلك القيام بتحركات على غرار الاقتراحات التي طرحتها . وهذه ليست اعمال طوباوية . انها ستساعد على بناء المستقبل .

● قد يكون هذا موضع بحث بين الفلسطينيين في مختلف الاقطار الان . فنحن لا نعلم ...

— يجب ان يكون ذلك علنيا . فالمداولات السرية لا معنى لها .

ولننتقل الان الى فلسطين الديمقراطية العلمانية. بالامكان تصور عدة خيارات بهذا الصدد . بالنسبة للفلسطينيين الذين يهمهم اقامة دولة موحدة علمانية ديمقراطية ، على هؤلاء اقناع اليهود في اسرائيل بان يضعوا دستورا وان يجيبوا على اسئلة معينة تتعلق بالاسس التي ترتكز عليها دولتهم . لنفترض بان موافقتي على هذه الدولة او عدمها مرهونة بسؤال بسيط : هل ستكون هناك لغة واحدة او لغتان ؟ او ثلاث لغات ، كما هو الامر في لبنان او سويسرا .

— حسنا ، انا اقول بان حتى هذه الفكرة ستثير اهتماما كبيرا ولو بين اقلية صغيرة في اسرائيل . وذلك ليس اذا طرحت لتصريح منفرد ولكن اذا طرحت كصيغة من صيغ الدستور المقترح وطبعا ، ان الدستور [الموضوع] خارج البلاد لا يمكن ان يعتبر بديلا للدستور الحقيقي . ولكن على الفلسطينيين ان يقدموا ، على الاقل، اقتراحات محددة عن تركيب الدولة الفلسطينية ، كما عليهم ان يتناولوا موضوع اللغات وموضوع فصل الدين عن التعليم . فهذه الامور تؤثر على حياة الافراد . فعندما يتناول الفلسطينيون هذه الامور عندها نستطيع ان ندخل معهم في حوار فعلي حول برنامجهم .

● لقد اظهر الفلسطينيون قبولا بهذا الصدد بينما لم يكن هنالك تجاوب من الجانب الاسرائيلي.

— **يوجد** تجاوب من قبل أقلية من الاسرائيليين امثالي . فاذا اعطيك جوابا : ليكتب كاتب او قارىء فلسطيني مقالا في « شؤون فلسطينية » يحدد فيه بكلمات قليلة ، بثلاث صفحات ، تركيب الدولة الفلسطينية العلمانية .

● لقد سبق للدكتور يوسف صايغ ان غطى هذا الموضوع في محاضرة القاها هنا قبل ثلاث سنوات.

— لقد قرأت هذه المحاضرة بامعان . وهي لا تحتوي على اجوبة لاسئلة محددة .

— غير ان الاسئلة المحددة تتطلب وقتا لصياغتها ومعالجتها .

— كلا ، ان العمل السياسي البناء يستوجب طرح اقتراحات في هذه المرحلة ، لان من شأن الاقتراحات ان تؤثر على الاشخاص . فالكثيرون، ومنهم انا ، يخشون ان يمنع التعليم العبري في الدولة الفلسطينية الموحدة . وانا منصرف للعبرية .

● لم يخاف الناس ذلك ؟ اذا نص الدستور على ان ...

ـ يذكر الدكتور صايغ شيئا من هذا القبيل.

ـ ليس بالامكان استباق الامور .

ـ على المرء ان يستبق الامور في السياسة . فبالامكان التأثير على الاشخاص بواسطة استباق الامور والاعلان عما يقاتل الفلسطينيون من اجله. وما يهمني بوجه التحديد ناحيتان من الدولة الفلسطينية الموحدة . اولا ، انا اؤيد فصل الدين عن الدولة في اية دولة اقيم فيها ، كما هو الامر في الولايات المتحدة ودول اخرى عديدة . ثانيا ، يجب ان لا يكون هنالك دعم مادي قط لاي طائفة دينية كانت . ويجب عدم خلط الدين مع السياسة. ولا يوجد في الشرق الاوسط الان بلد واحد قائم على هذا الاساس [اي فصل الدين عن الدولة]. فاذا كان في نية الفلسطينيين ان يفصلوا بين الدين والدولة فعليهم ان يعلنوا عن ذلك . كما انني اؤيد حرية التعبير في الامور الدينية في دولة علمانية كهذه . غير اني لم انس المتاعب التي لاقاها صادق العظم من جراء كتابه عن الاسلام .وبالرغم من ان هذا الكتاب نشر اخيرا سأخبرك بأمر قد يهم الفلسطينيين : فعندما وصل الكتاب الى القدس حيث اقيم ووزع على المكتبات ، كتب احد رجال الدين ، وهو مفتي يدعى الشيخ محتسب ، رسالة الى السلطات الاسرائيلية للمرة الاولى طالبا منها ان تمنع هذا الكتاب . [وجدير بالذكر] انه ليس للشيخ المحتسب صلات مع السلطات الاسرائيلية في الاحوال العادية . الا انه لم يفلح في منع الكتاب . ولكن الجعبري ، في الخليل ، افلح في ذلك اذ ان الكتاب منع هناك . وانا أريد الفلسطينيين ان يعلنوا للملأ ، بانه ستكون للاشخاص الحرية التامة لانتقاء اي دين من الاديان في الدولة العلمانية الموحدة ، وذلك من اجل التأثير على شعبي . كما انني اريد الفلسطينيين ان يعلنوا بان الدين سيكون منفصلا عن الدولة . ليس هذا فحسب ، بل سيكون في استطاعة اي فرد ان يقول : هذا الجانب من اليهودية او الاسلام او المسيحية غير مرض . وهذا مهم جدا بالنسبة للشرق الاوسط .

● انه [حقا] امر في غاية الاهمية ، وفي بعض الاحيان في غاية الصعوبة . اوروبيا لناخذ مثلا تاثير الكنيسة الكاثوليكية على السياسة في ايطاليا: فمن الصعب فصل الاثنين حتى في يومنا هذا . اما في اسبانيا ، فالامر اسوأ . وهذان بلدان اوروبيان . وانا ، بالطبع اوافقك الرأي . وانا واثق من ان معظم المفكرين الفلسطينيين والعرب يوافقون معك ايضا . وبالرغم من ان الصورة غير مطابقة كليا للتصور اذي طرحته ، فان الوضع في لبنان ، حيث يتعايش المسيحيون والمسلمون في تآلف ووئام وحيث يهبن التفكير الديمقراطي ، اقرب ما يكون للتصور الذي طرحته (بفتح التاء) .

● ولكن عليك ان تضع قدوة حديثة ، ثورية ملهمة (بكسر الهاء) نصب اعين الناس . وأخشى ان الوضع في لبنان (ولن اخوض في التفاصيل) لا يعكس تجربة ملهمة للشباب الاسرائيليين المفكرين والمتفانين ، ولا حتى الفلسطينيين ، تدفعهم الى التضحية والمحاربة من اجل اقامة دولة مماثلة . لقد لفتت عدة أمور في لبنان انتباهي ، بما فيها معاملة الجالية اليهودية هناك . وانا طالما أردد أمام اليهود في اسرائيل وخارجها : راقبوا معاملة اللبنانيين لافراد جاليتهم اليهودية فهي أفضل بكثير من معاملتنا للفلسطينيين في اسرائيل ، ناهيك في الاراضي المحتلة . ولكن ليس في مقدوري ان احث اي شاب من اجل اقامة [بلد مشابه] للبنان على ارض فلسطين . فعلينا ان نقدم مثلا افضل .

ـ سؤال اخير ، دكتور شاحاك ، هل تدهورت اوضاع الفلسطينيين المتعلقة بحقوقهم الانسانية والمدنية منذ حرب تشرين الاول (اوكتوبر) ؟

● لقد ساءت اوضاع الفلسطينيين جدا في الاراضي المحتلة وخصوصا في الضفة الغربية . فهنالك أحياء لاعمال العنف وحملة اعتقالات واسعة النطاق . ففي غضون اسبوع واحد في نابلس وحدها ، اعتقل حوالي ٥٥٠ شخصا ، معظمهم من الذكور الشبان ، وأودعوا السجن . كما ان هنالك احتجاجات شديدة ومشروعة بالنسبة للتعذيب والضرب . وهذا مرتبط بما قلته سابقا : فأنتم لا تعملون الكفاية يوميا من اجل مساعدة اخوانكم في الارض المحتلة . وهذه ، حقا غلطتكم . فان بامكانكم ان تحققوا نتائج أفضل اذا ما لجأتم الى طرق عملية يوما بعد يوم .

— لنفترض ان الفلسطينيين لجاوا الى هذه السبل واطلعوا الرأي العام العالمي على ما يجري ، هل تعتقد ان ذلك سيسبب تغييرا في الرأي العام العالمي ضد اسرائيل ؟

● نعم ، واكثر من ذلك ، سيخفف ذلك عن الفلسطينيين الذين يعانون [من الاوضاع القائمة في الارض المحتلة] . وقد لا يفلح الفلسطينيون في ايقاف عمليات نسف البيوت والقاء الناس في الشوارع ، غير ان اولئك الذين يسمعون عبر الاثير بأن اخوانهم عرفوا ذاك المساء او في اليوم التالي ما حل بهم وانهم احتجوا بسبب **بيتي وظروفي** فسيشعرون حالا بالراحة حتى ولو كانوا في خيمة او خندق آنذاك . ان من واجبكم ان تواسوهم من وجهة نظر انسانية . وهذا بحد ذاته مساعدة لهم .

— قد تستثنى اخبار المظاهرات من الصحف العبرية لو قامت تلك المظاهرات .

● الامر ليس محصورا بالصحافة العبرية . انا على اتصال تليفوني مع لندن ، وسأخبرهم . كما ان هنالك عدة محطات اذاعية في الشرق الاوسط . فعلى محطات الاذاعات العربية ان تنقل هذه الانباء ولا بد ان يسمعها المعنيون بالامر . وقد تنقل الاذاعات العبرية انباء هذه المظاهرات ايضا. ولكن لا يوجد عدد كبير من المظاهرات . انا احس بذلك وهم ايضا يشعرون به . كما ان الجميع يشعرون بأن التحركات قليلة في هذا المجال . اذ ان فلسطيني واحد او مظاهرة مستمرة امام مبنى الامم المتحدة ترافقها تفصيلات عن كل عمل قمعي جديد [تقوم به السلطات الاسرائيلية] من شأنها ان تحقق شيئا ما . وسأعطيك مثلا عن النتائج الفعلية التي يمكن أن يؤدي اليها ذلك : عندما اغلقت كلية بيرزيت في رام الله ا احتج الكثير من الافراد ، وأنا منهم ، لدى الامم المتحدة ، كما كتب العرب في الولايات المتحدة رسائل الى اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي بهذا الصدد ، فأثاروا ضجة كبيرة حول الموضوع . وبعد اربعة او خمسة اسابيع أعيد فتح الكلية . وهي لا تزال قائمة . وأؤكد لك بأن اعادة فتح الكلية لم يكن راجعا لحسن نوايا الاسرائيليين بل كان مرده الضغط . اذن ، بالامكان تحقيق شيء ما ، كما ترى .

— الضغط يحقق نتائج معينة . اني اعلم بانك مرتبط بموعد سابق فهل لي بسؤال اخير ؟ ما هو انطباعك الشامل عن الوضع الراهن في الشرق الاوسط ؟ هل انت متفائل بالنسبة للمستقبل ؟

● بالنسبة للمستقبل القريب ، كلا . اما بالنسبة لفترة تتراوح بين الخمس سنوات والخمس عشرة سنة فان تفاؤلي كبير جدا . كما انني متفائل جدا بأنه ستتم تسوية حقيقية بين الفلسطينيين واليهود وكذلك بأن اوضاع الجاليات اليهودية في البلدان العربية ستتحسن .

— ولكن في الوقت الحاضر ، من الصعب جدا ان نتنبأ بما قد يحدث .

● ليس في امكاننا التنبؤ الان . غير ان ذلك سيتم حتما . وهذا هو ما اعمل من اجله . فأنا مقتنع تماما وبامكان الفلسطينيين ان يتعاونوا في الطريقة التي ذكرتها .

— والآخرون كذلك ؟

● والآخرون كذلك .

— شكرا جزيلا .

تقرير خاص :
اجهزة الامن وادوات القمع في الاردن

م٠س٠

تلقت « شؤون فلسطينية » هذا التقرير الخاص من محرر قضى في معتقلات الاردن فترة من الزمن ٠

لم يعتمد النظام الهاشمي على الجيش فقط كاداة لتنفيذ السياسة الاستعمارية في المنطقة وقمع الحركة الوطنية في الاردن ، بل اعتمد ايضا وبالدرجة نفسها على اجهزة امن متقدمة ، اشرف على تاسيسها وتطويرها ، خبراء امن بريطانيون ثم امريكيون ، وحشد لها الكثير من الكفاءات التي تدربت بشكل خاص على يد المخابرات المركزية الاميركية ٠ويمكن القول ، انه منذ مطلع السبعينات، وفي ضوء تعاظم الدور الاميركي في الاردن ، فقد جرى تطوير اجهزة الامن الاردنية بشكل يجعلها قادرة على مواجهة الحركة الوطنية الاردنية وملاحقة نشاطاتها ومجالات عملها المختلفة ، وليس هذا فقط ، بل ان تكون قادرة على تلبية الحاجات الامنية لبلدان عربية اخرى ، فالاردن الان ، يشكل مركزا لتصدير الخبرات والتجارب في مواجهة وقمع الحركات الوطنية الى العديد من البلدان ، وبشكل خاص بلدان الخليج العربي ٠

وحيث ان ما يجري داخل هذه الاجهزة يخضع لسرية مطلقة ، مما يجعل من الصعوبة بمكان التعرف بدقة على ما يجري داخلها ، الا انه على ضوء معرفتي الشخصية يمكن ايراد بعض المعلومات عنها ، وان كانت ذات طابع عام ٠

تتكون اجهزة الامن الاردنية من عدة اجهزة ، تتفاوت في ادوارها ، ومهام كل جهاز منها ، كما تتفاوت في اهميتها ، ومدى اعتماد « النظام » ــ امنيا عليها وهذه الاجهزة هي :

١ ــ المخابرات العامة :

وهي من اقوى اجهزة الامن واهمها في الاردن، ويعتمد عليها النظام في معرفة الاوضاع الداخلية ، حيث ترفع تقريرا يوميا الى القصر عن الحالة الامنية في البلد ، كما انها ترفع للقصر بين فترة واخرى وعلى ضوء الظروف ، تقارير بتقديراتها السياسية للاوضاع بشكل عام ، وتلعب هذه التقارير دورا في تقرير سياسة النظام الداخلية ، والخارجية ــ الى حد ما ــ ٠ والمخابرات العامة هي التي تحكم البلد في كثير من الاحيان ، وتزداد اهميتها ودورها في ضوء الحالة الامنية السائدة في البلد ، فكلما اضطرب الامن ، يكبر دورها وتأثيرها ، وهي تتمتع بصلاحيات مطلقة من حيث الاعتقال ووضع القيود على المواطنين « السفر والعمل ٠٠ الخ » وفي مرحلة ما بعد ايلول سنة ٧٠ الى الان ، شكلت اقوى مركز قوة داخل النظام ، بحيث ان مدير المخابرات العامة كان كانه الملك غير المتوج ، بالاضافة الى ذلك فان ضباطها يتمتعون بوضع اقتصادي واجتماعي متميزين ، حيث ان ضباط المخابرات العامة يتمتعون بامتيازات اقتصادية واجتماعية كبيرة ، تفوق ما يتمتع به الضابط العادي في الجيش الاردني ٠

تتبع المخابرات العامة ــ رسميا ــ قيادة الجيش ، حيث ان العاملين فيها يحملون رتبا عسكرية الا انها من الناحية العملية ، مستقلة عن قيادة الجيش ، وتتبع القصر مباشرة ، اما

من خلال مستشار الملك لشؤون الامن القومي ، او من خلال الملك مباشرة .

يقع المبنى الرئيسي للمخابرات العامة في منطقة العبدلي ، حيث تحيط بها الثكنات العسكرية من اكثر من جهة ، ويشرف على حراستها المباشرة سرية من الجيش مزودة بقوة ضاربة من رشاشات ال ٥٠٠ والسيارات المصفحة ، اضافة الى الحراسات غير المباشرة . ويلاصق المبنى الرئيسي دارا للتحقيق تتألف من طابقين الاول من ٨ زنازن، متفاوتة في حجمها اصغرها بعرض ١٦٠ سم وطول ٢٤٠ سم ، وهذه الزنازن الصغيرة بدون«طلاقات» خارجية ، بل مجرد فتحة صغيرة في الباب الحديدي تكون مغلقة طول الوقت، وتستخدم هذه الزنازن الصغيرة للحبس الانفرادي . اما الطابق العلوي، فيتألف من ثلاث غرف للتحقيق ، تتوسطها ساحة للتعذيب ،اضافة الى اربع زنازن اخرى ، وجدران الغرف والساحة مبطنة بعازل للصوت . بالاضافة الى هذه الزنازن ، توجد ١٢ زنزانة اخرى في الطابق الارضي للمبنى الرئيسي ، وهي اكثر اتساعا وافضل تهوية من الاولى ، كذلك توجد ١٢ زنزانة اخرى في قبو تحت الارض في الساحة المقابلة للمبنى الرئيسي ، وهذه الزنازن عبارة عن صف طويل واحد ، جدرانها الامامية المواجهة للممر عبارة عن حديد مشبك من اجل التهوية ، حيث انها بدون شبابيك داخلية ولا تدخلها الشمس اطلاقا .

تعتبر الزنازن الموجودة بدار التحقيق ، من أقسى الزنازن ، فهي مصممة بطريقة تبعث على الرهبة والكآبة والضيق ، فجدرانها الداخلية ذات نتوءات ولونها كاتم ، اضافة الى ان كل زنزانة لها باب حديدي سميك عليه قفلان ، وقسوتها ناتجة عن ملاصقتها لساحة التعذيب ، فقاطنها لا يشعر بأدنى درجة من الراحة ، ذلك ان اصوات المطارق والعصي وانات المعذبين وصراخهم ، تملأ اذنيه ليل نهار ، واطلق بعض المعتقلين على الزنازن القريبة جدا من الساحة اسم « زنازن الموت » . بالاضافة الى هذا المبنى الرئيسي ، فانه يوجد مركز للمخابرات العامة في كل لواء ، يشرف عليه ضابط من المخابرات برتبة رئيس او رائد .

الحياة داخل زنازن المخابرات : تعتبر الفترة التي يقضيها المعتقل داخل هذه الزنازن ، من أقسى الفترات . اذ الزيارات ممنوعة ، بالاضافة الى انه يحرم من الحمام حتى ولو امتد وجوده اشهرا ، وتخضع لنظام صارم وقاس ، وفي كثير من الاحيان كان المعتقلون داخل الزنزانة نفسها يمنعون من الكلام مع بعضهم ، اضافة الى ذلك ، فانها كانت مكتظة بشكل كبير ، وذلك لكثرة عدد المعتقلين ، لدرجة ان الزنزانة التي لا تتسع لاكثر من اثنين او ثلاثة ، كان يتواجد بها باستمرار ما بين ٨ — ١٠ ، ان كثرة الرطوبة نتيجة عدم وجود الشمس بالاضافة الى هذا الاكتظاظ ، كان يسمح بانتشار القمل بكثرة ، وغالبا ما يؤدي الى اصابة المعتقلين بامراض الرئة ، ولا سيما الذين يمكثون اشهرا طويلة ، كذلك فان التدخين ممنوع ، الا بعد مضي فترة من التحقيق ، وباذن من المحقق نفسه ، حيث يسمح بعدها للمعتقل بعلبة دخان في اليوم ، وعلى حسابه .

محمد رسول ينظم المخابرات العامة : ان تنظيم المخابرات الحالي ، وتنظيم اسلوب عملها ، يعود بشكل رئيسي الى محمد رسول الكيلاني ، الذي اشرف عليها منذ البداية ، بعد ان كانت تعرف باسم المباحث العامة ، لقد اتجه محمد رسول الى اختيار مجموعات من الضباط المثقفين وخريجي الجامعات ليشكلوا هيئة التحقيق الاساسية ، ومن الضباط الاوائل الذين ساهموا معه في تنظيمها طارق علاء الدين ، احمد عبيدات ، ورجائي الدجاني ، وكل منهم الان برتبة عقيد ، كذلك فقد نظم محمد رسول في سلك المخابرات بعض ضعاف النفوس من المتساقطين من الحركة الوطنية .

لقد ادخل محمد رسول ، اسلوب التنظيم الاميركي الى المخابرات العامة ، فسياسته لا تقوم على القهر **فقط** ، ولكن على الترغيب المادي والافساد السياسي للوطنيين بشراء ضعاف النفوس منهم وتجنيدهم معه ، وله اسلوب خاص ومميز في مواجهة القوى الوطنية ، فهو يركز على جمع المعلومات عن نشاطات القوى الوطنية ومجالات عملها والاشخاص الفاعلين فيها، وفي هذه الناحية، فانه يستخدم بشكل واضح اسلوب زرع العملاء وشراء ضعاف النفوس في صفوف الحركة الوطنية، بالاضافة الى ذلك ، فانه يعتمد على الدراسة

الشخصية للقيادات والعناصر الفاعلة في الحركات الوطنية ، ولذا ، فانه يحرص باستمرار على عقد لقاءات او جلسات مطولة معهم عند اعتقالهم ، يتبادل خلالها احاديث متنوعة ، والهدف من ذلك، هو دراسة مباشرة لنمط وطبيعة تفكيرهم ، ولكي يخرج بتقييم عام عن طبيعة شخصية كل واحد فيهم ، والدور الذي يمكن ان يلعبه في الحركة الوطنية ، ثم استكشاف الثغرات الممكنة فيهم لاستخدامها ضدهم في التحقيق ، ولذلك فهو يحرص في هذه اللقاءات ان تتم ضمن جو من الشعور بالحرية النسبية في الحديث المتبادل ، وهذا ستار يستخدم في الحصول على بعض المعلومات احيانا. ان محمد رسول يعتبر من اخطر ضباط المخابرات في الاردن ، وان المظهر اللين الذي يبديه احيانا، يخفي وراءه شخصية عنيفة وعنيدة ، والذين لا يعرفونه ينخدعون بمظهره اللين هذا .

بعض اقسام المخابرات العامة : تتالف المخابرات العامة من عدة اقسام ، اهمها :

أ — القسم السياسي والامن الخارجي ، ومسؤول عنه مباشرة ، العقيد احمد عبيدات ، وهو المساعد الاول لمدير المخابرات العامة . ب — قسم التحقيقات والامن الداخلي ، ومسؤول عنه مباشرة العقيد طارق علاء الدين ، وهو مساعد لمدير المخابرات العامة . ج — قسم اسرائيل والتجسس ، ومسؤول عنه العقيد رجائي الدجاني د — قسم الاجانب ومسؤول عنه العقيد عصمت ابو السعود .

ويعتبر قسم التحقيقات والامن الداخلي من الاقسام الهامة جدا ومن اكبرها ، ومهمته متابعة نشاط القوى الوطنية في الاردن ، والاشراف على التحقيق معها ، وحيث ان الحركة الوطنية تتكون من العديد من القوى والمنظمات ، فقد نظم القسم، على هذا الاساس ، بتقسيمه الى شعب ، كل شعبة تشرف على مجال محدد ، اي انه يقسوم على مبدأ التخصص . ويمكن رسم هيكل مبسط لهذه الشعب على الشكل التالي :

مسؤول قسم التحقيقات
وهو مساعد المدير

شعبة « فتح » والمنظمات الصغيرة القريبة منها | شعبة المنظمات المتفرعة عن حركة القوميين العرب | شعبة المنظمات المتفرعة عن حزب البعث العربي | قوات الانصار والشيوعيون

التنسيق مع الفروع في الالوية

٢ — الاستخبارات العسكرية :

تاتي في الدرجة الثانية من حيث الاهمية بعد المخابرات العامة، مهمتها مراقبة ومتابعة النشاطات الوطنية داخل الجيش ، ولا تتدخل في القضايا السياسية للمدنيين الا اذا كانت متعلقة بنشاطات داخل الجيش. يجري التنسيق بينها وبين المخابرات العامة في الكثير من الحالات ، وهي تشرف على سجن الزرقاء العسكري ، لعبت دورا كبيرا في قمع الوطنيين من افراد الجيش الاردني بعد معارك ايلول ١٩٧٠ .

٣ — الامن الوقائي او المكتب الخاص :

أنشيء هذا الجهاز بعد حوادث ايلول ١٩٧٠ ، ليكون بمثابة مكتب تنسيق بين المخابرات العامة والامن العام ، وهو باشراف ضباط من الامن العام ، الا ان هذا الجهاز تجاوز مهمته المحددة ، وتحول الى جهاز قمع قائم بذاته ، حيث أوجد له مجموعة من **مكاتب** التعقيب في كل احياء عمان وبعض المدن الاردنية الاخرى وبشكل خاص اربد ، بحيث أصبح يقف منافسا للمخابرات العامة .

لقد كان هذا الجهاز من أشرس اجهزة الامن في

تعذيب المناضلين ، فكان يمعن في تعذيبهم وبأساليب وحشية جدا ، ولم يكن من صلاحيته الاحتفاظ بمن يعتقلهم لفترة طويلة او تحويلهم للمحاكمة او السجن ، بل كان يحولهم الى المخابرات العامة لاستكمال التحقيق معهم .

٤ ــ الامن العام :

أنشىء جهاز الامن العام منذ أن تأسست امارة شرق الاردن ، وكان تابعا منذ تأسيسه لقيادة الجيش ، ولم يجر فصله عنها والحاقه بوزارة الداخلية الا في العام ١٩٥٦ .

ان مهمة الامن العام في الاردن ، هي مهمة قمعية ، ويشكل أحد أجهزة القمع الرئيسية . ولقد جرى تطويره منذ تأسيسه على أساس ان يكون أداة قمع وارهاب للوطنيين ولكل الجماهير ، وبعد معارك أيلول ١٩٧٠ ، جرى تدعيمه بتحويل عدة وحدات من الجيش اليه ، عرفت باسم لواء الامن العام ، وقد اختير أفراد هذا اللواء من العناصر الحاقدة والمشبعة بالحقد على الجماهير وحركة المقاومة الفلسطينية ، ودربوا تدريبا خاصا، وزودوا بسيارات للمطاردة مزودة برشاشات ٥٠٠ و١٠٠٦ ، كما زود معظم افراده ببنادق ام ١٦ الامريكية . لقد كانت مهمة هذا اللواء ، التحرش بالمواطنين واهانتهم ، حيث انه اشغل عدة مخافر افتتحت بعد حوادث أيلول في كل الاحياء ، كما ان افراده كانوا يقومون بمهمة الدوريات الراكبة في شوارع عمان ، بالاضافة الى اشرافهم على نقاط التفتيش المتعددة التي اقيمت على مداخل الاحياء وفي داخلها . كما قام أفراد هذا اللواء مع قوى الامن العام الاخرى بممارسة أبشع انواع التعذيب ضد المعتقلين . لقد تم تطوير جهاز الامن العام ، خلال السنوات الاخيرة ، بتقوية قواه القمعية ، حيث زود بمعدات حديثة ومتطورة لمقاومة الاضطرابات والتظاهرات ، كما زود بسيارات مصفحة و« سكاوتات » مزودة برشاشات متوسطة، من أجل اعمال المطاردة ، بالاضافة الى ذلك فقد جرى تطوير أجهزته المختلفة وأفراده العاملين في التعقيب وجمع المعلومات . وعلى الرغم من وجود العديد من العناصر البدوية في الامن العام ، وبشكل خاص في لواء الامن العام ، فان الغالب عليه هو ابناء الريف والمدن ، وهذا يجعله اكثر عرضة للتأثيرات الوطنية من اي جهاز آخر ، ومن هذه الزاوية بالذات ، فان السلطة الاردنية لا تعتمد عليه كثيرا في حفظ الامن ، بقدر اعتمادها على الاجهزة الاخرى والمضمونة الولاء ، ولذلك فان السلطة تعمد منذ فترة الى تطعيمه بعناصر بدوية ، ليكون اكثر ضمانة وأقل اهتزازا .

٥ ــ قوات خاصة للقمع :

وتعتبر بمثابة أداة ضاربة بيد النظام في فترات الاضطرابات السياسية ، وتتألف من « **قوات البادية** » وهي بمثابة القوة الضاربة الاولى بيد النظام استخدمها باستمرار لقمع الجماهير ، وقمع انتفاضاتها الوطنية . ثم « **القوات الخاصة** » وهي قوات استحدثت قبل معارك ايلول ، وتضخم عددها بعدها ، ويجري توسيعها الان بشكل كبير تحت ستار انها قوات صاعقة ، لتشكل أداة القمع الرئيسية بيد النظام ، ذلك ان عناصرها تنتقى من العناصر المضمونة الولاء والمشبعة بالحقد ، وتدرب تدريبات خاصة ، لقد كان معظم الجنود الذين يقومون بتعذيب وجلد الوطنيين في المخابرات العامة من أفراد هذه القوات ، حيث يجري هناك تغذيتهم بالسادية والحقد على كل الوطنيين .

أجهزة الامن وأساليبها في مواجهة الحركة الوطنية:

منذ أن وجد النظام الهاشمي في الاردن ، وهو يعيش في حالة صراع دائم مع القوى الوطنية ، وتاريخ الاردن المعاصر ، هو تاريخ هذا النظام الهاشمي في اضطهاد وقمع الوطنيين والتقدميين ، ولقد ازداد دور النظام القمعي ، ودور اجهزة أمنه ، بعد الحاق الضفة الغربية من فلسطين به ، حيث ان وجود الوطنيين الفلسطينيين جنبا الى جنب مع الوطنيين الاردنيين ، زاد من قوة الحركة الوطنية وقدرتها على مواجهة ، اضافة الى ان وجود قسم كبير من الشعب الفلسطيني تحت سيطرته ، قد ألقى عليه مهمة اخرى ، وهي قمع هؤلاء الناس ، ومنعهم من النضال في سبيل استرداد وطنهم المغتصب . كل ذلك دفع «بالنظام» والقوى الامبريالية التي تدعمه ، الى تطوير أجهزة الامن لتكون بمستوى هذه المهمة .. وليس ذلك فقط بل تطوير اساليبه ووسائله في مواجهة الحركة الوطنية النامية ، فبالاضافة الى اعتماده على التفريق بين فلسطيني واردني ، وتغذية النعرة الاقليمية لخلق شرخ في الحركة الوطنية ، فانه

اعتمد اساليب عديدة اخرى للتضييق على القوى الوطنية وشل فعاليتها وتمعهـا ، ومن هـذه الاساليب :

١ ـ التضييق الشديد على الحريات العامة للمواطنين ، ووضع الكثير من القيود على حريتهم في التنقل والعمل ... الخ . ان من عاش فترة من الزمـن في الاردن ، يلمس الدور الذي تلعبه المخابرات العامة في التضييق على الحريات العامة للمواطنين ، فالامر لا يقتصر على مراقبة المطبوعات ووسائل النشر من صحافة وغيرها، ومنع ومصادرة الكتب التي يشتم انهـا مخالفة لسياسة النظـام بل يتعداه الى اكثر من ذلك بكثير ، حيث تتدخل اجهزة الامن في كل صغيرة وكبيرة مـن شـؤون المواطنين ، وحتى العادية منها . ولقد مرت فترة على الاردن ، كانت الراديوات تصادر ويعتقل أصحابها ، لانهم يستمعون الى اذاعات معينة لا يريد النظام الاستماع اليها . وكان من المناظر المألوفة ان تجد اعدادا كبيرة من الراديوات في اي مخفر شرطة .

ان التدخل في حياة المواطنين يشمل كل الامور ، فهناك **قيود على السفر** خارج الاردن ، حيث انه لم يكن يسمح لاي مواطن بالسفر الا بتصريح رسمي من المخابرات العامة ، وبالرغم من ان هذا الاجراء ألغي في العام الماضي ، الا ان الغاءه كان شكليا ، ذلك ان قوائم الممنوعين من السفر والمطلوبين لاجهزة الامن تملأ أدراج نقاط الحدود .

ان القيود ليست فقط على السفر ، بل هناك مضايقات كثيرة على حرية المواطنين في التنقل داخل الاردن نفسه ، سواء في المدينة نفسها ، او بين مدينة واخرى ، فعلى مدخل كل حي نقطة تفتيش ، وعلى مدخل كل مدينة او قرية نقطة تفتيش ، وعلى مفارق الطرق نقاط تفتيش . وهذه النقاط لا تبحث عن الهويات والمطلوبين فقط ، ولكن تمارس بعض هواياتها في اذلال المواطنين وشتمهم وامتهـان كرامتهم . ان من اخطر هذه القيود ، هي **القيود على العمل** ، حيث انه لا يسمح لاي مواطن بالعمل في اي مؤسسة حكومية كانت ام خاصة الا باذن من المخابرات العامة ، فعلى كل مؤسسة او مصنع او شركة أن ترسل اسماء من تريد استخدامهم الى المخابرات العامة ، لتنظر في الامر ، وغالبا مـا تستدعي المخابرات اصحاب الاسمـاء المرسلة ، لتحقق معهم ، وتمارس عليهم بعض الضغوطات . ان هذا الاسلوب يقصد منه الضغط على المواطنين وتهديدهم في عملهم واشعارهم ان كسب رزقهـم وقوت أولادهم مرهـون برضاء المخابرات عنهم ، وانهم عرضة للفصل لدى اي بادرة لا تنم عـن سلوك حسن !! ، ومـن البديهي ان تحـرم المخابرات من العمل أي انسان له علاقة بالعمل الوطني ، ومؤخرا صدر تعميم يؤكد على منع اي مواطن **كان** له علاقة بالعمل الوطني من العمل في وزارة التربية والتعليم او مؤسسة الاذاعـة او التليفزيون . ان منع العمل لا يقتصر في بعـض الحالات على الشخص المعني ، بل يشمل بعض اقاربه ومعارفه ، والقصد من ذلك فرض نوع من العزلة الاجتماعية على أي مواطن له اهتمامات وطنية .

ولا يقف الامر عند هذا الحد **فقط** ، بل تمارس المخابرات العامة القيود نفسها علـى المعاملات الرسمية للمواطنين ، فان الحصول على جـواز سفر او شهادة حسـن سلوك لا يتم الا بعـد الاستدعاء للمخابرات العامة لاكثر مـن مـرة ، والتحقيق مع صاحب الطلب .

ان الهدف من كل هذه القيود هي ربط المواطنين بعجلة المخابرات العامة ، بكل شؤونهم الحياتية ، وتهديدهم ـ باستمرار ـ بسيف المخابرات المسلط فوق رؤوسهم ، وبالتالي التأثير على اتجاهاتهم السياسية ، وعلى علاقاتهم بالحركة الوطنية .

٢ ـ التغلغل وزرع العمـلاء داخل الحركات الوطنية : يعتبر هذا الاسلوب من أخطر الاساليب وأكثرها تأثيرا على الحركة الوطنية ، حيث ان نجاح المخابرات العامة في زرع عميل داخل تنظيم ما ، يتيح لها الاطلاع على آلية عمل هذا التنظيم من الداخل ، كما يتيح لها معرفة العناصر العاملة والفاعلة فيه ، وفي بعض الحالات ، قد تستطيع التأثير على مدى نشاطات هـذا التنظيم وعلـى اتجاهاته السياسية بهذا الاسلوب . ان اجهزة الامن بالاضافة الى انهـا تستهدف قمع القـوى الوطنية ، فانها تستهدف ايضا تخريب الحركات الوطنية من الداخـل والتشويش عليها ، بخلق صراعات ذاتية داخلها ، وخلق حالة من الارتباك الداخلي فيها . ويمكـن رصد بعـض اساليب المخابرات الاردنية في هذا المجال :

أ — تسريب معلومات مغلوطة ومضللة الى التنظيم حول بعض القضايا ، مثلا حول الوضع السياسي في البلد ، حول بعض نشاطات اجهزة امنه ، وطبيعة المعلومات المتسربة تحدد طبيعة الهدف منها ، فقد تكون بقصد التأثير على التقديرات السياسية لهذا التنظيم حول الوضع السياسي ، وقد تكون بهدف اشعار التنظيم بحالة خطر من درجة معينة ، تقتضي اتخاذ بعض الاجراءات الامنية الوقائية ، وذلك لمعرفة مدى فعالية الاجراءات الامنية الطارئة لهذا التنظيم ، ومعرفة مخابئه السرية . ويتم تسريب هذه المعلومات المغلوطة ، اما من خلال اشاعتها بشكل غير مباشر في اوساط قريبة من هذا التنظيم ، او من خلال بعض العملاء المندسين فيه .

ب — زرع عنصر او اكثر لفترة محددة ولمهمة محددة ، ويكون ذلك اما بهدف معرفة بعض أوجه نشاط هذا التنظيم في مجال معين ، او لجمع اكبر ما يمكن من المعلومات عنه ، استعدادا لضربة قادمة ضده . ومن الوسائل التي تتبعها المخابرات في هذه الحالة ، دفع أحد عملائها غير المكشوفين للتقرب من هذا التنظيم والانضمام اليه ، او بتوجيه ضربة جزئية للتنظيم وذلك باعتقال مجموعة من أعضائه للتحقيق معهم ، فبالاضافة الى المعلومات التي يمكن ان تجمع من خلال التحقيق ، فان احد الاهداف من هذه العملية ، يكون محاولة شراء احد المعتقلين وتجنيده ليقوم بالمهمة المحددة ، واذا نجحت المخابرات في ذلك ، فانها تطلق سراح عميلها الجديد مع كل افراد المجموعة التي اعتقلت ، وذلك حتى لا يثير اطلاق سراحه اية شكوك او التباسات. ان أمثال هؤلاء ، سرعان ما تلفظهم المخابرات وتهملهم بعد ان يقوموا بالمهمات الموكولة اليهم ، وبالتالي يخسرون انفسهم ويخسرون قضيتهم .

ج — زرع عنصر من نوع معين بهدف الوصول الى وضع قيادي داخل التنظيم . ويعتبر هذا الاسلوب من أخطر ما يواجه الحركة الوطنية ، لان نجاح المخابرات في ايصال احد عملائها الى وضع قيادي في تنظيم ما ، يجعل من هذا التنظيم مكشوفا بالكامل تقريبا للمخابرات العامة ، ويؤثر تأثيرا كبيرا على أمن التنظيم وسلامته . وبالرغم من ان نجاح المخابرات في مثل هذه الحالة نادر جدا ، الا انه ممكن ، وهو مرهون بطبيعة الاجراءات الامنية الداخلية التي يتبعها كل تنظيم . ان نجاح المخابرات في زرع عميل كهذا ، يجعلها تحرص عليه ، من خلال تأمين التغطية الكافية او اللازمة له حتى لا ينكشف امره ، الا انها تكون على استعداد للفظه واهماله عندما ينكشف امره او تنتهي الفائدة منه . ومن الاساليب التي تتبعها المخابرات في هذا المجال ، استكشاف ضعاف النفوس وذوي القناعات المهزوزة من خلال التحقيق ، حيث تعمد الى شرائهم وتجنيدهم لخدمتها بوسائل كثيرة من التهديد والترغيب ، او بتوجيه احد عملائها الموثوقين للدخول في تنظيم معين ، وحتى تؤمن له تغطية كافية في البداية ، فانها قد لا تطلب اي معلومات الا عند الضرورة ، وبعد الوصول الى وضع معين داخل التنظيم ويعتبر محمد رسول من المحبذين جدا لهذا الخط .

٣ — جمع المعلومات عن القوى الوطنيةومراقبة عناصرها الفاعلة : ان من الامور الهامة لاجهزة الامن الاردنية ، وبشكل خاص المخابرات العامة، ان تجمع اكبر ما يمكن من المعلومات عن القوى الوطنية الاردنية سواء في الداخل او الخارج ، والمعلومات التي تجمعها ، لا تتناول جانبا معينا ، بل تتناول كل الجوانب صغيرها وكبيرها ، وسواء كانت معلومات سياسية او تنظيمية او شخصية ، لانه يهمها ان تعرف وتقدر حجم كل تنظيم وفعاليته ونشاطه السياسي وتأثيره الجماهيري وبرامجه ، كذلك آلية عمله واسلوب علاقاته الداخلية وخلافاته ومشاكله الداخلية ، وان امكن — العناصر والقيادات الفاعلة فيه ، اهتماماتهم العامة والشخصية ، طبيعة حياتهم الخاصة ، معارفهم واصدقاؤهم . ان اساليب المخابرات في جمع مثل هذه المعلومات متعددة ، منها ما يتم اثناء التحقيق مع المعتقلين ، ومنها ما يتم من خلال المراقبة ، ومنها ايضا من خلال بعض المتساقطين ، ضعاف النفوس ، الذين يكونون على استعداد لان يدلوا بما لديهم من معلومات مقابل الحصول على جواز سفر او اذن بالعمل .. الخ. ومنها من خلال العملاء والمندسين . ويتم تصنيف هذه المعلومات ودراستها ، والحصول من خلالها على استنتاجات معينة تساعد في ضرب القوى الوطنية وقمعها .

٤ — البطش والقمع بالقوى الوطنية : ان

البطش والقمع والارهاب للقوى الوطنية هو الهدف الرئيسي لاجهزة الامن الاردنية ، والاساليب السابقة هي لمساعدتها حتى يكون بطشها اكبر ، وقمعها اكثر ايلاما وفعالية ، وكم تفننت اجهزة الامن وادوات القمع الاردنية في البطش في الوطنيين وتعذيبهم ، وفي ارهاب واضطهاد كل الجماهير ، فمن قمع حركة الجماهير بالسلاح والنار وارتكاب المجازر ، الى سراديب التعذيب وزنازن الموت ، من قوانين الطوارىء التي لا تقف عند حد ، الى المحاكم العرفية الصورية ، والعديد من السجون والمعتقلات .. ان تاريخ النظام هو تاريخ ملطخ بالدماء تاريخ قمع وارهاب وعنف رجعي .

٥ ــ سياسة الترغيب والافساد السياسي للوطنيين : ان سياسة القهر ، وان كانت تستهدف قهر اوسع الجماهير وتكبيل ارادتها وشل حركتها وارهابها باستمرار ، فانها تستهدف ايضا التأثير على بعض ضعاف النفوس من الوطنيين ، الذين ما ان يواجهوا تجربة الاعتقال والسجن حتى تنهار عزائمهم وتخور قواهم ، وتهتز قناعاتهم ، ان أمثال هؤلاء وان ، كانوا قلة ، الا ان المخابرات يهمها التأثير عليهم والاستفادة منهم ، والامعان في افسادهم سياسيا ، ليقدموا نموذجا سيئا عن الوطنيين امام الجماهير ، ان سقوط امثال هؤلاء ، ان دل على شيء ، فانما يدل على هشاشة ارتباطهم بالحركة الوطنية .

أساليب التحقيق

في الفترة ما بعد ايلول سنة ٧٠ ، تحول النظام بكل اجهزة امنه وقواه العسكرية ــ كما هي الحال في السابق ــ الى مراكز للاعتقال والارهاب لكل الوطنيين ولكل الجماهير ، فمخافر الشرطة تعتقل وتعذب كيف شاءت ، والامن الوقائي يعتقل ويعذب كما يحلو له ، والجيش اينما تواجد يعتقل من يشاء ، والمخابرات العامة تحولت الى « غول كبير » تلتهم الجماهير وكل الوطنيين ، تنطلق سياراتها ليل نهار بحثا عن « الفريسة » ، عن الوطنيين في بيوتهم واماكن عملهم ، واينما كانوا . مراكز الحدود تحولت الى مراكز اعتقال ، هكذا كانت الاردن سجنا كبيرا ، بداخله وحواليه حراس مدججون بالسلاح ، وكلاب مسعورة تنقض هنا وهناك .

لقد كانت الاعتقالات تتم بصورة كيفية ، ألم تكن كل الجماهير مقاومة ؟ ألم تكن تدافع عن المقاومة؟ اذن كلها مطلوبة ، كلها يجب ان تعتقل ، الذي تبرع يوما للمقاومة ــ ولو بضعة قروش ــ يجب ان يعتقل ، الذي كان يؤيد المقاومة ــ ولو بالكلام ــ يجب ان يعتقل ويهان ، ارهاب اسود كأنه الطاعون ينتشر في كل مكان .... مراكز الاعتقال الكثيرة ، والكثيرة جدا كانت غاصة بالمعتقلين ، المحققون لا فراغ لديهم .. مشغولون ٢٤ ساعة بالكامل..لا ينامون ! كأنهم لا يشعرون بتعب وارهاق ، كانوا يشعرون بنشوة .. نشوة سادية ، نشوة الوحش الذي تمكن من فريسته بعد طول عناء .

لقد كانت المخابرات العامة ، بمثابة « قطب الرحى » في هذه العملية ، فكل القضايا تصب في طاحونتها ، وتمر من تحت عجلاتها ، حيث ان الاجهزة الاخرى ــ باستثناء الاستخبارات العسكرية ــ كانت تحول من تعتقله الى المخابرات العامة لاستكمال التحقيق والبت في الامر ، ومن هنا فان التحقيق الذي كان يجري في المخابرات العامة هو الاساس ، هذا في حين ان التحقيق الذي يجري في الامن العام او مراكز الاعتقال الاخرى لا يقل قسوة عما يجري في المخابرات ان لم يكن أقسى وأشد ، ولكن التحقيق في المخابرات يتخذ طابعا يختلف عما يجري في اجهزة الامن الاخرى ، وهو الاساس ، ولذلك سأتحدث هنا عن اساليب التحقيق في المخابرات العامة ،وسأبدأ منذ البداية .

لحظة الوصول : ما ان يدخل المعتقل الى مبنى المخابرات العامة ، حتى يواجه بجو ارهابي ، الجنود منتشرون ، ضربة من هذا او ذاك، شتيمة من هنا وهناك ، وسوق بالعصا الى ساحة التعذيب ، هناك يطلب منه الوقوف ووجهه الى الجدار ويداه الى اعلى ، وان كانت الساحة مشغولة او غاصة ، فيحول للوقوف بالطريقة نفسها تحت الدرج .. مع استمرار اللكم والشتيمة ... الهدف من كل ذلك ، اعاشة المعتقل منذ البداية بجو ارهابي للتأثير على معنوياته ، ونفسيته ، وهز ارادته .

بعد ذلك ، يحول الى غرفة الامانات ، يسلم ما بحوزته من فلوس او ادوات معدنية او اوراق

.. ثم يحول الى احدى الزنازن ، بحيث لا يتواجد اثنان من قضية واحدة في زنزانة واحدة ، وان امكن ، ان لا يتواجدا في زنزانتين متقاربتين ، حتى لا يتم تبادل المعلومات .

فرز الحالات : بعد ان يتم فرز المعتقلين للشعب المختصة ، حسب الانتماء التنظيمي للمعتقل ، يتم فرزهم بعد ذلك على اساس وضع كل معتقل وطبيعته ، وما يمثله ، وهنا تميز المخابرات بين ثلاث حالات اساسية :

أ ــ **حالات عادية :** والمقصود بالحالات العادية ، المعتقلون من الجماهير الوطنية العادية ، اي الذين ليس لهم نشاط فاعل وعلاقتهم بالعمل الوطني علاقة عادية ، وربما غير تنظيمية ، ومثل هؤلاء المعتقلين ، لا يهتم المحقق ، بالتحقيق معهم سريعا ، لان معلوماتهم عادية ، وبالتالي فانهم يتطلبون تحقيقا بسيطا ، وامثال هؤلاء يتعامل معهم المحقق في البداية بنوع من الغلظة والقسوة للارهاب والتأثير المعنوي ، وما ان ينتهي التحقيق معهم حتى يفرج عنهم ، او يحولوا الى السجن كنوع من التأديب ، ومع هؤلاء يستخدم المحقق ــ بالاضافة الى الضرب التأديبي ــ ما يمكن من التهديد والزجر الكلامي .

ب ــ **حالات تستدعي التحقيق السريع والفوري :** المقصود بهذه الحالات ، المعتقلون الذين يعتقلون خلال قيامهم بمهمة ، او كانوا مطلوبين سابقا ، واختبأوا فترة من الزمن ، او الذين لدى المخابرات معلومات انهم يعرفون اماكن سرية ومخابىء السلاح ، او لهم علاقة مع مجموعات اخرى ، امثال هؤلاء يجري التحقيق معهم بسرعة وبقسوة متناهية .. الهدف من ذلك يكون الحصول منهم على معلومات بأسرع من يمكن من الوقت ، قبل ان يتاح للذين بقوا في الخارج ، اتخاذ اجراءات امنية احتياطية ، في حال معرفتهم بالاعتقالات التي تمت ان التحقيق مع هؤلاء يكون مركزا جدا خلال الـ ٤٨ ساعة الاولى ، يخف تدريجيا خلال الايام التالية ، وعلى ضوء وضعية المعتقل ومدى صموده ، ويكون المحقق حريصا مع امثال هؤلاء ، ان لا يترك لهم اي مجال ــ ولو جزئي ــ للشعور بالراحة خلال الاسبوع الاول .

ج ــ **الحالات الكادرية والقيادية :** والمعتقلون من هذا النوع ، يعاملون بقسوة متناهية في الايام الاولى ، حيث يوضعون في زنازن افرادية ، ويخضعون لتحقيق قاس يستمر بين اسبوع الى اسبوعين ، وعلى ضوء النتائج التي يصل اليها المحقق ، يتحدد الوضع ، فان حصل على اعتراف ، يحول المعتقل الى السجن والمحاكمة بعد فترة ليست طويلة من الوقت ، وان لم يقتنع المحقق بالنتائج التي توصل اليها ، يستمر الحجز في زنازن المخابرات لفترة قد تمتد عدة اشهر ، يخضع خلالها المعتقل الى التحقيق بين فترة واخرى ، اما على ضوء توفر معلومات جديدة من خلال التحقيق مع معتقلين اخرين ، او للتأثير على ارادته ومعنوياته .

د ــ **حالات خاصة :** والمقصود بها ، المعتقلون الذين لا يتوفر للمخابرات معلومات محددة عنهم ، ويشكون بأنهم يمثلون وضعا غير عادي في الحركة الوطنية ، امثال هؤلاء يتعرضون لتحقيق مستمر بين فترة واخرى ، وتطول فترة اعتقالهم .

المجرى العام للتحقيق :

ان المجرى العام للتحقيق ، قسوته ، مرونته ، مدته ، يعتمد على عاملين اساسيين : مدى نجاح المحقق مع المتهم ، وهذا يعتمد على شخصية المتهم ومدى صموده وقوة ارادته ، وصلابة قناعاته الوطنية . طبيعة ومصدر المعلومات المتوفرة لدى المحقق عن المتهم ، ويمكن التمييز هنا بين نوعين من المعلومات :

أ ــ **معلومات عامة** ، أي ان المحقق يواجه متهما لا يعرف عنه الا معلومات عامة ، وبالتالي لا يعرف من أين يبدأ معه ، وما نوع الاسئلة التي يوجهها له ، لذلك فان هدف المحقق في هذه الحالة هو الوصول الى بعض المعلومات المحددة من خلال التحقيق ، فينطلق من افتراض اولي ، ان المتهم الذي امامه يعرف عن كل شيء ، ولذلك يوجه له اسئلة من كل نوع وفي شتى الامور مع تركيز في الضرب والمعاملة القاسية عله يصل الى طرف خيط ، فان نجح في الامر ، يتجه المحقق الى التركيز على ما وصل ، مع العمل على التشعب به ، من خلال المعلومات الممكن توفرها عنده . وان لا ، هنا يترك المتهم ، بعد عملية تحقيق قاسية ، مع استمرار احتجازه في المخابرات ، ويتجه المحقق الى معرفة معلومات عنه من خلال معتقلين اخرين.

ب ــ **معلومات محددة** : أي ان المحقق يمتلك معلومات محددة عن المتهم الذي يحقق معه ، وهذه المعلومات وان لم تكن هي كل شيء ، ولكنها تساعد المحقق في توجيه التحقيق وجهة معينة ، بهدف التوسع بهذه المعلومات المحددة . وعلى ضوء مصدر المعلومات هذه ، تتحدد طبيعة التحقيق ، ويمكن التمييز هنا بين ثلاثة أنواع :

١ ــ معلومات بناء على اعتراف من معتقلين اخرين : ينطلق المحقق في البداية من خلال هذه المعلومات ، دون الكشف عنها او عن مصدرها ، وذلك على أمل ان يصل الى غيرها او الى اوسع منها ، فاذا لم يعترف المتهم بعد مرور يومين او ثلاثة من التحقيق المستمر والقاسي ، او اقل ــ حسب الظروف ــ هنا يكشف المحقق للمتهم هذه المعلومات ، في البداية يكشفها من خلال الاسئلة التي يوجهها للمتهم باسلوب استنكاري ، فاذا لم يصل الى نتيجة ، يعمد الى المواجهة بين المعترف « بكسر الراء » والمعترف « بفتح الراء » لوضع المتهم امام الامر الواقع وان لا مناص له من الانكار . ٢ ــ معلومات واردة عن طريق عميل مخابرات : في هذه الحالة يستخدم المحقق المعلومات التي لديه اثناء التحقيق كما ورد في البند الاول ، فان لم يصل الى نتيجة يتبع احدى طريقتين :

● اذا كان العميل من النوع الذي لا يهم امره للمخابرات كثيرا ، يواجه المتهم بهذه المعلومات ، دون ان يكشف مصدرها طبعا ــ ● وان كان من النوع الذي يهم امره المخابرات ، فان المحقق هنا يمارس ضغطا اكبر من خلال تكثيف التعذيب وجعله اكثر قسوة ، فان لم يصل الى نتيجة ، يترك المتهم فترة من الوقت حتى تتوفر هذه المعلومات من مصادر اخرى اما من خلال التحقيق مع اخرين ، او من خلال اجبار اخرين على الاعتراف بها ولو زورا ، ٣ ــ معلومات من خلال الحصول على وثائق او مستندات اثناء الاعتقال . في هذه الحالة يستند المحقق على هذه المعلومات بشكل مباشر ويواجه بها المتهم ، ويعمل على توسيع اطار التحقيق بالاستناد اليها وعلى ضوء طبيعتها . ومدى ما تحويه من معلومات .

الاطار العام لتصرف المحقق : بالرغم من ان اسلوب التحقيق يختلف ــ نسبيا ــ من محقق لاخر ، ويعتمد على براعة المحقق وذكائه في كثير من الحالات ، فهناك محققون يعتمدون التعذيب الجسدي كأسلوب وحيد ، وهناك اخرون بالاضافة الى اعتمادهم هذا الاسلوب ، فانهم يستخدمون ايضا براعتهم في توجيه الاسئلة وفي دراسة شخصية المتهم واكتشاف ثغراته ونواحي ضعفه النفسية . الا انه بالرغم من هذه الفوارق ، فان هناك شبه قواعد عامة يتبعها كل المحققين وهذه هي :

أ ــ يتصرف المحقق امام المتهم ، وكأنه يعرف كل شيء ، وان لديه معلومات كثيرة ، وبالتالي لا فائدة من الانكار ، وان الانكار لن يفيد في شيء ، وتستخدم هذه المعزوفة دائما . ب ــ اعتماد المفاجأة من خلال البوح للمتهم بمعلومات جزئية جدا ، والتي لا تتعلق في كثير من الحالات بالتحقيق الذي يجري مع المتهم ، بل تتعلق بأمور اخرى خارج مجرى التحقيق ، الهدف من ذلك هو ايهام المتهم انه يعرف كل شيء ، او ان تكون هذه المعلومات الجزئية متعلقة بسير التحقيق مع المتهم ، ويكون الهدف من البوح بها ، ارباك المتهم وشل تفكيره ، وخلق حالة اضطراب ذهني لديه ، تساعد في التأثير عليه .

ج ــ اتباع سياسة تشكيكية بالقضية الوطنية واهدافها ، والاشخاص القائمين عليها ، وتهديد المتهم بمستقبله وحياته ، وان اعترافه سينجي انقاذه من هذا الوضع ، وبالتالي صون شبابه ومستقبله ، في حين ان انكاره سيعني السجن واستمرار التعذيب ، وهذه معزوفة تتكرر مع كل معتقل .

د ــ اعتماد المواجهة في حال وجود اعترافات متبادلة بين معتقل واخر للتوفيق بين الاعترافات .

الاساليب المتبعة في انتزاع الاعترافات : بالاضافة الى ما ذكرت عن اساليب التحقيق وتصرف المحقق اثناء التحقيق ، فان هناك اساليب اخرى جسدية ونفسية ، تستهدف نزع الاعتراف بالقوة .

أ ــ التعذيب الجسدي : ان التعذيب الجسدي من الاساليب الرئيسية المتبعة في التحقيق لدى المخابرات العامة واجهزة الامن الاخرى ، ويمكن القول انها الاسلوب شبه الوحيد الذي ساد في الفترة التي اعقبت ايلول سنة ١٩٧٠ ، ان

التعذيب الجسدي بالاضافة الى ان المقصود منه هو اهانة المعتقل واذلاله ، فانه يستهدف انتزاع الاعترافات بالقوة .. ذلك ان الانهاك الجسدي الناتج عن التعذيب المتواصل ، يؤدي بالمعتقل — في كثير من الحالات — الى فقدانه توازنه النفسي والفكري ، وشل تفكيره ، واضطراب اعصابه ، ان الهدف من تكثيف التعذيب الجسدي وتواصله هو الوصول بالمعتقل الى حالة انهيار ، بحيث يصل الى حالة من انعدام التحكم بالارادة الذاتية ، او فقدان الثقة بالنفس وقدرتها على الاحتمال ، ولهذا فان الايام الاولى من التحقيق ، تكون ايام شاقة على المعتقل ، حيث يحرم من التمتع بأدنى درجة من الشعور بالراحة،ويستدعى يوميا ولاكثر من مرة للتحقيق خلال النهار والليل وفي كل الاوقات ، والتعذيب الجسدي علىانواع: ● اللكمات بالايدي والضربات بالارجل من قبل الجنود ، ● الفلق ، وهي معروفة ، « وحفلة » الفلق تمتد لاكثر من اربع ساعات متواصلة في كثير من الحالات ، ● الضرب بالعصا على راحة اليد وعلى قفاها ، وبشكل خاص على مفاصل الاصابع، ● الفروج ، وهو عبارة عن ربط اليدين بالقيد ، وشد القيد على الرجلين بعد جلوس القرفصاء ، ثم ادخال ماسورة في الفتحة بين ساعد اليدين والرجلين ، حيث يتم رفع المعتقل بتركيز الماسورة على كرسيين ، وبالتالي بالامكان لفه على طريقة الفروج المشوي على السيخ ، حيث توجه الضربات في كل مكان ، والمقصود من هذه الحالة ، هو تحديد حركة اليدين والرجلين وتوجيه اكبر ما يمكن من الضغط والضيق على المعتقل في هذهالوضعية، ان استخدام الفروج لمرات عديدة قد يؤدي الى شلل اليدين من جهة الرسغ ، بسبب ضغط القيد عليهما ، ● الشبح من اليدين ، او الرجلين في بعض الحالات ، وهي نادرة . ● الكهرباء ، لا تستخدم الا نادرا ، ذلك انها تحدث هبوطا في القلب ، قد يؤدي الى الوفاة ، ولا يمكن استخدامها الا لدقائق في كل مرة .

التعذيب النفسي : والمقصود بالتعذيب النفسي هو ارهاق المتهم نفسيا ، وجعله يعيش اجواء الرعب والارهاب باستمرار للتأثير على معنوياته وعلى صموده ، في الوقت الذي فشلت فيه معه كل وسائل القهر الجسدي ، وهو على انواع : ● اعاشة المعتقل باستمرار في اجواء التحقيق ، ووضعه قريبا من ساحة التعذيب للتأثير على حالته النفسية ، وعلى قدرته على الاحتمال ، ● العزل والحبس الانفرادي لفترة طويلة ومنع الدخان عنه ، ● ابقاؤه في زنازن المخابرات لفترة طويلة جدا دون أن يرى الشمس ، ودون ان يغتسل ، يعيش مع القمل والرطوبة ، ● في الايام الباردة، صب الماء عليه وفي ارضية الزنزانة ، مع حرمانه من الغطاء الكافي ، ● الاهانات المستمرة ، والشتائم البذيئة .

هذه صورة عامة عن اجهزة الامن وادوات القمع الاردنية ، ووسائل واساليب التحقيق ومواجهة القوى الوطنية التي تمارسها هذه الاجهزة ، وتبقى هناك جوانب اخرى لا مجال لذكرها الان ، والقصد من هذه الصورة ، هو اعطاء كل مناضلينا ، وكل جماهيرنا ، صورة من هذه الاجهزة ، حتى تتم لهم معرفتها ، وحتى يعرفوا كيف يواجهون التجربة بكل صلابة وقوة اذا ما تعرضوا لها .

ثلاثة تقارير

[١]
ردود الفعل الاسرائيلية على عملية معلوت

في الفترة التي سبقت حرب حزيران (يونيه) ١٩٦٧ ، وفي ذروة حالة البطالة التي شهدتها اسرائيل في تلك الفترة ، نشأت الظاهرة التي يطلق عليها الاسرائيليون اسم « الحركة » . ومفهوم « الحركة » هذا الذي شاع في تلك الفترة ، هو تعبير حالة القلق والتمزق التي عمت اوساط المهاجرين الشرقيين واحياء اليهود الفقيرة، حيث كان الشباب فيها يقومون باعمال احتجاجية استعراضية على حالة الفقر والبطالة التي استشرت في صفوفهم . وكان من ابرز تلك الاعمال الاحتجاجية ، قيام الشباب بخطف السيارات ، ليس بقصد سرقتها او بيعها ، وانما بقصد التنزه بها . فكانوا يخطفون السيارات ويسيرون بها في الاحياء الارستقراطية بسرعة هائلة مطلقين زماميرها . وكانوا يخطفون الفتيات ويسيرون عكس اتجاه السير في شوارع المدن ومنعطفات ميادينها الرئيسية .

جاءت حرب حزيران وما تبعها من انتعاش اقتصادي وعمالة كاملة في اسرائيل لتقضي على هذه الظاهرة الاجتماعية التي بلغت ذروتها خلال الاسبوعين الاخرين السابقين على حرب حزيران . الا انه بعد عملية معلوت ، وبعد اقتحام الجيش الاسرائيلي لمدرستها بست ساعات ، قام اربعة جنود باختطاف اربع سيارات والسير بها بسرعة جنونية في شوارع القدس ، مكررين ظاهرة « الحركة » بين اوساط الجنود هذه المرة .

لم تكن ردود الفعل التي احدثتها معلوت واهتزت بها الحالة النفسية — السياسية الاسرائيلية ، لتتوقف عند حادث الجنود الاربعة بما يمثله هذا الحادث من دلالات هامة . فحالة الانحطاط المعنوي والتردي السياسي — النفسي التي وصلت الى « البيت الاسرائيلي » من كريات شمونه الى ايلات ، جاءت مترافقة مع مجموعة من الاجراءات الرسمية وغير الرسمية ، لتعمق جميعها من تردي الحالة المعنوية والسياسية للمستوطنين الاسرائيليين .

وفي عرضنا لردود الفعل الاسرائيلية ، الرسمية منها وغير الرسمية ، على عملية معلوت التي نفذها ثلاثة من الفدائيين التابعين للجبهة الديمقراطية في ذكرى اغتصاب فلسطين يوم ١٩٧٤/٥/١٥ ، سوف نتوخى عرض الاجراءات الامنية والعسكرية التي اتخذت في اسرائيل ، وكذلك رصد الحالة النفسية — السياسية التي أشاعتها العملية في الاوساط الاسرائيلية ، تاركين لغيرنا من المهتمين باستخلاص العبر والدروس التي تخدم زيادة تأثير الفعل الثوري الفلسطيني وتعميق نتائجه على الصعيد الاسرائيلي ، مهمة صياغة وتعميم تلك الخلاصات والنتائج على الاجهزة المختصة .

اجراءات الاستنفار والتدابير الامنية الوقائية

لجأت اسرائيل بعد عملية معلوت الى مجموعة من الاجراءات والتدابير الوقائية لمنع دخول الفدائيين من لبنان الى شمالي فلسطين . وهدفت القيادة السياسية والعسكرية الاسرائيلية الى اعطاء الجمهور شعورا بأن مصدر تلك العمليات الفدائية جنوب لبنان وليس من الخلايا السرية للمقاومة داخل فلسطين المحتلة . فنقلت جريدة عل همشمار الاسرائيلية عن المجلة الاسبوعية

العسكرية « بماحانية » التي تصدرها وزارة الدفاع الاسرائيلية ، ان سلاح الهندسة الاسرائيلي شرع في تنفيذ أعمال عديدة ، تهدف الى اغلاق محكم لقطاعات مختلفة على الحدود اللبنانية ، « وتشمل نشاطات السلاح عددا من العناصر الرئيسية : أ — تحسين جهاز الانذار على امتداد الحدود بواسطة أعمال هندسية على الطرق الترابية وطرق الدوريات . ب — اغلاق خط الحدود بوسائل مختلفة ، كالاسيجة والالغام وغيرها . ج — اقامة اجهزة انذار حول مستوطنات حساسة ، تشمل أسيجة وطرقا ووسائل اخرى . د — تعزيز جهاز الرصد واقامة مواقع محصنة في نقاط حساسة للتسلل » (عل همشمار ١٩٧٤/٥/٢٢) .

وكانت الاذاعة الاسرائيلية ، قد نقلت في برامجها باللغة العبرية ، انباء كثيرة ومتواصلة حول الاجراءات الامنية والتدابير الوقائية التي اتخذت في اسرائيل . فذكرت ثاني يوم العملية — ٥/١٦ — ان الشرطة الغت جميع اجازات رجالها ، بغية تعزيز الطاقة البشرية ، اثر الاستنفار الذي اعلن بعد حادث معلوت . وقال مراسل وكالة الانباء الاسرائيلية « عيتم » ، ان الغاء المأذونيات زاد عدد افراد الشرطة بنسبة ٣٠ ٪ . وقال الناطق بلسان شرطة لواء النقب (بئر السبع) ان افراد الشرطة والجيش يقومون بدوريات عسكرية بين تجمعات السكان الكبرى في كل المدن والبلدان في المنطقة (رصد اذاعة اسرائيل ٧٤/٥/١٦) .

وفي اليوم التالي ذكرت الاذاعة ، ان المجلس المحلي في مستعمرة « شلومي » الواقعة في الجليل الغربي ، عقد جلسة بحث فيها قضايا الامن ، « وقرر ان يطالب فورا باستكمال الملاجىء واقامة جهاز انذار حول البلدة ، وتعزيز قوات الامن في المنطقة . وارسل المجلس برقية الى وزير الدفاع تطالب بزيارة «شلومي» حالا » (ر.أ.أ. ٥/١٧ ٧٤) . وجاءت حالة الاستنفار في هذه المستعمرة، بعد أن اكتشف في اليوم السابق اثار اقدام للفدائيين قرب مستعمرة « كريات شمونه » حيث أعلنت حالة الاستنفار فيها ، « وتجولت سيارة مزودة بمكبر للصوت في شوارع البلدة ، وطلب من السكان عدم الخروج من منازلهم وعدم فتح الابواب الا للاشخاص الذين يتعرفون على هويتهم . كما تعطل التعليم في مدارس البلدة كافة وطلب من الاهلين عدم ارسال اولادهم الى المدارس » . وبعد اكتشاف اثار الفدائيين توجهت على الفور قوات معززة من الجيش الاسرائيلي ، ووضعت مفارز من قوات الامن في النقاط الحساسة وعلى مقاطع الطرق . وقالت الاذاعة وهي تنقل هذه التفاصيل « ان ما اتخذ من استنفار واحتياطات صباح اليوم في كريات شمونة ، لم يسبق لها مثيل ابدا » (ر.أ.أ. ٧٤/٥/١٦) .وامتدت الاجراءات الامنية وحالة الشعور بالرعب من مستوطني المناطق الشمالية الى المناطق الداخلية. فقد طلب رؤساء المجالس المحلية في منطقة خليج حيفا ، رئيس مركز السلطة المحلية ، باجراء مناقشات عاجلة حول تعزيز الامن في مستوطناتهم . وطالب مضوا كنيست بأن تطرح على جدول أعمال الكنيست مناقشة الاوضاع الامنية في المؤسسات العامة ومؤسسات التربية والتعليم . وقررت ادارة مدينة حيفا وضع دوريات في المدارس والاسواق وفي المراكز الجماهيرية وفي نوادي الشباب وغيرها من اماكن التجمع (ر.أ.أ. ٧٤/٥/٢٠) . واتخذت في مدينة القدس وخاصة القطاع الشرقي منها تدابير امن مشددة ، فاقيمت حراسة مشددة بشكل خاص في المدينة القديمة . كما قررت وزارة المعارف اعطاء الاوامر لتصليح وتحسين الاسيجة في المدارس واقامة الاسيجة في الاماكن التي توجد فيها . وقد تفاهمت الوزارة في هذا الامر مع الشرطة والجيش، خاصة فيما يتلعق بتعزيز دوريات الدفاع المدني . واقترح رئيس لجنة التربية والتعليم التابعة للكنيست ، القيام بتدريبات تأهب في المدارس والاطلاع على كيفية تنفيذ التعليمات السارية المفعول (ر.أ.أ. ٧٤/٥/٢٠).

وفي نطاق التدابير الوقائية الاحتياطية هذه، ولتهدئة خواطر المستوطنين، قام الجيش الاسرائيلي بتعيين قادة مدن في صفد ومعلوت وحتسور لمدة شهر ، بالرغم من ان هذه المستوطنات ليست مستوطنات حدودية وان الشرطة هي المسؤولة عن حماية المواطنين فيها . وبعد حادث معلوت عين الجيش قادة في هذه المدن ولكن التعيين الغي لعدم المس بصلاحيات الشرطة . ثم تقرر استئناف التعيينات لغاية نهاية الشهر ، وعندها يعاد النظر بالموضوع (٧٤/٥/٢٠) .

ويذكر أن اجراءات الامن والاحتياطات التي تركز الجانب الاكبر منها في مناطق الشمال الحدودية والموانيء والمدن في مختلف انحاء فلسطين ، قد امتدت الى مناطق الاغوار الشمالية ، التي لم تشهد تقريبا نشاطا فدائيا بعد مجازر ايلول — تموز ١٩٧١/٧٠ . فذكرت الاذاعة ان حملات تمشيط قد جرت في مناطق الاغوار وفي منطقة الناصرة وفي مناطق مجدال هاعيمق وبوكينعام وبيسان وفي المناطق المحاذية للحدود الاردنية (ر. أ. أ. ٧٤/٥/٢٢٠) . ونشرت الاذاعة ايضا تقريرا عن حالة الامن في مناطق الحدود قالت فيه ان قائد المنطقة الشمالية العسكري وقائد المنطقة ذاتها في الشرطة قاما بجولة على الحدود وزارا عدة مستوطنات شملت نهاريا للوقوف على اجراءات الامن في المستوطنات . واضاف التقرير « سمعنا عن تحسينات في جهاز التحذير أجرتها وحدات من سلاح الهندسة على طول الحدود ووضع حواجز والغام على طول الحدود واقامة اجهزة تحذير حول المستوطنات الواقعة في اماكن حساسة وزيادة عمليات الدورية واقامة مراكز في المناطق التي يتوقع تسلل « المخربين » منها ... وفي طريق عكار — نهاريا — يجري تفتيش السيارات المشبوهة . وعززت الحراسة على المدارس والمؤسسات العامة والمصانع في القرى والمستوطنات القريبة من الحدود اللبنانية ... وفي مراحل معينة قامت طائرات هليكوبتر بالتحليق في سماء الجليل » (ر. أ. أ. ٧٤/٥/٢٢) . واصدر مفوض الشرطة في اللواء الشمالي امرا لتجنيد جميع رجال الشرطة في المنطقة ووضعهم على أهبة الاستعداد التام . وقال المفوض ان قواته تقوم بوضع حواجز عديدة على الطرق كما تقوم بحراسة مؤسسات التعليم (ر. أ. أ. ٧٤/٥/٢٢) . ونقلت الاذاعة على لسان احد المستوطنين في الشمال قوله : « اننا نشعر بخوف كبير في منطقتنا ، ولدينا حراسة قوية تحيط بالمستوطنة ، ونقوم بتوقيف كل سيارة داخلة الى المستوطنة كما نقوم بتفتيشها والتدقيق برخصة السائق » . وقال احد الطلاب : « الطلاب يذهبون الى المدرسة ، وهناك حراسة شديدة على هذه المدرسة . والواقع ان المدرسة تبدو كمعسكر للجيش اكثر مما تبدو كمدرسة . اننا لن نغادر المستوطنة ، اذا بقيت عندنا حراسة قوية » (ر. أ. أ. ٧٤/٥/٢٢) .

وفي تقرير اخر ذكر مراسل الاذاعة الاسرائيلية انه « اتضح لي انه تم اغلاق عدد من الطرق في الجليل الغربي كما وضعت في طرق اخرى حواجز للتفتيش . وسمح للسيارات بالتحرك باعداد ضئيلة . وتركزت قوات الامن في نقاط مختلفة من الجليل ، وتساعد في اعمال الدورية طائرات الهليوكبتر ... وفي خلال الليل استخدمت في خليج حيفا قنابل مضيئة لانارة المنطقة » . وقد وصف التقرير حالة الاستنفار بانها لم يسبق لها مثيل منذ عدة اعوام (ر. أ. أ. ٧٤/٥/٢٤) . وفي معرض وصفه لصعوبة الارض وتضاريسها الطبيعية ذكر المراسل العسكري للاذاعة من شمال فلسطين تفاصيل بعض الاجراءات العسكرية التي وضعت لكشف اثار الفدائيين . فقال : « على طول الحدود توجد طريق عريضة ، وهذه الطريق مؤلفة من ثلاثة أشياء : سياج من الاسلاك الشائكة بارتفاع ٢٥ متر ، وطرق ترابية ، وبجانبها طريق معبدة . وتقوم قوات جيش الدفاع الاسرائيلي باعمال الدورية بصورة يومية على طول الطريق . وعندما تكون هناك عمليات تسلل ، يمكن عادة رؤية آثار اقدام المتسللين على الطريق الترابية . كما ان اقتحام السياج يترك اثارا يشير الى عملية التسلل الى اراضينا . واما الصعوبات في اكتشاف المجموعة التي تتسلل ، فهي بصورة خاصة في عمق المنطقة ، بسبب ما ذكرناه آنفا .. ومن يتحرك في شوارع وطرق الجليل الغربي ، يشهد الحركة اليقظة هنا ، وطائرات الهليوكبتر وهي تحلق فوق المنطقة طوال ساعات النهار والتي تقوم بتمشيط كل رقعة وبقعة . ان عمليات التمشيط لا تنطوي على الحركة فقط ، وفي مناطق معينة حيث المراقبة صعبة بصورة خاصة ، يتم التمشيط عن طريق اطلاق النار والقاء القنابل ، وذلك للتغلب على الادغال ... وفي مناطق معينة كان يبدو النور كضوء النهار (عين يعقوب ، معونا ، كابري) ، وفي طرق عديدة لا يسمح التنقل بسيارة منفردة ويمكن التحرك فقط بقوافل سيارات ، بحيث ترافق كل قافلة مجموعة من الحرس من جيش الدفاع الاسرائيلي » (ر. أ. أ. ٧٤/٥/٢٤) .

والسؤال الان ، هل تحول جميع هذه الاجراءات دون تكرار عملية معلوت ؟ . ان وزير الدفاع الاسرائيلي السابق ديان يجيب على هذا السؤال بقوله : « لا يوجد أي شيء محمي حماية

مطلقة ، لا الرحلات ولا الحوانيت الكبرى ، ولا المستشفيات . فليس هناك أي شيء محروس بصورة كافية » . ثم يعلق ديان على اجراءات الامن هذه محذرا من نتائجها العسكرية بقوله : « هل نحن على استعداد لنتجند جميعا ونحمل السلاح من الصباح حتى المساء امام كل مكان يحتمل أن يقتحموه ؟ . هذا هو الانجاز الذي يريد ان يحققه المخربون ، والدول العربية . فهل حقا ينبغي القيام بذلك ؟ لا اعتقد ذلك » (ر. أ. أ. ٧٤/٥/٢٠) .

الحرس المدني

في حفل تخرج الدورة الثالثة والعشرين لضباط البحرية الاسرائيلية ، قال رئيس الاركان مردخاي غور ان « الدولة بحاجة الان بعد الحرب ، الى جيش قوي ، جيد وكبير » (ر. أ. أ. ٧٤/٥/٢٣) . وقال المعلق العسكري في جريدة هآرتس زئيف شيف ، ان هدف العمليات التي هي على غرار معلوت « حمل الجيش الاسرائيلي على توزيع جهوده وقواته وعدم تمكينه من ترميم نفسه بعد حرب الغفران ، والاستعداد للمستقبل ، اي ابعاد الجيش الاسرائيلي عن مهمته الاساسية ، وكذلك فرض الخوف على سكان اسرائيل وادخال الدولة الى ما يشبه الجيتو المسيج ، ومضاعفة الارتباك الى درجة كبيرة جدا بعد الحرب ... وعلى أي حال ، فالخطر هو في ان يعمل الجيش الاسرائيلي بحسب السيناريو العربي ، فيوزع قواته ، ويتحول الجيش النظامي الى شرطة كبيرة » (هآرتس ٧٤/٥/٢٦) .

وقد يكون النقص الهائل في القوى البشرية في الجيش الاسرائيلي والخوف من ان يتحول هذا الجيش الى شرطة ومن ثم يبتعد عن مهامه الاساسية ، هما السببان الرئيسيان والمباشران للدعوة الى قيام حرس أهلي ينوب عن الجيش في مهمات الحراسة وحماية المستوطنين . لذلك ومن تبعنا لردود الفعل الاسرائيلية على عملية معلوت ، جد أن اولى الافكار التي طرحت للمداولة ومن ثم لتنفيذ العملي ، هي فكرة انشاء وتكوين حرس أهلي . ففي صفد بادر رئيس البلدية الى تنظيم لافراد المسرحين من الجيش ومنظمات المقاومة السرية والى تزويدهم بالاسلحة كي يقوموا لحراسة . كذلك اعلن في اجتماع ضم مئتي مدير للمدارس المتوسطة في الشمال وحيفا ، عن مطالبة وزارة المعارف وليس الشرطة ، تدابير الامن سوية مع المعلمين الذين اخذوا على عاتقهم مهام الحراسة جنبا الى جنب مع اولياء الطلبة . كما نشرت لجنة الكنيست لشؤون الداخلية قرارا بحقها في تنظيم المدنيين ممن ليسوا في الخدمة بالجيش ، لاعمال الحراسة والدفاع والخدمات الخاصة (ر. أ. أ. ٧٤/٥/١٧) . وفي « رامت جن » تطوع المسرحون من الجيش في حراسة المدينة . كما تم تاليف حرس مدني في هرتسليه واخر في ايلات (ر. أ. أ. ٧٤/٥/١٧) . وفي « رامت جن » تطوع المسرحون المدني حوالي ٣٠٠ شخص ويتوقع زيادة العدد الى ٦٠٠ (ر. أ. أ. ٧٤/٥/١٨) . وفي حيفا ، فتح مركز لتسجيل المدنيين الراغبين في التطوع بالحرس (ر. أ. أ. ٧٤/٥/٢٠) .

وفي مقابلة مع وزير الشرطة شلومو هايل حول احتياطات الشرطة واجراءات وزارته الاحتياطية قال : استطيع ان اؤكد دون ادنى شك اننا نخطط منذ مدة لزيادة قوة الشرطة . ولقد تحدثت حول هذا الموضوع قبل مدة ، حول تجنيد حرس مدني متطوع ، يشارك في حماية المواطنين في هذه الفترة، لان هناك بالاضافة الى الحرب الدائرة على الحدود، حرب اخرى مع « المخربين » . واضاف هايل حول فكرة الحرس المدني قائلا : « ثمة جزء من هذا الحرس قد نظم ، ونحاول حاليا القيام بخطوات لتوسيعه، وفي هذه الايام بالذات نحن على استعداد لاستيعاب عدد أكبر من المتطوعين ... ولقد تحدثنا أيضا عن موضوع تجنيد اشخاص بالاجرة ، حتى لو تجاوزت اعمارهم السن القانوني . ولقد وافقت الحكومة على دفع رواتب لهم على الرغم انهم يحصلون على معاش تقاعد ، وكل ذلك لتشجيعهم للعودة الى الخدمة . اننا ندرس امكانية سن قانون ، لكننا نحاول اولا عن طريق التطوع .ولذا لم يكن هناك عدد كاف من المتطوعين ، فسنعالج الامر عن طريق سن قانون » (ر.أ.أ. ٧٤/٥/١٨) .

أما المجالس البلدية في مختلف المدن ، فقد أخذت على عاتقها تجنيد حرس مدني بالرغم من تصريحات وزير الشرطة حول هذا الموضوع . فبعد صفد قامت بلدية القدس باقامة حرس مدني في المدينة بالتعاون مع وزارة الشرطة (ر. أ. أ.

٧٤/٥/٢٢) . أما في صفد ذاتها فقد الحق الحرس المدني بالشرطة واصبح قائد الشرطة قائدا للحرس. والصفة الغالبة على المتطوعين التقدم في السن « فاغلبهم من قدماء المحاربين في حركات المقاومة السرية ، الهاجانا واتسل ولحي ... وثمة عدد من المتطوعين تفوق أعمارهم الـ ٩٠ ومن بينهم من لديه احفاد في جيش الدفاع الاسرائيلي ... وسيعتبرون كرجال شرطة اعتياديين ، وسيتمتعون بجميع الحقوق الاجتماعية التي يتمتع بها رجال الشرطة » (ر.ا.أ. ٧٤/٥/٢٣) . وفي طبريا قررت البلدية تجنيد حرس مدني ايضا . وسيشترك في الحرس نحو ٢٠٠ شخص تتراوح اعمارهم بين ٢١ الى ٥٥ عاما (ر. أ. أ. ٧٤/٥/٢٢) . وفي حينا أقسم اليمين ٧٠ من قدماء الهاجانا تطوعوا للعمل في صفوف الشرطة . وقال مراسل « عيتم » ان ٣٠ مدنيا فقط استجابوا حتى الان لنداء البلدية والشرطة للانخراط في الحرس المدني (ر. أ. أ. ٧٤/٥/٢٣) .

وبعد حوالي عشرة ايام من عملية معلوت ودعوة المستوطنين للتطوع بالحرس المدني ، سجلت تقارير الشرطة في جميع انحاء اسرائيل نحو ٢٠٠٠ متطوع ، منهم ٤٠٠ في تل ابيب ، ١١٠٠ في القدس والجنوب ، ٥٠٠ في حيفا والشمال . وتأمل الشرطة بزيادة العدد الى ٦ — ٧ الاف متطوع . ويذكر ان استجابة سكان المدن كانت قليلة وان اغلبية المتطوعين جاءوا من المستوطنات والكيبوتسات ومن منظمات قائمة مثل منظمة اعضاء الهاجانا ومجلس مكافحة حوادث السير (ر. أ. أ. ٧٤/٥/٢٥).

توزيع الاسلحة

اضافة الى الاجراءات السابقة ، وجنبا الى جنب مع نشوء فكرة اقامة حرس مدني ، وفي اطار تخفيف الاعباء الداخلية على الجيش ، والنقص الواضح في القوى البشرية خاصة في جهاز الشرطة ، وفي اجواء القلق العام الذي عاشه المستوطنون بعدة عقب عملية معلوت ، بدأت المطالبات بتوزيع اسلحة فردية على المستوطنين وقامت الاجهزة المختصة بالفعل بدراسة هذه المطالبات وصرفت لعدد من المتقدمين بها قطع اسلحة خفيفة .

ان السرعة التي تم بها تنفيذ فكرة توزيع الاسلحة على المدنيين ، تحت ضغط الوضع النفسي والانحطاط المعنوي الشامل في اسرائيل ، جوبهت بمعارضة قوية ولكنها غير واسعة ، كما حذر بعض السياسيين والمعلقين من المخاطر الناجمة عن توزيع الاسلحة على المدنيين ، خوفا من استعمالها في قضايا ثأرية بين اليهود انفسهم او ضد العرب الفلسطينيين الذين يعيشون داخل اسرائيل .

ولقد شرح وزير الشرطة شلومو هليل السياسة التي تتبعها الشرطة بشأن حمل السلاح فقال : « اننا ننظر بايجابية الى طلبات الحصول على اسلحة ، وليس لانه بدون هذا السلاح لا يمكن العيش . ولكننا نعيش في مرحلة ينبغي السماح فيها لكل شخص قادر على حمل السلاح ، وليست له سوابق بمخالفة القانون ، ويحسن استخدام السلاح ، ويرغب بحمله ، فاننا نوافق على منحه رخصة لحمل السلاح ، ولكن الى جانب ذلك فاننا نحاول زيادة قوة الشرطة بعدة اساليب » (ر.ا.أ ٧٤/٥/١٨) .

وبالرغم من عدم نشر اية تفاصيل حول توزيع الاسلحة على المدنيين ، الا ان الصحف الاسرائيلية حذرت من عواقب انتشار الاسلحة . فقد حذرت صحيفة معاريف ، من الاخطار التي ينطوي عليها توزيع السلاح على السكان ، بسبب التوترات السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة ، ولاحتمال استعمال هذا السلاح ضد اشخاص ابرياء من ابناء الاقلية العربية في اسرائيل (معاريف ٧٤/٥/٢٠) . وحذت حذوها صحيفة هاتسوفيه محذرة من ان يجد وضع السلاح في يد السكان تعبيرا له في يوميات الشرطة وفي التخليط لعمليات السرقة ، ومن الانتقام من العرب في اسرائيل . (هاتسوفيه ٧٤/٥/٢٠) .

غير ان هذه التحذيرات لم تحل دون قيام الشرطة وغيرها من الاجهزة المختصة ، من توزيع السلاح على المدنيين . والدليل على ذلك هو قيام الحرس المدني وعودة افراد المنظمات الارهابية السابقة للعمل في اطار ذلك الحرس . ولا يعقل ان يقام حرس كهذا دون ان يكون مزودا بالاسلحة. ولكي تأخذ الافكار العامة حول مسألة توزيع السلاح شكلا قانونيا محددا ، فقد منحت رئاسة الكنيست يوم ٥/٢٨ ، صفة الاستعجال ، لاقتراح

طرحه على جدول الاعمال عضو الكنيست « ابراهام ميلاميد » من المفدال ، حول موضوع حيازة الاسلحة . ومن الجدير بالذكر ان عضو الكنيست هذا يستنكر تشجيع المدنيين جميعهم على اقتناء الاسلحة . (ر١٠١٠ ٧٤/٥/٢٨) .

اعدام الفدائيين

في محاولة لاعادة التوازن النفسي ، وفي ظل الحالة العصبية الشديدة التي عصفت بأعمدة المجتمع الاسرائيلي عقب عملية معلوت ، قام المستوطنون الصهاينة بالمطالبة باعدام الفدائيين . وقد سار في هذا الخط غير المتوازن بعض السياسيين الاسرائيليين وبعض رجال الحكم ايضا، من عسكريين ومدنيين وأعضاء كنيست . وكان ابرز واول من طالب بانزال عقوبة الاعدام هذه ، عضو الكنيست « يهودا شعري » من الاحرار المستقلين (ر١٠١٠ ٧٤/٥/١٧) . كما طالب وزير الاحرار المستقلين في حكومة اسحاق رابين الحالية بانزال عقوبة الاعدام بالفدائيين ، مبررا حجته بالقول : « اذا نفذنا العقوبة القصوى بأشخاص يستحقون هذه العقوبة ، بسبب اعمال ارتكبوها ، نكون قد وفرنا دماء بريئة » (ر١٠١٠ ٧٤/٥/١٧) .

بعد هذه التصريحات ، انتقلت مطالبات الاعدام الى اوساط الجمهور الاسرائيلي . فحضر يوم ٥/٢٠ الى مبنى الكنيست وفد عن طلاب جامعة تل ابيب يحمل عريضة موقعة من عشرة آلاف شخص ، يطالبون بانزال حكم الاعدام بالفدائيين . وقال عضو الكنيست موشي شاحل من المعراخ انه يسعى للحصول على تواقيع ٦١ عضو كنيست على مبادرة لمشروع قانون خاص لانزال حكم الاعدام بالفدائيين (ر١٠١٠ ٧٤/٥/٢٠) . وقام سكان معلوت بمسيرة في القدس وفي ايديهم لافتات تؤيد عقوبة الاعدام وسار الى جانبهم متظاهرون من صفد يحملون نفس اللافتات . وصرح رئيس بلدية معلوت بعد ذلك ، انه أرسل دعوات لطلاب الجامعات للعمل من اجل خلق حركة جماهيرية تأييدا لتعديل القانون وتطبيق احكام الاعدام على الفدائيين . وقد أيد عضو الكنيست مناحيم بيجن فرض عقوبة الاعدام ودعا الى تأليف منظمة رسمية تتخصص بمحاربة الفدائيين (ر١٠١٠ ٧٤/٥/٢٠) .

وتقدم عدد من أعضاء الكنيست من مختلف الاحزاب بمشروع قانون الى الكنيست ، يدعو الحكومة الاسرائيلية الى الغاء الاوامر التي أصدرتها الى النيابة العامة بعدم المطالبة بفرض عقوبات الاعدام . وجاء في مشروع القانون هذا : « ان من يقتل يهوديا او يلحق به ضررا خطيرا ، او يحرض ضد اليهود ، او يحتجز اولا كرهائن ، يكون مجرما تجاه الشعب اليهودي وعقوبته الاعدام » . وتعززت هذه المطالبة ، بعريضة قدمها الى رئيس الكنيست ، رؤساء اتحادات الطلاب الجامعيين ، وموقعة من ١٠٠ ألف شخص ، بوشر بجمع التواقيع عليها منذ حادث ميونخ عام ١٩٧٢ . (ر١٠١٠ ٧٤/٥/٢٣) .

في معرض تزايد المطالبات باعدام الفدائيين ، أعلنت الحكومة الاسرائيلية عن وجهة نظرها في هذا الموضوع بشكل رسمي ، على لسان وزير العدل فيها حاييم تسادوك الذي قال : « ان تنفيذ احكام الاعدام لن يكون له تأثير رادع » ضد الفدائيين ، « بل قد يكون له تأثير معكوس » . وشرح ان عدم تنفيذ العقوبة يوفر حياة الجنود الاسرائيليين ، وقال ان عدم تنفيذ العقوبة ايضا يقصد به عدم « الاساءة » الى العلاقات مع سكان المناطق المحتلة . (ر١٠١٠ ٤/٥/٢٣) .

وضع العرب تحت الاحتلال

ظلت اسرائيل طوال سنوات الصراع العربي — الاسرائيلي الطويلة ، تحاول ان تخرج السكان العرب الواقعين تحت احتلالها ، من دائرة الصراع هذه . وحرصا منها على عدم فتح جبهة داخلية ، كانت تجنب العرب هؤلاء اية ردود فعل انتقامية من جانب المستوطنين عقب العمليات الفدائية الكبيرة التي يقوم بهـا الفدائيون . الا ان السلطات الاسرائيلية لم تنجح دائما في ذلك . فعقب عملية كريات شمونة في نيسان (ابريل) الماضي ، تعرض المواطنون الدروز العرب الى عمليات انتقامية من قبل المستوطنين الصهاينة خاصة في صفد وكريات شمونة . وعقب عملية معلوت ، توقعت سلطات الاحتلال ان تتسع حملات الانتقام ضد المواطنين العرب سواء داخل اسرائيل او داخل المناطق المحتلة . ولم تقم تخوفات الحكومة الاسرائيلية هذه في الفراغ . فقد بدرت عدة محاولات للاعتداء على المواطنين العرب عقب عملية معلوت وبعد تنفيذ عمليات سابقة عليها .

لقد كانت ردة الفعل الاولى لدى السكان العرب، امتناع الوف العمال منهم عن الحضور للعمل في المستوطنات اليهودية . وعلى الاثر بدأت السلطات الاسرائيلية بالاعداد لحملة اعلامية في اوساط السكان اليهود والعرب « سيجري التركيز فيها على عدم الاقدام على اعمال تضر بمصالح المواطنين » . وتشرح كيف ان امتناع العمال العرب عن الذهاب الى عملهم « سيضر بالدولة فقط ويزعج علاقات الجوار الطيبة » كما وصفها مستشار رئيسة الحكومة للشؤون العربية شموئيل توليدانو. (ر.١٠١ ٧٤/٥/٢٠) . وكان قد تعرض عدد من اليهود لبعض المواطنين الدروز ، الامر الذي حدا بزعماء الطائفة الى عقد اجتماع ضم وجهاء ورؤساء المجالس المحلية الدرزية من قرى الجليل والكرمل لمناقشة هذا الموضوع . واشترك في الاجتماع شموئيل توليدانو . وقال جبر داهش معدي — نائب وزير الاعلام الاسرائيلي — ان الذين « تحرشوا بالدروز ليسوا الا اشخاصا قلائل من مرضى العقول ، لكن مثل هذه الاعمال قد تؤدي مع هذا الى تشويش العلاقات الودية بين اليهود والدروز». وروى معدي انه بعد حادث معلوت ايضا ، اعتدي على مواطن درزي اثر بسيارته مواطنين درزيين ، واوقفت سيارته قرب معلوت، وانهال عليه بالضرب بعض المستوطنين اليهود (ر.١٠١ ٧٤/٥/٢٠) . وعلى اثر ذلك منع دخول العمال العرب الى صفد ، تحسبا من وقوع اعمال عنف ضدهم . وقد تغيب بعض العمال عن العمل بمبادرتهم الشخصية، وفي بعض الحالات قامت الشرطة بمنعهم ، حيث اقامت حواجز على مداخل صفد لتنبيه العمال العرب الى حالة الهيجان والغضب التي تسود سكان المدينة ، خاصة بعد ان وزعت مناشير في صفد موقعة «من يسمون انفسهم « الرابطة لاجل عدم تشغيل ابناء الاقليات في صفد » (ر.١٠١ ٧٤/٥/٢٠) .

اما على صعيد المناطق المحتلة ، اصدرت قيادة الحكم العسكري في الضفة الغربية ، امرا خاصا يفرض قيودا على الحركة من المناطق الواقعة ضمن دائرة نصف قطرها ١٦ كم ومركزها القدس . وقد منع في هذه المنطقة دخول السيارات عدا حركة السيارات داخل حدود البلديات ، وذلك من الساعة العاشرة ليلا وحتى الساعة الثالثة صباحا . اما على طريق أريحا القدس فمنعت السيارات من السادسة والنصف مساء وحتى السادسة والنصف صباحا . واعلنت صحف الضفة الغربية في نفس الوقت عن اعتقالات واسعة بين صفوف العرب . (ر.١٠١ ٧٤/٥/٢٣) .

والى جانب هذه الاجراءات ، بدأت المطالبات الرسمية وغير الرسمية بتكثيف الاستيطان العبري في الجليل . فقد لجأت لجنة الداخلية في الكنيست الى تعزيز الاستيطان في الجليل (ر.١٠١ ٧٤/٥/٢٣) . وفي الذكرى السابعة لضم القطاع الشرقي من مدينة القدس الى اسرائيل ، كان شمعون بيرس وزير الدفاع الحالي قد قال : « مقابل الكلاشينكوف السوفياتي ، واليد الفلسطينية ، ستضيف اسرائيل مستوطنات اكثر واكثر في اراضيها ... ومقابل التعويض لمستوطناتنا سنبني مستوطنات جديدة وصامدة ، وسوف نستوطن الجليل اكثر فاكثر ونوسع القدس ونحصن جنوب اسرائيل » (ر.١٠١ ٧٤/٥/٢٠) .

عيسى الشعيبي

[٢]

سلطات ماليزيا والقضية الفلسطينية

في حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، عندما كان التونكو عبد الرحمن ما يزال رئيسا لوزراء ماليزيا ، قام الملك فيصل ، عاهل المملكة العربية السعودية ، بزيارة رسمية الى كوالالومبور . واعلنت نتائج المباحثات التي اجراها مع الحكومة الماليزية في عنوان توج الصفحات الاولى من الصحف يؤكد التزام ماليزيا بقضية فلسطين حتى نهاية النضال. وكان التنكو عبد الرحمن نفسه ، منذ نيسان (ابريل) ١٩٦٩ ، بعد المؤتمر الاسلامي في كوالالومبور ، قد قبل باقامة ممثل دائم لفتح في كوالالومبور.وقام مسؤولون من فتح بزيارة التونكو (الامير) وسلموه هدية رمزية من الحركة . وبعد حريق المسجد الاقصى اقيمت في كوالالومبور لجنة رسمية معينة من الحكومة تجمع سنويا في آب (اوغسطس) من الجماهير الملايوية المسلمةالفقيرة نحو ١٠٠ الف دولار ماليزي كانت تعطى لفتح . وبدا ان ماليزيا صديقة لقضية تحرير فلسطين .

ولدى تقاعد التونكو كرئيس للوزراء في ١٩٧١ ، اسند اليه منصب الامين العام الاول للامانة الاسلامية ، المؤلفة حديثا ، ومركزها جده . وبدا ظاهريا ان هناك حكومة ائتلافية تحكم ماليزيا — لكن رئيس الوزراء الحالي ، التون عبد الرزاق (أحد الرؤساء التقليديين الاربعة لولاية باهانغ)، قد نجح في اضعاف المعارضة غير العقائدية عن طريق تقاسم المقاعد (الاقل اهمية من الوزارات) في الحكومة ، وفي غير السلطة الفعلية . فالسلطة تبقى حكرا على « آمنو » UMNO (منظمة الملايويين الوطنية المتحدة) التي تعتمد على الجماهير الملايوية المسلمة لوجودها .

ليس ثمة وعي للامبريالية بين الجماهير الملايوية. لم يكن النضال المناهض للامبريالية هو الذي نقل السلطة الاستعمارية البريطانية على تسليم السلطة السياسية الى « آمنو » في « تحالف » مع الاحزاب الطائفية النظيرة التي تمثل المتحدرين من المهاجرين الهنود والصينيين.على العكس تماما، فقد شجع البريطانيون تأليف وتطوير هذه الجماعات الطائفية غير العقائدية لمناهضة المقاومة المسلحة للاستعمار البريطاني بقيادة الحزب الشيوعي الملايوي .

والجماهير الملايوية التي تقطن شبه جزيرة تبعد ٣٠ دقيقة بقاذفة القنابل عن الفيتنام ، لم تظهر في اي وقت من الاوقات اهتمامها بالسياسات المبيدة للشعوب التي كان الامبرياليون الاميركيون ينتهجونها في الفيتنام . أما فلسطين فقد كانت مسألة اخرى — ولكن بعد حرق المسجد الاقصى فقط . فالجماهير الملايوية تفهم قضية فلسطين بوصفها جهادا — وتجاوبها هو امتداد لكونها تعتبر نفسها مسلمة . والتحديد المصنف قانونيا للملايوي (في ماليزيا) هو مسلم — واذا ما تحول عن دينه، واعتنق دينا اخر ، فانه يتخلى ايضا عن هويته العرقية ، ويقال لها « بانفسا » . وكذلك الامر، عندما يهتدي المرء الى الاسلام ، فانه « يدخل الملايويين » ، او « ماسوكس ميلايو » .

ولذلك ، عن طريق النضال الفلسطيني ، يمكن جعل الملايويين يفهمون الامبريالية ، ولهذا السبب عينه استولت الحكومة بواسطة لجنة فلسطين التي عينتها هي رسميا على قضية فلسطين واحتوتها وكبحتها . وقد رفضت الحكومة في كل الاوقات طلب « الحزب الاشتراكي لشعب الملايو » احتلال مقعد في هذه اللجنة . وفي الوقت ذاته تجنبت اللجنة عمدا اي شكل من اشكال زيادة الوعي حول القضايا الحقيقية التي ينطوي عليها تحرير فلسطين.

وبعد نشاط ايلول الاسود صارت هذه اللجنة حتى اقل حماسة لفلسطين . وقد تحدث امينها العام ، السيد ناصر ، المتحدر من اصل عربي ، الى كاتبة هذه الرسالة عن « الارتباك » الحاصل الان فيما « العرب يقتلون عربا » . ومع تنفيذ حكم الشعب في وصفي التل ، تصلب « الارتباك » ، وتضاءل النشاط الذي جرى فيه السعي الى جمع التبرعات السنوية . ورفضت السلطات اعطاء ترخيص من الشرطة للتقدميين الذين أرادوا ان يعقدوا ندوات عامة كعملية تعليم متواصلة « لازالة الارتباك » عن الحالة .

ثم جاء تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ . ففي

الثالث عشر منه استولت الشبيبة ، وهي في الدرجة الاولى ملايوية ، دون ترخيص ، على الباصات من « الجامعة الوطنية » الناطقة باللغة الملايوية ، وتجمعت عناصرها في مركز لينكولن (خدمة اعلام الولايات المتحدة USIS) في كوالالومبور لتطالب بوجوب اغلاق هذا المركز الذي يبث الدعاوة الاميركية ، وبالتالي الموالية لاسرائيل ، والانفجرت فيه القنابل . وقد سارع للذهاب الى المركز وزير الشؤون الداخلية شخصيا ، وقد تعلم امثولة انتفاضة بانكوك بقيادة الطلبة ، التي وقعت ايضا في الشهر نفسه ، وكدر الشرطة بموافقته على اغلاق المركز في انتظار اجتماع ممثلي الطلبة برئيس الوزراء .

ووفقا لما يقوله انور ابراهيم ، الذي قاد التظاهرة ووفد الطلاب الى التون عبد الرزاق ، فان رئيس الوزراء شرح قائلا ان ماليزيا « محايدة » وبالتالي لا تستطيع اغلاق مركز لينكولن الذي هو امتداد للسفارة الاميركية في كوالالومبور . ودافع التون عبد الرزاق عن موقفه قائلا ان هذا الحياد (الخط الذي رسمه غزالي شافعي ، وزير الشؤون الداخلية حاليا) هو الذي رفع ماليزيا الى المركز الذي تتمتع فيه باحترام العالم ولا يمكن التضحية به . وبعد وقف النار على الجبهة المصرية الاسرائيلية ، اعيد افتتاح المركز «للعمل كالمادة»، مجهزا بنوافذ بلورية جديدة .

وفي بينانغ ، على مسافة ست ساعات بالسيارة الى الشمال من كوالالومبور ، وقعت احتجاجات مماثلة قادتها فاطمة شام بنت حميد تواح ، رئيسة اتحاد الطلبة في « الجامعة العلمية » في بينانغ . ثم جاءت الندوة العامة الحاسمة حول «الحرب وفلسطين» التي نظمتها فاطمة شام في جامعة بينانغ في الرابع والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، فانكشفت مواقف سلطات ماليزيا.

ففي ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ ، لما عاد التونكو عبد الرحمن ، الامين العام للامانة الاسلامية ، من العربية السعودية ليمضي عطلة في ملايو ، واثناء اجتماع له مع كاتبة هذه الرسالة حول موضوع ميندناو ، الفلبين ، تكلم عن فلسطين على النحو التالي : « لماذا تثيرون انتم المتاعب ، لا اعتقد ان اليهود اذكياء الى الحد الذي تحتاجين معه الى الخوف منهم . اعطيهم ذلك البلد، ثم راقبيهم».

نقلت له في استفزاز مقصود : « ان الملك فيصل ، يا تونكو ، يدعم تحرير فلسطين » . وكانت ردة فعل التونكو فورية اذ قال : « انك لا تدرين ، فالزعماء العرب يحدثونني عما يدور في خلدهم . وهم مستعدون للاعتراف باسرائيل — غير انكم انتم تبتزونهم بالتهديد فيضطرون الى اعطاء المال . بوسعي ان اخبرك الان : **ان دولتي كانت اول دولة مسلمة تعترف باسرائيل — قبل ايران وتركيا ، ولكنني كنت ذكيا ، فلم أتبادل السفراء معها** » .

في آب (اغسطس) ١٩٧٠ ، بعد العنوان الرئيسي الداعي الى دعم فلسطين ، عندما كان التونكو ما يزال رئيسا للوزراء ، طلبت منه كاتبة هذه الرسالة في اجتماع لها معه حظر السلع الاسرائيلية . وكانت ردة فعل التونكو هي : « هل يشترون مطاطنا ؟ » وكان رفض التونكو تبني القضية بغيضا اكثر فاكثر لانه قبل ذلك بأعوام قاد الحظر التام لسلع جنوب افريقيا ، وما كان بوسع احد يحمل جواز سفر جنوب افريقي ان يدخل البلاد باستثناء حالات معينة ، في حين ان مسؤولا اسرائيليا يحمل جواز سفر اسرائيلي جاء في آب ١٩٧٢ الى كوالالومبور لحضور اجتماع « اتحاد كرة القدم الاسيوي » او الالعاب الاسيوية .

ان السلع الاسرائيلية في السوق الملايوية ، نتيجة لتجارة **مباشرة** ، كانت مسؤولة عن النسبة المئوية التالية من الاستيرادات للمواد التالية في ١٩٧٣ :

السلع الاسرائيلية :
نسبة مجموع السلع المستوردة
الى ماليزيا بين كانون الثاني (يناير)
وأيلول (سبتمبر) ١٩٧٣

السلعة	حصة السلع الاسرائيلية من الاستيرادات (النسبة المئوية من الحجم)
عصير فواكه وخضار للاستهلاك الفوري	٤٠ر٠
بن القهوة	٢٨ر٠
فواكه وحمضيات أخرى طازجة او مجففة	٢٢ر٨
برتقال ، مندرين ، يوسف أفندي ، طازج	٢٠ر٧

فواكه وخضار	
مركز للاستعمال الصناعي	٠ر١٢
عصير بندوره	٩ر٣

ملاحظة (أ) كانت حصة استيرادات « عصير الفواكه والخضار للاستهلاك الفوري » مرتفعة على الدوام: ١٩٧٠ (٨ر٣٤٪)؛ ١٩٧١ (٩ر٤٢٪)؛ ١٩٧٢ (٥ر٣٠ ٪) ؛ ١٩٧٣ (٠ر٤٠ ٪) .

(ب) ان حصة استيرادات « بن القهوة » من حيث القيمة هي أعلى من حصتها بالنسبة الى الحجم المبينة في الجدول اعلاه : ١٩٧٠ (٧ر٤ ٪) ؛ ١٩٧١ (٢ر٢١ ٪) ؛ ١٩٧٢ (١ر٣٨ ٪) ؛ ١٩٧٣ (٨ر٣٢ ٪) .

في الندوة التي عقدت في تشرين الاول ١٩٧٣ ، كشفت الكاتبة عن كل الامور سالفة الذكر وطالبت بسحب الاعتراف ، وبحظر السلع الاسرائيلية مهما كان البلد الصادرة عنه ، وباقامة « لجان مواطنين للمقاطعة » لتنفيذ الحظر . وكانت هذه مفاجأة مذهلة فعلا بالنسبة الى شعب لم يكن يدري قط بموقف حكومته . وصدرت الصحيفة الناطقة بلسان الطلبة ، غراسيسوا (عدد تشرين الاول (اكتوبر) — تشرين الثاني (نوفمبر)) بالعنوان الرئيسي التالي : « الملايو تعترف باسرائيل ؟ » وأرسلت نسخا الى منظمات في جميع انحاء البلاد ، وأحست الحكومة بالخطر ، التي كانت تحضر للانتخابات في ايار (مايو) ١٩٧٤ — وقد أرجئت هذه الانتخابات فيما بعد حتى ١٩٧٦ .

وفي محاولة لدحض هذه الحقائق (التي لم ينكر التونكو ابدا انها حقائق) استخدمت الحكومة صحيفة « مينغوان ماليزيا » التي تملكها امنو والناطقة باللغة الملايوية ، وزاوية « كابارينا » التي يكتبها كل يوم احد « اوانغ سيلامات » ، وهو الاسم المستعار لمازلان نور الدين ، الذي كان ذات مرة رئيس القسم الملايوي في صوت اميركا ، ولا يتورع اليوم عن تلقي ما يمليه عليه هاتفيا مكتب رئيس الوزراء ، وربما زين ازراي(١).

وعلى الاثر جرى انتاج سلسلة من التسويغات. وفيما يلي ترجمة لبعض ما جاء في زاوية « كابارينا » بـ « اوانغ سيلامات » في مينغوان ماليزيا ، بتاريخ التاسع من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ بعنوان: « ماليزيا تعترف باسرائيل ؟ » :

« هل صحيح ان التونكو كان يقول كذا وكيت كما ذكر آنفا ؟ أليست سياسة ماليزيا (المتينة) وغير المنحرفة ازاء العرب ، من قبل وحتى الان ، من الوضوح بحيث لا يجب ان تثير المزيد من الشكوك ؟ ومن الراهن ان العرب كانوا يدلون بتعليقات ، لو ان السياسة الماليزية نحو العرب ، حتى الى درجة صغيرة ، تميل الى اسرائيل . ولكن العرب ، قبلا وحتى الان ، قد اعربوا عن امتنانهم من تأييدنا المتين . وبالنظر الى موقفنا الواضح من تأييد النضال العادل للعرب ، فاننا نستمر في التمتع بتدفق النفط — خلافا لبعض البلدان الاخرى التي قطعت امدادات النفط عنها . انه يستحيل على طلبة الجامعة ان يناجلهم الاستماع الى تصريحات يدلى بها على ذلك النحو في ندوة معينة. ومما لا ريب فيه انهم سيسألون : من قال ذلك فيما يتعلق بسياسة بلدنا ؟ هل صحيح ان التونكو كان يقول ما ورد ذكره آنفا ؟ يقينا ، ان الطلبة الجامعيين لن (يفاجأوا) بمثل هذه السهولة » .

رغم هذا التصريح المنطوي ، ظاهريا ، على

---

١ — زين أزراي هو مستشار رئيس الوزراء حول الشؤون الخارجية — وهذا منصب رئيسي . وهو متزوج من « ضون » ، وهي يهودية جنوب افريقية . وأبوها الذي يعيش في جنوب افريقيا يعطى اعفاء خاصا لزيارة ماليزيا بجواز سفره الجنوب افريقي — علما بانه لا يسمح للجنوب افريقيين بدخول البلاد . وقد التقى زين وضون عندما كانت ضون تعمل في الامم المتحدة بنيويورك — وهي خريجة احدى الجامعات ومولعة بالعلوم السياسية ، وتزوجا خارج الملايو — ولم تعتنق ضون الاسلام ، والشرع الاسلامي في الملايو (الذي يلزم المسلمين) لا يسمح الا بزواج مسلمين اثنين ، ولا يعترف بأي شكل آخر من أشكال الزواج للمسلم . ولذلك فانهما من الناحية الشرعية مذنبان « بالقرابة الحميمة » — او (BERKHALWAT) ، التي يصار بسببها الى اعتقال الاقل قوة ونفوذا. وتعي ضون « يهوديتها » على نحو دفاعي — « انا يهودية » تقول — وتظهر عداء مكشوفا لاشخاص مثل كاتبة هذه الرسالة ، اذ انها تعتبر تأييد تحرير فلسطين عملا مناهضا لليهود .

ثقة بالنفس ، فقد سارعت الحكومة الماليزية الى ارسال وزير النفط طيب محمود الى بعض العواصم العربية للحصول على تعهدات تعاقدية تؤمن لماليزيا النفط الذي تحتاجه للاستعمال المحلي . وتنتج ماليزيا نفطها الخاص ، ولكنه ذو محتوى منخفض جدا من الكبريت بحيث ان استعماله للغايات الداخلية سيكون من الناحية الاقتصادية منطقيا بقدر ما هو استخدام الشمبانيا ليغسل المرء بها سيارته منطقي . كما ان ماليزيا تكسب بالعملة الاجنبية من نفطها ذي المحتوى المنخفض من الكبريت اكثر بكثير مما تنفقه على استيراد النفط للاغراض الداخلية . والى ذلك فان مصافي النفط التي شيدتها الكارتل (شيل) في ماليزيا ليست مصممة لتكرير النفط الماليزي .

وفيما كانت القضايا تنتشر بين الجماهير ، يدعمها التصريح الصحافي الذي أدلت به كاتبة هذه الرسالة وكررت فيه الاتهامات ، اصدر (اوانغ سيلامات) ، في السادس عشر من كانون الاول (ديسمبر) ، المسوغ النهائي . وفيما يلي ترجمة لما جاء في « كابارينا » بصحيفة مينفوان ماليزيا في ذلك التاريخ :

« في الواقع ليس لدى ماليزيا اية علاقات تجارية باسرائيل — الا اذا كان هناك تجار بالطبع [وهذا ، بالنسبة الى الجماهير الملايوية ، سيعني تجارا صينيين ، غير مسلمين ، قادرين على خيانة الوطن] او عملاء اجانب هربوا السلع الاسرائيلية من بلدان نائية او مجاورة [يعني سنغافورا التي يسيطر عليها الصينيون] . اننا نعترف بدولة اسرائيل التي انجبتها الامم المتحدة . ولكننا لا نعترف بحكومة اسرائيل وليست لنا علاقات دبلوماسية او تجارية معها » .

لقد اثبتت المسوغات انها اعترافات واستيقظ الشعب . وفي الرابع من كانون الاول (ديسمبر) اجتمع سفراء البلدان العربية (كان لمصر والعربية السعودية منذ عهد بعيد تمثيل دبلوماسي في ماليزيا، وقد اقام العراق سفارة منذ وقت قصير) برئيس الوزراء الماليزي ليطلبوا منه حظر التجارة الاسرائيلية — ولكن لا ليطلبوا منه ، على ما قيل لنا ، سحب الاعتراف ، الذي ربما لم يكن كل السفراء يدرون به .

وبحلول التاسع عشر من كانون الاول (ديسمبر) أقدمت بريتا هاربان ، وهي صحيفة اخرى ناطقة باللغة الملايوية ، كانت تتلقى تصاريحنا الصحافية، ودون ان تستشهد بالكاتبة او تذكر مباشرة مسوغات اوانغ سيلامات ، على نشر افتتاحية تطلب فيها فرض حظر تام على السلع الاسرائيلية مهما كان بلد المنشأ ، وتقول بحزم ما كان صحيحا على نحو جلي ، ان بوسع المرء في اية سوق ان يجد سلعا اسرائيلية . ولكنها هي ايضا لم تطلب سحب الاعتراف .

وبحلول العشرين من كانون الاول كان قد طفح كيل المنظمات الطالبية الرئيسية بأكاذيب « اوانغ » الدفاعية . وصدر بيان مشترك عن المسؤولين الذين يمثلون المنظمات الاربع ، وهم محمد ادريس جوسي رئيس « الاتحاد الوطني للطلبة الماليزيين » ، حليم عبدالله الامين العام « لمجلس الشبيبة الماليزية » ، حليم أرشات رئيس « اتحاد الطلبة » في الجامعة الوطنية ، وصدق حاجي فاضل رئيس « الاتحاد الوطني للطلبة المسلمين الماليزيين » . وأشار البيان المشترك الى تصريح الكاتبة ، وبعد ان أورد اقتباسات مباشرة من شرك السفسطات الذي نصبه « اوانغ » ، طالب الحكومة بتوضيح موقفها : « ماذا يعني اننا نعترف بالدولة ولكننا لا نعترف بالحكومة ؟ واذا جاءت الى السلطة حكومة اخرى في ظل رئيس وزراء آخر فهل سنعترف بها ؟ ماذا يعني اننا لا نقيم علاقات تجارية مع اسرائيل — مع انه يمكن شراء قهوة اسرائيل والبرتقال اليافاوي من اسرائيل في « سوبر ماركت ويلد وثريفتي » وغيره من المتاجر . ومما لا ريب فيه ان هذه البضائع تغرق السوق الماليزية » .

هذا البيان تجاهلته الصحف « الوطنية » . ووردت الاشارة الوحيدة اليه في الطبعة الجاوية (خط عربي معدل) من الصحيفة عينها التي تسيطر عليها أمنو ، حيث تحدث « باك اوانغ » هذه المرة عن لا جدوى المقررات التي يجمعها هو في ملف !

ومع ان البيان المشترك منع من الصدور في الصحف الوطنية ، فقد حمله انور ابراهيم الى الجماهير في اجتماعات عقدت في كل انحاء البلاد ، وكان « الحزب الاشتراكي للشعوب الملايوية » يحول علاقات ماليزيا باسرائيل الى احدى القضايا الرئيسية في الانتخابات — التي ارجأت الان . وفي الوقت ذاته اشترينا عينة من السلع الاسرائيلية

من اثنين من اكبر متاجر السوبر ماركيت ، وجرى تصويرها فوتوغرافيا للنشر :

سلع اسرائيلية مشتراة في كوالا لومبور في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ :

سوبر ماركيت ويلد

عصير غريبفروت يافاوي « فيتا » ج. بلوتكين وأبناؤه ليمتد ، رامات غان ، اسرائيل .

عصير غريبفروت يافاوي (اكسلسيور) : غان شموئيل ، الخضيرة ، اسرائيل .

عصير برتقال طبيعي يافاوي « عسيس » : عسيس ليمتد ، تل ابيب ، اسرائيل .

القهوة الجاهزة ليبر مومنتو : كوفي مومنتو ليمتد ، بيت — شيميش ، اسرائيل .

سوبر ماركيت فيتز باتريك

عصير غريبفروت طبيعي يافاوي « عسيس » : عسيس ليمتد ، تل ابيب ، اسرائيل .

عصير غريبفروت من نوع « سانليت » اليافاوي: ياخين كانينغ كومباني ليمتد ، تل ابيب ، اسرائيل.

في السنوات ١٩٦٤ — ١٩٦٦ كان لاسرائيل ممثل تجاري في كوالالومبور ، اسمه موشيه بيغار ، يعمل في ظل شركة « انتراشيان ترادنج كومباني » المؤسسة في اسرائيل . وفي مقابلة مع صحيفة ستريتس تايمز الصادرة في سنغافورا ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٦ ، رفض موشيه بيغار ان يسمح بتصويره هو او اولاده وزوجته . وكان موشيه بيغار قد جاء الى ماليزيا من بورما حيث لم يكن بحاجة الى ستار كهذا ، ووضع دراسة عن المسلمين في بورما للجامعة العبرية . وعندما غادر الملايو صار القنصل الاسرائيلي في لوس انجيلوس ثم في فيلادلفيا ، بالولايات المتحدة . وفي عدد مينغوان ماليزيا الصادر في السادس عشر من كانون الاول ١٩٧٣ ، على الصفحة الثانية ، جرى فضح هذه الحقائق كجزء من تصريح ادلت به فاطمة شام في سياق نقاش متزايد القوة .

وبالاضافة الى التجارة المباشرة ، يسمح بتأسيس شركات اجنبية تنتمي الى الرأسماليين الصهاينة الرئيسيين في كوالالومبور.وأحد الامثلة هو Dutch Van Leer Containers .وصاحب هذه الشركة (ابن برنارد فان لير الراحل الذي كان احد اليهود القلائل الذين استطاعوا ان يشتروا الحرية لانفسهم عندما كانوا ضيوفا على الغستابو) ، هو مستشار شخصي لغولدا مئير . والارباح من شركات فان لير في كل انحاء العالم تذهب الى « مؤسسة فان لير » التي تركز على تمويل مشاريع تعليمية صهيونية ، والكثير من هذه المشاريع موجود في اسرائيل. وقد وهبت « مؤسسة فان لير » وزارة التربية التابعة للحكومة الماليزية قرابة مليون دولار للمساعدة في انماء مشروعات كهذه في ماليزيا . وبعد ١٩٦٧ كانت الحلقات الدراسية السنوية لهذه المؤسسة تعقد بصورة ثابتة في القدس المحتلة .

ولنتويج سياسة الاعتراف والتجارة والشركات الصهيونية والممثلين الاسرائيليين ، فان ماليزيا تلعب كرة القدم مع اسرائيل ، وخسرت مقابلها ٣ — ٠ ، وقد قاد ماليزيا الى هذه المباراة المشينة داتو هارون ادريس ، المنتري بيسار (أي كبير وزراء) ولاية سيلانغور التي تقع فيها العاصمة كوالالومبور.وداتو هارون هو رئيس شبيبة أمنو ، وقد وصل الى هذا المركز القوي عن طريق موقفه الملايوي القومي .

وقد استبق « أوانغ سيلامات » في الثالث والعشرين من كانون الاول ١٩٧٣ ، في مينغوان ماليزيا ، الصفحة الرابعة ، احتمال اثارة هذه القضية في ذروة النقاش الدائر خلال تشرين الاول — كانون الاول — وقد اثيرت القضية فعلا — رغم كبت الصحف الواقعة تحت تأثير الحكومة لها ، وكتب في زاويته « كابانيا » ما ترجمته : « الحقيقة الواضحة هي أن اسرائيل انجبتها الامم المتحدة . وقد أيد هذا القرار كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . وفي ندوة الامم المتحدة كان الممثلون العرب والاسرائيليون احيانا يشتركون في معارك شفهية . والان يقف الممثلون العرب والاسرائيليون وجها لوجه في جنيف للعثور على طرق لاعادة استتباب السلام في الشرق الاوسط. ويدفعنا حب الاستطلاع الان الى التساؤل عن احتمال لعب العرب كرة القدم ضد الاسرائيليين » . وقد حملت الزاوية توقيع : « اوانغ — غير المتعصب » .

عبر الطريق من الملايو توجد جزيرة جمهورية سنغافورا التي اضحت مستقلة عندما طردها

ـ بالمعنى الحرفي ـ التونكو عبد الرحمن في ١٩٦٥. وسكان سنغافورا هم ٧٥ بالمئة صينيون ، ١٤٫٥ بالمئة ملايويون ، و١٠ بالمئة هنود . ويكن رئيس الوزراء ، لي كوان يو ، احتقارا شديدا للشعب المحلي الملايوي ـ البولينيزي المحيط بجزيرته . وثمة تصريح كلاسيكي ادلى به لي معلنا قوله « نحن الشرق اسيويين (شاملا بذلك الصينيين واليابانيين ومستثنيا الملايويين) مختلفون » . وان غطرسته العنصرية ، وشعوره بالتفوق ، تربويا وثقافيا ، وخوفه من ان تبتلعه الشعـــوب « الاقل قيمة » المحيطة ببلاده ، تشبه عقلية الاسرائيليين . وهو ايضا يعلن نفسه « اشتراكيا » فيما يفتح باب « جزيرته » واسعا للتثمير الاجنبي الى ان اضحت سنغافورا « القاعدة » للشركات المتعددة الجنسيات في جنوب شرقي آسيا .

من المفهوم ، اذن ، ان تكون الامة التي يجب ان يعتمد عليها لبناء جزيرته القلعة هي اسرائيل . وطوال اعوام ثمانية ، ١٩٦٥ ـ ١٩٧٣ ، عمل في سنغافورا ما لا يقل عن ٤٥ ضابطا ـ مستشارا اسرائيليا (وأرجح ان عددهم ٦٠) . وأبقيت هذه الحقيقة طي الكتمان الى مـــا بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وفي احتفالات عيد الاستقلال في تموز (يوليو) ١٩٦٧ تعمد لي لو كوان يو ان يقدم بفخر كبير الضباط الاسرائيليين الذين كانوا يدربون ويبنون قوة دفاع سنغافورا . هذا الاعلان المتعجرف فهم على انه انذار للشعوب المحيطة بأن اقلية سنغافورا ـ « المتفوقة » ايضا ـ يمكنها ان تسحق الشعوب المحلية « الاقل قيمة » منها اذا ما اعتبرت ذلك ضروريا .

وقد ساعدت « بعثة من قوة الدفاع الاسرائيلية » في تصميم معهد تدريب القوات المسلحة لسنغافورا ، المسمى اختصارا (سافتي) ، وفي اعداد دروس المدربين ، وفي مخطط المنهج الدراسي ، وفي برنامج التدريب . وقدم الاسرائيليون استشاراتهم حول تأسيس نظام الخدمة الوطنية لسنغافورا . وقالت صحيفة ستريتس تايمز ، طبعة سنغافورا ، في عددها الصادر في ١٤ نيسان (ابريل) ١٩٧٤ : « الى جانب المساعدة في اقامة (سافتي) ، قدمت البعثـــة ايضا خبرتهـــا حول مسائل مثل مدارس التدريب وقواعد الصيانـــة والطـــاقة البشريـــة والاركان العامة و«المعهد التقني للقوات المسلحة».

وأرسلت اسرائيل مستشارين لكل سلاح وكذلك لوظائف متخصصة معينة ، وفي ١٩٦٩ بلغ مجموع عدد المستشارين الحد الاقصى ، نحو ٤٥ » .

وبالاضافة الى دور اسرائيل في بناء القوات المسلحة السنغافورية ، فقد ارسلت احد ضباط البالماخ السابقين ، اسمه ليفي ، لانشاء « مركز بوينا فيزتا لتدريب الشبيبة » ومن ثم لادارته ، وكان الاسرائيليون ملحقين « بمجلس الانمـــاء الاقتصادي » ، ان لم يكن بجهاز الامن .

وكل هذا هو جزء من « سياسة البلد الثالث » التي تنتهجها الامبريالية الاميركية ، وهي السياسة التي حللتها تحليلا مستفيضا « جمـــاعة دراسة افريقيا» في كامبريدج بولاية ماساشوستس بالولايات المتحدة*. ويجري الان تدريب الفلبينيين في سنغافورا على السيطرة المضادة للاضطرابات ومناهضـــة الثورات الخ ... ورمزيا ، يحمل جميع افـــراد الحرس الخاص للرئيس ماركوس رشاشات عوزي الاسرائيلية !

كل هذا مهم جدا لفهم كيفية تحرك سلطات ماليزيا ـ فتؤيد فلسطين ، ظاهريا ، لاسترضاء الجماهير الملايوية المسلمة ـ بينما هي تتعاون مع الاسرائيليين .

وتتعاون (استخبارات) الفرع الخاص لماليزيا وسنغافورا . ويجري تبادل المعلومات ، ربمـــا لتدمير القوات التي لا تريد ماليزيا ، نظريا ، تدميرها . واذا كان المرء من التهور بحيث يتحدث الى احد ضباط الفرع الخاص الماليزي ـ سواء كان ملايويا او صينيا ـ فانه يتحدث الى الفرع الخاص السنغافوري ، وبالتالي الى الاستخبارات الاسرائيلية . وعن طريق « المعلومات » التجارية ، عرف انه كان في مقدور سنغافورا ان تحضر قضايا ضد اشخاص في ماليزيا تريد سنغافورا تدميرهم لاسباب خاصة بها. ومثل هذه الاضبارات لا يحملها الى وزير الشؤون الداخلية الماليـــزي ، غزالي شافعي ، موظف سنغافوري ، بل يحملها اليه احد ضباط فرعه الخاص ، ويضحي غزالي ، تبعـــا لسياسة « ثق بضباطك » ، ودون ان يدري ، عميلا للي كوان يو وللاسرائيليين وللامبريالية الاميركية .

---

* راجع « **شؤون فلسطينية** » عدد ٨ الصادر في نيســان (ابريل) ١٩٧٢ ، ص ٨٠ .

ولدى بعض ضباط الفرع الخاص الماليزي ستار ممتاز اذا ما دعاهم الواجب ، على سبيل المثال ، الى ابقاء المندوبية السامية السنغافورية في كوالالومبور تحت « المراقبة » . وهذا هو دور وستار تان تيونغ كاي .

هناك وسيلة اخرى من وسائل التأثير السنغافوري والاسرائيلي في ماليزيا وهو « داب » DAP (أي حزب العمل الديموقراطي) ، النظير الماليزي لـ «باب» PAP (حزب العمل الشعبي)، الذي يقوده كي كوان يو واستمر مسيطرا على السلطة في سنغافورا منذ ١٩٥٩ . واعضاء «داب» من المواطنين الماليزيين يتولون مناصب رئيسية ، وحساسة في كثير من الاحيان ، في ماليزيا . وبوصفهم مواطنين ماليزيين « موالين » يمكنهم ان يؤثروا ، مباشرة او مداورة ، في جمع الاضبارات.

في ١٩٧٢ ، اثناء أحد اجتماعات « الشبيبة الدولية الاشتراكية» في الهند ، تطوع الاسرائيليون، او وافقوا على تزويد اعضاء « داب » بالتدريب في شن حرب عصابات المدن في ماليزيا (في مدن ماليزيا ، يؤلف غير الملايويين ٦٥ بالمئة من السكان) . وبواسطة تمزيق كهذا ، قد يكون في مقدور لي الاستيلاء على ولاية جوهور الماليزية الجنوبية عبر الممر من سنغافورا مباشرة ، الامر الذي سيضمن له مورده المائي (فان سنغافورا تشتري الماء من جوهور) ويزوده بالمنطقة الخلفية الاقتصادية التي يريدها . ويصار الى ارسال الشبيبة الصينية الماليزية الى سنغافورا ، ظاهريا للبحث عن أعمال ، وهناك يتلقون تدريبا عسكريا ومن ثم يعادون الى ديارهم . ويقدر ان ١٥ الفا قد جرى تدريبهم حتى تاريخه . لماذا ، اذن ، لا تدري ماليزيا ماذا يحدث ، ولماذا لم تقطع خطوط التسلل ، والتأثير ، والسيطرة غير الواعية ؟ مسؤول العلاقات العامة بوزارة الشؤون الداخلية تسوغ الامر قائلا بان ماليزيا ، دون تبادل مستمر للمعلومات مع استخبارات الفرع الخاص السنغافوري ، لن تكون في مركز يمكنها من السيطرة على عناصر « الجمعية السرية الصينية » (وهي عصابة اشرار) الذين يدخلون ماليزيا من سنغافورا ، وبالطبع اعترف صراحة بان هذا التعاون لا يعدو ان يكون استمرارا للممارسات الاستعمارية البريطانية ، فالبنية تبقى . حتى ان المسؤولين الماليزيين يسمحون للسكرتير الاول للمندوبية السامية البريطانية في سنغافورا ، روني بلوم ، بحضور جلسات الاستجواب التي يجريها ضباط الفرع الخاص الماليزي في كوالالومبور . ومن عادة روني بلوم ان يطير الى كوالالومبور للمناسبة كلما اعتبر ان المصالح البريطانية قد تفيدها المعلومات التي يتوقعون الحصول عليها .

وهكذا فان غزالي شافعي ، وزير الشؤون الداخلية الماليزي ، يحطم المناهضين للامبريالية والمناهضين للصهيونية ، ويسمح لمحاضرين مغتربين امثال سام وولف في جامعة بينانغ العلمية (حيث ٥٠ بالمئة من المحاضرين هم مغتربون) ممن يجرؤون على الوقوف في المنتديات العامة والادعاء بأنه ليس ثمة « دليل سوسيولوجي على وجود شعب فلسطيني » ، بان يستدفئوا ويتنعموا بالشمس الماليزية .

وسيبقى النفوذ الصهيوني في ماليزيا طالما هناك سنغافورا صهيونية ، الا اذا قررت ماليزيا من هي حقا .

لدى عودة التون عبد الرزاق ، رئيس الوزراء ، من مؤتمر لاهور (الباكستان) للامانة العامة الاسلامية ، وجد انه لم يعد يستطيع مقاومة خطر التجارة الاسرائيلية التي اعترف ، في وجه « اوانع سيلامات » (الذي يفلح في عدم الشعور بالخجل)، بانها كانت مباشرة وبلغت ١٢ مليونا كل سنة . **ويبقى الاعتراف باسرائيل** . وفي حزيران (يونيو) تجتمع الامانة العامة الاسلامية من جديد ، هذه المرة في كوالالومبور . **فهل ستثار قضية الاعتراف باسرائيل ؟**

لا بد من تعليم ماليزيا انه لا يمكن ان يكون ثمة حياد في وجه الشر ، ولا يجوز لعب كرة القدم مع الامبريالية سواء كانت صهيونية في فلسطين ، او نير شعوب ميندناو ، سولو وبالاوان في الفلبين ، او نير حكومة تايلاندا على شعب الملايو في باتاني — وان كلا من الفلبين وتايلاندا هما حليفتا ماليزيا ضمن « رابطة جنوب شرق اسيا » المسماة اختصارا «ASEAN» . **ولا يمكن تحييد الامبريالية او اللعب معها ، بل يجب تدميرها .**

الدكتورة شيرلي غوردون

الصحف البريطانية والقضية الفلسطينية
(من شباط الى نيسان ١٩٧٤)

اعرب الكثير من الدوائر السياسية العربية عن مخاوفها ازاء فوز حزب العمال في انتخابات بريطانيا العامة التي جرت في ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٧٤ . وفسرت هذه المخاوف على ان اسبابها تعود الى احتمال أن يحدث انعطاف في سياسة بريطانيا الخارجية ، بعد سقوط حكومة ادوارد هيث ، يغير من موقف بريطانيا «المعتدل» ازاء الشرق الاوسط . وكان هارولد ولسون ، زعيم حزب العمال ، قد استقبل غولدا مئير ، رئيسة وزراء العدو الصهيوني ، بعد معارك تشرين الاول (اوكتوبر) الاخيرة ، وأعرب لها عن تعاطف حزبه وتأييده « للمشكلة الاسرائيلية » خلال انعقاد مؤتمر « الاممية الاشتراكية » في لندن خلال اوائل تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي .

وقد ثبت ، على الاقل حتى هذه الآونة ، ان تغير سياسة بريطانيا الخارجية يرتبط ، ليس بسقوط حزب المحافظين ، او فوز حزب العمال ، في الانتخابات العامة وحسب ، بل يرتبط عمليا بالوضع الاقتصادي العام في البلاد وبمصالح الغرب الاقتصادية في منطقة الشرق الاوسط . فالاسباب التي دفعت حزب المحافظين ، في أوائل السبعينات، الى أن يتبع سياسة « معتدلة » ازاء النزاع العربي — الاسرائيلي ، هي الاسباب نفسها التي تحول دون ان يحدث حزب العمال أي درجة من الانعطاف في اتجاهات سياسة بريطانيا الخارجية .

وتأتي مواقف الصحافة البريطانية اليومية كي تؤكد هذا الواقع . هذه المواقف ، على الرغم من فوز حزب العمال في انتخابات شباط (فبراير) الماضي ، لا تزال تحتفظ باستقلاليتها المعروفة ، وتعبر عن اتجاهات وآراء رجال الاعمال والهيئات الاقتصادية الغربية ازاء الصراعات السياسية في مناطق العالم الملتهبة ، خاصة ازاء تلك التي تجري في منطقة الشرق الاوسط .

● شباط (فبراير) .. شهر الانتخابات البريطانية

حفلت الصحف البريطانية بمختلف التقارير والحملات والاحصاءات الانتخابية خلال شهر شباط (فبراير) الماضي . الا أنها ، اي الصحف ، لم تهمل قضية الشرق الاوسط بالرغم من أنها لم تحتل الاعمدة المعتادة خلال ذلك الشهر .

قبل ان نبدأ باستعراض مواقف الصحافة البريطانية ازاء قضية الشرق الاوسط ، لا بد من الاشارة الى حدث يستحق التوقف عنده . ففي أواخر شهر كانون الثاني (يناير) الماضي ناشد ٢٢ صحافيا بريطانيا العاملين في أجهزة الاعلام المختلفة ان يعملوا على ابراز « مأساة الكتاب والصحافيين الفلسطينيين الذين يتعرضون لاضطهاد السلطات الاسرائيلية » . وقد وجه هؤلاء رسالة الى الاتحاد الوطني للصحافيين في بريطانيا . ومن بين الذين وقعوا هذه الرسالة ، بول فوت الذي فاز بجائزة « أفضل صحافي » لعام ١٩٧٣ ، ودافيد مساي وجيروم بورني ، اللذين يشرفان على مجلة « تايم أوت » الاسبوعية ، التي تطبع اكثر من مليون نسخة اسبوعيا وتهتم بمختلف النشاطات الاجتماعية والفنية والسياسية والفوضوية ، وخاصة « الفضائحية » منها . وقد نشرت رسالة المناشدة في صحيفة « الجيرناليست » وهي صحيفة نقابية دورية تهتم بشؤون العاملين في حقل الصحافة البريطانية . ووجهت الرسالة الى الاتحاد الوطني للصحافيين كي « يدافع ويساعد خمسة من الكتاب والصحافيين الفلسطينيين ، وهم :

— الدكتور وليد قمحاوي ، الذي رحلته سلطات الاحتلال الاسرائيلية من الضفة الغربية ، على الرغم من عدم توجيه اي تهمة اليه ،

— وجميل حمد ، الذي لا يزال رهن الاعتقال في اسرائيل لمجرد تعليقه في افتتاحية نشرت في صحيفة الفجر ، التي تصدر في الاراضي المحتلة ، بعد اغتيال ثلاثة من المفكرين الفلسطينيين في بيروت خلال شهر نيسان (ابريل) عام ١٩٧٣ ، علما بأن السلطات الاسرائيلية لم تعرض قضيته امام محاكمها حتى الان ،

— ومحمود عبد خليل ، الذي ألقي القبض عليه خلال شهر ايار (مايو) ١٩٧٣ ، لاقتنائه صندوقا كان يحوي خمسة افلام حول احتفالات اسرائيل بذكرى تأسيسها الـ ٢٥ . وقد حكم عليه بالسجن لمدة اربعة اعوام خلال شهر كانون الاول (ديسمبر) الماضي ،

— ومحمود درويش ، الذي أجبر على الرحيل من ارضه بعد أن أدخلته السلطات الاسرائيلية

السجن ثلاث مرات متوالية خلال الاعوام ١٩٦١ و١٩٦٥ و١٩٦٧ ، وفرضت عليه ، من ثم ، اقامة جبرية في منزله في حيفا على ان يقدم تقارير يومية الى مراكز الشرطة .

— وفوزي الاسمر ، الذي ألقي القبض عليه في عام ١٩٦٩ وتعرض للتعذيب الجسدي خلال التحقيق معه . وعلى الرغم من عدم توجيه أي تهمة ضده ، فقد أمضى ١٥ شهرا في السجن من دون ان تقدمه السلطات الاسرائيلية الى المحاكمة ، وأجبر على الرحيل من أرضه بعد الافراج عنه . »

وختمت الرسالة مناشدتها بالقول « ان هناك العديد من هذه الحالات المؤسفة حيث يتعرض الصحافيون والكتاب والشعراء للترحيل من بلدهم ، او للتوقيف التعسفي . ولسوء الحظ لم تأت الصحافة البريطانية على ذكر اي من هذه الحالات » . وقد حملت رسالة المناشدة اسماء وتواقيع الصحافيين التالية : باميلا غيرغسون ، ماريون وولفسون ، دافيد ماي ، دافيد كلارك ، هيلاري ارنوت ، جيني بورني ، ليلى حسان ، كريسبن اوبري ، جيروم بورني ، ك. ب. بانيان ، بول غوت ، ج. فليت ، ج. بيلي ، مارتن ميتيارد ، لورس فلن ، داركوس هوي ، بوب باردو ، ا. م. شيريدان ، كارول دكس ، كولن جاكسون ، جيم هيغنز ، جون هيات .

ذكرنا ان الصحافة البريطانية انشغلت بالحملات الانتخابية وأزمة بريطانيا الاقتصادية خلال اوائل العام الحالي ، الا ان ذلك لم يؤد الى « طرد » القضية العربية — الاسرائيلية من أعمدة الصحف المختلفة . فقد اهتمت الصحف بقضيتين أكثر من غيرهما ، وهما « أزمة الطاقة » — خاصة بعد الموقف النفطي العربي الذي تبع المعارك المسلحة — و« محاولات الرئيس السادات التعديل في سياسة بلاده وتحسين أوضاعها الاقتصادية » . ويبدو ان الصحافة البريطانية ، بعد حرب تشرين الاول (اوكتوبر) الاخيرة ، بدأت تقدم خدمات ، مجانية ، ترويج اتجاهات السياسة العربية الرسمية ، وخاصة السياسة المصرية ، وطمس الشخصية الفلسطينية التي هي محور الصراع في المنطقة منذ اكثر من ربع قرن . فاذا كانت الصحف البريطانية كاد تجمع على تشجيع وتبرير اتجاهات مصر السياسية في حل النزاع في المنطقة ، « بغية تحويل الاموال التي تنفق على التسلح الى الانفاق على مشاريع اقتصادية » ، فهي ، أي الصحف ، لا تتحدث مطلقا ، تقريبا ، عن مشكلة الشعب الفلسطيني ، الذي يخضع ، غالبا ، لمد وجزر السياسات العربية في منطقة الشرق الاوسط . فماذا عن مشكلة الشعب الفلسطيني ؟ الصحف البريطانية تجيب ، همسا ، عن هذا التساؤل .

الصحيفة الوحيدة التي حاولت أن تجيب عن هذا التساؤل هي صحيفة « التايمز » التي تعبر عن آراء رجال الاعمال واتجاهات الدوائر الاقتصادية في بريطانيا . وجاءت هذه المحاولة في مقالتين كتبهما ادوارد مورتمر في صحيفة التايمز في ٢٩ و٣٠ كانون الثاني (يناير) الماضي على التوالي . وادوارد مورتمر ، واحد من الصحافيين الشباب الجدد ، استلم مؤخرا منصب المشرف على شؤون الشرق الاوسط في صحيفة التايمز . ويتمتع بشبكة واسعة من العلاقات مع الدوائر العربية والفلسطينية والاسرائيلية في آن معا . وكان مورتمر ، قبل نشر المقالتين المذكورتين ، قد قام بجولة في الشرق الاوسط بعد حرب تشرين الاول (اوكتوبر) مباشرة، شملت دمشق وبيروت والقدس . وزار الضفة الغربية والتقى سكانها بالاضافة الى لقائه مع الفلسطينيين الذين يعيشون في اسرائيل .

ويقول مورتمر في مقالته الاولى انه « اذا كانت حرب تشرين (اوكتوبر) قد أنقذت الاسرائيليين صوابهم ، فهي نبهت العرب أيضا ، خاصة اولئك الذين يعيشون في ظل الحكم الاسرائيلي » . فخلال المعارك وقعت عدة حوادث في الضفة الغربية وغزة « كاغلاق المدارس اشارة الى التضامن العربي ، وكتابة الشعارات على الجدران في الشوارع والتصدي للدبابات الاسرائيلية » . ويشير مورتمر في مقالته الى أن السلطات الاسرائيلية عززت قوات الامن التي تشرف على احتلال الاراضي العربية « بعد أن هاجم السكان العرب ثلاثة من رجال الشرطة الاسرائيلية ، مستعملين المدى والسكاكين في مدينة رام الله » .

وفي معرض اشارته الى مؤتمر القمة العربي الاخير، الذي عقد في مدينة الجزائر، وقرر الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني ، يذكر مورتمر انه « من دون شك ، لقد استقبلت غالبية الفلسطينيين في الضفة الغربية

وغزة هذا القرار بحماس بالغ . وقد يبدو انه من الصعب ان تقبل الفكرة في هذه البلاد (بريطانيا)، لانها تربط دائما اسم منظمة التحرير الفلسطينية بمسائل خطف الطائرات والارهاب ، ولكنها لا تفكر بفلسطينيي الضفة الغربية على انهم مسالمون وديون ومحافظون . فقد ارتكب الرئيس الاميركي ، روزفلت ، الخطأ ذاته ، عندما اعتقد ان سكان فرنسا « الفيشية » (من كلمة فيشي) لن يقدموا الدعم ، مطلقا ، الى رجل غريب الاطوار ، كالجنرال ديغول » . ويوضح مورتمر انه « تماما ، كما فعل ديغول .. وتمكن من ان يبقي فرنسا على خارطة العالم السياسية خلال الاحتلال النازي ، فان منظمة التحرير الفلسطينية ، بفصائلها المختلفة وأوضاعها المختلفة ، تمكنت من أن تبقي فلسطين على الخارطة ، بل ، في الواقع ، أعادت فلسطين الى مكانها على الخارطة بعد ان غاب اسمها جغرافيا عن العالم العربي لمدة طالت نوعا ما » .

ويناقش مورتمر في مقالته الثانية (التايمز ، ١٩٧٤/١/٣٠) الحوار الذي يجري داخل صفوف المقاومة حول سياستها في المستقبل . ويشير الى ان « احتمالات اية تسوية لازمة الشرق الاوسط تضع جميع الفلسطينيين في مأزق حاد . فالشعب الفلسطيني ، من ناحية ، كان دائما — ولا يزال — الضحية الاولى بعد الازمة ، وهو ، بالتالي ، الذي يهتم بالنتائج ، اكثر من غيره . ومن ناحية ثانية ، لقد كان الشعب الفلسطيني هو الخاسر الدائم من جراء الازمة ، ويبدو ان اي تسوية يتم التوصل اليها ، في هذه الآونة ، وفقا لموازين القوى في المنطقة قد تؤدي الى تكريس هزيمة هذا الشعب . وفي أحسن الاحوال ، فان الشعب الفلسطيني لن يمنح اكثر من خمس أرض فلسطين ما قبل عام ١٩٤٨ » .

وتجدر الاشارة الى التعتيم الاعلامي المقصود الذي يقوم به مراسلو الصحف البريطانية في اسرائيل . فالاحداث التي تجري داخل اسرائيل وفوق الاراضي العربية المحتلة لا تجد لها مكانا في الصحف البريطانية ، وخاصة ما يتعلق منها بمسألة اضطهاد العرب ، ولكنها تظهر فجأة في مقالة مورتمر . ويذكر انه « منذ اعياد الميلاد ان النشاط السياسي يشهد فترة ركود وخمول » ، هذه الفترة التي يسارع مراسلو الصحف المقيمون في اسرائيل الى الاشارة اليها بين الحين والاخر . الا أن مورتمر يعلل ذلك ويقول انه « يعود الى احتواء المقاومة ضمن حملة واسعة من القمع والاضطهاد» . ويضيف مورتمر في مقالة أخرى ، نشرت في العاشر من شباط (فبراير) الماضي ، انه « ألقي القبض على أكثر من ٥٠٠ شخص في الضفة الغربية مؤخرا ، كما أجبر عدد من سكان غزة على مغادرة أرضهم . وتم اعتقال خمسة اشخاص في نابلس في الخامس من شهر شباط (فبراير) ، حيث لا يعرف ذووهم ماذا حل بهم » .

الغريب ان مراسلي الصحف البريطانية في اسرائيل ، أمثال اريك مارسدن (مراسل التايمز)، واريك سيلفر (مراسل الغارديان) ، يتجاهلون تماما هذه الاحداث ، على الرغم من ان بعض المصادر اليهودية ، التي تأخذ موقفا محايدا ازاء ازمة الشرق الاوسط ، يعترفون وينشرون ويفضحون هذه الاحداث . من المؤكد ان مراسلي الصحف البريطانية في اسرائيل لن يترددوا في اغناء تقاريرهم وبرقياتهم الصحفية بصور مختلفة من التراجيديا عندما يلقى القبض على خمسة افراد ، وليس ٥٠٠ ، من يهود الاتحاد السوفياتي !..

ان الذي تجدر الاشارة اليه هو موقف حزب العمال ، خلال حملة الانتخابات العامة في شهر شباط (فبراير) الماضي ، والذي عبر عنه جيمس كالاهان في مقالة نشرتها له صحيفة التايمز في ١٣ شباط (فبراير) الماضي . فبعد أن أعربت الدوائر السياسية العربية عن خشيتها ازاء تغير قد يحدث في سياسة بريطانيا الخارجية نتيجة لفوز حزب العمال في الانتخابات العامة، سارع هارولد ولسون الى ارسال وزير خارجية الظل آنذاك ، في مهمة زار خلالها منطقة الشرق الاوسط . وقد عبر كالاهان في مقالته المذكورة عن ارتياحه لجهود الحكومة المصرية بغية التوصل الى تسوية مع اسرائيل .. وفي معرض اشارته الى الرئيس السادات، ذكر كالاهان انه « يعتقد انه (السادات) رجل يتحمل مسؤولية اقواله ، وان التغييرات التي يجريها في حكومته تصب جميعها في اتجاه السلم وليس الحرب » . وختم كالاهان مقالته مشجعا اسرائيل على ان تثق بالرئيس السادات وقال ان «استنتاجي الخاص هو انه الوقت المناسب لاسرائيل كي تدخل في مغامرة مدروسة . ان العديد من

الاسرائيليين يدركون الان ان الامن الدائم لا يمكن تحقيقه عن طريق السلاح وحده » .

● **آذار (مارس)... ما بعد الانتخابات...**

المخاوف التي أعربت عنها الدوائر السياسية العربية من أن يحدث انعطاف في سياسة بريطانيا الخارجية بعد فوز حزب العمال ، أثارت اهتماما بالغا في الاوساط الصحفية البريطانية . وعلى الرغم من جولة جيمس كالاهان ، وزير الخارجية ، في منطقة الشرق الاوسط والتطمينات التي أطلقها في مقالة نشرتها التايمز بغية التأكيد على ان فوز حزب العمال في الانتخابات لن يغير من طبيعة سياسة بريطانيا الخارجية ، على الرغم من ذلك واصلت الصحف البريطانية ، التي ترتبط مع الاحزاب السياسية الاخرى ، حملاتها التحذيرية والاشارة الى المخاطر التي قد تنتج عن احداث اي تغير في سياسة بريطانيا الخارجية . وتطوع مراسلو مختلف الصحف ، التايمز والغارديان على وجه الخصوص ، لارسال تقارير صحفية يعرضون فيها وجهات نظر المسؤولين السياسيين في المناطق التي يعملون فيها . فقد ارسل دافيد هيرست ، مراسل صحيفة الغارديان في بيروت ، تقريرا صحفيا بعث به بعد زيارة قام بها الى المملكة السعودية ، ونشر في الغارديان في ١٥ آذار (مارس) الماضي . وقد حذر هيرست حكومة العمال من ان بريطانيا ستدفع ثمنا باهظا اذا استمر حزب العمال باتباع السياسة التي كان يتبعها عندما كان في المعارضة. « مما لا شك فيه ، لو يتبع ولسون الخط الذي اتبعه وهو في صفوف المعارضة ، فان بريطانيا ستدفع ثمنا باهظا لذلك في العالم العربي .. وخاصة في المملكة السعودية » . ويضيف هيرست ، نقلا عن دوائر النفط السعودية التي ذكرت له ان « بريطانيا ، حينئذ ، لن تعتبر من بين الدول الصديقة ، وبالتالي ، لن يوقع معها على صفقات « تفضيلية » ، كصفقة الـ ٢٠٠ الف برميل يوميا الاضافية » ، التي منحت لها في عهد حكومة حزب المحافظين .

ومن ناحية اخرى ، تستمر الصحافة البريطانية في عمليات التعتيم الاعلامي حول التطورات التي تجري في اسرائيل بعد حرب تشرين الاول (اوكتوبر). ويبدو ان مراسلي الصحف البريطانية في القدس ، اما انهم لا يجيدون قراءة اللغة العبرية ، ام انهم يتجنبون الاطلاع على الصحف الاسرائيلية ويفضلون الحصول على المعلومات من الدوائر الرسمية في القدس . فعندما يناقش هؤلاء المراسلون الهزة التي أصابت المجتمع الاسرائيلي بعد الحرب ، يبدون وكأنهم اكثر صهيونية من مئير ، او رابين ، او حتى مناحيم بيغن . بينما يجد القارىء العادي للصحف البريطانية ان احد العاملين في هذا الحقل يكتب مقالات اكثر موضوعية من تلك التي يبعث بها المراسلون، بعد زيارة قصيرة لاسرائيل وبعد الاطلاع على ما تكتبه الصحف العبرية نفسها . فصحيفة « تربيون » الاسبوعية ، والمعروفة بصلاتها الوثيقة مع حزب العمال ، نشرت مقالة في ١٩٧٤/٣/١٥ ، كتبتها بيغي داف ، التي يعرف عنها انها تقف على يسار حزب العمال ، بعد زيارة قامت بها الى اسرائيل . وعلى الرغم من ان داف لم « توفق » في أن تحيط بالمسألة من جميع جوانبها ، وان تدرك ان المسألة الجوهرية هي الصهيونية وليس « الفلسطينيين » — الذين توافق داف على « منحهم » دولة «فوق الضفة الغربية» — فان مقالتها جاءت اكثر موضوعية من معظم ما نشرته الصحف البريطانية مؤخرا حول هذا الموضوع . ففي معرض اشارتها الى « المعتدلين » في السياسة الاسرائيلية تذكر داف « ... هؤلاء هم من يجدر بالاشتراكيين ان يقدموا الدعم لهم ، ويجب انقاذهم من العزلة التي تحيط باسرائيل في هذه الآونة ، لان اي حكومة اسرائيلية ، جديدة او قديمة ، تتمكن — بمساعدة هنري كيسينجر — من وضع الفلسطينيين خارج الصورة ، فانه من المؤكد ان الحروب لن تتوقف ، كما ان معاناة الفلسطينيين والاسرائيليين ، على حد سواء ، ستستمر ». وفي اشارتها الى امكانية فشل « حملة كيسينجر السلمية » تقول داف « ... في هذه الحالة ، عندما لا يتم التوصل الى تسوية نتيجة لتجاهل الشعب الفلسطيني ، فانه يجب ان تقدم الاحزاب العمالية والاحزاب الاشتراكية — الديمقراطية الدعم الفعال بغية تشجيع اليسار في حزب العمل الاسرائيلي » . وتضيف « ان الدعم الاعمى للقيادات والحكومات لن يساعد عملية التوصل الى تسوية تنصف الفلسطينيين .. وتوفر الامن للاسرائيليين » . ان بيغي داف ومقالتها هذه ، قد تجعل منها دبلوماسية من الصنف الجيد ، ولكنها بالتأكيد لا تعبر عن وجهة نظر « داعية

اشتراكية » كما ترغب ، دائما ، في ان تظهر نفسها على انها كذلك . ولكن ، يبقى احتمال ان يدرك هارولد ولسون الفهم الذي توصلت اليه بيغي داف ، وهو « رفيق » لها في حزب العمال ، كاحتمال « دخول الجمل في خرم الابرة » !!..

يبقى ان نذكر قليلا عن صحيفة «التلغراف» ، وان كانت ليست ذات شأن يذكر بالمقارنة مع الصحف الاخرى ، كالتايمز والغارديان وتربيون مثلا . فالديلي تلغراف ، او الصنداي تلغراف ، اليومية او الاسبوعية منها ، تتصيد الفرص كي تشهر بالعرب من موقف عنصري متشنج . فلا يمر شهر ، او اسبوع ، دون ان تجد التلغراف مناسبة ما للتهشيم او ترويج الاشاعات ضد العرب وضد القضية الفلسطينية . ففي صباح الاحد (١٧/٣/ ١٩٧٤) خرجت « الصنداي تلغراف » بافتتاحية قصدت بها التهشيم والتخريب اكثر مما هدفت الى السرد ونشر الاخبار . وناقشت الصحيفة موضوع تفجير طائرة (VC-10) تابعة لشركة الخطوط الجوية البريطانية في مطار امستردام في اوائل آذار (مارس) الماضي . ومع العلم ان الصحف البريطانية الاخرى قد جاءت على ذكر الحدث ، فانها لم تبالغ ، ولم تجزم ، كما فعلت الصانداي تلغراف ، ان الاخبار التي تنشرها حقيقية . بينما نرى كاتب المقال ، كريستوفر دوبسون ، « يؤكد » ان العملية سلسلة من « اعمال العرب الارهابية »، وان من قام بها ليس هو « منظمة ايلول الاسود ، التي تتلقى الدعم من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والتي ينفق على تمويلها العقيد القذافي»، بل ان الذي قام بها ... (وتنتهي من قراءة المقالة من دون ان يذكر دوبسون « من قام بها !! »). ولكن الكاتب العتيد يعرف تماما ان من قام بها ليس منظمة كذا .. التي تلقى الدعم من كذا .. وينفق عليها كذا وكذا . هذا واحد من انماط الصحافة البريطانية في اواخر القرن العشرين !!.. يبقى ان نذكر ان كريستوفر دوبسون كاتب قصصي، « يتطوع » احيانا للكتابة في مؤسسة التلغراف ، ويتمتع بعلاقات جيدة مع اركان السفارة الاسرائيلية في لندن . ويعرف عنه في اوساط المثقفين البريطانيين انه من « كتاب القصة الفاشلين » ، ويبدو انه ، كصحافي ، « سيكسر عنقه قبل ان يصل الى قمة النجاح » .

● نيسان (ابريل)... وسقوط مئير

في مناسبات عديدة ، تكون الصحافة البريطانية خلالها توجه اهتماماتها نحو المساهمة في العمليات الخارجية للتوصل الى تسوية لازمة الشرق الاوسط ، فهي — اي الصحافة — تحرف فجأة هذا الاتجاه كي يصب في قناة اخرى . فبعد العملية الانتحارية التي قام بها الفدائيون الفلسطينيون في بلدة كريات شمونه (الخالصة) ، بدأت افتتاحيات الصحف البريطانية تظهر وكأن الازمة في الشرق الاوسط هي « ضرورة التخلص من الارهاب العربي .. وتجنب قتل الابرياء » ، وليس الاساس العنصري لدولة اسرائيل الاستيطانية—الكولونيالية.

ومن ناحية اخرى ، ان قراءة سريعة لافتتاحيات الصحف البريطانية خلال شهر نيسان (ابريل) ، تظهر ان ازمة الحكم في اسرائيل على انها ضربة من ضروب النزوات وليس واقعا . ففي الثالث عشر من نيسان (ابريل) الماضي ذكرت صحيفة الديلي تلغراف في افتتاحية لها ، في معرض التعليق على استقالة حكومة غولدا مئير ، « انها (مئير) قدمت لدولة اسرائيل خدمات عظيمة » . ما هي هذه الخدمات ؟.. تجيب الديلي تلغراف ان مئير « دافعت ، الى جانب دايان والاخرين ، عن سياسة الحق المعززة بالقوة . الا ان ذلك كله عصفت حرب تشرين الاول (اوكتوبر) به » . يبدو ان خمس سنوات في الاستراتيجية السياسية التي تبعتها اسرائيل نتيجة اصرارها على عدم تقديم أي تنازلات للدول العربية بغية التوصل الى « تسوية سلمية » ، هذه الاستراتيجية التي ادت الى مصرع الالاف من الاسرائيليين خلال معارك تشرين الاول (اوكتوبر) ، يبدو ذلك بالنسبة للديلي تلغراف ، الخدمات العظيمة التي قدمتها مئير « لدولة اسرائيل » .

تتميز الديلي تلغراف ، عن غيرها من الصحف البريطانية ، بانها تتمتع بنموذج فريد من المنطق اثناء تحليلها لاحداث منطقة الشرق الاوسط . فقد ادعت الديلي تلغراف ، في افتتاحية نشرت في عددها الصادر بتاريخ ١٦ نيسان (ابريل) الماضي في معرض تعليقها على الهجوم الاسرائيلي الوحشي على جنوب لبنان ، « ان اسرائيل اظهرت الكثير من كبح جماح النفس .. ان من حقها ان تسعى الى حماية نفسها .. وانه من المعيب ان تسمح

الحكومات لبضعة افراد من المتزمتين ان يقلبوا مجرى الاحداث رأسا على عقب ، بعد ان بدت ملامحه الاولى تدعو الى الاطمئنان » . الادعاء ان « اسرائيل تكبح جماح نفسها » مسموح به ، بينما الاضطهاد الاسرائيلي للشعب الفلسطيني وتشريده وتعذيب من بقي منه في اراضي الاحتلال تنساه الديلي تلغراف كلية وتتجاهل ان الفلسطينيين ايضا لم يعد بمقدورهم ان يكبحوا جماح انفسهم لمدة ٢٥ سنة اخرى . والادعاء في انه « من حق اسرائيل ان تؤمن الحماية لنفسها » لا يعني — وهذا ما يجب ان تدركه الديلي تلغراف — ان تشن هجمات وحشية على جنوب لبنان وتهدم منازل الفلاحين وتقتل اثنين وتخطف ١٣ من الاهالي .

بينما نجد صحيفة اخرى ، الاوبزرفر (٤/١٤/ ١٩٧٤) ، تلتقط اطراف خيوط الازمة من مماسكها الاصلية وتبرزها على صدر الصفحة التي حملت افتتاحية صباح ذلك الاحد . فقد ركزت الاوبزرفر على ان « ما يثير القلق اكثر من غيره ، ليس الاعمال التخريبية ، بل استقالة غولدا مئير ، حيث تركت اسرائيل من دون حكومة فعالة » . فالاوبزرفر ، التي تعبر عن وجهة نظر دوائر المال والاقتصاد وآراء رجال الاعمال ، تحاول في معظم الاحيان ان تلتزم جانب الحرص المشبوه ازاء معالجتها قضايا ذات حساسية بالغة ، كتلك التي تشهدها منطقة الشرق الاوسط . فالعملية الانتقامية التي قامت بها القوات الاسرائيلية ، بتوجيه من دايان ، ضد جنوب لبنان ، لم تكن محاولة منه كي يخفف من الصدمة التي احدثتها العملية الفدائية في نفوس سكان كريات شمونة ، بقدر ما كانت محاولة يائسة لاعادة « البطل » الى « الاسطورة » ، او العكس . والواقع ان الاسطورة انتهت بعد حرب تشرين الاول (اوكتوبر) وانتهى معها « البطل » ايضا .

وفي الثالث عشر من نيسان (ابريل) الماضي خرجت صحيفة التايمز بافتتاحية لها في معرض تعليقها على عملية كريات شمونة ، وحذرت العرب بانهم « يجب ان لا يقدموا على مثل هذه التصرفات طريقة تدفع باتجاه قيام حكومة يمينية الاتجاه في اسرائيل » الا ان التايمز تخلط بين هذين الاصطلاحين : يمين ويسار في حزب العمل الاسرائيلي . وهل هناك اكثر « يمينية » من تآلف حزب العمل الحاكم ؟!.. يبدو ان صحيفة التايمز نسيت ان حزب العمل الاسرائيلي يسيطر على الحركة الصهيونية منذ اكثر من ربع قرن ، وان هذا الحزب وضع قوانين طرد الفلسطينيين من ارضهم وفقا لها ، او يعاملون كمواطنين في الدرجة الثانية ومن دون ان يحملون اي جنسية فوق ارضهم . ويبدو ان التايمز نسيت ايضا ان حزب العمل الاسرائيلي هو الذي وضع سياسة الالحاق والضم للاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، او لجزء منها ، وان حزب العمل يدخل في تحالفات مع جنوب افريقيا وروديسيا والبرتغال والولايات المتحدة !.

قضية اخيرة ، تناولتها الصحف البريطانية ، وتستحق التوقف عندها قليلا ، وهي موقف الاتحاد السوفياتي في ازمة الشرق الاوسط ، والحملات المضادة التي توجه ضده محليا وعالميا . ولسنا هنا في معرض الدفاع عن الاتحاد السوفياتي ازاء ما يتعرض اليه من حملات دعائية ، مشبوهة ومغرضة ، تصدر عن عدد من الدوائر العربية المعروفة . ولكن الذي تجدر الاشارة اليه هو موقف الصحافة البريطانية ازاء هذه المسألة ، هذا الموقف ، الذي ذهب في عدائه وتغريضه ، خطوات ابعد من تلك التي تصدر عن الجهات العربية .

فالديلي تلغراف ، على سبيل المثال ، تتطوع دائما كي تضم صوتها الى الاصوات الاعلامية التخريبية الاخرى . ففي الثامن من شهر نيسان (ابريل) الماضي شنت حملة ضد الاتحاد السوفياتي في افتتاحية للديلي تلغراف ، لو كان قيصر روسيا على قيد الحياة لامتنع ان يشن حملة مماثلة . فهي تقول « ان الروس هم العقبة في طريق التسوية» ، ولكنها لا تشرح اي «تسوية»!! فالروس ، ان كانوا يشكلون عقبة في طريق « التسوية » ، فهم كذلك امام تسوية اميركية — صهيونية ، وتضيف الديلي تلغراف ان « الروس هم الذين يشجعون السوريين على مواصلة القتال في جبهة الجولان » (!). وهل المقاتلون السوريون ينتظرون التشجيع ، وممن ؟!.. من الاتحاد السوفياتي ؟!.. يا لشدة غباء الديلي تلغراف.. او ما ابشع صهيونيتها ورجعيتها . ان العلاقات

السوفياتية ــ العربية لم تكن ، في وقت من الاوقات ، احادية المصالح ، بل انها تقوم على تبادل هذه المصالح وتتمتع بموقف استراتيجي موحد ازاء قضايا الصراع ، ليس في الشرق الاوسط وحسب ، بل في جميع انحاء العالم ، ضد الصهيونية والرجعية وقوى الاستعمار السياسي والاقتصادي بجميع اشكالها .

وسمحت صحيفة التايمز الصادرة بتاريخ ١٧ نيسان (ابريل) الماضي « للصحافي » بريان كروزير ، الذي يعرف بميوله الفاشية والرجعية ، كي يسطر وجهات نظره المعادية للاتحاد السوفياتي ، في مقالة نشرتها الصحيفة . ويلخص المقال بانه يشير الى المخاطر التي قد تنتج عن فتح قناة السويس لان « الاسطول السوفياتي سيستفيد من ذلك » . وبعبارة اخرى ، يفضل الكاتب « العتيد » ان تبقى قناة السويس تحت سيطرة الاسرائيليين كي لا « يستفيد الاسطول السوفياتي من قناة السويس » . ولكن بما ان الوضع قد تغير ، واستعادت مصر قناة السويس بعد حرب تشرين الاول (اوكتوبر) ، يطلق كروزير « انذارات الخطر » كي يلفت انتباه العالم الى « الهجمة الحمراء المرتقبة » .

غريب امر هؤلاء الرجعيون الفاشيون ، فهم يحاولون ان يثيروا المخاوف لدى قراء الصحف البريطانية من « هجمة الروس الحمراء » وسيطرة الاتحاد السوفياتي « على دول العالم الثالث » ، ويطمسون حقائق لا تزال قائمة تثبت وتؤكد السيطرة الغربية ، الاوروبية والاميركية على العالم المتخلف . ان اكثر ما يغيظ هؤلاء ان تنتصر الشعوب ، بالتعاون مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى ، على الاحتكار الغربي الذي يسيطر على مصادر ثروات هذه الشعوب . وان ما يغيظهم اكثر توظيف سوريا والمقاومة الفلسطينية موقف الاتحاد السوفياتي لمصلحتهما ، خلال الصراع الدائر في هضبة الجولان بالنسبة الى سوريا ، او في الاراضي المحتلة ضد الاحتلال والرجعية من اجل اقامة السلطة الوطنية بالنسبة الى المقاومة الفلسطينية .

م. ك.

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

اسلحة الجيش الاسرائيلي

اعداد : هشام عبدالله

٩٣ صفحة من القطع الكبير مقرونة بالصور عن جميع انواع الاسلحة التي يستخدمها العدو . سعر النسخة ٥ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢ ل.ل. في اوروبا ، ٤ ل.ل. في سائر الدول .

اطلب نسختك من مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

الفلسطينيون كما يبدون في الذهنية الاسرائيلية

عبد الحفيظ محارب

نشرت « شؤون فلسطينية » في العدد الماضي الحلقات الاربع الاولى من هذه الدراسة . ويتابع الكاتب في هذا العدد وفي العدد القادم دراسة الموضوع .

(٥)

سنكرس الحديث في هذا التقرير حول ثلاث موضوعات (١) اقتراحات وتصورات تبلغ حد الشطحات في بعض الاحيان من قبل كتاب اسرائيليين تجاه الشعب الفلسطيني والدولة الفلسطينية المقترحة (٢) آراء وافكار لبعض المعلقين الاسرائيليين تصب في مطالبة اسرائيل بالاعتراف والتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية (٣) وجهة نظر المسؤولين الاسرائيليين تجاه مصير الشعب الفلسطيني . وهناك بعض الملاحظات يجدر تسجيلها قبل الخوض في الموضوعات آنفة الذكر .

١ — ان القضية الفلسطينية قد برزت بقوة وسط مساعي التسوية ، هذه المساعي التي لا زالت تطبع بصماتها على الفترة التي اعقبت حرب اوكتوبر ، بشكل لم يسبق له مثيل . واذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان القضية الفلسطينية هي لب واصل الصراع في المنطقة ، وان ما عداها بمثابة فروع للاصل من ناحية، وان المسؤولين الاسرائيليين وكذلك معظم المعلقين الاسرائيليين كانوا طيلة فترة الصراع يحاولون اسدال الستار على الاصل والاهتمام بالفروع من ناحية اخرى ، ندرك مدى خيط وتباين وجهات النظر حول القضية الاساسية، التي تستحيل التسوية بدونها بقدر ما تستحيل معها .

٢ — ان كافة مقولات وطروحات الكتاب والمعلقين الاسرائيليين وكذلك الاحزاب الاسرائيلية — اذا استثنينا راكاح وأجنحة متسببين — ترفض رفضا قاطعا حتى الان ، وستبقى كذلك في المستقبل ، الا اذا غلبت على أمرها قهرا بواسطة القوة ، قيام دولة فلسطينية **مستقلة ذات سيادة** في الضفة الغربية وقطاع غزة حتى ولو عقدت هذه الدولة اتفاق سلام ووئام مع اسرائيل ، ناهيك عن رفضها المطلق لقيام سلطة وطنية شعبية مقاتلة ! وان كافة الطروحات الاسرائيلية حول قيام دولة فلسطينية تسلب من الدولة كل اسباب مقوماتها وتنعم عليها لقب دولة .

٣ — من هنا فاننا لن نجد في « الدولة » المقترحة بأنها تشكل حدا واضحا بين ما يسمى بالمعتدلين والمتطرفين ، فهناك عدد من المتطرفين يدعو الى قيام هذه الدولة بشروطه ، كما وهنالك عدد من « المعتدلين » يدعو الى قيام هذه الدولة بشروطه هو . وجميع هذه الشروط تقيم سورا شاهقا بين الدولة وبين سيادتها واستقلالها .

*

وسط الجدل الدائر بين اوساط الاسرائيليين حول وجود الشعب الفلسطيني او عدم وجوده ، قيام دولة فلسطينية على أجزاء معينة من « ارض اسرائيل الغربية » وعلى جميع « اراضي اسرائيل الشرقية » ، او اعتبار هذه الدولة بمثابة « مرجل للشياطين » ، حقوق الشعب الفلسطيني في « ارض اسرائيل » وحقوق اليهود على هذه « الارض » . اتحف الحوار كاتب اسرائيلي يدعى عزريا الون بتقليعة تفوق في غرابتها تقليعة البروفيسور اليميني يوسف دان ، وتتفوق في

سخافة منطقها على منطق منظر حزب العمل سابقا « المعتدل » اريه اليعاف . فالكاتب اراد من خلال بحث قصير القول بأن العرب أخذوا منذ مدة وخاصة خلال القرن التاسع عشر يهاجرون الى فلسطين من كل حدب وصوب وان هذا « الخليط من الناطقين بالعربية » اخذ يتكاثر بواسطة الهجرات المتتالية ليدعي فيما بعد بأن له حقوقا تاريخية على فلسطين . اي انه أراد قلب الواقع تماما ، فألبس العربي الثوب الصهيوني ، وخلع على الصهيوني البز العربي .

ففي مقالة نشرت في ملحق دافار ١٩٧٤/٣/١٥ تحت عنوان « ميراث الآباء » يتحدث الكاتب عن عدد العرب الذين يعيشون غربي النهر،ويقول ان هنالك حوالي مليون ونصف المليون عربي ، وبدقة أكثر «الناطقين بالعربية بما في ذلك المسيحيين والدروز» ويذكر ان مجموع « الناطقين بالعربية » الذين ينسبون انفسهم الى « أرض اسرائيل » يتراوح ما بين مليونين ومليونين ونصف ، يتساءل بعد ذلك ، كيف تكون هذا العدد ؟ يقرر الكاتب أن « ارض اسرائيل » كانت بمثابة مقاطعة نائية للامبراطورية العثمانية وان « سكانها الدائمين خف بشكل متواصل وان الاماكن الخالية كانت تعبأ بين الفينة والاخرى باخرين » وان عدد سكان فلسطين في اواسط القرن التاسع عشر كان يتراوح بين ربع المليون والـ ٤٠٠ الف نسمة ، كما وان هذا العدد هو « ثمرة تجمع ابناء بلدان مختلفة خلال فترة تقارب المئتي عام » . ويعتقد الكاتب أن الهجرات العربية هي السبب الرئيسي في تزايد السكان العرب ، وليس التكاثر الطبيعي ، ثم يغوص في مصادر الهجرة حتى عام ١٩٤٨ . ويمكن تقسيم هذه المصادر كالتالي شمال افريقيا : يذكر الكاتب ان كثيرا من العائدات المغربية التي كانت تأتي لاداء فريضة الحج قد استوطنت في فلسطين خلال فترات مختلفة ، ويضيف بان الهجرة من دول المغرب قد ازدادت عند منتصف القرن التاسع عشر عقب وضع الفرنسيين حدا لثورة عبد القادر الجزائري ، حيث وجدت « جماهير مغربية ملجأ لها » في فلسطين .

مصر والسودان : يرى الكاتب ان الهجرة من مصر الى فلسطين كانت قائمة وازدادت ابان حملات ابراهيم باشا على سوريا حيث « قدمت الموجة الكبيرة من المصريين والسودانيين » وان موجة الهجرة من مصر لم تنقطع واشتدت ابان الحرب العالمية الاولى حين جلبت القوات البريطانية عمالا مصريين بغرض استخدامهم ، الا ان هؤلاء « استوطنوا هنا » ، ويذهب الكاتب في التدليل على صحة اقواله بالقول بان هنالك عائلات ما زالت تحمل لقب « المصريين » او « المصاروه » اما بالنسبة للسودانيين « انهم حتى اليوم يعرفون من خلال منظر وجوههم » . بالاضافة الى ذلك يرى ان طوائف معينة مثل العرب الدروز قد قدمت في القرن السابع عشر من الشمال « واستوطنت في ثماني عشرة قرية معظمها خالية في الجليل والكرمل » .

موجات الهجرة غير العربية : يرى الكاتب ان « أرض اسرائيل الغربية » قد شهدت موجات من المهاجرين المسلمين غير العرب ، حين قدمت اليها موجات من المسلمين ، مثل اليوغسلافيين والشركس والتركمان وغيرهم .

وفيما يتعلق بالهجرة اليهودية ، فان الكاتب يرغب في الاعتقاد بأن « الاستيطان اليهودي في البلاد لم ينقطع في يوم من الايام » وان هجرة اليهود المتدينين في اواخر القرن الثامن عشر عززت اليشوف اليهودي « على الرغم من الهزة الارضية الفظيعة عام ١٨٣٤ التي هدمت المدينة (صفد) ونجم عنها مقتل ٢٠٠٠ يهودي في يوم واحد » لينتقل بعد ذلك الى القول ان الهجرة العربية الاساسية « لارض اسرائيل » قد حدثت في نفس الفترة التي بدأت فيها الهجرة اليهودية بالتعاظم ، وان الهجرة العربية كانت تجد ابوابا مفتوحة بعكس الهجرة اليهودية . ثم يأخذ يتحدث عن الاستيطان الصهيوني الذي « بفضله » غدا العرب يمتلكون حقوقا في البلاد : « الاستيطان لم يسلب ، بل بالعكس فتح بوابة امام الجماهير العربية التي أصبحت بواسطة ذلك تمتلك « حق الاباء » على البلاد بالرغم من كونهم مهاجرين قدموا من بلدان مختلفة ». ثم يأخذ الكاتب بنفي حق العرب في « أرض اسرائيل » (فلسطين) ويقرر بأنه « اذا كان الحديث يدور حول ميراث الاباء، فان ارض اسرائيل ليست ميراثا لاباء المصريين والسوريين والحورانيين والسودانيين والتركمان وسائر المهاجرين عربا كانوا او غير عرب وصلوا الى البلاد مع الهجرات

اليهودية او بعدها » بل تخص اليهود فقط ، الا انه يبدي في آخر مقالته تشككه في امكانية تحقيق المشروع الصهيوني على كل اجزاء « خريطة ارض اسرائيل» لاسباب تتعلق بالظروف المحلية والدولية، وفي نفس الوقت يبدي استعداده بأن يكون للعرب الذين يعيشون فيها نصيب الى جانب اليهود في هذه البلاد « انني لا ازال ارى من حقي الكامل ان اردد ما قاله بلنسون : « لمن هذه الارض ؟ للشعب اليهودي وللعرب الذين يعيشون فيها » وليس بالذات لاولئك الذين هاجروا اليها ، وبالتأكيد ليس لاسيادهم » .

اذا تجاوزنا المغالطات التاريخية ، ووقفنا حول الاستنتاج الذي خرج به الكاتب بان هذه الارض (حدودها غير معروفة) « للشعب اليهودي والعرب الذين يعيشون فيها ، وليس بالذات لاولئك الذين هاجروا اليها ...» فان السؤال هو من هم العرب الذين يفدق عليهم الكاتب صفة المهاجرين والمستوطنين ؟ واذا استثنينا السودانيين « الذين يعرفون حتى اليوم من خلال منظر وجوههم » فكيف يميز الكاتب بين وجوه المهاجرين العرب الاخرين وبين العرب « الاصليين » خاصة وان وشائج الزواج والقربى تربط بين « الطرفين » ؟

وقبل ان ننتقل الى اقتراح كاتب آخر لحل القضية الفلسطينية تجدر الاشارة هنا ، انه يبدو ان عزريا ألون ، كتب مقالته الانفة الذكر تحت وطأة النقاش الدائر بين التيارات المختلفة في اسرائيل ، وربما تكون المقالة قد ظهرت بعد حوار مع مجموعة من اوساط الجيل الجديد هناك شككت في الحق التاريخي الذي تدعيه الصهيونية لليهود على فلسطين، وسخفت من خريطة ارض اسرائيل، فهو يقول في مطلع المقال ساخطا : « ان اصطلاح كلمتي « ميراث الاباء » يحمل معنى مزدوجا : عندما يقال بالنسبة لليهود فانه يعبر عن شيء غيبي ديني شوفيني ، وعلى كل شخص مستنير وتقدمي ان يخلعه من جذوره ، وعندما يقال بالنسبة للعرب فانه يعتبر واقعيا تماما وعلى كل واحد ان يرتب افكاره واعماله بمقتضاه » .

مجموعة دول ارض اسرائيل : على خلاف عزريا ألون ، يرى الصحفي الاسرائيلي أ. شفايتسر بأن هنالك ثلاثة شعوب تقطن « ارض اسرائيل » : الاسرائيليون والفلسطينيون والاردنيون ، وبما ان الامر كذلك ، ووسط البحث عن حل للقضية الاساسية للصراع ، تنقلت مخيلة الكاتب عن حل ، يعتبر حتى الان فريدا من نوعه، آخذا بعين الاعتبار المصالح الاقتصادية الاسرائيلية ، وفاتحا الباب أمام « الروابط التاريخية لليهود في الضفتين الغربية والشرقية ، وحريصا في الوقت نفسه على السيادة الشكلية لكل من الفلسطينيين والاردنيين».

يعتقد شفايتسر بأن القضية الفلسطينية هي أساس النزاع في المنطقة وان الزعماء الاسرائيليين يتميزون بالسلبية تجاه هذه القضية ، بينما «تسعى منظمات التخريب الى احلال السيادة الفلسطينية على جميع ارض اسرائيل » الامر الذي لا يمكن لاسرائيل قبوله . ثم يأخذ بانتقاد النظرتين الرئيسيتين في اسرائيل ، النظرة « التقليدية اللاعقلانية » لفئة المتطرفين ، والنظرة المجتزأة والغير مدروسة لفئة المعتدلين ، وكذلك انتقاد النظرة العربية حيث « يختلط في البحث حرارة مطلب الوحدة مع مزيج من مقاطع فكرية مناهضة للكولونيالية ليست ذات صلة بالموضوع » ، وبعد نقد منظور الفريقين ، لكي يجد مبررا لاقتراحه ، يبدأ بمعالجة القضية الاساسية ، ويرى انه اذا ما أعيد القطاع والضفة تحت سيادة دولة فلسطينية مستقلة ، فان الفلسطينيين سيكونون بمثابة « ... بؤرة للقيام باعمال ارهابية ، ولمؤامرات دولية ... » وان كلا من الاردن واسرائيل لن يستطيعا العيش بهدوء الى جانب مثل هذا الجار . يقول في هذا الخصوص : بما انه لا توجد سيادة بدون شعب ، كذلك لا يوجد شعب بدون منطقة ، والمنطقة الوحيدة التي يقطنها شعب يمكن ان ينسب اليه احساس فلسطيني ولديه وجود حاسم عليها ، هي المنطقة الواقعة بين الخط الاخضر ونهر الاردن وكذلك قطاع غزة . هنا يمكن اذن ، خلق سيادة لعرب ارض اسرائيل من ناحية الشعب والمنطقة معا . ولكن من المشكوك فيه ان تكون هذه بحد ذاتها لصالح اصحابها وجيرانها ايضا . وبما ان هذين القطاعين معا لا يمكن لهما ان يوفرا كيانا اقتصاديا للسكان الحاليين (فكم بالحري بانهما لا يستطيعان توفير كيان اقتصادي للسكان الذين سيزدادون عقب عودة لاجئي الحروب القديمة) فانهما سيكونان بمثابة عامل لحالة مستديمة من عدم الاستقرار ، وبؤرة للقيام باعمال ارهابية ، ولمؤامرات دولية ، وعدم الهدوء .

ان اسرائيل وكذلك الاردن شرقي النهر لن يستطيعا العيش بهدوء الى جانب جار كهذا ولن يرغبا بتكوينه ، واذا ما خلق ، فانهما سيرغبان في اختفائه » (هآرتس ٧٤/٣/١٨) .

ولكي يكون الجاران راضيين ، ولا يرغبان في اختفاء الوليد الجديد ، فانه من الضروري ردم التناقض القائم بين قيام دولة فلسطينية « والجو الهادىء » الذي يريده كل من اسرائيل والنظام الاردني ، وهذا لن يتأتى الا بخلق صيغة جديدة ، اطار سياسي جديد ، ليس اتحادا فدراليا بين الدول الثلاث لان ذلك من شأنه كما يقول الكاتب ان يحد من استقلال وسيادة هذه الدول ، بل اطار سياسي يتشكل من « مجموعة دول ارض اسرائيل » شبيه الى حد ما بالاطار السياسي لمجموعة دول السوق الاوروبية المشتركة . واذا كانت مجموعة الدول الاوروبية قد سعت قبل كل شيء الى وحدة التعرفة الجمركية فانه ينبغي على « مجموعة دول ارض اسرائيل » ان تضع نصب عينيها خلال المراحل الاولى حرية الحركة والتنقل، **والاستقرار السياسي في الضفة والقطاع** . بعد ذلك يدعو الكاتب الى خلق سوق مشتركة لهذه الدول ، وايجاد حلول لقضايا العمل والسياحة والطاقة ، كما « ان مؤسسات مجموعة الدول التي ينبغي ان تقام وفق النمط الاوروبي ستعالج قضايا لا تؤثر على السيادة وستقوم بالانهماك في برمجة وتنفيذ ترميم اللاجئين سواء الموجودين في يهودا والسامرة وغزه او الاردن اولئك الذين ان ينضموا اليهم مع تأسيس الدولة الفلسطينية ضمن اطار المنظومة » .

اما على الصعيد السياسي فيرى ضرورة المحافظة واحترام نظم الحكم في كل من تلك الاقطار ، ويطالب بان تلتزم كل دولة بعدم الاعتداء على أي من الدولتين الاخريين . حول ذلك يقول : « من الواجب الموافقة على موضوع واحد فقط : تلتزم بلدان المنظومة بان لا تهاجم او تعطي قاعدة لمن يود مهاجمة الدول الاعضاء . وباستثناء ذلك ، وعلى الاقل بشكل مبدأي فان كل دولة ستعيش وفق بنيتها النظامية وعلاقاتها الخارجية ، ان التعاون الملزم يصب في مجالات الاقتصاد ، الا ان الحقيقة هي ان التعاون الاقتصادي لا يمكن ان يجيء بدون مقدار من التعاون السياسي ، فترميم اللاجئين على مستوى المنظومة يعتبر عملا سياسيا من الدرجة الاولى .. » .

يسمي الكاتب من وراء اقتراحه الى الامور التالية : ١ ــ حل قضية اللاجئين الفلسطينيين ضمن اطار الدولة الفلسطينية والدولة الاردنية في نطاق « منظومة دول ارض اسرائيل » . ٢ ــ المحافظة على النظام الهاشمي في نطاق دول المنظومة وحمايته . ٣ ــ منح الشعب الفلسطيني من خلال الاطار الآنف الذكر صفة الدولة . ٤ ــ منح اسرائيل من خلال السوق المشتركة ، دورا رئيسيا في بناء اقتصاد دول المنظومة وربطه بالاقتصاد الاسرائيلي النامي ، والاطلال بعد ذلك ومن خلال دول السوق العتيدة الى بقية الاقطار العربية . ٥ ــ اشباع رغبات ومطامح الاسرائيليين في التواجد على جميع ارجاء « ارض اسرائيل » .

الى جانب هذين التصورين لكاتبين اسرائيليين ، التصور الاول يمنح السكان العرب « الاصليين » وليس العرب « المهاجرين » حق العيش في « ارض اسرائيل » فلسطين والتصور الاخر يرى ان الحل يكمن في اقامة « منظومة دول ارض اسرائيل » هنالك تصور اخر تجاه الدولة الفلسطينية ، ويعالجها من منظور اقتصادي سياسي ولا يرى امكانية لقيام دولة فلسطينية « عادية مستقلة » فحول التساؤل هل يمكن قيام دولة فلسطينية عادية ومستقلة ؟ اجاب كاتب اسرائيلي بثقة بالنفي ، في مقالة تحت عنوان « فلسطين في الضفة دولة او معسكر عمل كبير » (دافار ٧٤/٤/١٢) حين توصل تيدي بروبس الى تلك النتيجة . في مطلع تلك المقالة يعترف الكاتب بأن الظروف قد فرضت القضية الفلسطينية على المجتمع الاسرائيلي بعد تجاهل استمر لمدة طويلة « على الرغم من ان رئيسة الحكومة اكثرت في السابق ــ الان اقل ــ من السؤال ، في كل مناسبة ذكروا امامها الفلسطينيين ، « من هم » فان احتمال ــ خطر ــ قيام دولة كهذه اكثر من عدم قيامها . والكل يتساءل اذا ما كانت دولة كهذه تشكل تهديدا لكيان اسرائيل بالذات او اذا كان من المستحسن ان تقوم الى الشرق من اسرائيل؟ وبعد ان يتطرق الكاتب الى اقتصاد الضفة الغربية والقطاع يرى كزميله شفايتسر بأن الدولة المقترحة لا يمكن ان تكفي نفسها اقتصاديا ، ولذا فان

امامها خيارين ، الاول الارتباط باسرائيل وبذا تصبح بمثابة « سوق عمل كبير لاسرائيل » ويحمل هذا الخيار بثناياه السلام ، والثاني الاعتماد اقتصاديا على عناصر خارجية ، وهذا الخيار يحمل بين طياته نسفا للسلام ! يقول في هذا الخصوص: تكفي نظرة بسيطة لكي ندرك بان المستقبل الاقتصادي لفلسطين ليس اقتصاد بلد من القشطة والعسل ... ان هذه الدولة ستكون فقيرة ، وتشير المعطيات الى امكانيتين فقط : الاولى استمرار الروابط الاقتصادية مع اسرائيل ،الثانية الاعتماد على استيراد الاموال التي ستتدفق كما يبدو باحجام كبيرة الى الدولة الجديدة . ان عملية الحسم بين هذين البديلين ترتهن بالقرارات السياسية التي ستتخذها الزعامة الفلسطينية والمؤسسة العربية العالمية ، فاذا ما تقرر العودة الى وضع اللاحرب واللاسلم مثلما كان الوضع عليه حتى يونيو ١٩٦٧ فسيرتسم البديل الثاني (ارتباط اقتصادي بالاوساط الاجنبية) واذا ما ابقوا الحدود مفتوحة مع اسرائيل — على افتراض ان اسرائيل لا تعارض ذلك ، سيستمر بشكل عام الوضع الذي تطور في غزة والضفة الغربية منذ يونيو ١٩٦٧ . ان الخيار الثاني سيبقي فلسطين كمعسكر عمل كبير يعيش على تصدير خدماته ، ولكنه يجلب معه السلام الى المنطقة ، اما الخيار الاول فانه يحمل بين طياته براعم حروب أخرى وازمات اجتماعية خطرة في الدولة الجديدة » .

الدعوات المطالبة بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية : نعود الان لالقاء الضوء على الدعوات المطالبة بشكل ضمني او علني للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وتجدر الاشارة هنا ان قضية التفاوض مع الفلسطينيين او منظمة التحرير بالذات لم تعد القضية التي يفرز من خلالها اليمين الصهيوني او اليسار الصهيوني ، فهنالك اصبح عدد من كلا الطرفين يدعو للتفاوض مع « الفلسطينيين » وفي بعض الاحيان وبصراحة اكثر مع منظمة التحرير الفلسطينية مثل يهوشفاط هركابي يمين وسط صهيوني ونفتالي بن موشيه ويتان بلين مور من اليسار الصهيوني .

يعتقد نفتالي بن موشيه (مبام) في مقالة نشرت له تحت عنوان « القضية الفلسطينية تغلي » على هشمار ٧٤/٣/١٠) ان القضية الفلسطينية هي اساس الصراع في المنطقة ثم يأخذ في انتقاد المسؤولين الاسرائيليين لموقفهم من الكيان الفلسطيني وتجاهلهم للشعب الفلسطيني ، وكذلك انتقاد السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، ليقرر بعد ذلك انه « عقب حرب اوكتوبر انهارت كثير من المفاهيم ، ومن بينها المفهوم السائد والقائل بانه من الممكن تجاوز العامل الفلسطيني » ليصل الى القول بان ذهاب منظمة التحرير الى جنيف وتفاوضها مع اسرائيل على اساس قراري ٢٤٢ و ٣٣٨ يعتبر نصرا سياسيا لاسرائيل ، ولذا فانه يطلق تساؤلا : « هل يمكن ان يكون هنالك نصر اكبر بالنسبة لاسرائيل والصهيونية من استعداد منظمة التحرير الفلسطينية لاجراء مفاوضات مع اسرائيل على اساس قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ ؟ الا ينطوي ذلك بعد حدوثه على اعتراف في اسرائيل وحدود الهدنة ، وتنصل من سراب قيام «فلسطين» على انقاض اسرائيل؟» .

ومن هنا فان الكاتب يرى بان « النصر الاكبر » لاسرائيل الناجم عن ذهاب منظمة التحرير الى جنيف هو من بين الاسباب الرئيسية التي « تدعو الى الاعتقاد بان منظمات التخريب المتصارعة فيما بينها سترفض الذهاب الى مؤتمر جنيف » واذا ما حدث ذلك فانه يدعو السلطات الاسرائيلية بان لا تجلس مكتوفة اليدين ، بل تعمل بشكل فعال لخلق معتمدين فلسطينيين جدد من صفوف « عرب المناطق » ومع ذلك فانه لا يستبعد احتمال قيام منظمة التحرير في « نهاية المطاف » بالموافقة على حضور مؤتمر جنيف ، ويتمنى على اسرائيل ان لا تدير ظهر الجن لهذه الموافقة « هنالك احتمال معقول اخر ، بان تحسم في نهاية المطاف الاغلبية الاكثر تساهلا بين المنظمات الفلسطينية الامر ، وتنضم الى مباحثات جنيف ، وفي هذه الحالة فان رفض اسرائيل الجلوس معها والاعتراف بتمثيلها قد يخلق حالة حبلى بالكوارث بالنسبة لاحتمالات السلام بشكل عام ، ونكون نحن قد اخذنا على كاهلنا مسؤولية نسف المباحثات مع كل الاحتمالات المتعلقة بذلك — مقابل رأي عالمي يوجه الينا اصبع الاتهام » . ليخلص الى دعوة الاسرائيليين للتخلي عن سياسة « الرفض المطلق » لقيام دولة فلسطينية في الضفة والقطاع و « ان نستمر في قوة وفهم لتأمين تحقيق مطالبنا الملحة : تعديلات امنية على الحدود ، تجريد من السلاح ، حدود مفتوحة

وتعاون اقتصادي » ويعود مرة اخرى وينصح حكومة اسرائيل « بان تدرك بانه لا يمكن التغاضي بعد الان عن العامل الفلسطيني وتجاوزه ، ذلك انه عامل ديناميكي في كل مفاوضات وفي كل تجسيد لترتيبات السلام مع العرب . وهذا الواقع يتطلب منا الانفصال عن الماضي وبلورة سياسة جديدة ديناميكية فعالة للقضايا المركبة الملحة الماثلة امامنا » .

واذا كان نفتالي بن موشيه قد ركز على «النصر الاكبر » لاسرائيل اذا ما ذهبت منظمة التحرير الى جنيف ، فان نتان يلين مور لم يركز في مقالته « تبدل فلسطين » (هآرتس ٧٤/٣/١٨) على ذلك وانما تعداه وركز على الزعم القائل بان الروح السائدة في منظمة التحرير وليس تصريحاتها المعلنة لا تتنافى ووجود الكيان الاسرائيلي ، في محاولة لاقناع القراء وكذلك دفع السياسة الاسرائيلية الى الوقوف على الفوائد الكامنة من وراء حضور منظمة التحرير الفلسطينية مؤتمر جنيف .

لقد صور الكاتب في مقالته بان هنالك تبدلا في موقف منظمة التحرير واستشهد على ذلك بظهور وفد عن المنظمة في شباط الماضي في روما للاشتراك في الاجتماع التحضيري للمؤتمر الدولي من اجل السلام والعدل ، الى جانب وفد اسرائيلي. ويبدو ان يلين مور لم يقتنع بان الاستشهاد الذي اورده يشير الى « التبدلات العميقة الجارية في المنظمة » ذلك انه يمكن ان يكون هنالك من بين الاسرائيليين من يرى بان ظهور وفد عن منظمة التحرير في المؤتمر الدولي يدل قبل كل شيء على مدى النجاح الذي احرزته منظمة التحرير بين الاوساط المستنيرة والتقدمية في العالم ، خاصة وان المؤتمر استثنى حضور الحزب الحاكم الاسرائيلي وكذلك الاحزاب اليمينية واقتصر الحضور الاسرائيلي على الاحزاب والاجنحة المعارضة للسياسة الرسمية تجاه المناطق المحتلة . لذا فانه قفز الى موضوع اخر لاثبات بان هنالك تبدلات عميقة تجري داخل منظمة التحرير ، واخذ يركز وبشكل مسهب على الاحاديث والاتصالات الشخصية التي ذكر بانها قد جرت بينه وبين اعضاء الوفد الفلسطيني ، ليخرج باستنتاج بان هنالك تبدلات حقيقية تدور بين اوساط المنظمة ، ومن هنا فانه يدعو اسرائيل الى التوجه نحو منظمة التحرير لحل القضية الفلسطينية قبل ان يفوتها القطار خشية ان يحدث معها ما حدث لفرنسا في الجزائر حين كانت تصر على البحث عن زعامات جزائرية تقليدية بدل الاتصال مع « المعتدل فرحات عباس » . يقول نتان يلين مور حول ذلك : « ان هذه التبدلات تحمل البشائر لكل من يسعى الى حل سلام للصراع مع اسرائيل وجاراتها ، والذي يعتبر فيه الفلسطينيون طرفا اساسيا وهذا الامر يتعلق بشكل كبير على قرار اسرائيل . لن يكون هنالك تقدم اذا ما تعلقت اسرائيل باحلام التجزئة في العالم العربي حيث يترك الفلسطينيون لوحدهم ، كذلك فان الركض وراء الوجهاء في الضفة والقطاع في اقتراح لحكم محلي لا ينطوي على شيء في عام ١٩٧٤ . انهم سيرفضون الاقتراح ولن يستجيبوا للتوسلات ولا حتى للتحذيرات . كذلك فان حكومة فرنسا كانت هي ايضا على استعداد لتدفع الى سدة الحكم العناصر الجزائرية المعتدلة بغرض ردع ثورة دعاة الاستقلال ، لقد اقدمت على ذلك متأخرة ، عندما كان الصيدلي فرحات عباس المعتدل رئيسا لجبهة التحرير الجزائرية. فهل تتاخر اسرائيل عن الموعد هذه المرة ايضا ؟ بعد قليل ستبقى وحيدة في عدم اعترافها بالفلسطينيين وفي موقفها الذي سينهار عاجلا وليس اجلا » .

اما الكاتب الاخر الدكتور يهوشفاط هركابي ، وهو من عداد الفئات الصهيونية اليمينية ، خبير في شؤون الشرق الاوسط ، وله يد طولى في بلورة مفاهيم الجناح اليميني من حزب العمل تجاه القضايا العربية ، فقد غدا هو الاخر يرتأي ضرورة « التفاوض مع الفلسطينيين وعلى رأسهم منظمة التحرير الفلسطينية » لثلاثة اسباب يوردها في مقالة له تحت عنوان « حساب النفس القومي » (٧٤/٤/١٩ معاريف) .

١ ــ لاعتقاده بان السير على منوال الموقف المعلن لاسرائيل تجاه الفلسطينيين عمل خاطىء . يقول في هذا المجال : « يبدو لي ان الموقف الاسرائيلي المعلن والمتمثل في عدم الاستعداد لاجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية هو خاسر ، فقد اعترفت حوالي مئة دولة في منظمة التحرير وينبغي علينا ان لا نلعب تجاه هذه القضية لعبة النعامة. ان اشتراكها في المفاوضات لا ينطوي على اعترافنا بها كممثلة وحيدة للفلسطينيين » .

٢ ــ لاعتقاده بان موقف منظمة التحرير غدا

اكثر اعتدالا ومرونة ويتسم بالنمو ض تجاه الكيان الاسرائيلي . ويذكر ان منظمة التحرير درجت على اتباع « الحيل » المتمثلة في قيام احد المتحدثين بالادلاء بتصريح بروح معينة ليقوم متحدث اخر اخر بتكذيبه ، من اجل خلق انطباع في العالم يبدو معه وكأن منظمة التحرير قد غيرت من موقفها تجاه الكيان الاسرائيلي . ويذهب هركابي أكثر من ذلك ، حيث يدعي « بأن الفلسطينيين يستمتعون بايراد استشهادات من اقوال الاسرائيليين تؤيد ان الفلسطينيين قد غيروا من موقفهم وهم على استعداد لتسوية سلام مع اسرائيل » ولم يوضح لنا الدكتور الذي انقلب فجأة وغدا يطالب بالتفاوض مع منظمة التحرير من هم هؤلاء الفلسطينيون الذين يستمتعون بـ ... ليطالب بعد ذلك لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست دراسة الاقوال الصادرة من قبل اسرائيليين والتي من شأنها افادة العرب ! (أنظر البند ١٥ من المقال آنف الذكر الذي كتب على شكل مذكرة) .

٣ — لاعتقاده بان ذلك من شأنه ان يمنح اسرائيل ورقة يمكن من خلالها ان تساوم بها الفلسطينيين والنظام الاردني معا . حول ذلك يقول : «ان الشروع في مفاوضات مع الفلسطينيين ينطوي على قيمة بالنسبة لموقفنا تجاه الاردن ، ذلك ان امكانية المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ستمنحنا ورقة ضد الاردن الذي لم يتخوف حتى الان من منافس . يوجد لدينا هنا امكانية للعب بين الاردن والفلسطينيين ، ليست متوفرة بالنسبة للعلاقات مع دول عربية اخرى » .

للاسباب الانفة الذكر وبالاضافة الى موقفه المعروف والذي ثبته في مقالته والقائل بأن احتمال قيام سلام حقيقي بين الدول العربية واسرائيل ضئيل جدا ويكاد يكون معدوما بسبب الهوة الشاسعة بين المواقف ، يرى هركابي انه « يبدو لي اننا نتصرف بتعقل اذا ما اعربنا عن موافقة مبدئية للتباحث حتى مع الفلسطينيين ، وعلى رأسهم منظمة التحرير الفلسطينية ، من خلال عرض مطلب بان يثبت في الاتفاق بشكل واضح ان السلام هو نهاية الصراع (اي نوع من السلام هذا اذا ما استمر الصراع بعده ؟) وان الاتفاق يشكل اعترافا في العيش سوية مع اسرائيل » .

وجهة نظر المسؤولين الاسرائيليين : اذا كان هركابي يتصور أن اعتراف اسرائيل بمنظمة التحرير ينم عن « مسلك متعقل » فاننا لا نعرف الصفة التي يضيفها الى كلمة « مسلك .. » بالنسبة للمسؤولين في اسرائيل الذين يصرون على عدم الاعتراف بها . فرئيس الحكومة الجديد يتسحاق رابين يرى في برنامج حكومته « ان اسرائيل لن تذهب الى التفاوض في جنيف مع منظمات ارهابية بصفتهم مشتركين او كمراقبين » كما وانه يرفض مجرد دعوة المنظمات الفلسطينية الى جنيف « ان اسرائيل ترفض دعوة ممثلين عن المنظمات التخريبية والارهابية كمشتركين او مراقبين » ، كما وان الرجل الثاني في الحكومة يجال الون لا يزال متمسكا في مشروعه الذي يحمل اسمه ويرى ان اي حل لقضية الشعب الفلسطيني يجب ان يكون من خلال المفاوضات مع الملك حسين . واكثر شيء وصل اليه المسؤولون حتى الان تجاه التمثيل الفلسطيني هو ان يرتدي المسؤولون في المقاومة الفلسطينية الزي الملكي الاردني ومن ثم التوجه الى جنيف من قصر رغدان او بسمان بتوجيهات من جلالته ، كما يريد او — لا يعارض — وزير الشرطة شلومو هليل .

بالرغم من كون القضية الفلسطينية تشكل الحلقة المركزية للصراع في المنطقة الا ان رابين يرى بان مفتاح السلام او الحرب في يد الانظمة العربية وان قضية السلام والحرب هي رهن « العلاقات الاسرائيلية العربية وليست رهن العلاقات مع الفلسطينيين » كما ويرى ان مصر هي الدولة العربية الرئيسية التي يمكن لها ان تقطع شوطا بعيد المدى في قضية السلام والحرب، ويتحكم في هذا الفهم لرئيسة الحكومة الاسرائيلية الجديد تصور ومحاولة ، تصور بان الصراع مع الدول العربية يدور حول حدود ، بينما يدور الصراع مع المقاومة الفلسطينية حول كيان ، ومحاولة لانهاء وطمس الصراع الثاني من خلال ايجاد حل للصراع الاول ومع ذلك يبقى التصور والمحاولة مرتهنين بانحسار عاملين اساسيين (١) انحسار ووهن حركة التحرر داخل مصر وسائر المناطق العربية بما في ذلك المقاومة الفلسطينية (٢) زوال شهوة التوسع الاسرائيلي في الاراضي العربية غير الفلسطينية .

اما فيما يتعلق بمصير الشعب الفلسطيني ، فانه يرى ضرورة ايجاد حل له ضمن الاطار

الاردني ، ويعارض اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة « لان اقامة دولة فلسطينية منفصلة عن الاردن لن تكون الا بمثابة قنبلة زمنية مؤقتة تؤدي الى اندلاع حرب عربية اسرائيلية جديدة ». واذا كان رابين يرى ان مفتاح الحل بين الانظمة العربية وليس بيد الفلسطينيين ، فانه يرى ان من مصلحة اسرائيل استمرار قيام نظام الملك حسين للدور الذي يقوم به « ذلك لان النظام الهاشمي لا يمكن عناصر الارهاب الفلسطينية من استخدام الاردن كقاعدة عمل ضد اسرائيل ، ويحول دون تواجد سوفييتي في المنطقة » (دافار ٧٤/٥/١٧) .

اما الرجل الثاني في جهاز الحكم الاسرائيلي يجال الون فلا يختلف كثيرا عن رابين من حيث المنظور العام تجاه القضية الفلسطينية ، فهو يرى كما ورد في مقالة له نشرت في مجلة « بمفنيم » الناطقة باسم الكيبوتس الموحد عند مطلع ايار الماضي : « ان السابقة التي نجمت في اعقاب المفاوضات مع مصر ستسهل على الاردنيين الشروع في مفاوضات علنية مع اسرائيل . ويمكن التوصل حتى ولو تحت نفس العنوان « فصل القوات » الى حلول متعددة ومختلفة » واشترط ان تكفل التسوية مع الاردن الامور التالية : « ١ — منع تحشد قوات نظامية ، والحيلولة دون خطر اندلاع حرب جديدة . ٢ — خلق اتصال تليفوني مباشر ودائم بين القادة في المناطق المختلفة وتحديد ترتيبات مراقبة مشتركة ومتبادلة لضمان حرمة الاتفاق . ٣ — منع تجدد الاعمال الارهابية والتخريبية على ضفتي الاردن ٤ — العمل على تقليص تأثير الدعاية المتطرفة لمنظمات الارهاب وانصارها على الرأي العام الفلسطيني في الضفة الغربية » .

واذا استثنينا البند الاول من اتفاق « فصل القوات » مع الاردن الذي يقترحه الون نجد انه اقرب الى الاتفاق العسكري بين النظام الاردني واسرائيل بغرض مواصلة قهر الشعب الفلسطيني، منه الى اتفاق فصل للقوات ، خاصة وانه ليس هنالك ما يستدعي فصلها ! وعلى الرغم من ذلك فان الون لا يستبعد ان يخلق ظرف معين تتكون فيه مصلحة مشتركة لاسرائيل والاردن و «للجمهور الفلسطيني البناء» حيث يصل الجميع الى اتفاق ، ولكن من خلال خريطته المشهورة . ولكيلا يعتري القارىء شك بانه في هذه المبادىء قد تخلى عن مشروعه ، يقرر الون : « يبدو لي انه يتوجب علي ان اضيف بانه من الناحية المبدأية لا يوجد تناقض بين ما هو مقترح هنا ، وبين المشروع الذي لم انسحب منه ولا زلت اتمسك به ، بل العكس ، ان كل ما هو مقترح هنا يجيء ضمن اطاره » .

أما وزير الداخلية والشرطة شلومو هليل فيعتقد، كزميله ، بان حل القضية الفلسطينية ينبغي ان يكون داخل الاطار الاردني ومن خلال اتفاق مع النظام الهاشمي لاعتقاده بان اية تسوية « ينبغي ان تكون بيننا وبين صاحب السيادة الرسمي للمناطق ، واذا لم تكن التسوية كذلك فانها لن تكون عملية » (أنظر المقابلة الصحفية للوزير مع معاريف ٧٤/٤/٢٨) . وبخصوص الحل النهائي لقضية الفلسطينيين فيرى انه ينبغي ان يتم في المناطق التي ستنسحب منها اسرائيل في الضفة الغربية وعلى جميع الضفة الشرقية لاعتقاده بأن حقوق الشعب الفلسطيني على الضفة الشرقية لا تقل عن حقوقهم على يافا وتل ابيب ! « اننا نقول بان حل قضية الشعب الفلسطيني يمكن ان يتأتى في نفس الجزء من الضفة الغربية الذي لن يكون في ايدينا وفي جميع الضفة الشرقية التي تعتبر حقوق الفلسطينيين عليها لا تقل عن حقوقهم على يافا وتل ابيب . وعليه ، ستكون الاردن دولة تجمع بالفعل ثلثي الشعب الفلسطيني ، وهكذا يكون ثلثا شعب الاردن من الفلسطينيين ... »

ومع أن هليل يصر على ان يكون الاتفاق مع النظام الاردني الا انه لا يعارض اذا ما ارتأى النظام ارسال احد قادة المقاومة حتى ولو كان ياسر عرفات للتفاوض في جنيف مع اسرائيل ، بحجة انه لا يملك ان يفرض على الملك من يرسل للتفاوض ، ولكنه يصر على ان لا يأتي تحت « عنوان منظمة الارهاب » او كما يقول : « اننا على استعداد للجلوس ايضا مع ياسر عرفات على مائدة المفاوضات في جنيف ، ولكن فقط اذا جاء الى هناك كممثل للاردن . اننا لا نملي على الاردن من يمثلها ، ومن ناحية اخرى اننا لسنا على استعداد للتباحث مع اي فلسطيني اذا جاء تحت عنوان منظمة الارهاب » .

شهريات

(١) القضية الفلسطينية دوليا

كان الشهر الماضي شهر الدبلوماسية الاميركية في الشرق الاوسط بلا منازع . اذ بعد ٣٣ يوما امضاها كيسنجر بالتنقل المستمر والسريع بين تل ابيب ودمشق توصلت وساطته الى اتفاق حول فصل القوات في الجولان بين الدولتين المعنيتين . وللتأكيد على اهمية هذا الحدث قام الرئيس الاميركي نيكسون باعلان نبأ التوصل الى الاتفاق بنفسه في بيان اذاعه مساء ٢٩ ايار ١٩٧٤ معلنا ان الممثلين العسكريين لسوريا واسرائيل سيوقعون الاتفاق في جنيف يوم الجمعة ٣١ ايار ضمن اطار فريق العمل العسكري المصري — الاسرائيلي في مؤتمر جنيف والذي انضمت اليه سوريا على اثر نجاح مهمة كيسنجر . واعتبر الرئيس نيكسون الاتفاق انتصارا دبلوماسيا بالغ الاهمية ووجه تحيته وتهنئته الى كل من الحكومتين السورية والاسرائيلية ، وعبر عن أمله في ان يكون الاتفاق خطوة على طريق ايجاد تسوية سلمية دائمة في المنطقة مشيرا الى ان عقبة كبيرة امام التسوية الدائمة قد ازيلت الان ووصفها بقوله « انها كانت اصعب عقبة » بسبب « الخلافات التي كانت قائمة لفترة طويلة بين سوريا واسرائيل » . واكد ان بلاده ستتابع مبادراتها الدبلوماسية وستعمل مع كل حكومات المنطقة لتحقيق التسوية الدائمة والسلام الدائم .

ويدعو الاتفاق الى اقامة منطقة عازلة مجردة من السلاح بين الجيشين تمتد من جبل الشيخ عبر مدينة القنيطرة الى المنطقة الجنوبية الشرقية حول الرفيد . وستتمركز القوات الدولية لمراقبة اتفاق فصل القوات فيها والتي سيبلغ عددها حوالي ١٢٠٠ عنصر . وتم الاتفاق على اقامة مناطق محدودة التسليح على جانبي المنطقة العازلة بالاضافة الى ترتيبات لتبادل الاسرى . ولم يتضمن الاتفاق اية اشارة الى خطر العمل الفدائي من منطقة الجولان ضد اسرائيل وهي مسألة كانت تصر اسرائيل على انتزاع اعتراف بها من سوريا اثناء المفاوضات . الا ان الولايات المتحدة قدمت تأكيدات لاسرائيل بانها ستعتبر اية عمليات فدائية عبر الجولان بمثابة خرق لوقف اطلاق النار وستقدم كل الدعم السياسي الكامل لاسرائيل في اية عمليات تقوم بها للرد على الغارات الفدائية المحتملة . ويعني الاتفاق عمليا على ما يبدو :

١ — انسحاب اسرائيل من الجيب الذي احتلته في حرب تشرين الاخيرة . ٢) الانسحاب من منطقة القنيطرة بحيث تستعيد سوريا هذه المدينة المحتلة تحت ادارة مدنية وبدون حق ادخال اية قوات اليها باعتبارها جزءا من المنطقة العازلة . ٣) باستطاعة السكان الذين نزحوا عن هذه المناطق العودة اليها . ٤) انسحاب اسرائيل من مدينة الرفيد وبعض القرى في تلك المنطقة . ٥) تخلي اسرائيل عن اثنين من المواقع الاربعة التي تحتلها في جبل الشيخ لمصلحة الامم المتحدة. ٦) بقاء التلال الاستراتيجية المشرفة على القنيطرة بيد القوات الاسرائيلية مع الاخذ بعين الاعتبار وقوعها ضمن اطار المنطقة المحتلة المحدودة التسليح . ٧) قيام طائرات الاستطلاع الاميركية برحلات فوق منطقة الجولان للتحقق من تقيد كل من الطرفين ببنود اتفاقية الفصل وتنفيذ نصوصها . ٨) ذكرت مصادر اميركية بأنه لا يحق لاي من الطرفين الاحتفاظ باكثر من ستة الاف جندي في المنطقة المتقدمة من الجبهة وان وجود المدفعية الثقيلة محظور على عمق ١٢ ميلا ووجود صواريخ ارض — جو محظور على عمق ١٥ ميلا. ٩) اشارت هذه المصادر الى ان الولايات المتحدة

ارتبطت بتعهدات سرية مع كل من الجانبين . وقد اكدت جولدا مائير وجود بروتوكولات سرية بين اسرائيل والولايات المتحدة تتعلق باتفاق فصل القوات .

وجدير بالذكر انه في الوقت الذي تم فيه الاعلان عن اتفاق فصل القوات كان الوزير السوفياتي جروميكو موجودا في دمشق . وقد صدر بيان صحافي عن زيارته تطرق الى الاتفاق المذكور محددا وجهة النظر السورية ــ السوفياتية في فهمها لمعنى الاتفاق وتفسيره ومغزاه . اكد البيان : ١) ان مسألة فصل القوات في الجبهة السورية ليست الا خطوة اولى وجزءا لا يتجزأ من الحل الشامل للنزاع في المنطقة . ٢) تطابق مواقف الجانبين السوري والسوفياتي وخاصة بالنسبة الى اعتبار الانسحاب الاسرائيلي التام من كل الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني الاساس الذي لا بديل عنه لاي حل عادل لمشكلة الشرق الاوسط والذي لا يمكن بدونه تحقيق مثل هذا الحل . ٣) ان التوصل الى اتفاق فصل القوات يعني ضرورة المبادرة فورا الى اتخاذ الاجراءات اللازمة من اجل التوصل الى الحل الشامل والعادل الذي يؤمن تنفيذ قرارات الامم المتحدة. ٤) تاكيد الجانب السوري ضرورة اشتراك الاتحاد السوفياتي في كل مراحل الحل وميادينه . وتاكيد الجانب السوفياتي ثبات تأييدهم الشامل لسوريا في نضالها من اجل ازالة اثار العدوان الاسرائيلي وتاكيد الجانبين معا لعلاقات الصداقة المتينة القائمة بين البلدين وبين شعبيهما وعزمهما على عدم السماح لاي جهة بالنيل من العلاقات الوطيدة والصداقة المتينة بين البلدين .

وفي ١٣ ايار تم توقيع الاتفاق* بالاحرف الاولى في جنيف في اجتماع رأسه قائد قوات الامم المتحدة في منطقة الشرق الاوسط وحضره رئيس الوفد الاميركي ورئيس الوفد السوفياتي الى مؤتمر السلام في جنيف . هذا بالاضافة الى ممثل مصر في فريق العمل العسكري المصري ــ الاسرائيلي والممثل الشخصي للامين العام لهيئة الامم . وعلى اثر الانتهاء من التوقيع بدأ عمل مجموعة العمل العسكرية المصرية ــ السورية ــ الاسرائيلية برئاسة الجنرال سيلاسفيو للبحث في الجوانب العسكرية المحض والتفاصيل الفنية لتنفيذ اتفاق فصل القوات . ويشمل عملها تحديد المراكز الاسرائيلية الجديدة بعد الانسحاب من المناطق المعنية ، وتحديد مراكز قوات الامم المتحدة ، ومراكز تقدم القوات السورية الى الاماكن التي ستتسلمها ، بالاضافة الى موضوع البحث عن جثث القتلى التي ما زالت متروكة على ارض المعركة . وقد حضر الاجتماعات مراقبون من قبل الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة على خلاف ما حدث بالنسبة للاجتماعات المشابهة التي جرت عند تنفيذ فصل القوات في جبهة قناة السويس . وفي ٥ حزيران أنهت مجموعة العمل هذه اعمالها وتم التوقيع على الوثائق المتفق عليها لتنفيذ اجراءات فصل القوات .

على اثر انتهاء مهمته في دمشق انتقل كيسنجر الى القاهرة حيث قابل الرئيس السادات الذي أعلن على اثر اجتماعه بالوزير الاميركي انه مهما كانت المقاييس فلا شك ان الدكتور كيسنجر قد حقق معجزة مرة اخرى ، واضاف السادات قائلا « انا فخور بما قام به لانه صديقي واخي » . كما أشاد الوزير الاميركي بدور الرئيس السادات في تمهيد الطريق امام نجاح فصل القوات في الجولان. وقد أكد كلاهما بأن ما جرى حتى الان ليس سوى خطوة على طريق السلام العادل في المنطقة . بالاضافة الى ذلك تم الاتفاق على تشكيل لجنة مصرية ــ اميركية مشتركة لدرس كل مجالات التعاون بين البلدين . وستكون اللجنة برئاسة كيسنجر نفسه ووزير خارجية مصر اسماعيل فهمي. وستشمل مجالات التعاون الميادين الاقتصادية والعلمية والثقافية . وقد صدر بيان مشترك حول هذا الاتفاق ذكر بأن هذه اللجنة المشتركة ستمكن البلدين من وضع برامج بعيدة المدى لخدمة المصالح المتبادلة بينهما .

ومن ناحية اخرى ذكرت مصادر دبلوماسية اميركية مطلعة (« النيويورك تايمس » ، ٨ حزيران ١٩٧٣) ان الحكومة الاميركية تعهدت لاسرائيل بتطبيق سياسة جديدة تجاهها في مجالات التسليح تواليها بألا تخضع شحنات الاسلحة الاميركية

---

* نص الاتفاق الحرفي موجود في مقال المقدم الهيثم الايوبي صفحة ١٣ من هذا العدد .

المخصصة لاسرائيل لقرارات سنوية بل ان يمتد الالتزام بذلك لفترة خمس او عشر سنوات . وقد أكد كيسينجر هذه المعلومات في المقابلة التي اجراها مع لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ . وبين كيسينجر ان بلاده ستضع في تصرف دول الشرق الاوسط مبلغ مليار دولار ضمن اطـــار برنامج المساعدات الاميركية الخارجية تحصل منها اسرائيل على ٣٥٠ مليون دولار والاردن على ٢٠٧ ملايين دولار ومصر على ٣٥٠ مليون دولار وسوريا ١٠٠ مليون دولار . ويفترض في بعض هـــذه المساعدات ان يتم انفاقه على اعادة تعمير مدينة القنيطرة ومدن قناة السويس . وكان من النتائج الاخرى لاتفاق فصل القوات البحث في اعـادة العلاقات الدبلوماسية بين سوريا والولايات المتحدة في المستقبل القريب وقيام نيكسون بزيارة دمشق اثناء جولته القادمة في المنطقة .

وقد علق الرئيس الاسد على اتفاق فصل القوات في مقابلة اجرتها معه مجلة « نيوزويك » الاميركية في الاسبوع الاول من حزيران قائلا ان ســـوريا واسرائيل لم تقدما أية تنازلات اذ ان الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية جاء وفقا لقراري مجلس الامن رقم ٣٣٨ و٢٤٢ وهذا لا يشكل تنازلا بل يعني « ان اسرائيل بدأت تتيقن من ان الاحتلال لا يوفر لها الامن » . واشار الرئيس السوري الى ان بلاده تنظر الى الاتفاق على انه جزء من الحل الدائم وكخطوة نحو التطبيق الكلي لقرارات الامم المتحدة الذي يعني الانسحاب الاسرائيلي الكامل وضمان الحقوق الفلسطينية . وقد اثنى على جهود كيسينجر الضخمة ، على حد تعبيره ، بقوله انه « لم يكن من الممكن تحقيق ما تم بدونه » . واشار الى ان محادثاته مع كيسينجر لم تتركز بصورة كثيفة على العناصر الضرورية لاقامة سلام حقيقي في المنطقة ، بل تركزت على موضوع فصل القوات لذلك من المتوقع اجراء المزيد من المحادثـــات النسبة للمستقبل .

ومن ناحية اخرى عقد كيسينجر مؤتمرا صحافيا ، آخر الاسبوع الاول من حزيران كرسه بصورة ئيسية لمشكلة الشرق الاوسط والسياسة الاميركية راءها . وكان أهم ما جاء في مؤتمره ما يلي :

(١) ايضاح العبارة الشهيرة التي كان قـد تفوه بها في مؤتمر صحافي سابق حول « طـــرد السوفيات من مصر » ، قال كيسينجر موضحا بأن قصده كان « طرد الجنود السوفيات من مصر » اذ من الواضح ان للاتحاد السوفياتي كدولة كبرى مصالح عالمية وخاصة في الشرق الاوسط . لذلك اكد ان بلاده لا تنوي كما انها غير قادرة على اقصاء النفوذ السوفياتي عن الشرق الاوسـط . وأكد الدور الذي سيقوم به الاتحاد الســوفياتي في مؤتمر جنيف للسلام باعتباره الرئيس الاخـر للمؤتمر .

(٢) أوضح ما تردد حول تقديم مســاعدات اميركية الى سوريا بمقدار ١٠٠ مليون دولار قائلا ان سوريا لم تطلب مثل هذه المساعدة كما ان الحكومة الاميركية لم تلتزم بتقديمها خلال مفاوضات فصل القوات . وكل ما في الامر هو « ان سوريا أصبحت مؤهلة مع دول اخرى لتلقي المساعدات الاميركية من صندوق المتطلبات الخاصة » .

(٣) أكد ما قالته جولدا مائير امام الكنيست حول الضمانات الاميركية بالنسبة « للاعمـــال الارهابية » في مقابل قبول اسرائيل بمطلب سوريا في اعتبار اتفاق فصل القوات شيئا لا علاقة له بالعمل الفدائي . وقال كيسينجر ان بلاده تعتبر « تحرك الارهابيين والهجمات المسلحة عبر خـط وقف اطلاق النار خرقا للاتفاق » كما أكد بأنه ناقش هذا الموضوع مع المسؤولين السوريين .

(٤) ان مفاوضاته لم تتناول قضية الفلسطينيين بعد وان موقف بلاده الراهن هو ان الوفود الى مؤتمر جنيف قد تقررت في الجلسة الافتتاحية تاركا الباب مفتوحا الى حد ما أمام تبديل في هذه الوفود، أي امكانية اشتراك وفد فلسطيني في المؤتمر . ونفى بهذه المناسبة ان تكون أية اتصالات قد تمت بين بلاده والفلسطينيين ، كما قال ان مســـألة تمثيلهم في مؤتمر جنيف لم تبرز بعد .

(٥) بين ان اهتمام حكومته بالمنطقة يتركز بالاضافة الى احراز التقدم في مفاوضات السلام العربية — الاسرائيلية على اقامة علاقة جديدة مع الدول في المنطقة ، على ان تكون علاقة طويلة الامد وعلى اساس جديد . وأكد بهذا الصـــدد ان اميركا ما زالت ملتزمة بأمن اسرائيل الا انه بالامكان ضمان هذا الامن على أفضل وجه اذا

كانت الولايات المتحدة تتمتع بثقة الطرفين . كما أكد ان صداقة الولايات المتحدة لاسرائيل لم تتضاءل ولن تتضاءل نتيجة لصداقتها مع الدول العربية . لذلك ترى حكومته ان افضل اطار لضمان أمن اسرائيل هو الوصول الى تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط .

(٦) ان النصوص العسكرية للاتفاق ستظل سرية بطلب من الفريقين .

وكان جوزيف سيسكو مساعد كيسينجر قد عقد مؤتمرا صحافيا في الاسبوع الاول من شهر حزيران كرسه ايضا لمشاكل منطقتنا وكان أهم ما فيه النقاط التالية :

(١) بين ان بلاده اعتبرت حرب تشرين فرصة فريدة لم تتوفر من قبل للتدخل باتجاه تحقيق السلام . وان اتفاق الفصل قد تحقق بفضل التدخل الاميركي من ناحية وتحرك « القوى المعتدلة » في العالم العربي باتجاه السعي الى تحقيق تسوية سلمية من ناحية ثانية معتبرا ذلك « نقطة تحول مهمة جدا في المنطقة » .

(٢) نفى ما كانت قد ذكرته صحيفة «النيويورك تايمز» ، (٢ حزيران) من انه اجتمع الى ياسر عرفات .

(٣) أكد ان مهمة كيسينجر تركزت بصورة رئيسية على موضوع فصل القوات ولم تتطرق بشكل محدد الى موضوع الحدود العربية — الاسرائيلية النهائية . واعترف بأنه على جميع الاطراف مواجهة هذه المسألة في الاشهر القليلة المقبلة .

(٣) اكد ان الجانبين السوري والاسرائيلي اعطيا تأكيدات حول موضوعات معينة وحساسة الى الولايات المتحدة مباشرة عوضا عن اعطائها الى الجانب الاخر . كما ان حكومته بادلت هذه التعهدات الثنائية بتعهدات من عندها . وواضح ان الاشارة هنا هي الى موضوع العمل الفدائي او « قضية الارهاب » كما يسميها سيسكو والتي رفض التوسع في الكلام عنها باستثناء القول بأن بلاده تعتبرها « قضية خطيرة جدا يمكن ان تعرض الاتفاق للخطر اذا استمرت » .

(٤) نفى سيسكو ان تكون الولايات المتحدة هي الضامنة للاتفاق لكنه قال بأنها منغمسة فيه مباشرة خاصة وانها الدولة الوحيدة التي تعرف وجهتي نظر الطرفين وتعرف المراحل التي مر بها الاتفاق وتاريخه معرفة كاملة . وأكد انه اذا شعر احد الفريقين بأن بعض نواحي الاتفاق مبهمة او قد تم خرقها فستكون اميركا منغمسة مباشرة في هذه المشكلة .

(٥) أشار سيسكو الى انه لا يمكن أن تتم التسوية الدائمة بدون تلبية « الاهتمامات الرئيسية للدول العربية والمصالح المشروعة للفلسطينيين ». كما أشار الى ان حكومته لم تحدد موقفا نهائيا من موضوع اشتراك وفد فلسطيني في مؤتمر جنيف قائلا ان هذه المسألة راجعة بالدرجة الاولى الى قرار الدول العربية والفلسطينيين .

(٦) نفى ان يكون الاتحاد السوفياتي قد حاول عرقلة الوصول الى اتفاق فصل القوات مبينا ان بلاده هي التي قامت بالدور الاول والاساسي في المفاوضات .

استكمالا للدور الطاغي الذي تقوم به السياسة الاميركية في الشرق الاوسط اعلن البيت الابيض برنامج زيارة الرئيس نيكسون للمنطقة التي بدأت في١٢ حزيران والتي شملت كلا من مصر والسعودية وسوريا والاردن واسرائيل .

صادق جلال العظم

(٢) المناطق المحتلة

في تحليله للاوضاع السياسية الراهنة في المناطق المحتلة ، كتب يهود ليطاني في جريدة هآرتس الاسرائيلية يقول : ان العناصر الوطنية والراديكالية المؤيدة لمنظمات المقاومة في المناطق المحتلة « تخشى من مؤامرة بين اسرائيل والاردن والولايات المتحدة... تضع حدا نهائيا للحلم القديم باقامة دولة فلسطينية . وتأييد هؤلاء ممنوح الان لسوريا . وكون سوريا صامدة ومستمرة في القتال، تحولت الى رمز للنضال العربي ضد اسرائيل في نظر تلك الاوساط » . أما عن العناصر المؤيدة للحكم الاردني فقد وصفها الصحفي الاسرائيلي بأنها تتطلع الى نجاح جهود كيسنجر لتحقيق فصل القوات . وقال ان الاردن من جانبه يبذل جهودا حثيثة لتوثيق علاقاته بمؤيديه في الضفة الغربية « واجتذاب المعارضين بواسطة الاموال والقروض للبلديات والغاء قيود عبور الجسور ... ».

وبالرغم من ان التحليل لا يصيب كبد الحقيقة بدقة ولا يقترب من عناصر الموقف الداخلي في المناطق المحتلة بدقة وشمولية ، الا انه يعطي صورة سريعة عن الاهتمام الذي يبذله المواطنون في الضفة الغربية للتعرف على مواقف مختلف الاطراف من المستقبل السياسي لهم .

والى جانب ذلك ، فقد شهدت المناطق المحتلة خلال الفترة القليلة الماضية عددا من الاحداث السياسية والعسكرية ذات الطابع السياسي الخاص ، سنحاول رصدها ومتابعتها فيما يلي :

عملية معلوت

بالرغم من أن العملية التي تمت في شمالي فلسطين يوم الخامس عشر من ايار (مايو) الماضي تقع خارج الضفة الغربية ، الا ان ردود الفعل الاسرائيلية عليها شملت الضفة الغربية ومختلف مناطق فلسطين المحتلة . وايضا فلقد حدثت ردود فعل عربية في الضفة الغربية ذاتها على اثر النتائج التي أسفرت عنها العملية . واذا كانت صحف الضفة الغربية لا تستطيع نقل ردود الفعل هذه ، فانها بالتأكيد تحاول الاشارة اليها من خلال حديثها عن ردة الفعل الانتقامية الاسرائيلية ضد مخيمات اللاجئين في لبنان . فقد كتبت صحيفة الشعب افتتاحية يوم ٥/٢٢ قالت فيها ، ان تهديدات جولدا مائير بتصعيد الحرب ضد الفدائيين «وتنويع الاساليب في مواصلة ضرب المنظمات في كل مكان »، انما يكشف عن حقيقة ان الاسرائيليين ، في كل حادث على هذا النحو ، يبحثون عن « نقطة الحدث او الحادث ساعة وقوعه ، بحثا عن ظواهره القائمة فقط ، اي من سطح الاحداث ، دون التوغل او التغلغل في اعماقه وجذوره لمعرفة الاسباب التي وقع الامر او الحادث او القضية على اساسها ومن جرائها » . وتدعو الافتتاحية في نهايتها الاسرائيليين الى « استخلاص العبرة في استيعاب متغيرات الواقع الجديد » . وفي عددها التالي تبرز الصحيفة في صفحتها الاولى مقالا لكاتب اسرائيلي يدعو الى الاعتراف بالشخصية الفلسطينية ، وذلك على اثر عملية معلوت . فكأن الصحيفة العربية تقول هنا : ان هذا هو الطريق لمنع تكرار عمليات اخرى على غرار معلوت . فقد نقلت الصحيفة قول الكاتب الاسرائيلي جدعون جيلات : « يبدو لي انه قد حان الوقت ان نعرف الخطر الكبير الكامن في المجابهة مع منظمات غير رسمية وليست لها مسؤولية سياسية وعامة » . ويعرب جيلات عن قلقه من « التقدم المستمر في مستوى التنفيذ لدى المنظمات» لعملياتها . ويحدد الكاتب مكمن الخطورة قائلا : « ان نسبة التصعيد التقني والبشري لعمليات المنظمات سيتطور ومن الصعب تخمين اية امكانيات ستكون امامها بعد ١٠ — ١٥ سنة . وسجل هذا التوقع المرعب الذي ذكر مؤخرا في الصحف والذي بموجبه سيكون بالامكان لمنظمات كهذه شراء او صنع قنابل ذرية بدائية وتفجيرها في مراكز سكانية » . ثم يطالب على أثر ذلك « تخفيف حدة المجابهة بيننا وبين الفلسطينيين » ، واجراء الحوار معهم . ولاجراء الحوار يطالب حكومة اسرائيل :

« ١ — الاعتراف بالشخصية الفلسطينية .

٢ — طلب اعتراف المنظمات باسرائيل .

٣ — دعوة لحوار فلسطيني — اسرائيلي » .

وتنقل صحف الضفة الغربية كذلك بعض ردود الفعل الاسرائيلية على صعيد الضفة الغربية .

فتبرز صحيفة الشعب بعنوان رئيسي « العودة للعمل بنظام منع التجول ليلا » وتقول ان منع التجول فرض في منطقة ابو ديس والعيزرية وطريق القدس — اريحا من الساعة السادسة والنصف مساء وحتى الساعة السادسة صباحا . « كما علم ان نظام حظر التجول قد فرض على طريق القدس — بيت لحم من الساعة العاشرة مساء وحتى الثالثة صباحا » .

وكان الحاكم العسكري لرام الله والبيره قد أبلغ جميع رؤساء بلديات متصرفية اللواء الامر التالي :

« ١ — يمنع التجول والسير ما بين مدن المتصرفية ومدينة القدس اعتبارا من الساعة العاشرة مساء وحتى الساعة الثالثة صباحا .

٢ — يمنع التجول والسير بين هذه المدن وجميع الطرق في اللواء ، كما يمنع كذلك بالنسبة لها مع مدن الضفة الغربية على نفس التوقيت في البند الاول .

٣ — يمنع التجول والسير على طريق اريحا اعتبارا من الساعة السادسة والنصف مساء وحتى السادسة والنصف صباحا » .

ومنع التجول على طريق بيت لحم — الخليل ايضا واستمرت عمليات التفتيش التي بدء منع التجول (الشعب ٧٤/٥/٢٣) .

وفي موضع اخر قالت الشعب انه قد اقيمت على جميع مداخل القدس حواجز التفتيش المشتركة بين الجيش وحرس الحدود ، حيث تصطف السيارات في طوابير لتفتيشها والتحري عن هويات ركابها . (الشعب ٧٤/٥/٢٣) . وذكرت صحيفة القدس انه قد ضوعفت حالة الطوارىء القصوى التي اعلنت في مختلف انحاء فلسطين المحتلة بعد اقتحام معلوت . « وقد لوحظت مضاعفة القوات الاسرائيلية بشكل خاص في مدينة القدس ، حيث كانت الدوريات المسلحة تسير في شوارع البلدة القديمة ، بينما كان عدد من السياح الزائرين للمدينة يصورون الجنود الاسرائيليين وهم يضعون اصابعهم على زناد رشاشاتهم الامريكية بتاهب غير اعتيادي بشكل لفت انظار الجميع » (القدس ٧٤/٥/٢٣) .

فصل القوات

تلقى المواطنون وصحف الضفة الغربية اتفاقية فصل القوات على الجبهة الشمالية ، بمشاعر وتعليقات مختلفة ، قالت « الفجر » في افتتاحيتها الرئيسية : « فلنرحب بفصل القوات فهو خطوة على طريق السلام » . وقالت ان اتفاقية الفصل لم تكن لصالح اسرائيل . وذكرت بخطاب لجولدا مائير قبل اسبوعين من ذلك التاريخ قالت فيه انها لن تنسحب « قيد انملة » من هضبة الجولان. ثم تستشهد في معرض تأييدها للاتفاقية بموقف الفئات الصهيونية المتطرفة منه. وشددت الصحيفة على ترحيبها بالاتفاق لانه « سيعيد وحدة الصف العربي التي كادت ان تتزعزع ، كما انه يعتبر انتصارا حقيقيا للحق العربي والسلام العادل وللقوى الديمقراطية داخل الشعب الاسرائيلي . نرحب به لاننا نرى فيه بداية « انفراط » حبات مسبحة الاحتلال ، وبداية التحام حبات حقوقنا الوطنية الفلسطينية . نرحب به لانه سيحرج كل قوى التوسع في اسرائيل ... ولانه سيزيل لبنة من لبنات نظريات التوسع ، ويهدم حلما من احلام الاباطرة الذين يعتبرون لحم شعبنا الفلسطيني مشاعا لمن يريد أن يأكل » (الفجر ٧٤/٦/١) .

أما صحيفة البشير التي نوهت بدورها بالاتفاقية. فقد قالت ان اتفاق الجولان واتفاقية الفصل في سيناء يعتبران من الامور « الثانوية » ومتفرعتان عن القضية الاصل ، الا وهي القضية الفلسطينية التي تمثل القدس جوهرها الاساسي (البشير ٧٤/٦/١) .

أما صحيفة القدس فقد تساءلت معلقة على اتفاقية الفصل في الجولان : « ماذا بعد فصل القوات ؟ » . وقالت الصحيفة : « ان المستوطنات التي انشأتها اسرائيل في هضبة الجولان والضفة الغربية وسيناء ، والاعمال الانشائية التي اقامتها اسرائيل في القدس ... تمت خلافا لنصوص القوانين الدولية ومواثيق جنيف التي سبق لاسرائيل ان وقعتها وتعهدت بالالتزام بها ومراعاة احكامها. ان سياسة الامر الواقع التي مارستها اسرائيل منذ انشاء الدولة اليهودية يجب ان لا يكون لها مكان بعد حرب رمضان ١٩٧٣ ، واسرائيل وحدها يجب ان تتحمل عواقب ونتائج ما قامت به من مخالفات وانتهاكات » (القدس ٧٤/٦/٢) .

وكانت القدس قد علقت على الانباء الاولى التي تسربت عن التوصل الى الاتفاق حول الانسحاب من الجولان بقولها : « ان المعجزة الحقيقية لا تتمثل في فصل على جبهة السويس ولا تتمثل في فصل على جبهة الجولان ، وانما تتمثل في فصل بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة بشكل عام ، وبالنسبة للمدينة المقدسة بشكل خاص » . وقالت ان عقبات الفصل بالنسبة للضفة والقطاع ستكون اكبر نظرا لتباين وجهات النظر بين الاردن ومنظمات المقاومة واسرائيل « والذي يزداد حدة وعمقا بسبب تجاهل اتباع الوسائل الديمقراطية في اجراء استفتاء يكشف فيه الشعب الفلسطيني بمجموعه عن رأي الاغلبية الذي ينبغي ان يكون ملزما لجميع الاطراف العربية والاسرائيلية والفلسطينية والدولية » . وتذكر « القدس » الدكتور كيسنجر بثلاثة امور يجب عدم تجاهلها وهي : « ان التجارب المريرة التي مرت بها القضية الفلسطينية ، قد أكدت ضرورة الاخذ بثلاثة امور رئيسية هي : رغبة الشعب الفلسطيني في أن يكون له وجود ، وان يرتبط هذا الوجود ارتباطا ديمقراطيا متكافئا مع اخوته العرب ، وان يتم ذلك بواسطة قيادة تتمتع بالاعتدال والمرونة بحيث تكون قادرة على قيادة السفينة وسط المحيط التي تتصارع فيه تيارات مختلفة ومتناقضة الى حد التصارع » . (القدس ٧٤/٥/٣٠) .

أما ردود الفعل الشعبية على اتفاق الفصل فقد نقلتها جريدة الشعب على النحو التالي :

١ — فوجيء الكثيرون باذاعة النبأ ، بعد ان تأكد الناس من أن مهمة كيسنجر قد وصلت الطريق المسدود . وقد شعرنا بأن لدى الكثيرين مرارة من جراء ذلك على أساس : ان الاهتمام بقضية الفصل يبتعد عن القضية بادخالها في متاهات نافهة ، وان اي نجاح لامريكا لا بد وان يكون فيه خسارة للقضية الاساسية .

٢ — اذا كانت الهزيمة الاسرائيلية في حرب تشرين الاول ، حققت لاول مرة انتصارا جزئيا للامة العربية ، فان هؤلاء العرب بدأوا يخسرون المعركة بطريق الالتفاف السياسي .

٣ — بدأ اهل الوطن المحتل يشعرون ان هنالك خططا كان بهدف الى تحريك القضية على المستوى الدولي اكثر منه تحريرا للوطن المحتل ، وان المستفيد من هذا التحريك هو الرجعية العربية والامبريالية الاميركية .

٤ — اذا كانت عمليات الفصل هذه قد استغرقت قرابة العام ، فما هو الزمن اللازم للوصول الى حل للقضية الاساسية .

٥ — ان انصراف مصر في هذه الاونة الى الاعمار يتم قبل نهاية المعركة . (الشعب ٧٤/٥/٣١) .

وعلى هامش فصل القوات في الجولان ، وفي الوقت الذي كان فيه المجلس الوطني الفلسطيني يعقد دورته الثانية عشرة في القاهرة ، نشرت « القدس » تصريحات للشيخ محمد علي الجعبري يطالب فيها بادارة مدينة دولية للضفة والقطاع . فقال الجعبري « وانا ارى حسما للخلاف ولعدم وقوع ما لا يحمد عقباه ، ان تبقى الاراضي التي تجلو عنها القوات ، تحت ادارة مدنية دولية حتى اذا تم الجلاء عن الضفة الغربية والقطاع ، يتسنى للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج ليقرر مصيره . ونحن في الضفة الغربية نرجو ان لا يقع نزاع ولا شقاق بين الدول العربية والمنظمات ، لان مثل هذه الخلافات تكون ذريعة في بقائنا على ما نحن فيه . واعتقد ان الضفة الغربية والقطاع تواقة لتتولى حكم نفسها بنفسها، هذا اذا رغب العرب في حل مشاكلهم ، واذا رغبوا في بقائنا على ما نحن عليه فاننا نشكوهم الى خالقهم » . وطالب الجعبري ان تمثل الدول العربية في مؤتمر جنيف بما فيها الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وان يمثل فيه الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع (القدس ٧٤/٦/٣) .

المجلس الوطني الفلسطيني

بترقب واهتمام بالغين تابع الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة اعمال الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني . وقد انعكس هذا الاهتمام بوضوح في صحف الضفة الغربية . فعشية انعقاد المجلس ، كتبت « الشعب » في افتتاحيتها الرئيسية « ملاحظات » الى المجلس تقول فيها : « **لا جدال ولا خلاف على صحة التمثيل الشرعي الوحيد لشعبنا من قبل ثورته وانطلاقته**

العظيمة ، واذا كانت بعض الدول العربية والاردن أقربها ،تتعرف على الصورة او تتلمسها عبر الصور المهزوزة التي تصلها ، فان الصورة الكاملة والصحيحة ، معروفة لدى القيادات الفلسطينية والمجلس الوطني ، بل تدرك من دقائقها وخفاياها ما لا يدركه الكثيرون في الوطن المحتل نفسه ، وعند الاخوة المبعدين الخبر اليقين » . ثم تقول الصحيفة حول تأجيل المجلس الى ما بعد اتفاقية الفصل بالجولان : « اننا في هذا الموضوع بالذات وكما يعلم الاخوة في الثورة والمجلس ، لا نرى في فك الارتباط والفصل قضية مهما كان وزنها ». ثم تضيف « ان وضع الاردن كورقة تهديد او مساومة باسم البديل ... مثار للريبة والشكوك . فقضيتنا ليست كيان الاردن ولا في اوراقه ... **وسيظل ما سمي بشرق الاردن جزءا شرقيا من القطر الفلسطيني ، وهما معا جزء واحد من دولة الشام الكبرى** ، فهذه حتمية التاريخ وارادة الامة » . وتختتم الصحيفة تعليقها بالقول : « وليعلم الاخوة ان اهلهم رغم وجودهم في الاسر والاحتلال ، ما زالوا اقوى من اي وقت مضى ، أشد رفضا وامنع جانبا ، فاما ان نحقق ما نريد في حل عادل او نقضي دونه ، والمستقبل لشعبنا الذي ما اذعن يوما ولا استسلم ساعة ، ولا بد ان يستجيب القدر . (الشعب ٧٤/٥/٣١) .

أما صحيفة القدس فقد كتبت بدورها عشية انعقاد المجلس تقول : « لا شك ان اعضاء المجلس يدركون أن اولى واجباتهم الآن ان يخرجوا بقرار موحد بشأن قضيتين هامتين هما : موقفهم من مؤتمر جنيف ، وموقفهم من انشاء سلطة وطنية فلسطينية . ومن الضروري عند اتخاذ هذين القرارين ، ان يأخذوا بعين الاعتبار **اهمية التنسيق مع الدول العربية** . فبدون ذلك التنسيق تظل تلك القرارات تفتقر الى الدعم والمساندة . ولا بد ان نذكر ان القيادات الفلسطينية الرئيسية ، قد اظهرت في الاونة الاخيرة مرونة وايجابية ، وبالاخص بعد حرب رمضان . فاذا ما استطاعت هذه القيادات ان تقنع زملاءهم من دعاة السلبية بالموافقة على سياستهم ، فان الفلسطينيين يكونون قد قطعوا شوطا كبيرا في مسيرتهم نحو السلام ». (القدس ٧٤/٥/٣١) .

وخلال الايام الاولى من انعقاد المؤتمر توجهت « الشعب » عبر افتتاحيتها الرئيسية بـ « حديث صريح للاشقاء الفلسطينيين » قالت فيه «...واذ نحيي الاخوة في المجلس الوطني ونبارك خطواتهم على درب مواقف الشرف والبطولة ، واذ نترحم معهم على رجال الثورة الثلاثة الذين قضوا نحبهم في بيروت ... [مسح من الرقابة] ، فظلت مقاعدهم خالية تملأها بكل اجلال واكرام عزيمة شعبهم الجبار ، واذ **نرحب بالزعماء الشعبيين الثمانية الذين ابعدوا من الوطن المحتل** ، وتم اختيارهم لعضوية المجلس في تقدير وتكريم لاخوانهم في الوطن المحتل ، فاننا نمضي مع الاخوة في المجلس في احاديث لا تنتهي حول ملاحظات ، مجرد ملاحظات ، نرى من الضروري طرحها تنويرا واجتهادا واسهاما . نحن مع الاخوة في ان المعركة لم تنته ، وانها ربما لامر او لاخر تأخذ أشكالا نضالية جديدة ، عبر المتغيرات الطارئة ، لكنها ومهما تكن طبيعة هذه المتغيرات والملابسات ، لا يصح لها ، او لاي كان من ورائها ، ان تجعل التيارات الدولية ، وبعض الاتجاهات العربية ، تلقي بأثقالها على دربنا » . ثم تسوق «الشعب» التساؤل الاستنكاري التالي : « اليس غريبا من سادة الخرطوم الثوريين بالامس ، ان يقوموا في اليوم الذي يفتتح فيه المجلس الوطني الفلسطيني جلساته الهامة والمصيرية ، بتقديم (التحية) بمحاكمة الفلسطينيين في الخرطوم ، مع انه كان بوسعهم محاكمتهم قبل عام او تأجيلها الى عام اخر او اخلاء سبيلهم حتى تكون تحية فعلا » . (الشعب ٧٤/٦/٢) .

وعلقت « الشعب » على ورقة العمل التي طرحت في المجلس الوطني بقولها انها « وثيقة التزام فلسطينية ومنهاج عمل للسير وفقها وعلى هديها ، الى ان يتم انتزاع كامل الحق الفلسطيني على أرضه وتقرير مصيره » . وركزت الصحيفة على رفض ورقة العمل هذه لقرار مجلس الامن ٢٤٢ وقالت انه ابرز ما في تلك الورقة — الوثيقة. واشادت بما تضمنته الورقة من نص على اقامة « سلطة الشعب الفلسطيني المستقلة على كل جزء يتم تحريره من التراب الفلسطيني كحلقة من استراتيجية اقامة الدولة الديمقراطية » (الشعب ٧٤/٦/٣) .

ذكرى الخامس من حزيران

في ذكرى هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ ، اختلفت تعليقات الصحف العربية في الضفة الغربية ، عن تعليقاتها على هذه المناسبة في العام الماضي والاعوام التي سبقته . ويرجع ذلك الى الحالة النفسية والمعنوية المرتفعة لجماهير الارض المحتلة، المنبثقة من روح حرب تشرين الاول (اكتوبر) . فقد كتبت صحيفة الفجر حول هذه المناسبة تقول : « اليوم ندخل السنة الحزيرانية الثامنة . كانت السنوات السبع الماضية متشابهة في لونها ... وكانت هموم الذكريات تتراكم ذكرى بعد ذكرى ، ومع انها هموم ثقيلة ككابوس رهيب ، الا انها لم تنل او تقلل من ايمان جماهيرنا العربية والفلسطينية ، بأن المستقبل لا بد وان يكون أفضل . وحس الجماهير لا يخيب ، وها هو الخامس من حزيران يجيء في ذكراه الثامنة مختلفا عن كل الخوامس السابقة . يجيء وامتنا العربية قد حققت انتصار اكتوبر المجيد ، وشعبنا الفلسطيني البطل وقد بدأ يأخذ مكانه على خارطة العالم ، بعد نضال امتد اكثر من خمسين عاما كانت السنوات السبع الماضية ذروتها وقمتها . تأتي هذه الذكرى ونحن نرى المستقبل امام شعبنا مشرقا ، ومطلبه في اقامة سلطته الوطنية على ارضه قريب من التحقيق » (الفجر ٧٤/٦/٥) .

أما صحيفة القدس فقد تناولت ذكرى الخامس من حزيران ، كيوم من الايام السوداء الكثيرة التي مرت بالشعب الفلسطيني منذ الانتداب البريطاني. وأضافت « القدس » ان هناك اياما « تتفاوت في شدة سوادها وتتباعد في مآسيها . فيوم اعلان وعد بلفور يوم أسود ، ويوم قرار التقسيم يوم أسود ... ويأتي يوم الخامس من حزيران ١٩٦٧ ليفوق كل شيء في سواده ومآسيه » وعللت ذلك بسبب ضياع كامل فلسطين وأراضي عربية اخرى ، وبسبب احتلال مدينة القدس بما فيها من مقدسات . الا انها بعد هذا العرض للايام السوداء ومنها يوم اعلان اسرائيل عن ضم مدينة القدس في ١٩٦٧/٦/٢٨ ، انتقلت القدس لتتحدث بنفس مخلف حين تناولت بالتعليق حرب تشرين الاول . فقالت : وأشرقت حرب رمضان . وأشرق معها النور والامل . وبزغ فجر جديد يشير الى محو الايام السود وعلى الاخص يشير الى محو آثار ٥ حزيران الاسود . اننا نستذكر هذا اليوم للمرة السابعة ونجتر معه آلامنا ونتطلع بحسرة الى ما وقع في المناطق المحتلة من تدمير وتخريب ومصادرة. ونستذكر الجرافات واعمالها في قرى اللطرون والقدس القديمة . وآخرها في بيت الملاعبي في شعفاط . سنتذكر كل هذا ، ولكن يدعونا الصبر والايمان الى الاعتقاد بأن تذكرنا اليوم بهذا اليوم سيكون آخر تذكر . وسوف لن يأتي حزيران القادم الا ونحن ننعم بالحرية والسلام والاطمئنان » . (القدس ٧٤/٦/٥) .

والى جانب افتتاحية القدس هذه ، كتبت الصحيفة نقلا عن مراسلها الخاص ، ان مدير شرطة القدس القديمة استدعى ليلة الخامس من حزيران رئيس وأعضاء مجلس ادارة الغرفة التجارية ، وحذرهم من النتائج الخطيرة التي سوف تترتب على القيام بأي اضراب بمناسبة الذكرى السنوية ليوم ٥ حزيران . وأوضح انه سيكون من بين هذه الاجراءات ، اغلاق ومصادرة المحلات التجارية التي لا تتقيد بهذه التعليمات . كما استدعى قائد الشرطة اصحاب شركات الباصات وحذرهم من توقف العمل بسياراتهم صباح يوم الخامس من حزيران . وقالت « القدس » انه « فهم ان الحكام العسكريين في الضفة الغربية وقطاع غزة ، قد وجهوا تحذيرات مماثلة الى البلديات والمؤسسات التجارية » (القدس ٧٤/٦/٥) .

ع٠ش٠

(٣) اسرائيليات

الوزارة الاسرائيلية :
تشكيلة « حمائم » ونهج « صقور »

بعد فشل المفاوضات الائتلافيـة مع المفدال ، اصبح الاتجاه في حزب العمل ، كما اشرنا في العدد السابق في هذا الباب ، يسير نحو اقامة حكومة مقلصة يشارك فيها كل من الاحرار المستقلين وحركة حقوق المواطن . لكن الى جانب ذلك ، كانت هناك اتجاهات اخرى داخل حزب العمل ، بعضها كان قائما ، قبل استقالة حكومة مئير (الدعوة الى اقامة حكومة تكتل وطني) ، وبعضها الاخر استجد بعد الاستقالة . وقد وجدت جميع هذه الاتجاهات تعبيرا لها بشكل اقتراحات قدمت في اجتماع اللجنة المركزية لحزب العمل الذي خصص لمناقشة واقرار الاتفاق الائتلافي الذي تم التوصل اليه مع الاحرار المستقلين وحركة حقـوق المواطن . وفي نهـاية المناقشات التي استمرت ثلاث ساعات ونصف قدم الى اللجنة المركزية لحزب العمل اربعة اقتراحات:

● اقترح بيرل رفطور التحفظ من القرار السابق (اي القرار الذي دعا الى تشكيل حكومة جديدة)، ودعا الى اجراء انتخابات بالسرعة الممكنة ، مع استمرار الحكومة الحاليـة في عملها كحكومـة انتقالية . وقد حصل هذا الاقتراح على اصوات قليلة ، وبشكل اساسي من جماعة « رافي » .

● وسقط اقتراح مشترك تقدم بـه عضـوا الكنيست مردخاي سوركيس ومردخاي بن بورات . ويدعو هذا الاقتراح الى اقامة حكومة تكتل وطني. وقد صوت الى جانب هذا الاقتراح ٤٨ عضوا وعارضه ٢٦٢ عضوا وامتنع ثمانية عن التصويت . وكان اعضاء « رافي » ايضا وراء هذا الاقتراح بشكل اساسي .

● وسقط اقتراح آخر تقدم به موشي نيتسر وبني مهرشاك لاقامة حكومة على غرار الحكومة السابقة (المعراخ ــ المفدال ــ الاحرار المستقلين) .

● اما اقتراح لجنة المفاوضات فقد قدمه سكرتير عام الحزب اهرون يادلين : وقد حظي هذا الاقتراح باغلبية كبيرة ، اذ أيده ٣٠٢ وعارضه ٣٦ وامتنع ستة عن التصويت . ويقضي هذا الاقتراح باقامة حكومة مع الاحرار المستقلين وحركة حقوق المواطن.

وقد ساهم بشكل رئيسي في التوصل الى هذا القرار تنازل حركة حقوق المواطن عن شروطها التي وضعتها في السابق لدخول الائتلاف ومنها تعديل الخطوط الاساسية للحكومة ، وعدم ابقاء حقائب شاغرة للمفدال . وترك الباب مفتوحا للمفدال لمدة ثلاثة اشهر ، يصار بعدها الى اعادة النظر في البنود المتعلقة في الدين في الاتفاق الائتلافي . وقد سد تحرك هذين الحزبين كهيئة واحدة، الباب أمام القوى التي كانت تسعى في حزب العمل لاستبعاد حركة حقوق المواطن من الحكومة .

وعلق وزير الداخلية السابق يوسف بورج على قرار اللجنة المركزية لحزب العمل بتشكيل حكومة مقلصة فقال : « سأقترح على حزبي ان يقترع ضد الحكومة التي تعتمد على ٦١ مقعدا في الكنيست . وانا اعتبر هذه الحكومة هزيلة لسببين : اولا ، ان هذه الحكومة تعتمد على اغلبية ضئيلة ، حصلت عليها بفضل اصوات النـواب العرب . وثانيـا اشتراك حركات تجعل منها حكومة حمائمية وحكومة غير دينية » (ر.ا.ا ــ ٧٤/٥/٢٠ ، عدد ٥٣٧ ، ص ٤٦٧) .

اما صحيفة يديعوت احرونوت (٧٤/٥/١٩) فقد اعتبرت « ان القرار يشكل تحديـا للشعب ورغبته » ، بينما رأت معاريف : « انه قدر للحكومة الجديدة منذ البداية ان تكون حكومة مؤقتة . وتشك الصحيفة في ان يكون تأليف الحكومة الجديدة هو الكلمة الاخيرة في الازمة السياسية » .

وقد حظي خروج المفدال من الائتلاف الحكومي باهتمام بعض الصحفيين الاسرائيليين ، حيث رأى البعض فيه نهاية للمشاركة التاريخية بين حركة العمل من جهة والمعسكر الصهيوني الديني من جهة اخرى . ولم يقتصر الاسف على هذا الامر على المراقبين من خارج حزب العمل ، بل ان العديد من الاعضاء البارزين في الحزب امثال مئير وايبان وحتى رابين نفسه قد اعربوا عن أسفهم لخطوة

المفدال هذه . واتهم بعضهم المفدال بأنه المسؤول عن قطع هذه المشاركة التاريخية ودعوا الى بذل الجهود لاعادته الى الحكومة، بالاضافة الى مطالبته بتغيير موقفه .

وفي هذا السياق طالب ابا ايبان في جلسة مكتب حزب العمل وكتلته في الكنيست بـ « عدم الكف من بذل المحاولات لتوسيع قاعدة الائتلاف وضم المفدال، لكي لا يتوجه هذا الحزب نحو التجمع اليميني ». (ر٠١٠ — ٧٤/٥/٢٨ ، عدد ٥٤٥ ، ص ٧٢٥) .

اما رابين فقال بهذا الخصوص في اجتماع اللجنة المركزية للحزب : « آمل ان تصمد هذه الحكومة ، وآمل ان يقوم المفدال بتغيير موقفه وينضم اليها ». (ر٠١٠ — ٧٤/٥/١٩ ، عدد ٥٣٧ ، ص ٤٦٦) .

أما يورام كانيوك فقد اعرب في مقال في (دافار ٧٤/٥/٣٠) عن ارتياحه لخروج المفدال من الحكم، مطالبا رجالات حزب العمل بالكف عن الاسف لانقطاع المشاركة التاريخية ومبينا ان هذه المشاركة لم تكن خيارا بل فرضت فرضا على حركة العمل وعلى المباي بالذات ، نظرا للظروف . وتطرق الكاتب في سياق مقاله الى الازمات التي افتعلها المعسكر الديني منذ قيام الدولة ، مشيرا الى مدى انتهازية زعمائه وتغليبهم للمصالح الذاتية والحزبية الضيقة على المصالح العامة . ويخلص كانيوك في مقاله المذكور الى القول : « لم تكن هناك اية مشاركة تاريخية . لقد كان قلب حركة العمل ينبض بايمان اسرائيلي يهودي حقيقي لا يؤمن ولم يؤمن بالمساومة الدينية ... لكنها اضطرت ان تخضع طوال تلك الفترة ، ويبدو انه برز خلالها في حركة العمل زعماء لم يفهموا ان هذه المشاركة كانت عملية ارغام منكرة وليست طريقا مشتركا » .

اما نويمان فكتب في دافار (٧٤/٥/٢٦) حول الاستقطاب الحاصل في الحياة السياسية في اسرائيل فقال : « ان الاستقطاب الذي نشأ ، بالرغم من أسفنا لذلك ، هو أمر لا محالة منه . ان الافتراض بأنه من الممكن العيش ولوقت طويل تحت سقف الاجماع القومي المبني على المصالحة بين الاتجاه القومي المتعصب وبين الصهيونية الليبرالية الاشتراكية كان خطأ في أساسه » .

لكن نظرة أعمق الى ما يجري داخل الاطر السياسية في اسرائيل والى الاتجاهات السياسية والحزبية العامة ، تكشف ان هذا الاستقطاب الذي يتحدث عنه البعض الان ، لم تكتمل صورته النهائية بعد ، سواء داخل المعارضة او داخل التجمع العمالي الحاكم والشركاء الائتلافيين . فالاطار الفكري الفضفاض وحسابات الربح والخسارة لدى بعض زعماء وأجنحة حركة العمل ، بالاضافة الى الجنوح الدائم داخل حركة العمل نحو اليمين على كافة الاصعدة ، وسيطرة الاتجاه البراجماتي داخل المباي بالذات ، كل هذه الامور تفسر عدم استكمال هذا الاستقطاب لشكله النهائي ، من جهة ، وتحول دونه من جهة اخرى .

ونشير يديعوت احرونوت في عددها الصادر في ٧٤/٦/٧ الى أن محاولة لبلورة هذا الاستقطاب باقامة حكومة بديلة لسلطة التجمع العمالي الحاكم، يكون قوامها التجمع اليميني « ليكود » والمفدال والجبهة التوراتية بالاضافة الى أعضاء « رافي » في حزب العمل ، وبعض الشخصيات الاخرى داخل المباي وأحدوت هعفودا ، قد فشلت رغم ان المبادرة قد لاقت ترحيبا من دايان وحماسا من المفدال وقبولا متحفظا من الجبهة التوراتية التي شككت في امكانية اقدام « رافي » وبيرس بالذات ، رغم ان المبادرين اقترحوا عليه تشكيل الحكومة ، على مثل هذه الخطوة . وبالفعل فقد رفض بيرس الفكرة ، بينما انقسم بقية اعضاء « رافي » بين مؤيد ومتحفظ ورافض .

توزيع الحقائب

ما أن تجاوز رابين العقبة الاولى التي تمثلت في شكل وتركيبة الائتلاف حتى وجد نفسه امام عقبة اكبر تمثلت في كيفية توزيع الحقائب على الكتل داخل حزب العمل من ناحية وفي محاولة اقناع بعض الوزراء السابقين مثل سابير وايبان بقبول مناصب وزارية في حكومته . ويمكن تلخيص هذه العقبات التي واجهته بالنقاط الاربع التالية :

● تنافس بيرس وألون على وزارة الدفاع ومن ورائهما كتلتا « رافي » و« أحدوت هعفودا » وقد حل رابين هذه العقبة بتعيين بيرس وزيرا للدفاع وتعيين ألون وزيرا للخارجية بالاضافة الى نيابة رئاسة الوزارة .

● العقبة الثانية ، تمثلت في استياء ابا ايبان ورفضه المشاركة في الوزارة في أي منصب آخر عدا وزارة الخارجية ، وتضامن بعض اعضاء

مجموعة المباي معه مثل سابير ورابينوفيتش .

● العقبة الثالثة ، تمثلت في رفض رجل الحزب (المباي) القوي بنحاس سابير الاشتراك في الحكومة الجديدة بحجة رغبته في التفرغ للعمل في مجال الهجرة في الوكالة اليهودية .

وقد اضطر رابين للاستغناء عن خدمات كليهما ، وتهديد الحزب بالاعتذار عن تشكيل الحكومة الجديدة اذا لم يوافق مكتب الحزب وكتلته في الكنيست على التشكيلة التي سيقدمها . وبالفعل فقد حصل رابين على الموافقة نتيجة لجهود المستوزرين الجدد من رجالات الصف الثاني في المباي .

● اما العقبة الرابعة ، فتمثلت في مطالبة شلومو هيلل (ممثل الطوائف الشرقية) بمنصب وزاري أهم من وزارة الشرطة ، او باضافة وزير ثان من ابناء الطوائف الشرقية للحكومة . وقد حل رابين هذه العقبة بأن وعد هيلل بتعيينه رئيسا للجنة الوزارية للانعاش الاجتماعي وبتعيين عدد من أعضاء الطوائف الشرقية في الكنيست نوابا للوزراء في وزارات مهمة .

وأهم هذه العقبات ، وهي التي تمثلت في الصراع على وزارتي الدفاع والخارجية كان يكمن وراءها مواقف كتلوية متشددة لم يكن لرابين خيار سوى الرضوخ لها . ومن هنا ينبع الضعف الاساسي لحكومة رابين ، فهي لا تشكل طاقما اختاره رئيس الوزراء على اساس المؤهلات والمتطلبات ، بقدر ما ان هذا الطاقم كان نتيجة وتلبية لمطالب كتلوية فرضت على رابين . فكتلة رافي هي التي اختارت ممثليها في الوزارة وهي التي قررت نوعية الوزارتين او بشكل ادق نوعية احداهما . وكذلك الامر ، مع كتلة احدوت هعفودا ، فهي بالاضافة الى فرضها الون في وزارة الخارجية ، كانت الكتلة الوحيدة التي لم تؤد عملية تشكيل الحكومة الجديدة الى احداث تغيير في مرشحيها للوزارة . فقد فرضت هذه الكتلة نفس الوزيرين اللذين كانا يمثلانها في الحكومة السابقة ، واللذين لاحدهما على الاقل — جاليلي — قسط كبير في المفاهيم والمسؤولية عما سمي بالتقصير في حرب يوم الغفران على المستوى السياسي .

ان المتتبع لكل ما جرى من صفقات اثناء عملية توزيع الحقائب وما رافقها من اتهامات متبادلة بين الكتل والشخصيات البارزة المختلفة ، تلك الاتهامات التي لم تخل من تعابير لاذعة ، يرى ان ما رآه او اعتبره البعض ، على اثر المنافسة بين رابين وبيرس على رئاسة الوزارة ، وما اعتبر من انه ظاهرة صحية ودليلا على بدء غروب شمس الكتل وشمس الالهة ، لم يكن كذلك . فغروب شمس الالهة لم يكن سوى غروب لقوة المباي المهيمنة كحزب ولقوة مرشحيه لرئاسة الوزارة . وفي هذا السياق خلصت معاريف (٧٤/٥/٢٣) من مسألة توزيع الحقائب الوزارية بقولها : « ان من آمن في الايام التي اعقبت تعيين رابين كمرشح لرئاسة الوزارة ، بأن انتخابه يشير الى نهاية نظام الكتل في حزب العمل ، مرغم الان ان يتوصل الى استنتاج بأن سعادته كانت سابقة لاوانها . فنظام الكتل ما زال حيا يرزق ، ولم يبرز في اي وقت مضى كما هو الحال في هذه الايام » .

وبعد أن أشارت معاريف الى شروط الكتل والاجنحة المختلفة في الحزب في فرض الوزراء والحقائب على رابين قالت : « ان لهذا التفكك دلالات تتعدى مسألة تقليص صلاحيات رئيس الوزارة المقبل . لان الحكومة في نهاية الامر ستؤلف من ممثلي ست كتل وليس اربع » .

اما ايبان فقال في خطابه امام مجموعة المباي ومكتب حزب العمل « ... ان الافتراض بأن نظام الكتل قد زال — كان مجرد وهم » . وأضاف ايبان في خطابه المذكور : « اما انه لا توجد كتل بتاتا — وعندها كيف يصوتون في « رافي » و« احدوت هعفودا » حول الانضمام او عدم الانضمام للحكومة وحول شروط الانضمام والمرشحين الذين لا مهرب من تتويجهم ؟ واما ان هناك نظاما كتلويا وفي هذه الحالة لماذا يسمح بابعاد العمود الفقري للحركة ، عن جميع المواقع الاساسية ؟ » (يديعوت احرونوت ٧٤/٥/٢٨) .

ونظرة على التركيبة الوزارية (انظر الملحق) — رغم ان المباي يحتفظ فيها بأكبر عدد من الحقائب — تظهر ان الخاسر الوحيد كان كتلة المباي ، فقد فقدت السيطرة على اكثر المجالات حيوية وهما مجال السياسة الخارجية والامن ، واضطرت ان تدفع لوحدها تقريبا ثمن المطالبة بالتغيير . وقد وصف يوئيل ماركوس (هآرتس ٢٩/

٧٤/٥) وضع كتلة المباي داخل حزب العمل بقوله : « انها ترقد عاجزة على فراش الاحتضار » و« وتجد نفسها الان على هامش السلطة » بعد ان كانت سيطرتها على الدولة غير محدودة . واضاف ماركوس محللا اسباب هذا الوضع : « ان المباي لم يصل مصادفة الى ما وصل اليه . فالجهاز الحزبي يدفع اليوم ثمن نظرة زعمائه الضيقة وأنانيتهم على مر السنين . هذا هو ثمن كل السنوات التي حارب فيها الجهاز كل قوة شابة برزت ، وثمن انانية الزعماء المتعصبين الذين خشوا الرجال الموهوبين ، ولم يرعوا جيلا منهم يستحق الاستمرار في الحكم بعدهم » . (نشرة م.د.ف. السنة الرابعة ، العدد ١١ ، ٧٤/٦/١) .

أما دانييل بلوخ فقد تناول الوضع من زاوية أوسع حيث أشار الى وضع ومكانة رابين نفسه داخل الوضع الجديد الذي استجد فقال : « نشأ في حزب العمل وضع فريد في نوعه . سيصبح الان مجالا الخارجية والامن بأيدي « رافي » و« أحدوت همفودا » . وستسيطر كتلة المباي على المجال الاقتصادي والهستدروتي والحزبي . وسيصبح اهم شخص في المباي (سابير) رئيسا لادارة الوكالة اليهودية ، وهو منصب ذو اهمية اقتصادية ـ اجتماعية . وسيكون رجال بطانته : وزيرا المال والاسكان (الاشارة الى رابينوفيتش وعوفر) ورؤساء هيئة العاملين [في الهستدروت] ورجل المباي بروحام ميشل هو ايضا سكرتير الهستدروت . ويجب الافتراض ان سكرتير حزب العمل سيكون مبائيا بارزا . وسينشىء كل هؤلاء مراكز قوى . وسيكون يتسحاق رابين رئيسا للحكومة وليس زعيما للحزب . وستواجهه ، اضافة الى مراكز القوى في الهستدروت والوكالة اليهودية والحزب ، معارضة خارج البرلمان بزعامة جولدا مئير ووزراء كبار سابقين . ويقول البعض ساخرا انه ستصبح في اسرائيل حكومتان : حكومة رابين وحكومة منفى » . (نفس المصدر اعلاه) .

التشكيلة الوزارية

تشكلت الوزارة الاسرائيلية الجديدة من ١٩ وزيرا بمن فيهم رئيس الوزارة نفسه . وهناك أربع وزارات ما زالت شاغرة وأسندت مهامها الى وزراء آخرين بالوكالة ، وهي : وزارة البرق والبريد ، وقد تولاها رئيس الوزارة نفسه ، ووزارة الاديان وقد تولاها وزير العدل ، ووزارة الداخلية وقد تولاها وزير الشرطة ، ووزارة الشؤون الاجتماعية وقد تولاها وزير الصحة . والوزارات الثلاث الاخيرة ابقيت شاغرة خصيصا للمفدال على امل حدوث تغيير في موقفه والعودة الى المشاركة في الحكم . اما الوزارة الرابعة فقد بقيت شاغرة بشكل مؤقت لعدم وجود شخص مناسب لها ولاضطرار رابين لتقديم حكومته لرئيس الدولة ومن ثم للكنيست لطرح الثقة بها . ومن المنتظر في حالة عدم عودة المفدال ثانية الى الحكم ، اعادة توزيع الحقائب الوزارية بشكل دمج بعض الوزارات او اسناد الوظائف الشاغرة الى وزراء الدولة بعد اجراء تعديل في المناصب على الارجح . كما وتضم التشكيلة الوزارية ثلاثة وزراء دولة هم : يسرائيل جليلي (احدوت همفودا) جدعون هاوزنر (احرار مستقلون) وشولميت الوني (حركة حقوق المواطن).

وتتوزع المناصب الوزارية الحالية بين الكتل المشاركة في الائتلاف على النحو التالي : وزيران لكل من : رافي ، احدوت همفودا ، الاحرار المستقلين والمابام . ووزير واحد لحركة حقوق المواطن . اما الوزراء العشرة الاخرون فانهم من كتلة المباي في حزب العمل ، ومن المحتمل ان يصبح عدد هؤلاء احد عشر بعد ايجاد وزير أصيل لوزارة البرق والبريد . وحسب هيكل الوزارة الحالية فان هناك ثلاث وزارات مخصصة للمتدينين (المفدال) .

وهناك في الوزارة الحالية ستة وزراء يدخلون الوزارة لاول مرة ، من بينهم اربعة من حزب العمل ، وواحد من « رافي » وواحد من حركة حقوق المواطن .

وتضاربت الآراء حول تقييم حكومة رابين فبينما رأى فيها البعض دليلا واستجابة لارادة التغيير التي عبرت عنها حركات الاحتجاج داخل الاحزاب وخارجها اعتبرها البعض الاخر عاجزة وغير قادرة على التصدي للمهام المطروحة حاليا . فقد كتبت صحيفة جيروزاليم بوست (٧٤/٥/٢٩) حول ذلك تقول : « ... ان كل شيء يتعلق بمدى نجاح رابين بازالة الخلافات العديدة التي رافقت عملية تشكيل حكومته ، لكي يستطيع الوزراء الجدد والقدامى العمل سويا » . وذكرت الصحيفة ان رؤساء الحكومات السابقة ، ابتداء من بن جوريون ولغاية

جولدا مئير ، كان لهم نفوذ قوي على نشاط الوزراء ، واستطاعوا بقوتهم الشخصية التغلب على الخلافات بين الوزراء . اما رابين فلم ينجح حتى الان بمنع وقوع خلافات بين اعضاء الفريق المشترك في حكومته الجديدة » .

اما صحيفة هاتسوفيه (٧٤/٥/٢٩) التابعة للمفدال فانها هاجمت رابين وعبرت عن خيبة املها بتركيب الحكومة . وقالت الصحيفة انها كانت تفضل ان يعيد رابين التكليف لرئيس الدولة .

وعن مدى ما تمثله او لا تمثله هذه الحكومة من تغيير ، كتب دانييل بلوخ (ملحق دافار ٣١/٥/ ٧٤) يقول : « تحدث يتسحاق رابين عن حقبة جديدة ، ولكن مع تشكيل حكومته ، اتضح ان « النظام القديم » لا يزال هو الحاكم . ففي الحكومة الجديدة القليل فقط من القوى الجديدة تماما : رابين نفسه ، والى حد ما باريف وبارليف. ان برعام ويادلين وعوفر هم وزراء جدد حقا ، ولكنهم قدماء بما فيه الكفاية في ميدان العمل العام والتجديد الحقيقي الوحيد ، والمفاجيء ، يتمثل في وزير المالية الجديد (يعقوب ليفنسون*) فهو بافع في حدود الاربعين ، ووجه جديد تماما في المجال السياسي » .

اما شبتاي طيفت فقد اعرب في مقال له في صحيفة هآرتس (٧٤/٥/٣١) عن خيبة امله وأمل جميع الذين كانوا ينادون بالتغيير حيث قال : « واسا بالنسبة لحركات الاحتجاج التي زودت الدافع للتغيير بالوقود ، فما الذي حققته ؟ ان استبدال جولدا مئير ودايان ادى قبل كل شيء الى تجميدها وشلها. والان لا يصدر عنها سوى صوت خافت . وبعد قليل لن يبقى ما يذكر بها سوى الاعضاء الثلاثة لحركة حقوق المواطن في الكنيست ، وحقيبة وزير بلا وزارة التي تشغلها شولميت الوني . فهل كل ما أراد مؤيدو تلك الحركات من تحقيقه هو ان تصبح السيدة الوني وزيرة ؟ يبدو ، ان « الجبل قد ولد فأرا » !

ويضيف طيفت قائلا : « بكلمات اخرى ، فان الحكومة الجديدة اقل شأنا من الحكومة السابقة في كل شيء ... ولا حاجة للبرهان ان هذه الحكومة اقل شأنا من سابقتها بالنسبة لتركيبتها . ولكنها اقل شأنا ايضا من ناحية تأييد الجمهور لها » . أما يوئيل ماركوس فقد اعرب في نفس العدد من الصحيفة (هآرتس ٣١/٥/٧٤) عن رأى مغاير . فبعد أن عدد التحفظات والمخاوف والصعوبات التي تواجهها حكومة رابين قال : « وعلى الرغم من ذلك ، وعلى الرغم من الشكوك ، وعلى الرغم من شعور الكثيرين بأننا « سقطنا الى المجموعة «ب» » (التعبير مستعار من لعبة كرة القدم) فانني اعتقد بأن هذا الامر هو خطوة تاريخية مهمة . فاذا كان الاشخاص الجدد صالحين او سيئين فهذا يمكن رؤيته في المستقبل — لكن مجرد التحرك هو أمر طالما توخيناه . فأخيرا حدث تغير في الاشخاص واسع النطاق واخيرا سقط المبدأ الذي كان يعطي لبعض الوزراء « كوشان » (حق) على بعض الوزارات . واخيرا استؤصل من الحكومة وزراء احتلوا مناصب في الوزارة لمدة ١٥ — ٢٠ سنة » .

البيان السياسي

قال رابين عندما قدم اسماء وزارته لرئيس الدولة : « ان هذه الحكومة التي آمل أن أرئسها، بعد أن تحظى بثقة الكنيست ، هي حكومة استمرار وحكومة تغيير في آن واحد » . (ر. ا. ١٠١ — ٩/٥/ ٧٤ ، عدد ٥٤٥ ، ص ٧١٧) . وبالفعل فهي كذلك. واذا كانت حكومة تغيير من حيث تركيبتها الشخصية ، فانها حكومة استمرار من حيث خطها السياسي . واجمل رابين المهام التي تسعى حكومته لتحقيقها بست نقاط :

١ — ضمان امن اسرائيل ، وتنمية وتقوية جيش الدفاع الاسرائيلي والسعي المثابر والدائم نحو السلام الحقيقي .

٢ — بناء مجتمع حديث ، عادل حر ومستقل... في نطاق نظام ديمقراطي قوي، من خلال بذل الجهود لاشراك الجيل الشاب بصورة اكثر في اتخاذ القرارات وتحمل المسؤوليات .

٣ — تأمين الازدهار الاجتماعي ، وذلك بتوجيه جهود خاصة من الجميع من اجل رفع مستوى وتقدم

---

* يعقوب ليفنسون رئيس مجلس ادارة بنك هبوعلم (بنك العمال) ، وكان اسمه قد طرح لخلافة سابير في وزارة المالية ، لكنه اعتذر عن ذلك ، مما اضطر رابين الى اجراء تعديل في وزارته وذلك باسناد وزارة الماليـة الى رابينوفيتش وادخال عوفر مكانه في وزارة الاسكان .

الفئات التي ما تزال تعيش حالة ضيق .

٤ — زيادة الهجرة وتحسين وسائل الاستيعاب، وذلك لدفع عشرات الالوف من اليهود للهجرة الى البلاد ، والمحافظة ودعم الصلات مع يهود العالم.

٥ — السعي دون كلل من اجل تعزيز وتنمية الاقتصاد .

٦ — تعزيز مكانتنا السياسية ، وتوثيق علاقاتنا مع دول العالم وقبل كل شيء مع الولايات المتحدة.

التسوية على مراحل

حمل رابين الدول العربية مسؤولية عدم التوصل الى تسوية وحل للنزاع حتى الان ، لكونها وضعت شروطا لم تكن اسرائيل مستعدة للموافقة عليها ، ومنها :

١ — المطالبة بالتعهد الاسرائيلي بالانسحاب الشامل الى خطوط الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كشرط مسبق لاي حوار .

٢ — لكونها عارضت المفاوضات المباشرة بين الاطراف في كل مرحلة من مراحل المفاوضات .

وزعم رابين في بيانه (معاريف ، ٧٤/٦/٤) : « ان اسرائيل مستمر في السعي من أجل سلام حقيقي يكون بمثابة سلام بين الشعوب ويجد تعبيره يوميا ، بحدود مفتوحة يمكن بواسطتها اجراء اتصالات متبادلة في جميع مجالات الحياة » . لكنه مع ذلك ، دعا الى رؤية الواقع كما هو مشيرا « الى انه من الصعب التوصل الى ذلك في الظروف الحالية » .

ولذلك دعا للتفتيش عن طريق للتقدم نحو السلام على مراحل : اي للتقدم نحو السلام بواسطة اتفاقات جزئية تضمن استتباب الهدوء وتوقف الاعمال العسكرية بواسطة وقف اطلاق النار وتخفيض حجم القوات ، الذي بدوره يقلص خطر اشتعال الحرب وحدوث هجوم مفاجيء . واضاف رابين : « علينا ان نسعى لتسويات تخلق ظروفا نستطيع بواسطتها امتحان نوايا كل دولة عربية : هل تتجه بالفعل نحو السلام أم لا .

ودعا رابين الى النظر الى اتفاقيات فصل القوات مع سوريا من هذا المنظار . اما كيفية اختبار نوايا الدول العربية فيراها رابين من خلال:

١ — بالنسبة للناحية العسكرية ، المحافظة على وقف اطلاق النار في البر والبحر والجو محافظة تامة ، ثم من خلال تخفيض حجم القوات على الجانب السوري ، كما تحقق الامر على الجانب المصري .

٢ — على الصعيد المدني ، يربط رابين نوايا مصر للسلام باعادة ترميم مدن القناة واسكانها وبفتح قناة السويس للملاحة الدولية ، اما سوريا فيدعو الى تعقب خطواتها بالنسبة لاعادة سكان القرى في الجيب والقنيطرة الى اماكنهم للعيش بسلام الى جانب المستوطنات الاسرائيلية في هضبة الجولان .

وبينما يرى رابين امكانية لمرحلة متوسطة اخرى في الطريق نحو السلام مع مصر فانه لا يرى ذلك بالنسبة لسوريا ، حيث يقول : « اما بالنسبة لسوريا فبعد التوصل الى اتفاق فصل القوات وتنفيذه بحذافيره . فليس هناك مكان لمرحلة متوسطة . وبعد ان نتوصل الى تقدم آخر في التسوية مع مصر فان السؤال التالي سيطرح : هل سوريا بالفعل مستعدة لتوقيع اتفاق سلام تعاقدي مع اسرائيل » ؟ ويضيف رابين مؤكدا على موقف اسرائيل الاساسي من الحدود فيقول : « ومن الضروري ان يفهم زعماء الدول المجاورة بأن اسرائيل لها الحق بحدود يمكن الدفاع عنها . وان اسرائيل لن تعود ، **حتى في نطاق سلام تعاقدي** الى خطوط الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، فهذه الخطوط ليست حدودا يمكن الدفاع عنها ، وهي تشكل اغراء للعدوان كما ثبت في الماضي » .

أما بالنسبة للبنان فقال رابين انه لا توجد بين اسرائيل ولبنان قضايا اقليمية مختلف عليها . وان كل ما في الامر انه يتوجب على لبنان ان يضع حدا « للنشاط الارهابي الموجه ضد اسرائيل » في اراضيه ، وان اسرائيل تعتبر لبنان مسؤولا عن هذا النشاط .

وأعرب رابين ايضا عن استعداد حكومته للبحث مع حكومة الاردن في القضايا المعلقة بينهما ، ولم يأت هنا بجديد ، ولم يشر الى اية مراحل حيث قال : « نحن مهتمون باجراء مفاوضات مع الاردن حول السلام . نحن نسعى الى عقد اتفاق سلام تعاقدي معه ، يرتكز على اساس وجود دولتين

مستقلتين اسرائيل وعاصمتها القدس الموحدة ، ودولة عربية الى الشرق منها . ويمكن للشخصية او الذات المستقلة للعرب الفلسطينيين والاردنيين ان تجد تعبيرا لها في الدولة الاردنية — الفلسطينية المجاورة ، على اساس السلام وعلاقات الجوار الحسنة مع اسرائيل . ان اسرائيل تعارض اقامة دولة عربية منفردة اخرى غرب النهر » .

تجاهل الفلسطينيين

وفي حديثه عن مؤتمر جنيف قال رابين : « ان موافقة اسرائيل على الاشتراك في مؤتمر جنيف للسلام كانت تستند الى الافتراض بانه سيرسى في هذا المؤتمر الاساس للتسويات بين اسرائيل وبين كل من جاراتها . وان القضايا المختلف عليها بين اسرائيل وبين كل واحدة من جاراتها هي قضايا تختلف الواحدة عن الاخرى . فكل تسوية يجب أن تكون مبنية على أساس الالتزامات المتبادلة الواضحة بين مصر واسرائيل ، بين سوريا واسرائيل ، بين الاردن واسرائيل ، وبين لبنان واسرائيل . ولا مكان لاية جهة اخرى لتكون طرفا في مفاوضات السلام » . واضاف رابين : « ان اسرائيل ترفض دعوة مندوبين من قبل منظمات « المخربين » و « الارهاب » للاشتراك او ليحملوا صفة المراقبين في مؤتمر السلام في جنيف ، فان حكومة اسرائيل لن تتفاوض مطلقا مع منظمات « الارهاب » **التي تعلن هدفها ابادة اسرائيل** » .

وبعد ان انتهى رابين من القاء بيان الحكومة السياسي جرت مناقشة هذا البيان من قبل اعضاء الكنيست وكان اول المتكلمين زعيم المعارضة مناحيم بيجن حيث قال : « انتبهوا لما تقولون ، ان اعداءنا يقولون انه لن يكون هناك اتفاق سلام اذا لم نعد الى خطوط الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وهذا يعني اننا بناء على ما ذكرتم ، لسنا متجهين نحو السلام ، فبعد ما قلتم صباح اليوم ، لن يكون بامكانكم الادعاء ان الرغبة في اسرائيل هي احلال السلام . ومن واقع بيانكم هذا ، فانه لا يمكن احلال السلام . اننا قلقون جدا في هذا اليوم الذي نشترك فيه بمناقشة منح الثقة لهذه الحكومة ونقترح ما يلي : زيادة الاستيطان دون تأخير في هضبة الجولان والضفة الغربية وجميع انحاء البلاد . فهل ستقوم هذه الحكومة بهذه الاعمال ؟ ثانيا ، استئناف النضال من أجل السماح ليهود الاتحاد السوفياتي بالهجرة الى البلاد ، فقد طرأ في الاونة الاخيرة انخفاض كبير في عدد المهاجرين الذين يصلون من روسيا وينبغي علينا دون أي تأخير ان نستأنف الحملة التاريخية من أجل السماح لهم بالهجرة » . (ر.ا.ا. ٧٤/٦/٣ ، عدد ٥٤٨ ، ص ٦) .

وفي ٧٤/٦/٣ مثلت حكومة رابين امام الكنيست لنيل الثقة ، وعلى اساس هذا البيان ، وعلى اساس هذه التركيبة منحت الكنيست ثقتها لوزارة رابين بأغلبية ٦١ : ٥١ صوتا . وقد صوت الى جانب الحكومة بالاضافة الى أصوات التجمع العمالي الحاكم كل من كتل النواب العرب والاحرار المستقلين وحركة حقوق المواطن وقائمة موكيد . وقد امتنع عن التصويت عضو الكنيست مردخاي بن بورات (العمل — رافي) بالاضافة الى نواب « راكاح » الاربعة . اما المعارضة التي ضمت كلا من كتلة ليكود ، وكتلتي المفدال والجبهة التوراتية ، فيبدو ان ثلاثة من اعضائها لم يحضروا الجلسة .

اسم الوزير	الوزارة	الحزب		الكتلة
١ — يتسحاق رابين — رئيس الوزارة ووزير البرق والبريد بالوكالة	العمل — التجمع			المابـــاي
٢ — شمعون بيريس — وزير الدفاع	»	»		رافي
٣ — ييجال الون — وزير الخارجية ونائب رئيس الوزارة	»	»		أحدوت هعفودا
٤ — يهوشواع رابينوفيتش*— وزير المالية	»	»		المابـــاي
٥ — حاييم بارليف — وزير التجارة والصناعة والتنمية	»	»		»
٦ — حاييم تسادوك** — وزير العدل ووزير الاديان بالوكالة	»	»		»
٧ — أهرون ياريف**— وزير الاعلام	»	»		»
٨ — موشي بارعام*— وزير العمل	»	»		»
٩ — شلومو هيلل — وزير الشرطة ووزير الداخلية بالوكالة	»	»		»
١٠— أهرون اوزان**— وزير الزراعة	»	»		»
١١— ابراهام عوفر*— وزير الاسكان	»	»		»
١٢— أهرون يادلين*— وزير التربية والتعليم	»	»		»
١٣— جاد يعقوبي*— وزير المواصلات	»	»		رافي
١٤— فكتور شيمطوف — وزير الصحة والشؤون الاجتماعية بالوكالة	»	»		المابـــام
١٥— شلومو روزين**— وزير الاستيعاب	»	»		المابـــام
١٦— يسرائيل جليلي — وزير بلا وزارة	»	»		أحدوت هعفودا
١٧— جدعون هاوزنر**— وزير بلا وزارة	الاحرار المستقلين			
١٨— موشي كول — وزير السياحة	الاحرار المستقلين			
١٩— شولميت الوني*— وزيرة بلا وزارة	حركة حقوق المواطن			

* وزراء لاول مرة .

** وزراء منذ حكومة مئير السابقة (بعد الانتخابات) .

— البقية قدماء وتتفاوت مدة اقدميتهم .

— الوزراء الخارجين : جولدا ، دايان ، ايبن ، جفاتي .

هاني عبدالله

(٤) القضية الفلسطينية عسكريا

شهد الشهر الماضي حدثا من أهم احداث الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وهو فصل القوات على الجبهة السورية وانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي السورية التي احتلتها في عام ١٩٧٣ وجزء من الاراضي السورية المحتلة في حرب ١٩٦٧ . كما شهد عددا من الاحداث العسكرية الاخرى ، وستضم الشهريات العسكرية (القضيـــة الفلسطينية عسكريا) لهذا العدد مجموعة من الانباء العسكرية أعدها محمود عزمي وهشام عبدالله من القسم العسكري في المركز ، بعد أن افردنا لفصل القوات عـــلى الجبهة السورية مقالا خاصا في هذا العدد .

١ ــ تطور المدفعية الاسرائيلية

في ١٩٧٤/٥/٨ قال الجنرال مردخاي جـــور رئيس الاركان الاسرائيلي اثناء حفلة تخريج دورة ضباط مدفعية ان « احدى عبر الحرب الواضحة ، اننا منذ حرب يوم الغفران ، نحاول ان نبني منكم جبهة دفاع قوية ، سواء من الناحية الكمية او النوعية ... فالنيران التي تقذفونها هي النـــيران التي تمكن من استمرار الحركة الى الامام . اننا نريد مدافع بعيدة المدى ، وقذائفها ثقيلة جدا . وينبغي ان تكون رغبتكم وهدفكم ، هو التحرك مع بقية الاسلحة الى الامام بقدر الامكان ، وباختصار، ان تكونوا اول من يصل الى كل هدف في ارض العدو ... ان هذا هو الهجوم الحقيقي في الحرب الحديثة » (ر.١٠.١ ، عدد ٥٢٨) .

والواقع ان احد الدروس الهامة والبارزة لحرب ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، على المستوى التكتيكي ، ان الاعتماد بصورة شبه مطلقة على القوة النارية لسلاح الطيران ، في شكل الدعم القريب « Close air support » الـــذي يقصف أهداف محددة داخل ميدان المعركة المباشر ، وبناء على طلب قائد القوة البرية المقاتلة في المكان نفسه ، كبديل رئيسي لدعم المدفعية الميدانيـــة والمتوسطة بالنيران للقوات المدرعة او المشـــاة الميكانيكية والمترجلة ، وهو الاعتماد الذي غالت فيه العقيدة القتالية الاسرائيلية نتيجة لخبرتها خلال حرب ١٩٦٧ الخاطفة ، قد ثبت خطؤه بصورة عملية واضحة خلال حرب ١٩٧٣ خاصة خـــلال مرحلتها الاولى ، حين حيدت شبكة الدفاع العربي المتطورة القدرة الفعالة للقاذفات المقاتلة الاسرائيلية « سكاي هوك » و « فانتوم » فوق ساحـــات المعارك المباشرة ، وجعلت عمليات الدعم الجوي القريب او الدعم الجوي المباشر Direct air « support » الذي يستهدف قواعد القوات العربية، باهظة الثمن بالنسبة الى الطيران الاسرائيـــلي المحدود الحجم نسبيا ، والمعد للحرب القصـــيرة التي تعطي مردودا كبيرا على المستوى التكتيكي والاستراتيجي بأفضل اقتصاد ممكن للقوى .

وتمتد الجذور التاريخية للعقيدة العســـكرية الاسرائيلية المذكورة الى نظرية الحرب الخاطفة الالمانية « بليتزكريج » التي نفذت بنجاح في سنوات ١٩٣٩ ــ ١٩٤١، وقد تبنت الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية نظرية الحرب القصيرة الخاطفة بحسم ووضوح كاملين خلال فترة ما بين حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧ ، واعدت جهازها العسكري على اساس هذه النظرية ، ولذلك اعطيت الاولوية لســـلاح الطيران يليه سلاح المدرعات واعتبرا سلاحا الحسم الاساسيان ، ولذلك اختلت النسبة في التسليح كما ونوعا ، وكذلك في المهام القتالية ، بين سلاحي الطيران والمدرعات من جهة وبين المشاة والمدفعية من جهة اخرى عشية حرب ١٩٦٧ ، وجاءت نتائج الحرب بحجمها الكبير غير المتوقع (حتى من جانب القادة الاسرائيليين) لترسيخ صحة اختيار القيادة العسكرية الاسرائيلية لعقيدتها القتالية ، ولترتيب اولويات التسليح والتنظيم في الجيش الاسرائيلي ، ولذلك قال « آلون » عقب حرب ١٩٦٧ « ويبدو لي انه في تنظيم القوات البرية يجب اعطاء افضلية اخرى للمدرعات كقوة رئيسية بين القوات البرية ». (الستار الرملي) . وقال «موشي ديان» أيضا: « ان العنصر الاساسي في قوتنا هو اولا سلاح الطيران الذي يعتمد على الاعين الالكترونية » (معاريف ٧٣/٦/٨) .

ولم تشر المصادر الاسرائيلية المختلفة الى أي دور هام لعبته المدفعية خلال حرب ١٩٦٧ سوى في القصف التمهيدي لمواقع « أم قطف » الدفاعي عند « ابو عجيلة » حيث قام نحو ١٠٠ مدفع ميدان ومتوسط بقصف مركز استمر نحو ٢٠ دقيقة سبق هجوم المشاة الليلي ، والقصف التمهيدي الشديد الذي وجهته المدفعية الاسرائيلية لمواقع مدينة غزة يوم ٦٧/٦/٦ بعد سقوط تل « علي المنطار » في أيدي المظليين خلال الليلة السابقة .

وكانت المدفعية الاسرائيلية المشتركة في هذه الحرب ، هي أقل أسلحة الجيش الاسرائيلي تطورا وقتئذ (بالاضافة لسلاح البحرية) ومؤلفة من خليط من انواع مختلفة من المدافع المقطورة عيار ٢٥ رطل الانجليزي و١٥٥ مم الامريكي والمدافع ذاتية الحركة عيار ١٠٥ مم الفرنسية الطراز (مركبة على شاسيهات ١ م اكس ١٣) ويقدر عدد قطعها بنحو ١٨٠ مدفعا . وعيار ١٥٥ مم الفرنسية الطراز ايضا (مركبة على شاسيهات شيرمان م — ٥٠) .

وكان الدرس الاساسي الذي استخلصته القيادة الاسرائيلية من حرب ١٩٦٧ بالنسبة لسلاح المدفعية ، هو ضرورة تحويل معظم قطعها الى مدفعية ذاتية الحركة حتى تستطيع ان تواكب حركة المدرعات والمشاة الميكانيكية ، وتكون قادرة على المناورة واجتياز الاراضي الوعرة ، وتأمين الدعم بالنيران للقوات المدرعة والميكانيكية بغية تسهيل مهامها الهجومية او الدفاعية .

وتسارعت خطى تدعيم سلاح المدفعية الاسرائيلي في هذا الاتجاه عقب نشوب معارك حرب الاستنزاف المصرية عام ١٩٦٩ و١٩٧٠ ، التي لعبت فيها المدفعية المصرية القوية كما ونوعا الدور الرئيسي ، وقامت الولايات المتحدة الامريكية بامداد الجيش الاسرائيلي خلال هذه الحرب وبعدها بعدد من المدافع « م — ١٠٩ » عيار ١٥٥ مم ذاتية الحركة ، و « م — ١٠٧ » عيار ١٧٥ مم ذاتية الحركة ، و « م — ١١٠ » عيار ٢٠٣ مم ذاتية الحركة ايضا . وتتميز هذه المدافع كلها بالقدرة على المناورة مع المدرعات وبقوة النيران (بدرجات متزايدة القوة ابتداء من المدفع ١٥٥ مم الذي تزن قذيفته ٤ كلغ الى المدفع ٢٠٣ مم الذي تزن قذيفته ٩٠٤٧ كلغ مرورا بالمدفع ١٧٥ مم الذي تزن قذيفته ٦٦٤٦ كلغ) وبعد مداها بدرجات متفاوتة (المدفع ١٥٥ مم مداه الاقصى ١٤٦٠٠ متر والمدفع ٢٠٣ مم مداه ١٧٦٠٠ متر والمدفع ١٧٥ مم مداه ٣٢٧٠٠ متر) الا ان اعدادها كانت محدودة نسبيا .

واعتقدت اسرائيل انها بذلك قد طورت مدفعيتها بالدرجة الملائمة وبالصورة المناسبة لعقيدتها القتالية ، وفي مواجهة مشكلة قلة عدد المدافع ذاتية الحركة النسبية اقامت القيادة الجنوبية وراء خط بارليف طريقا موازيا للخط لتسير عليه بطاريات المدفعية ذاتية الحركة مقدمة الدعم الناري الى كل نقطة في الخط تطلب دعم المدفعية ، التي اعتبرت جزءا من الاحتياطي المتحرك وراء الخط الدفاعي الثابت يؤدي دوره بالتعاون مع الطيران الذي سيقدم الدعم القريب بشكل رئيسي . وعندما واجه الطيران الاسرائيلي مفاجأة الدفاع الجوي العربي، خاصة في جبهة القناة ، شعرت وحدات المشاة المتخندقة في خط بارليف ، وكذلك وحدات الاحتياطي المدرع المكلفة بتوجيه الضربات المعاكسة الاولى ، بضعف الدعم الناري الذي قدمته المدفعية لها في مواجهة الدعم القوي بالنيران الذي كانت تقدمه مئات المدافع المصرية والهاونات الثقيلة وقواذف صواريخ كاتيوشا لوحدات مشاتها المهاجمة . وأثر ذلك على انعدام التوازن بين قوة النيران المصرية والاسرائيلية .

ولذلك اخذت القيادة الاسرائيلية تدفع الى ساحة القتال ، خاصة في الجولان ، باعداد كبيرة من المدافع المقطورة التي غنمتها من العرب في حرب ١٩٦٧ من الهاوتزر عيار ١٢٢ مم و١٣٠ مم والمدفعية الصاروخية عيار ٢٤٠ مم ذات الاثنتي عشرة سبطانة، واستخدمت هذه المدافع بكثرة ايضا خلال حرب الاستنزاف السورية الاخيرة التي وقع العبء الاساسي فيها من الجانبين على سلاح المدفعية .

ولذا فان من المتوقع ، على ضوء تصريحات الجنرال جور الاخيرة ، زيادة قوة المدفعية الاسرائيلية ، خاصة من حيث الكم ، خلال مرحلة اعادة بناء وتنظيم الجيش الاسرائيلي الجارية حاليا ، حتى لا تتكرر ظروف حرب ١٩٧٣ بالنسبة الى وحدات المشاة والمدرعات من حيث ضعف وسائل الدعم بالنيران البرية . وغالبا ما ستزيد نسبة عدد المدافع المتطورة عما كانت عليه من قبل (بالاضافة لزيادة عدد المدافع ذاتية الحركة) ،

نظرا لان الاقتصار على جعل القوة الرئيسية للمدفعية من المدافع ذاتية الحركة يكلف الجيوش تكاليف باهظة ، ويفترض استخداما محدودا للذخيرة ضد اهداف محددة خلال معارك حرب متحركة ، مع استخدام الذخيرة النووية التكتيكية وهذا هو الاساس التكتيكي لاعتماد الجيش الامريكي وجيوش حلف الاطلنطي على المدفعية ذاتية الحركة بدلا من المدفعية المقطورة . ولما كان هذا الافتراض لا يناسب ظروف اسرائيل والصراع العربي — الاسرائيلي المسلح ، فان الاعتماد المطلق على المدفعية ذاتية الحركة لتوفير قوة الدعم الناري البري بفاعلية لا يناسب هذه الظروف القتالية . هذا فضلا عن ان التكلفة الاقتصادية للمدافع المقطورة أقل من تكلفة المدافع ذاتية الحركة وسيبقى حجم المدفعية المقطورة الاسرائيلية محدود نسبيا ضمن حدود الطاقة البشرية للجيش الاسرائيلي ، خاصة الجيش العامل الذي نتوقع أن يظل اعتماده الاساسي على المدافع ذاتية الحركة ، على حين سيتركز الجزء الاكبر من المدافع المقطورة في القوات الاحتياطية التي تشكل معظم الجيش الاسرائيلي .

٢ — أسلحة فرنسية للعرب

نشطت حملات التسليح في الاونة الاخيرة في معظم الدول العربية سواء منها المحاذية لاسرائيل، او في دول الخليج العربي والسعودية والعراق ، او في ليبيا . وابرزت هذه الحملات اتجاهات جديدة في نوعيات الاسلحة والمصادر التي قصدتها بعض الدول للحصول عليها . وكانت فرنسا هي الفائز الاكبر حيث نازعت بريطانيا والولايات المتحدة اسواق السلاح في منطقة الخليج خاصة . وقد سلطت أجهزة الدعاية أضواء ساطعة على الصفقات الكبيرة مثل صفقات الميراج « ف — ١ » للسعودية والكويت و« الميراج — ٥ » لابو ظبي . ودبابات أ.م. اكس — ٣٠ للسعودية . الا ان القليل جدا ذكر عن بعض الصفقات الصغيرة والهامة الى عدد لا بأس به من الدول العربية .

فقد أعلنت فرنسا انها ستزود كل من الكويت وابوظبي ، والسعودية ، والعراق ، بما مجموعه ٨٠٠٠ صاروخ من طراز « س.س — ١١ » و « هاربون » . ويمكن استخدام هذه الصواريخ ضد الدبابات ، ويمكنها في هذه الحالة ضرب أهداف ثابتة او متحركة وخرق درع سماكته ٦٠٠ ملم . او ضد السفن وتستطيع في هذه الحالة خرق درع من الفولاذ سماكته ١٠ ملم فقط ، وينفجر الصاروخ على بعد ٢٤١ م من نقطة الاصطدام . او يستخدم ضد الافراد ، وفي هذه الحالة يحمل رأسا حربيا متشظيا . ولصاروخ « هاربون » المواصفات ذاتها التي لصاروخ « س.س — ١١ » ويختلف عنه بأنه مزود بنظام توجيه اوتوماتيكي متطور جدا ، يجعل بالامكان اطلاقه من الطائرات المقاتلة العادية بالاضافة الى العربات البرية ، والسفن ، وطائرات الهليكوبتر .

وحصلت ابوظبي على انواع اخرى من المعدات هي أجهزة لاطلاق صواريخ « أس — ٣٧ » زودت بها طائرات « الميراج — ٥ » التي اشترتها من فرنسا . والصاروخ « أس — ٣٧ » هو صاروخ ضخم مضاد للرادار طوله ٤٢٠ سم ، ويطلق من الجو للارض ولم تحدد المصادر الفرنسية مداه ، واكتفت بالقول بانه يصل الى بضعة عشرات من الكيلومترات . ومن المرجح ان يكون في حدود ٦٠ كيلومترا . ويوجه هذا الصاروخ بطريقة سلبية بتتبع الموجات الكهرمغناطيسية التي تطلقها أجهزة الرادار .

أما ليبيا فقد اشترت ٧٠ مدفع هاون من عيار ١٢٠ ملم . والمدافع المذكورة من أحدث ما انتجت المصانع الفرنسية . فهو مركب على عجلات وله سبطانة محلزنة خلافا لسبطانات مدافع الهاون الملساء العادية . وهذا يجعله أقرب الى مدافع الميدان العادية منه الى مدافع الهاون حيث يصل مداه الاقصى الى ١٥ كيلومترا . يضاف الى ذلك ان دقة اصابته اكبر ، ووزنه أخف ، وحركته أسهل ، ويمكن اسقاطه من الطائرات .

وحصلت العراق على مدافع هاون من عيار ٦٠ ملم . وتشمل الصفقة ١٠٠٠ مدفع من العيار المذكور ، وهذه المدافع تطلق النار بشكل آلي او يدوي ، مع ٥٥٥ الف قذيفة مختلفة . وستستخدم هذه المدافع لدعم وحدات المشاة في القتال الملتحم، وتستطيع هذه المدافع اطلاق النار على أهداف يقل بعدها عن ٥٠ مترا ، ولا يزيد عن ٢٠٠٠ متر. ولا يزيد وزن المدفع بكامله عن ١٥ كلغ ، وبالتالي فان بامكان جندي مشاة واحد ان يحمله ، ويحمل جندي آخر جعبة ظهر تتسع لثماني قذائف لها جميعها الوزن ذاته .

وأهم الصفقات التي عقدتها العراق او التي تخطط لعقدها هي : اولا ، تركيب مدافع من عيار ٢٠ ملم على ٤٠ طائرة هليكوبتر فرنسية الصنع من طراز « الويت ٣ » . والعراق هو الدولة العربية الاولى التي تركز على استخدام طائرات الهليكوبتر المسلحة . ويمكن تسليحها ايضا بصواريخ « سرس — ١١ » او « هاربون » . وهذه الاسلحة مجتمعة تجعل من الهليكوبتر مواقع رمي طائرة مثالية في العمليات الهجومية والدفاعية ايضا . والصفقة الثانية تتعلق بانظمة توجيه تعمل بأشعة لايزر وتشمل الصفقة ١٥٠ جهازا سيتم تركيبها على مصفحات « بانهارد » المسلحة بمدافع من عيار ٩٠ ملم . وهذه الاجهزة قادرة على التقاط اهداف تبعد مسافة ١٠ كيلومترات .

يضاف الى ما تقدم كميات كبيرة من مختلف انواع الذخيرة ، وقطع الغيار وقنابل المدفعية والهاون ، والقنابل الخارقة للدروع . وتبلغ قيمة كل هذه الصفقات حوالي ٧٥٠ مليون فرنك فرنسي . والجدير بالذكر ان فرنسا تحاشت في كل هذه الصفقات ان تبيع أسلحة الى الدول المتورطة بشكل مباشر في نزاع الشرق الاوسط . كما انها تشترط عدم اعادة تصدير هذه الاسلحة الى طرف ثالث دون موافقة فرنسا . ولكن ذلك لا يعني بأن هذه الاسلحة لن تستخدم في أي صراع مقبل مع اسرائيل . فمن المستبعد جدا ان يقف العراق مكتوف الايدي تجاه أي قتال على الجبهة الاردنية او السورية ، او ان لا يشارك فيه بكل قوته ويستخدم كل اسلحته بما في ذلك الاسلحة الفرنسية الصنع .

٣ — أسلحة جديدة في العرض العسكري الاردني

جرى يوم السبت ١٩٧٤/٥/٢٥ عرض عسكري اردني بمناسبة عيد الاستقلال ويوم الجيش . وظهر في العرض عدد من الاسلحة الحديثة اهمها طائرات ف — ٥ ي ، وصواريخ مضادة للدروع طراز تاو ، ودبابات م — ٦٠ ، وطائرات نقل مختلفة من ضمنها طائرة من طراز هيركوليز ، ومدافع رباعية مضادة للطائرات محمولة على سيارات عيار ٢٠ مم . ومن الواضح ان الجيش الاردني تطور تطورا كبيرا خلال الاعوام التي تلت حرب ١٩٦٧ . وازدادت اهمية هذا الجيش بعد حرب تشرين ١٩٧٣ وانحسار اسرائيل التي كانت تشكل الضمانة الرئيسية للمصالح الغربية في المنطقة . الا انه من الملاحظ افتقار الجيش الاردني الى وحدات رئيسية في الحروب الحديثة ، مثل الصواريخ المضادة للطائرات ، كما ان مدفعيته المضادة للطائرات ضعيفة بشكل ملحوظ . فالجيش الاردني يمتلك اعدادا لا بأس بها من المدافع الثنائية ذاتية الحركة المضادة للطائرات من طراز م — ٤٢ عيار ٤٠ ملم، الا ان هذه المدافع غير مزودة بأجهزة انذار وتوجيه رادارية مثل باقي المدافع الحديثة . وهذا يقلل فاعليتها ضد المقاتلات النفاثة المتطورة .

وقد اشار اللواء زيد بن شاكر رئيس الاركان الاردني ، الى ان قوام الجيش سيصل الى ٨٠ الف رجل عام ١٩٧٥ وسيكون محمولا بكامله ، وسيتسلح بمئة طائرة من طراز « نورثروب فنه » و« سكاي هايتر » و« هوكر هنتر » . ولا شك ان زيادة قوة الجيش الاردني الى المستوى المذكور ستزيد من وزن الاردن السياسي ، وهذا سيمكنه من لعب دور أكبر على صعيد منطقة الشرق الاوسط، وربما على أصعدة اخرى ، خاصة في منطقة الخليج . ويجدر الذكر ان الولايات المتحدة خصت الاردن بمساعدات مقدارها ٢٥٠ مليون دولار ، وهذا يؤكد الاهمية التي اصبحت للاردن خاصة بعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ .

٤ — الاسلحة التي تطلبها اسرائيل

في أعقاب حرب تشرين الاول واختلال التوازن في القوى بين العرب واسرائيل ، نشطت الصحف الغربية التي تسيطر عليها الصهيونية ، والصحف الاسرائيلية كذلك في الحديث عن أسلحة قالت بأن اسرائيل تطلبها لردم الهوة التي أحدثتها الحرب ، ولاعادة المعنويات الاسرائيلية المنهارة الى حالتها، واعادة الثقة في قدرة الولايات المتحدة على تزويد اسرائيل بأسلحة قادرة على قهر الاسلحة السوفياتية .

وقد تركزت الجهود الصحفية هذه على ابراز الاسلحة القادرة على تدمير بطاريات صواريخ سام السوفياتية التي تشكل العقدة التي لم تستطع القوات الاسرائيلية تجاوزها . فذكرت صاروخ كوندور كسلاح قادر على تدمير بطاريات الصواريخ العربية عن بعد يزيد عن مدى هذه الصواريخ . والصاروخ كوندور يطلق من الجو الى الارض ويستخدم لقصف المراكز الهامة جدا ، والثمينة ،

مثل مراكز القيادة ، او السفن ، ولا يمكن استخدامه ضد الوحدات العادية نظرا لكلفته العالية جدا ، اذ يصل ثمن الصاروخ الواحد الى ٢٥٠ الف دولار . ولا يمكن اطلاقه من جميع انواع الطائرات ، وقد صمم ليطلق من طائرات أ — ٦ انتروذر ، وكورسير أ — ٧ ، وف — ١٤ . ولا تملك اسرائيل اي من هذه الطائرات .

والحل الاخر الذي اكتشفته الصحافة الغربية لتعطيل عمل شبكة صواريخ سام — ٦ ، كان الحصول على طائرة من طراز ي آ — ٦ براولر ، وهي طائرة تشويش الكتروني تحمل اربعة ملاحين، وتعتبر احدث ما انتج في الولايات المتحدة في هذا المجال . وتقول المصادر الامريكية انها جربت أجهزة هذه الطائرة ضد اجهزة رادار تابعة لصواريخ سام ٢ وسام ٣ ، كانت قد استولت عليها ، ونجحت في تعطيل عملها تماما الا أنها لم تجرب فعالية اجهزتها ضد رادارات صواريخ سام ٦ ، وبالتالي فان قدرتها في هذا المجال تبقى غير معروفة .

وذكر كذلك صاروخ يطلق من الجو الى الارض ويحمل رأسا نوويا من طراز سرام كحل للتغلب على شبكات الصواريخ ، الا ان كون هذا الصاروخ نوويا يجعل من الصعب جدا تزويد اسرائيل به ، ولهذا فقد أشارت الصحف الاسرائيلية الى امكانية تزويده برأس تقليدي شديد الانفجار . الا ان ذلك لا يغير من حقيقة بسيطة وهي أن هذا الصاروخ مرتفع الثمن جدا ، ولا يمكن اطلاقه الا من قاذفات القنابل الاستراتيجية من طراز « ب — ٥٢ » و« ف ب — ١١١ » .

وأشارت الصحف الى صاروخ من طراز لانس سيستخدم كحامل لعدد من الصواريخ الصغيرة المضادة للدبابات ، تنفصل عن الصاروخ الام فوق الهدف . وهذا الصاروخ الذي هو حسب قول الصحف ، تطوير لصاروخ لانس العادي الذي يطلق من الارض الى الارض . وليست هناك انباء حقيقية حول صاروخ من الطراز المذكور ، ويحتمل ان يكون هناك نماذج ما زالت قيد التطوير، لا يمكن التنبؤ بمدى ما ستحرزه من نجاح ، او ما اذا كانت ستدخل مجال الخدمة الفعلية ام لا .

اما القول بأنه سيكون بالامكان ، في حالة اطلاقها على ملعب لكرة القدم ، تحديد الصف ورقم المقعد الذي سيسقط فوقه كل صاروخ من الصواريخ الصغيرة التي ستنفصل عن الصاروخ الام ، فانها مجرد اضغاث احلام . تتجاهل ان في الحرب طرف اخر له ارادته ووسائله وجهوده .

٥ — عرض القوة العسكرية المصرية

بمناسبة ذكرى ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ السابعة قام الجيش المصري الثالث باجراء عرض عسكري ضخم في الصحراء القريبة من مدينة السويس على الضفة الغربية من القناة ، كما قام الجيش المصري الثاني بعرض مماثل قرب مدينة الاسماعيلية ، وحضر الرئيس السادات والمشير احمد اسماعيل كل من العرضين العسكريين اللذين لم يسبق لهما مثيل منذ ما قبل حرب ١٩٦٧، واللذين عمد الى نشر صورهما عالميا بشكل يعطي مدى ضخامة حجم القوات المعروضة ونوعية اسلحتها وكميتها . فقد أظهرت هذه الصور مثلا في عرض الجيش الثاني نحو ٥٤٦ دبابة « ت ٥٤ » و« ت ٥٥ » مصطفة في ٦ تشكيلات كبيرة ووراءها نحو ٣٦٠ ناقلة جنود مجنزرة طراز « ب ت ر — ٥٠ ب » ، فضلا عن مئات من المدافع الهاوتزر عيار ١٣٠ مم التي يبلغ مدى رميها نحو ٢٥ كلم ، وعيار ١٢٢ مم « م — ٣٨ »، و١٢٢ مم « د — ٣٠ » التي يبلغ مدى رميها نحو ٢٢ كلم . وظهرت في عرض الجيش الثالث ٣٢ مجنزرة تحمل كل منها ٣ صواريخ « سام — ٦ » وعشرات من الصواريخ « سام — ٣ » و« سام — ٢ » فضلا عن بعض الصواريخ « فروغ ٧ » (وكذلك ظهرت اعداد من مختلف الصواريخ المذكورة في عرض الجيش الثاني)، وفي الوقت نفسه كانت اسراب طائرات الميج — ٢١ وسوخوي ٧ — تحلق فوق القوات البرية اثناء العرضين . وهذان العرضان هما وسيلة ضغط غير مباشرة لتعزيز موقف مصر في مفاوضات جنيف ، وتذكير اسرائيل بأن الجيش المصري عوض خسائره في حرب ١٩٧٣ ، رغم خلافاته الجزئية مع الاتحاد السوفياتي ، وان هذه الخلافات لم تؤثر على قدرته القتالية .

محمود عزمي وهشام عبدالله

ملحق القضية الفلسطينية عسكريا

تقرير عن عملية أم العقارب « كفارشامير »

في نيسان من هذا العام كانت ملحمة الخالصة وكانت ترشيحا في ايار ، وها هي أم العقارب في حزيران ، وغدا ... كل فلسطين . هكذا وعد الشهداء من ابطالنا جماهير امتهم ، فها هو الشهيد البطل منير المغربي يقول « يا والدتي العظيمة ، لكي لا تلدي في العراء اطفالا مشوهين ، أصنع لك بيتا لا تقتحمه الوحوش ، تنمو فيه أمانيك ، ويكبر أطفالك ، وانت يا والدي حدثتني كثيرا عن الارض التي كبرت فيها وكنت معطاء مثلهـا ، شاهدتك تحلم بالعودة ، فمن اجلك ، ولاحقق حلمك ، امضي في هذا الطريق » (الى الامام ، عدد ٤٥٦) .

جاءت عملية القائد الشهيد « أبو علي اياد » والتي نفذها ابطال الخالصة ، بتوقيتها ، ودقـة تخطيطها وطريقة تنفيذها ، انجازا مدويا في مستنقع السكون التام المريب الذي بدأ يسود المنطقة ، في ظل حملة غسل الدماغ العربي لاعادة الاعتبـار الى السياسة الاميركية لدى جماهير أمتنا . جاءت هذه العملية لتغطي بدويها الدامي تسجيـلات الترحيب « برسول السلام » نيكسون ، ولتؤكد بالدم ان الحقوق القومية للشعب الفلسطيني على ارضه ، هي حيث تصل أقدام المقاتلين . وان المشكلة الفلسطينية هي اساس الصراع ، ولن يكون هناك سلام الا بحلها .

ففي تمام الساعة الثامنة والنصف بتوقيـت فلسطين (التاسعة والنصف بتوقيت بيروت) ، من صباح الجمعة ١٩٧٤/٦/١٤ ، قامت مجموعة أبطال الخالصة بتنفيذ عملية القائد الشهيد « أبو علي أياد » ، لمقتحمت قرية أم العقارب التي تعرف باسم مستعمرة « كفارشامير » ، وفي الوقت نفسه كانت مجموعة الحماية تأخذ مواقعها لمشاغلة العدو وضرب نجداته . وقد تمكنت مجموعة التنفيذ من اقتحام الهدف ، واحتجاز ٣٢ رهينة في مطـعم الكيبوتس ، وارسلت مع احدى النساء انـذارا الى قادة العدو باللغتين العربية والعبرية تطالبه باطلاق سراح مئة فدائي يكون من بينهم كوزو اوكوموتو والمناضلات المعتقلات والمناضلين الجرحى والمرضى ، والمناضلين حسب أقدميتهم في الاسر . وأعطته مهلة ست ساعات غير قابلة للتمديد لتنفيذ المطالب، والا فان المجموعة ستفجر نفسها والرهائن بعد انتهاء مدة الانذار ، وحذرت العدو من المماطلة والخداع وعدم الاستجابة لمطالب الثوار العادلة .

وقامت الجبهة بالاتصال بالصليب الاحمر الدولي ليتولى عملية تأمين نقل الاسرى المئة من ثوارنا في حالة استجابة العدو للطلب . كما جرى ابلاغ سفارتي فرنسا ورومانيا بانهما ستبلغان كلمة السر التي سيفرج على ضوئها ثوارنا عن الرهائن من أسرى العدو بعد وصول ثوارنا الى دمشق .

انطلاقا من الاستراتيجية المعدة مسبقا لمواجهة مثل هذه العمليات والتي عبر عنها دايان بقوله « ينبغي علينا ان نقتلهم ، والا نستجيب لمطالبهم ، والاسلوب الوحيد — حسب اعتقادي — لمواجهـة الارهاب هو الا يحصلوا على مطالبهم، والا يخرجوا من هنا أحياء ، وينبغي ان نحقق ذلك بأفضل ما عندنا من وسائل » (ر.أ.أ. ، ٧٤/٥/٢١) ، انطلاقا من هذه الاستراتيجية كانت « مجزرة » الخالصة وكان هجوم القوات الاسرائيلية عـلى مدرسة معالوت قبل نصف ساعة من انتهاء موعد الانذار . وفعلت اسرائيل كذلك الشيء نفسه في هذه المعركة استخفافا بأرواح الرهائن ، فقام العدو بزج قواته منذ اللحظات الاولى للمعركة ، ففاجأته تقاذف المجموعة الثانية وأعطبت له احدى آلياته العسكرية وسيارة للشرطة قتل او جرح جميع من فيهما ، وقد استمرت الاشتباكات حتى الساعة الثانية عشرة ظهرا حيث استشهـد المناضلان أبو انتصار وابو الفدا وحاول العدو بعدها اقتحام المطعم الذي يحتجز فيه ثوارنا الرهائن فتصدى له مقاتلونا بالقنابل اليدوية ومنعوه من تحقيق اهدافه ، واستمرت المعركة العنيفة حتى الساعة الثالثة بعد الظهر حيث نفذ ثوارنا انذارهم بتفجير أنفسهم والرهائن بالاحزمة الناسفة . كانت خسائر العدو على النحو التالي :

١ — مقتل واحـد وثلاثين رهينـة كانـوا محتجزين في مطعم المستعمرة . ٢ — مقتل واصابة

أكثر من ١٥ خمسة عشر جنديا صهيونيا . ٣ ــ مقتل اربع نساء بينهن مجندة صهيونية في شوارع المستعمرة . ٤ ــ مقتل خمسة صهاينة في شوارع المستعمرة . ٥ ــ تدمير سيارة عسكرية وسيارة شرطة .

أما شهداؤنا الابطال فهم : ١ ــ الشهيد البطل سامي ابو زكي ، ابو الشمس ، لبناني الجنسية ، من مواليد سنة ١٩٥٥ وهو قائد المجموعتين . ٢ ــ الشهيد البطل فاخر باقر الساعدي ، ابو انتصار ، عراقي الجنسية من مواليد سنة ١٩٥١ . ٣ ــ الشهيد البطل زكريا عرفات صحراوي ، ابو ابراهيم ، فلسطيني الجنسية من مواليد سنة ١٩٥٦. ٤ ــ الشهيد البطل صلاح عبد الحميد المظفر ، ابو الفدا ، عراقي الجنسية من مواليد سنة ١٩٥٢ .

فلسطين حبهم الكبير ، فمن اجلها وفي سبيلها كان عطاؤهم الكبير ، فها هم يضيفون الى البناء اربعة مداميك جديدة من أجسادهم ليكتمل البيت الذي يحلمون به .

ففي الخالصة امتزجت الدماء العراقية والفلسطينية والسورية لتؤكد وحدة الامة العربية ووحدة نضالها ، واليوم في قرية أم العقارب انضم الدم اللبناني الى معانقة تلك الدماء في مأثرة الشرف والبطولة ليؤكد وحدة الموقف ووحدة المصير . وليؤكد بأن طريق العودة لن يكون الا سباحة في نهر من الدم .

حول كيبوتز كفار شامير :

أسس كيبوتز كفار شامير في عام ١٩٤٤ شمال شرق فلسطين، بمقاطعة صفد قرب الحدود السورية في موقع أم العقارب بسهل الحولة ، على طريق كريات شمونة ــ عامير ، يبعد عن كريات شمونة ١٢ كلم . يتبع كيبوتز كفار شامير الكيبوتز الوطني، وسكانه يهود معظمهم من رومانيا ، يشتهر بزراعة الحبوب واشجار التفاح ، كان عدد سكانه في عام ١٩٥٠ (٤٣٤) نسمة ، انخفض نتيجة تعرضه لقصف المدفعية السورية في تلك الفترة الى ٣٠٠ نسمة في عام ١٩٦١ . ثم شهد الكيبوتز نموا سريعا ومتعاظما في أعقاب هزيمة حزيران ١٩٦٧ حيث اصبح يعتبر من الكيبوتزات البعيدة عن خطوط المواجهة . وتزايد عدد سكانه الى ١٢٠٠ ــ ١٥٠٠ نسمة تقريبا في عام ١٩٧٣ .

يعتبر كيبوتز كفارشامير من أكثر كيبوتزات العدو تحصينا ومناعة . وهو أكبر كيبوتز في منطقة الحولة ، ويعتبره العدو مفخرة منجزاته الاستيطانية في شمال شرق فلسطين ، وهو نقطة الوصل لكيبوتزات تلك المنطقة .

ولكن ماذا عن رواية العدو الذي يحاول التستر على هذه العملية ، ومحاولة التقليل من حجمها .

الرواية الاسرائيلية : أعلنت الاذاعة العبرية في اسرائيل في نشرة اخبارها في الحادية عشرة صباحا نقلا عن مراسليها في مستعمرة شامير (ر.أ.ا. ، ٧٤/٦/١٣) انه في نحو الساعة الثامنة والنصف صباحا ، شاهد اثنان من اعضاء الكيبوتس غير مسلحين ، أشخاصا مشبوهين قرب بركة السباحة الواقعة غربي مباني الكيبوتز . وطلب هذان العضوان النجدة ، فوصل الى المكان أحد اعضاء الكيبوتز المسلحين واطلق النار على أحد «المخربين» وقتله . ودخل « المخربان » الاخران الى المنحلة الواقعة على بعد حوالي مئتي متر من الكيبوتز . وقام أعضاء الكيبوتز بتطويق المنحلة واطلقوا النار على من فيها . وفي هذه الاثناء حضرت قوات الامن، بقيادة قائد المنطقة الشمالية العميد رفائيل ايتان . وخلال تبادل اطلاق النار ، أصيبت المواد المتفجرة التي كانت في حوزة « المخربين » وسمعت أصوات انفجارات داخل المنحلة ، وعندما اقتحمت قوات الامن المبنى وجدت جثث « المخربين » . وعندها اتضح ان « المخربين » كانوا قد قتلوا قبل ذلك ، النساء الثلاث اللواتي كن داخل المنحلة .

وفي رواية اخرى نقلا عن لسان يحزقيل همئيري (ر.أ.ا. ، ٧٤/٦/١٣) ، ان عاملا المنحلة في الكيبوتز شاهدا لدى اقترابهما من المنحلة شخصين على كتفيهما حقائب ، واثارت خطواتهما المترددة ، ومنظرهما الخارجي شكوكهما ، فتراجعا الى الوراء في محاولة للتستر خلف مبنى قريب ، فشاهدهما « المخربون » واطلقوا عليهما النار من الاسلحة التي كانت مخبأة تحت ثيابهما.واصيب أحد العاملين في صدره ويديه ، واستطاع هذا العامل الجريح ان يزحف لغاية المبنى القريب لطلب النجدة . ولكن قبل ان يستطيع الاتصال مع رجال الامن في الكيبوتز ، وصل الى المكان في سيارة جيب ، عدد من اعضاء الكيبوتز المسلحين . وقد أسرعوا الى

المنطقة عند سماعهم الطلقات النارية . ورد اعضاء الكيبوتز على نيران « المخربين » ، وعندها اقتحم « المخربون » الذين كانوا في طريقهم على ما يبدو الى الكيبوتز ، اقتحموا « المنحلة » القريبة منهم . ويعتقد ان نية « المخربين » كانت اقتحام الكيبوتز والاستيلاء على رهائن في مبنى غرفة الطعام . وقد تعرقلت عمليتهم بعد ان شاهدهم عامـــلا « المنحلة » وهما في طريقهما من غرفة الطعام الى « المنحلة » .

بينما يذكر قائد المنطقة الشمالية العميد رفائيل ايتان في نشرة اخبار الساعة ١٣،٠٠ من اليـــوم نفسه ، « أن « المخربين » كانوا أربعة ، ودخلوا الكيبوتز ، وهناك اصطدموا بمتطوعة ولم يقتلوها، وعند سماع أصوات الرصاص ، هرع بعض اعضاء الكيبوتز ، وفر « المخربون » باتجاه مبنى المنحلة ، بينما أخذ عضو الكيبوتز عوزي تسور موقعا له بالقرب من كوخ ، وفتح النيران واصاب **اثنين** ، قتل احدهما بينما زحف الاخر باتجاه هذه السيارة المحروقة . وجرى بعد ذلك تبادل اطلاق النار ، وفي غضون ذلك انضم اعضاء كيبوتز آخرون مع أسلحتهم ، وحينذاك فجر الشخص الذي زحف باتجاه السيارة نفسه » .

ولكن الاذاعة العبرية تعود في الساعة ١٤،٠٠ فتذكر ان مجموعة « المخربين » تتكون من ثلاثة اشخاص . أحدهم فجر نفســه بالقرب من سيارة والاخر فجر نفسه داخل المنحلة والثالث قتله أحد اعضاء الكيبوتز . على حين يذكر مراسل الاذاعة في نشرة الساعة ١٥،٠٠ ان اعضاء الكيبوتز قضوا على « مخربين » اثنين ، اما الثالث فقد فر جريحا نحو مستودع المنحلة حيث لقي مصرعه هناك من جراء انفجار شحنة من المواد المتفجرة كان يحملها كما يبدو .

ويستمر الاعلام الاسرائيلي بتناقضاته حين يتحدث وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيرس قائلا ان ثلاثة مخربين دخلوا الى المنطقة ، أطلق أحدهم النار على امرأة شاهدها في طريقه دون أية اثارة . وان القضاء على « المخرب » الثالث كان قد تم بعد وصول قوات الجيش الى الكيبوتز بعد وقت قصير من وقوع الحادث (ر.أ.أ. ، ٧٤/٦/١٤)، وتنكشف بعض ملامح التعتيم المتعمد على هذه العملية الفذة ، حين يقول شبيجلمان مراســـل الاذاعة (ر.ا.ا. ٧٤/٦/١٤) ان ثلاثة او اربعة « مخربين » وصلوا الى المنحلة شرقي الكيبوتز ، وتمركز هناك واحد او اثنان ، واتجه اثنان آخران نحو منازل الكيبوتز . قتل احدهما عوزي تسور عضو الكيبوتز وجرح الاخر الذي فجر نفسه قرب سيارة عسكرية . بينما انفجر « المخربان » الاولان المتمركزان داخل المنحلة كما يقول شبيجلمان . الا ان الناطق الرسمي بلسان جيش العدو يقول ، انه اتضح نتيجة للفحص الذي اجري في كيبوتز شامير ، ان اربعة « مخربين » اشتركوا في عملية القتل ، اثنان قتلا نتيجة لانفجار مواد متفجرة كانا يحملانها على جسميهما ، واثنان قتلا نتيجة لتبادل اطلاق النار (ر.أ.أ. ، ٧٤/٦/١٤) . ثم يبلغ التناقض ذروته حين يتحدث اللواء مردخاي جور رئيـــس الاركان في الجيش الاسرائيلي قائلا: بان «المخربين» دخلوا الكيبوتز، وتجولوا داخله وكانهم في منازلهم، واطلقوا النار ، ومن تلك اللحظة ، انتظم الوضع في الكيبوتز ، وحمل اعضاء الكيبوتز أسلحتهم وركضوا الى مكان الحادث ، واصابوا «المخربين» واشتبكوا معهم **وقتلوهم** . والى جانب ذلـك ، عندما تسلمنا النبأ أصدرت اوامر الى قـــوات الجيش باقتحام المكان وقتل « المخربين » (ر.ا.ا. ٧٤/٦/١٤) .

يتضح مما سبق من الروايات الاسرائيلية ان هناك خطا جديدا في الاعلام الاسرائيلي في تعامله مع مثل هذه العمليات ، يعتمد على التعتـــيم والتضليل منعا لردود الفعل العنيفة داخـــل اسرائيل ، ويبدو ذلك جليا من منع السلطات الاسرائيلية كل المراسلين أو مندوبي الصليب الاحمر الدولي من الوصول الى مكان الحادث ، ومـــن التناقضات الواضحـــة في أقوال الرسميـــين الاسرائيليين التي اوردت عينة منها .

وكالعادة ، ادعت اسرائيل بان « المخربين » تسللوا من منطقة « فتح لاند » في الاراضي اللبنانية، وسلكوا سفوح جبل الشيخ الغربية وعبروا طريقا جبلية طويلة ووعرة يزيد طولها على ١٥ كيلومترا لغاية كيبوتز شامير . وكالعادة ايضا تـــدفقت تهديدات الاسرائيليين بعد كل عملية ضد لبنـــان وضد الفدائيين ، فها هو جور ، رئيس الاركان الاسرائيلي يقول « باننا نملك أساليب عدة لضربهم، وقد اتبعنا بعضها ، والبعض الاخر سننفذه ، ولا

فائدة من التحدث عنه ، وهذا النشاط كما هو معلوم متعلق بعدة عوامل ، سياسية وعسكرية ، وبناء على الاعتبارات الفورية ، وفي لحظة معينة نتخذ قرارات حول ماذا ينبغي ان نفعل (ر.أ.ف. ، ٧٤/٦/١٤) . ويطالب هرتسوج بخوض حرب اكثر فعالية ضد منظمات « المخربين » اينما وجدت وفي كل زمان . ولم تتخلف الصحف الاسرائيلية عن اداء دورها في هذه الجوقة ، فكتبت داعية الى ضرب « المخربين » دون شفقة عبر الحدود لان الوضع كما تقول لم يعد محتملا ، حيث اتضح ان سلطات لبنان ليس من شأنها منع نشاطهم ، وتساءلت صحيفة هآرتس (٧٤/٦/١٤) عما اذا كان الجيش الاسرائيلي قد استنفد جميع الامكانات والوسائل لحماية المستوطنات القريبة من الحدود .

وقد نفى « ابو العباس » الناطق باسم الجبهة الشعبية — القيادة العامة في مؤتمر صحفي ان يكون الفدائيون الذين اقتحموا مستعمرة شامير قد انطلقوا من لبنان . وقدم توضيحات عسكرية كذب فيها مزاعم العدو . فأكد ان موقع العملية أقرب الى الحدود السورية الفلسطينية ، وان العبور اليه من خارج الارض المحتلة يفرض اجباريا المرور في هضبة الجولان المحتلة . وتحدى العدو اثبات مقدرة أي عنصر من عناصره مهما كانت طاقته على اجتياز الطريق الى المستعمرة من الحدود اللبنانية خلال ليلة واحدة . وقال ان العدو بمزاعمه يمنحنا وسام شرف لاعطائه لنا قدرة هائلة على اجتياز مواقعه وتحصيناته ونقاط مراقبته التي عززها على الحدود اللبنانية بشكل كثيف مؤخرا . وأكد « ابو العباس » ان العملية هي احباط لكل تدابير الامن الاسرائيلية وتأكيد جديد على مقدرة الفدائيين في الوصول الى أعتى مواقع العدو .

س.ف.

كتاب

محمود درويش

وداعاً ايتها الحرب
وداعاً ايها السلام

موجود في الاسواق . وباستطاعتك طلبه بالبريد على العنوان التالي : مركز الابحاث — قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ — بيروت .

سعر النسخة ٥ ل.ل. يضاف اليها أجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي، ٢٥٠ ق.ل. في اوروبا ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

جدول بالعمليات العسكريه لقوات الثورة الفلسطينية من ٥/١٥ — ١٩٧٤/٦/١٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري تاريخه
١	٥/١٥	٦٤٠٠	ميناء كيشون/حيفا(١)	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في خزانات النفط	—	—	—	رقم ٧٤/١٠٣ ٥/١٥
٢	٥/١٤	٢١٤٣٠	القدس	قصف	صواريخ متوسطة وثقيلة	غيرمحدد	اصابة منطقة مشيرم مقابل حي مصرارة بأضرار	—	—	—	رقم ٧٤/١٠٤ ٥/١٥
٣	٥/١٥	٤٤٠٠	معلوت/الجليل الاعلى	اقتحام واحتلال	أسلحة مختلفة والجرحى	عشرات القتلى	اصابة مبنى المدرسة بأضرار	٣	—	—	رقم١٠٥— ٧٤/١٢٣ ٥/١٥
٤	٥/١٧	—	رمات جان(٢)	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في مصنع للبلاستيك والاسفنج وامتداد النيران الى مخازن المواد الاولية	—	—	—	رقم ٧٤/١٢٥ ٥/١٨
٥	٥/١٩	٤٤٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد	تدمير معظم جسر بار يهودا وتعطيل حركة السير فوقه	—	—	—	رقم ٧٤/١٢٦ ٥/١٩
٦	٥/١٧	٢٠٤٣٠	بين القدس واريحا	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة عسكرية وقتل من فيها	—	—	—	رقم ٧٤/١٢٨ ٥/٢١
٧	٥/٢١	٢١٤٠٠	بين نهاريا والكابري	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل من فيها	—	—	—	رقم ٧٤/١٢٩ ٥/٢١
٨	٥/٢١	—	ادميت	اشتباك	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	قتل مجموعة من الجنود	١	—	—	رقم ٧٤/١٢٩ ٥/٢٤
٩	٥/٢٤	—	بين عين فيف وهاؤون/طبريا	اشتباك	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	—	٦	٢	—	رقم ٧٤/١٣٠ ٥/٢٤
١٠	٥/ ٧	—	الشيخ زويد	تفجير	الغام	غيرمحدد	تدمير سيارة باور واجن	—	—	—	رقم ٧٤/١٣١ ٥/٢٥
١١	٥/١٢	—	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٤/١٣١ ٥/٢٥

١٢ — ٥/٢٦	١٤٢٠	كرمئيل/مجد الكروم	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	اشعال النيران في مصنع للبلاستيك أتت على الماكنات والمواد الاولية وامتداد النيران الى مصنع الاسفلت	رقم ٧٤/١٢٢ ٥/١١
١٣ — ٥/٢٦	—	مرج بن عامر(٣)	اقتحام وتفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	تدمير اجزاء كبيرة من مصنع سولنيم لصناعة رشاشات العوزي وقذائف الهاون عيار ١٦٠ ملم وامتداد النيران الى المباني المجاورة	رقم ٧٤/١٢٣ ٥/٢٦
١٤ — ٥/٢٣	—	بئر السبع	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	اشعال النيران في سينما اورون واتلاف جميع محتوياتها	رقم ٧٤/١٢٤ ٥/٣٠
١٥ — ٥/١٩	—	بئر السبع	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	—	—	—	اعطاب سيارة وقتل وجرح من فيها	رقم ٧٤/١٢٥ ٥/٣٠
١٦ — ٥/٢٥	—	بين بيت كاما وبئر السبع	تفجير	ألغام	غيرمحدد	—	—	—	اعطاب سيارة وقتل وجرح من فيها	رقم ٧٤/١٢٥ ٥/٣٠
١٧ — ٥/٢٧	—	بين بئر السبع وقرية القين	تفجير	ألغام	غيرمحدد	—	—	—	تدمير باص واصابة عدد من ركابه	رقم ٧٤/١٢٥ ٥/٣٠
١٨ — ٥/١٠	—	تل ابيب	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	—	—	—	اشعال النيران في ماكنات صحيفة « حتسوفيه » ومستودعات الورق	رقم ٧٤/١٣٦ ٥/٣١
١٩ — ٥/٣٠	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	اتلاف محتويات نادي كلفيم الليلي	رقم ٧٤/١٣٧ ٥/٣١
٢٠ — ٥/٢٠	٢٢٠٠	بين برقة وجنين	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	—	—	—	اعطاب سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	رقم ٧٤/١٣٨ ٥/٣١
٢١ — ٥/٢٠	—	معسكر صانور/جنين	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	—	—	—	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	رقم ٧٤/١٣٨ ٥/٣١
٢٢ — ٥/٢٨	—	سجن ابو كبير	—	—	١	—	—	—	نفذ حكم الاعدام بالصهيوني اريه صوفري الذي يعمل مع المخابرات الصهيونية	رقم ٧٤/١٣٩ ٦/١

اليوم	الساعة	موقعها	العملية	المستعمل	قتيل جريح	خسائر العدو المادية	شهود	جرحى	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٢٣ — ٥/١٨	—	رمات غان	تفجير	عبوات حارقة	— —	اشعال النيران في مصنع « شنير » للنسيج وامتداد النيران الى ماكنات النسيج	—	—	—	رقم ٧٤/١٤٠	٦/١
٢٤ — ٥/٢٨	—	مدينة روشبينا	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	اعطاب باص وقتل وجرح جميع ركابه	—	—	—	رقم ٧٤/١٤١	٦/١
٢٥ — ٥/٢٧	—	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	اندلاع النيران في غرف الغاز وامتدادها الى الورش الرئيسية لتصليح السفن في ميناء حيفا واتلاف محتوياتها	—	—	—	رقم ٧٤/١٤٢	٦/٢
٢٦ — ٦/ ٢	٢١٤٠٠	ادميت	اشتباك	رشاشات وقنابل وقذائف صاروخية	غيرمحدد	اصابة المستوطنة بأضرار	٢	—	—	رقم ٧٤/١٤٣	٦/٢
٢٧ — ٦/ ٣	—	صفد	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مبنى مدرسة أغودات يسرائيل بأضرار	—	—	—	رقم ٧٤/١٤٤	٦/٣
٢٨ — ٥/٢١	—	جباليا	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٤/١٤٥	٦/٥
٢٩ — ٦/ ٤	—	بتاح تكفا	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في مصنع اطارات كاتشوك السيارات سامسيون	—	—	—	رقم ٧٤/١٤٦	٦/٥
٣٠ — ٦/ ٣	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	١ —	تحطيم سيارة	—	—	—	رقم ٧٤/١٤٧	٦/٦
٣١ — ٦/ ٥	—	تل ابيب(؟)	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	تدمير واتلاف محتويات مستودع الالبسة العسكرية الرئيسي في الحي الصناعي واشعال النيران في المصنع المجاور والورش الصناعية وانقطاع التيار الكهربائي واخلاء المنطقة ٢٤ ساعة	—	—	—	رقم ٧٤/١٤٨	٦/٦

٣٢ — ٦/ ٥	—	على طريق بيت ليد	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	رقم ٧٤/١٥٠ ٦/٨
٣٣ — ٦/ ٨	٥٤٠٠	ادميت	كمين	قذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غيرمحدد	٤	—	تدمير آلية وقتل معظم افراد الدورية
٣٤ — ٦/ ٩	—	بين اوره وعمنداف/ القدس	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	—	—	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح افراد دورية
٣٥ — ٦/١١	—	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	رقم ٧٤/١٥٢ ٦/١٢ تدمير جزء من مبنى الادارة المدنية واتلاف ما فيه من اثاث
٣٦ — ٦/١٢	—	طبريا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	رقم ٧٤/١٥٣ ٦/١٢ تدمير الخزان الرئيسي ومحطة ضخ المياه
٣٧ — ٦/١٣	٨٤٣٠	شامير	اقتحام	قنابل يدوية واسلحة رشاشة	غيرمحدد	٤	—	رقم ٧٤/١٥٤ ٦/١٣ اصابة المستوطنة بخسائر جسيمة
٣٨ — ٦/١٢	—	بين عنبتا ونورشمس /نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	١	—	—	رقم ٧٤/١٥٦ ٦/١٥ انفجار عبوة في ضابط اثناء عملية تفكيكها في مصنع خلط الاسفلت

١ ــ اعترف العدو بالعملية ، راجع نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** ، عدد ٥٣٣ تاريخ ٧٤/٥/١٥ ، ص ٣٤٤ .

٢ ــ اعترف العدو بالعملية ، راجع نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** ، عدد ٥٣٦ تاريخ ٧٤/٥/١٨ ، ص ٤٣٩ .

٣ ــ راجع نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** ، عدد ٥٤٣ تاريخ ٧٤/٥/٢٧ ، ص ٦٧٢ .

٤ ــ راجع نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** ، عدد ٥٤٩ تاريخ ٧٤/٦/٧ ، ص ٤٣ .

ملاحظة : ١ ــ تصدر البلاغات العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثـــورة الفلسطينية .

٢ ــ قامت سلطات العدو باعتقال عدد من المواطنين خلال هذه الفترة ، وبعد العمليـــات العسكرية ، كما يبين الجدول المرفق من مكتب الارض المحتلة :

البلد	عدد المعتقلين
١ ــ نابلس	٩
٢ ــ الخليل	١١
٣ ــ عـكا	٢
٤ ــ رام الله	٦
٥ ــ غزة	١١
٦ ــ القدس	١١
المجموع	**٥٠**

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٥/١٥ــ١٩٧٤/٦/١٥

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	٥/١٥	—	معلوت	كمين	أسلحة رشاشة	١	٨	اصابة سيارة «بيك اب» بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٥٣٢ ص٣٤٥	٥/١٥
٢	٥/١٥	٤٤٠٠	معلوت	اقتحام	أسلحة مختلفة	١٩	٧٠	اصابة مبنى مدرسة بأضرار	٣	—	—	ن٠عدد٥٣٢وعدد٥٣٤	١٥ــ٥/١٦
٣	٥/١٧	—	المطلة	قصف	قذائف هاون	—	—	—	—	—	—	ن٠عدد٥٣٥ ص٤٣٠	٥/١٧
٤	٥/٢١	٢٠٤٠٠	ادميت	اشتباك	أسلحة رشاشة	—	—	—	١	—	—	ن٠عدد٥٤٠ ص٥٩٢	٥/٢٣
٥	٥/٢٢	—	رمات مجشيم	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	—	—	٦	—	٢	ن٠عدد٥٤١ ص٦٢٠	٥/٢٤
٦	٥/٣١	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	—	—	—	—	ن٠عدد٥٤٧ ص٨٢٤	٥/٣١
٧	٦/ ٨	—	ادميت	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	—	—	٤	—	—	ن٠عدد ٥٥٠ ص٦٧	٦/٨
٨	٦/١٣	—	شامير	هجوم	أسلحة مختلفة	٣	١	—	٢	—	—	ن٠عدد٥٥٥ ص١٩٦	٦/١٤

ن ــ نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

مجلة الفكر العسكري

الاستراتيجية العربية والعالمية لأكبر المفكرين
العرب والأجانب

أهم الدراسات

- العلوم الحربية ذات الصبغة الإستراتيجية والإدارية العليا .
- الأخبار والتعليقات من أعرق المصادر ومن مختلف الإتجاهات .
- خبرات الحروب . آراء . مناقشات .... إلخ .....

صدر العدد الثاني لعام ١٩٧٤

وقيل تطالع

- تدخل الدول عسكرياً في الحروب الأهلية .
- الإستراتيجية بين المفهوم العالمي والإستغلال الثنائي
- الطاقة والحرب العالمية الثالثة .
- التنبيهات واقتصاد الحرب .
- التزام مختلف المسؤوليه تجاه تنظيم الإدارة
- بالإضافة الى بحوث العمليات ونظرية القرارات والسيد نتيك

كتب في هذا العدد

العميد المهندس : سهيل الصوفي — الدكتور : عبد الله الحريري
الدكتور : صباح الدين بقبوجي — الدكتورة : خيرية قاسمية
الدكتور : عادل الشيخ — المهندس : بسام عبد القادر الأمير

الجنرال : جورج بوريه
مدير معهد الدراسات العليا للدفاع الوطني الفرنسي

مجلة فصلية

تصدر عن كلية القيادة والأركان في الجيش العربي السوري

رئيس تحريرها — اللواء : أديب الأمير

تباع في المكتبات الكبرى

العنوان البريدي : ص.ب ٤٢٥٩ دمشق - الهاتف ٥٥٣٨٤٦ دمشق

صدر المجلد السنوى السابع من

السياسة الدولية

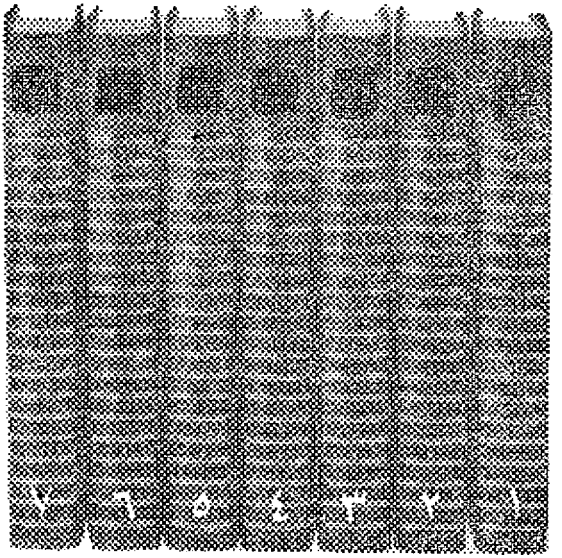

- مرجع عالمى للعاملين فى الحقل السياسى والدبلوماسى والإعلامى .
- المجلد مزود بفهرس تحليلى وفهرس للمعاهدات والاتفاقات الدولية .
- ١٠٠٠ صفحة ... الثمن ١٠٠ قرش
- يطلب من قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ومكتبة الأهرام بشارع محمد فريد والمكتبات الكبرى فى الوطن العربى
- يضم الأعداد ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ الصادرة خلال عام ١٩٧١

رئيس التحرير
د. بطرس بطرس غالى

مدير التحرير
د. عبد الملك عودة

الثقافة العربية

ثقافة عربية أصيلة وفكر إنساني متفتح

مجلة شهرية جامعة - تصدرها المؤسسة العامة للصحافة في الجماهيرية العربية الليبية

رئيس التحرير : أحمد إبراهيم الفقيه

يشترك في تحريرها نخبة من كبار المفكرين والكتاب والشعراء العرب

نحو ١٣٠ صفحة من القطع الكبير تحوي مجموعة من المقالات والدراسات الفكرية والأدبية والقومية والاقتصادية والعلمية ، إلى جانب الأبواب الثابتة من شعر وقصة وفنون .

ثمن العدد : ليبيا ١٠٠ درهم • ج م ع ١٠٠ مليم • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش الكويت ١٥٠ فلسا • الأردن ١٠٠ فلس • العراق ١٠٠ فلس • البحرين ١٥٠ فلسا دبي : ريال ونصف • السعودية : ريال ونصف • ابوظبي : درهمان مسقط ٢٠٠ بيسه • قطر : ريال ونصف • السودان ١٠٠ مليم • الجزائر : ديناران تونس ١٠٠ مليم • المغرب : درهم ونصف • عدن ١٥٠ فلسا • اليمن ١٠٠ بقشة

الاشتراك السنوي : في الجماهيرية العربية الليبية : ١,٢٠٠ درهم ليبي ، وخارج الجماهيرية العربية الليبية : ١,٢٠٠ درهم ليبي مضافاً إليها اجور البريد

العنوان : مجلة « الثقافة العربية » ص.ب. ٤٨٤٥ - طرابلس ج.ع.ل.

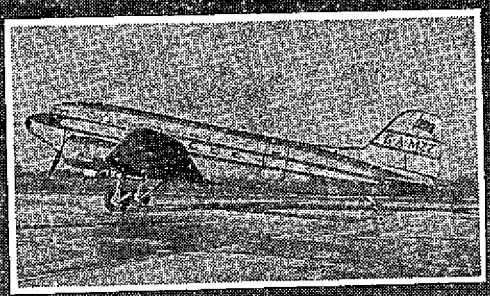
RAMEZ

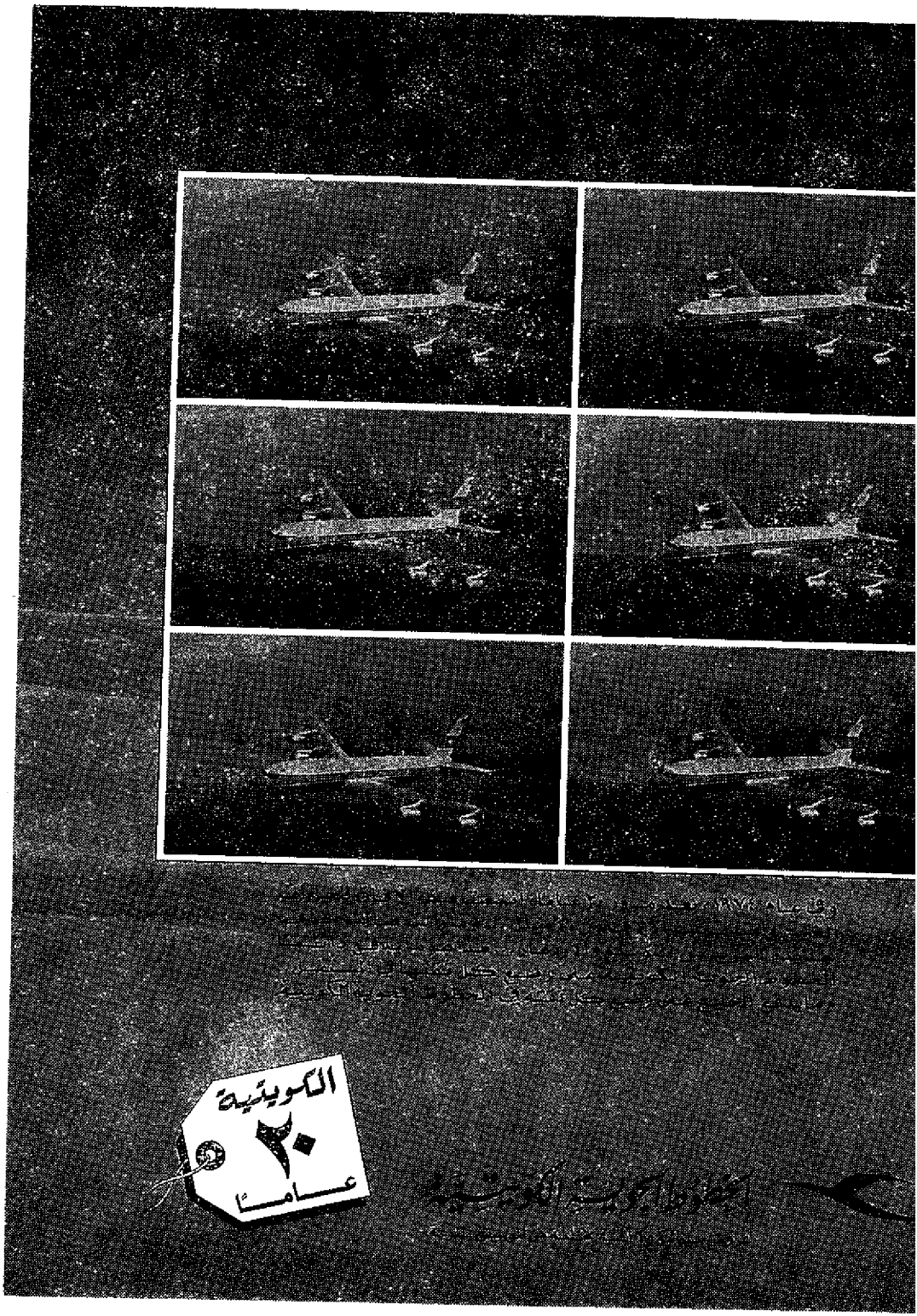
الكويتية
٢٠
عاماً